دراسات حول القرآن 2

تنزيه القرآن عن المطاعن

للقاضى عبد الجبار



تحقيق وتقديم

د. أحمد عبد الرحيم السايح المستشار: توفيق على وهبة

مكتبة النافذة

تنزيه القرآن عن المطاعن

للقاضي: عبد الجبار

تحقيق وتقديم:

د. أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار: توفيق على وهبة

مكتبة النافذة

تنزيه القرآن عن المطاعن

القاضي: عبد الجبار

الطبعة الأولى / 2006

رقم الإيداع 8786 /2006

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان



الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

Email : alnafezah@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة التحقيق]

الحمد لله رب العالمين . الذي دعا الناس إلى العلم والتعلم، وقال في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(١) .

والصلاة والسلام على الرسول الصادق الأمين . الذي علم الأمة، وبين للإنسانية طريق الرشاد .

أمـــا بعـــد ...

فإن علماء الأمة الإسلامية ـ انطلاقًا من دعوة القرآن العلم ـ تعلموا، وبحثوا، وصنفوا، وتركوا لأجيال الأمة مصنفات هي ذخائر حية . ومن أبرز الذخائر ما جاء في علم الكلام، الذي برز فيه العلماء في وقت اشتدت الحاجة إليه؛ حين كانت المناظرات، ومجالس العلم . مع أصحاب الملل والنحل .

والتقليل من شأن علم الكلام في أي وقت . دليل عجز، وجهل، وتعصب، لأن احترام علوم نبغ فيها علماء الأمة في وقت الازدهار الحضاري، والفكري، والعقلي . لمن الحياة .

واحترام علماء الأمة وأئمة هذه العلوم . ضرورة حياتية . لا يقدرها إلاّ الأحياء الذين يريدون لمجتمعاتهم الحركة والحياة .

وقد نختلف مع هؤلاء العلماء في بعض ما ذهبوا إليه، ولكن ليس معنى ذلك أن ننكر جهودهم واجتهادهم ودورهم .

---

(١) [فاطر:٢٨].

وقد يكون المنكرون لعلم الكلام، ولعلمائه على صواب فيما يذهبون إليه في بعض القضايا . ولكن ليس من الكياسة أن يظل هؤلاء يرددون ليل نهار . هذا الإنكار، ويصبحون ويمسون، وليس لهم إلا مواجهة علم الكلام . وهم أعجز من أن ينالوا منه.

إن الذين يبحثون في قضايا علم الكلام هم في الحقيقة يعملون على نشر علم هذا العلم وكتبه من حيث لا يدرون . ولذلك نجد كثيراً من الباحثين والدارسين في الجامعات يجهدون أنفسهم في الحصول على كتب علم الكلام القديمة . وأصبح لهذه الكتب ـ في ظل تطورات فكرية لها ـ سوق رائجة .

وقد يكون واضحًا أن تواجد الكتب، ونقد العلماء معلم من معالم الصحة والعافية في الأمة، ما لم يتحول إلى معول هدم، كما هو الحال عند أصحاب المذاهب المبتدعة التي أفرخها شياطين الإنس لتنال من كل العلماء ومن كل العلوم، ولا ترضى إلا بمذهبها هي، وبعلمائها هي .

ومن الغريب الذي يدلك على جهل هؤلاء، أن هؤلاء الجهال . يصور لهم جهلهم : أنهم هم على حق، وأن ما عداهم من المسلمين، ومن مذاهب الأمة، على غير ذلك . وهذه ظاهرة هدم تشير إلى ما ينبغي على علماء الأمة من مواجهة لهذه الأفكار الظلامية الجامدة . التى ما جاءت إلا لتؤخر مسيرة الأمة، وتشيع في مجتمعات المسلمين والإنسانية البلبلة، والقلق، والاضطراب، والفوضى .

والقاضى عبد الجبار الذي نعمل على تقديم كتابه : (تنزيه القرآن عن المطاعن) علم من أعلام المعتزلة الذين حملوا على عائقهم مهمة الدفاع عن الإسلام مستندين على أدلة عقلية ونقلية جابهوا بها أصحاب الملل والنحل . ودعاة المذاهب والرؤى المنحرفة مما أفاد، وجعل الأمة تملك فكرا، ورصيدًا ضخما، وفلسفة شامخة.

قد نختلف مع المعتزلة فى بعض ما ذهبوا إليه، ولكن هذا لا يمنع أن نشيد بجهودهم وفضلهم فى نهضة الفكر الإسلامي وازدهاره .

ويكفيهم فخرا موافقهم الشجاعة فى دفع الشبهات ودحض الأباطيل التى كان يروجها أعداء الإسلام . وما هذا الكتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضى عبد الجبار إلا ثمرة مباركة من ثما جهاد المعتزلة فى سبيل الزود عن حياض الدين .

وتحقيق تراث الأمة، وطبعه، ونشره . ضرورة حياتيه .

فالأمم النابهة والفاعلة . هي التي تبرز دور علمائها . وقد لا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك تراثًا ضخما، وخزائن مليئة بالمخطوطات، ولا توجد أمة في الأرض لها ما للمسلمين من تراث .

وتراث الأمة الذي يرقد في خزائن الكتب جدير بالأحياء حتى ولو كان فيه ما لا نتفق معهم عليه، لأن تراث أمة الإسلام كان صاحب فضل على التراث العالمى كله، وما ذلك إلا بفضل جهود علماء الأمة، الذين انطلقوا من الإسلام، فأفادوا المسلمين وغير المسلمين .

إن قيم الإسلام النبيلة، التى ارسالها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وعلماء هذه الأمة، كانت سببا في نهضة المسلمين، وانتشر فكرهم وعلمهم فعم الآفاق، وأنار السبيل، وارتقى بالعقول، وبنى نهضة علمية وفكرية فى الداخل والخارج .

ويوم أن كانت الأمة الإسلامية تدرك هذه القيم . كان لها شأنها واعتبارها . إلا أن الأمة عاشت ألوانا من الصراع حال دون وحدتها بصورة فاعلة وبانية . مما كان سببا في أن تعدو عليها أمم تتربص بها، تريد الهيمنة عليها، ومنعها من أن تظل قوة تعلي كلمة الحق في دنيا الناس .

وتمثلت بعض ألوان الصراع في التعصب المذهبي الأعمى الذي فرق المسلمين إلى طوائف على الرغم من وحدة الأصول بين المذاهب الكلامية والفقهية، وأن الاختلاف بينها اختلاف في مسائل فرعية، وقضايا جزئية، وهو اختلاف لا ينبغي أن تتمخض عنه خصومات وصراعات؛ لأنه في جوهره مظهر من مظاهر الحرية الفكرية في الإسلام، وآية من آيات صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .

وقد يكون واضحًا أن الأمة الإسلامية ـ وإن اختلفت فيها المدارس الفكرية ـ تملك أسسًا مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد .

ان القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة هى الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة، فإذا أدركتها جيدًا، والتزمت بمقتضياتها؛ فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة . تلتقي على وحدة الغاية، ووحدة المنهج، ووحدة القيادة، ووحدة العقيدة .

فلدى المسلمين أسس مشتركة توحدهم ولا تفرقهم، وتوجهم إلى ما يصلح شئونهم ولا بأس من تناول هذه الأسس بإيجاز لتتضح المعالم المضيئة في الطريق :

١- وحدة الغاية . حيث إن المسلمين جميعا يدركون غاية وجودهم في هذه الحياة، وهي الطاعة الكاملة لله عز وجل . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وإدراك هذه الغاية أساس أصيل في وحدة المسلمين .

٢- وحدة المنهج . وهذا المنهج الذي يجب اتباعه هو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾[2] وليس لهذا المنهج إلا مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي وضعه للمسلمين . فإذا اتضحت هذه الحقيقة في أذهان المسلمين، وأشرقت في قلوبهم المؤمنة، تمثلوها في واقعهم وسلوكهم .

٣- وحدة القيادة . لقد شاء الله أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية في الأرض، وأن يكون محمد ﷺ آخر الرسل . فبه أكمل الله الدين، وبه ختم المرسلين . وهذه الحقيقة يجب أن تتضح في أذهان المسلمين . وإذ بقدر وضوحها والتزامهم بها؛ يتيسر للأمة الاجتماع .

٤- وحدة العقيدة . فالعقيدة هى الأساس الذي يرتفع عليه بناء الدين . فإذا قوى الأساس سهل على الأمة تصحيح أوضاعها، وأمكن لها الاجتماع واللقاء . وحين تكون العقيدة واضحة في الأذهان مشرقة في القلوب تزول الحواجز التي قامت بين الأمة .

---

(١) [الذاريات:٥٦].

(٢) [آل عمران:١٠٣].

إن هذه الخلافات في جوهرها تبنيء عن معنى الوفاق؛ فهى ترتبط بأصل واحد وهو الكتاب والسنة . ومدارس الفكر المختلفة داخل الإسلام، شيء طبعي، مرغوب فيه، ليس منه بد، مادام الإسلام دينا حيا لأحياء، لكي يزدادوا حياة .

والإسلام نفسه شحنة هائلة من النشاط العقلي، تأبى أن يتحول المسلمون إلى مجرد نسخ متطابقة، تتكرر باستمرار، وبلا اختلاف، من عقل واحد، أيا كان هذا العقل، حتى لا يهلك المسلمون من الإجداب، والرتابة، والركود، والتخلف .

وليس يرضي الإسلام أن تلد الأمهات المسلمات إمعات مكررة معتمة، وإنما يرضيه ويعليه إنجاب العقول اليقظة النشطة ..

وبكل تأكيد ستظل المذاهب والفقهية والكلامية، ومدارس الفكر في الإسلام ، توجد ما بقى للمسلمين حاجة إلى التعبير عن تراثهم العقلي ، والروحي ، والى استدامة الصلة بين أصول دينهم ، وبين واقع الحياة . وليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلي والروحي داخل الإسلام ؛ لأن من أجل ما يقدمه المسلم لدينه : أن يفكر فيه ، ويشعر به .

والإسلام يضعف ويصبح تراثا جامدا إذا لم يفكر فيه ويشعر به إلا الحمقى والجهلاء ..

إذن لابد أن نعي دور العقل الإسلامي ،ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى لفتت نظر الباحثين ،هي الإشادة بالعقل ، وتوجيه النظر إلى استخدامه ، فيما يفيد ، وينفع . فدعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر ،إلى تقدير العقل والرجوع إليه . فيما اختص له من تفكير .

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى، حتى انه ليكرر هذا في الدعوة بشكل يلفت النظر، ويثير الاهتمام من التفكير، والنظر، والتدبر، والحكمة، والتذكر، والعلم، والفقه، والرشد، والبصر . إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها، وخصائصها، وظلالها . مما يعتبر إيحاءات قوية، بدور العقل وأهميته .

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم، والتنبيه إلى وجوب العمل به، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة، ولا مقتضبة في سياق الآية . بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها، مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة .

ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه . بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في موطن الخطاب ومناسباته .

فلا ينحصر خطاب العقل منها في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك، ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح . بل يضم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة .

ومن خصائص العقل أنه ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور .

ومن خصائص العقل أيضا أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه وأسراره، ويبني عليها نتائجه وأحكامه .

ومن أعلى العقل الإنساني (الرشد) وهو مقابل لتمام التكوين في العقل الرشيد .

وفريضة التفكير في القرآن تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها؛ لأن الكتاب الذي ميز الإنسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته، وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعلقون .

والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يدرك الحقائق، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر . فالإسلام هو الدين الذي أعلى من شأن العقل وعده أداة صالحة لتعرف الحقائق، وفى رأسها الإيمان بالله وقدرته، ووحدانيته، وهو الدين الذي طلب من الإنسان، أن ينطلق إلى الإيمان من الدليل والبرهان .

ولذلك دعا إلى إعمال العقل والتفكير به، وذم الذين يهملون عقولهم، ويعطلون نعمة الله فيهم، ويلوذون بتبعية أو تقليد، من غير تفكير، ولا نظر . وإنك لتجد ذلك واضحا في الأمور التالية :

أولا : لقد طلب القرآن الكريم من الإنسان أن يفكر فيما يدعى إليه، إما منفردا بنفسه، وإما مجتمعا مع أناس آخرين . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(١) .

ثانيا : لقد امتدح القرآن الكريم المفكرين، ووصفهم بأنهم هم أرباب العقول . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٢) .

ثالثا : لقد عد القرآن الكريم الذين لا يفكرون فيما تلقى إليهم ولا يعملون فيه عقولهم، عدهم كالبهائم، قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٤) .

رابعاً : لقد ذم القرآن الكريم التقليد الأعمى . وهو أن تتبع غيرك من غير وعي، ولا تفكير؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾(٥) .

---

(١) [سبأ:٤٦].

(٢) [آل عمران:١٩٠-١٩١].

(٣) [البقرة:١٧١].

(٤) [الأعراف:١٧٩].

(٥) [البقرة:١٧٠].

خامسا : لقد نهى القرآن الكريم الإنسان أن يتبع شيئا ويؤمن به، من غير أن يكون له على صحته دليل ساطع، وبرهان مقنع، يصل إلى درجة العلم واليقين .قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾(١) .

ولما كان العقل له في الإسلام هذه العناية الفائقة من التقدير . فقد اتخذ له الإسلام منهجا فريدا في تحريره، ليظل العقل عاقلا، والفكر راشدا . وهذا المنهج يقوم على دعامتين أساسيتين، من شأنهما حراسة العقل . وترشيد الفكر .

ـ وأول دعائم المنهج الإسلامي في تحرير العقل، هو تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، حتى يقوم العقل على حرية الفكر، واستقلال الإرادة؛ ليكمل بذلك العقل، ويستقيم التفكير .

ـ الدعامة الثانية في المنهج الإسلامي . وهي تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمه؛ لأن الجهل يقتل مواهب الفكر، والنظر، ويطفىء نور القلوب، ويعمى البصائر، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد، والجماعات، والأمم، ويفسد على الناس مناهج الاستقامة .

ـ فالمنهج العقلي كتيار فكرى، ومنهج عقلي . كان لابد من ظهوره، وذلك لمجابهة التحديات الفكرية التي لاقاها الإسلام عندما امتد سلطانه . وعندما اشتد الصراع الفكري بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى، من يهود، ونصارى، ومانويين، وزرادشتيين، وصائبة، ودهر يين .

لقد فتح الإسلام كقوة سياسية أرض الديانات القديمة، وأثبت كيانه فيها، إلا أن الإسلام كتصور روحي خاص استمر يناضل فكريًا أهل الأديان، والعقائد المختلفة، لمدة طويلة . اشتبك خلالها المخلصون ـ أصحاب العقليات ـ في حرب ضروس مع أصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة والدهرية، والمشبهة، والحلولية . مثلوا فيها

---

(١) [الإسراء:٣٦].

معارضة فكرية قوية، صانوا فيها البناء الروحي والفكري للإسلام من خطر تلك الآراء التي أرادت أن تشوه صفاء العقيدة الإسلامية . والأمة الإسلامية في (عقلانيتها) التي انطلقت من دعوة القرآن، لم ترفض الوحي، ولم تتنكر للنص المأثور، وأيضا فهي لم تقف لتتعبد بالنص المأثور دون وعي، وإنما وازنت بين العقل والنقل، ووقفت بين الحكمة والشريعة، وحكمت العقل، ولجأت إلى التأويل عندما لاح التعارض بين ظواهر النصوص، وبين براهين العقل .

فليس من مصلحة المسلم ترك انضحالة، والمحاكاة، والرتابة، والألية . تطمر أعماقه، وتأكل إرادته .

ولا بد أن ندرك أن الخلاف، والاختلاف ضروري؛ لأن ورود المتشابه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(١) كان سببًا في اختلاف العلماء، في مواضع المتشابهات من القرآن الكريم . وحاول كثيرون من ذوى الأفهام تأويله، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا في التأويل اختلافًا بينا .

لأنهم لم يقنعوا بالإيمان بالمتشابهات جملة من غير تفصيل؛ فجمعوا الآيات التي قد يظهر بينها خلاف، وسلطوا عليها عقولهم . فأداهم النظر في كل مسألة إلى رأى . فإذا وصلوا إليه، عمدوا إلى الآيات التي يظهر لهم أنها تخالف الأولى؛ فأولوها . فكان التأويل طريق من طرق النظر العقلي وطبيعي أن هذا المنحى في التأويل، وإعطاء العقل حريته في البحث والنظر يستلزم تعدد المذاهب .

ويقول ابن خلدون : إنه توجد في القرآن آيات متشابهة، يلتبس معناها على القاريء، ولذلك نشأ خلاف في تفاصيل العقائد، أكثر مثارها من الآيات المتشابهة .

---

(١) [آل عمران:٧].

فدعا ذلك إلى الخصام، والتناظر، والاستدلال بالعقل . فالعلماء لم يختلفوا على تنزيل القرآن . وإنما اختلفوا على تأويله؛ أي أنهم ـ كما يقول الزمخشري ـ متفقون على نصه، ولكنهم مختلفون في تفسيره .

فالقرآن فيه محكم ومتشابه . ولو كان القرآن كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجونه فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولارتكنوا إلى طريقة التقليد . إن وجود متشابه الآيات أدعى إلى أن يشحذوا الفكر للاستنباط، ويكدوا في معرفة الحق خواطرهم، وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه . وما في رد الآيات المتشابهة إلى المحكم من الفوائد الجليلة، نيل الدرجات عند الله» .

ويعلق بعض العلماء[1] على ما ذكره الزمخشري فيقول : وهكذا ألمح الزمخشري إلى عامل من أهم عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية عقب قيام الإسلام إذ ألزم القرآن المسلمين بما غمض من معاني آياته وبمحكمه ومتشابهه : البحث، والنظر، والتفكير، والاستنباط، ولو كان سهل المأخذ، يسير الفهم؛ لكانت السطحية التي تغرى بالتقليد والجمود، فالاختلاف قرين حرية الرأي والتفكير .

والتأويل ـ كمنهج عقلي يقصد منه إبعاد التصورات التي لا تليق بالألوهية وكوسيلة للتقريب، والتوفق بين العقائد الدينية التى تثبت بالوحي وبمقتضيات العقل ـ ظاهرة دينية .

والتأويل كمنهج عقلي يرتبط تاريخيًا بالمعتزلة الذين أيقنوا من أن إبعاد التصورات والصفات والأحوال التي لا تتفق وطبيعة الألوهية لا يكون إلا عن طريق تأويلها مجازيا .

فقد وجدوا في القرآن الكريم، والحديث النبوي نصوصا إذا أخذت حرفيا، أدت إلى التشبيه والتجسيم وما يكون من ذلك من الصفات والعواطف والإحساسات

(١) الدكتور أحمد محمود صبحي .

البشرية . وإذا ثبت عندهم بالدليل العقلي أن الله تعالى منزه عن الجسمية والجهة . قالوا لا بد من صرف هذه الصفات عن معانيها الظاهرة الحرفية إلى معان أخرى مجازية لئلا يكون ذلك سببا في الطعن في هذه النصوص .

واستعانوا في هذه السبل الوعرة والشاقة، بالقرآن نفسه في آيات أخر، وبلغة القرآن يجدون فيها ما يساعدهم في تقرير المعاني التي يرونها .

والباحث في كتب التفاسير والفرق : يجد أن المعتزلة لم يأتوا بما أتوا به من صرف آيات الصفات عن معانيها الظاهرية الحرفية إلى معان أخر مجازية من فراغ . وإنما مهد لهم رجال من السلف ـ عاشوا في القرن الأول الهجري ـ أمثال (مجاهد المكي)، وعطية الكوفي أو العوفي، وغيرهما من رجال السلف . فقد قاموا بمحاولات فكرية لتفسير المتشابهات تفسيراً مجازيا له مبرراته في اشتقاقات اللغة العربية وأصولها .

يروى عن مجاهد المكى المحدث والمفسر المشهور : أنه كان من أوائل من قرأ الآية الكريمة : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾[1] من غير توقف، فاتحا بذلك باب التأويل لمن جاء بعده .

أما المعتزلة فقد جاهدوا من أجل جعل التأويل المجازر منهجا عاما منسقا لأنهم أدركوا ـ كما أدرك غيرهم من علماء الكلام في الأديان الأخرى ـ أنه لا سبيل للقضاء على التشبيه كفكرة، إلا إذا صرفت الصفات الخبرية الواردة في المتشابهات، عن ظواهرها إلى معان أخرى مجازية مستساغة، من غير إخلال بقواعد اللغة العربية وخصائصها .

ويذكر العلماء : أنه رغم ما في التأويل الاعتزالي أحيانا من تعسف وإفراط، ومحاولات لجعل النص القرآني دليلا على صحة آرائهم الدينية، والمذهبية، التي آمنوا بها . إلا أن العمل الذي بدؤوه كان السلاح الوحيد للقضاء على التشبيه والمشبهة .

(١) [آل عمران:٧].

وقد أخذ به ـ مع تعديلات وإضافات ـ عامة المسلمين من شيعة وأهل سنة، وماتريدية وأشاعرة . .؟ وفي ذلك يقول الإمام الرازي : جميع فرق الإسلام يقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار .

والباحث في أعماق التراث الإسلامي الأول، يجد أن مشكلة التشبيه ظهرت في الفكر، في نهاية القرن الأول الهجري . وسبب ظهور المشكلة يعود إلى سبب داخلي، ومن ذات الإسلام نفسه . لوجود مجوعات من الآيات والأحاديث تضيف إليه تعالى، صفات خبرية، تشير إذا فسرت حرفيا إلى التشبيه والتجسيم، وما يكون من ذلك من الصفات والعواطف والإحساسات البشرية . والآيات والأحاديث التي ورد فيها ذكر الصفات الخبرية مثل : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(١) ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(٢) ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(٣) ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾(٤).

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾(٥)﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾(٦) .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾(٧) و ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(٨) ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(٩) و﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾(١٠) و﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(١١) .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾(١٢) و﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾(١٣) و﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(١٤) .

---

(١) [الفتح:١٠].
(٢) [المائدة:٦٤].
(٣) [ص:٧٥].
(٤) [الزمر:٦٧].
(٥) [القلم:٤٢].
(٦) [القيامة:٢٩-٣٠].
(٧) [الرحمن:٢٦-٢٧].
(٨) [البقرة:١١٥].
(٩) [القمر:١٤].
(١٠) [طه:٣٩].
(١١) [الطور:٤٨].
(١٢) [طه:٥].
(١٣) [الفرقان:٥٩].
(١٤) [الحاقة:١٧].

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾[(١)] و ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ ﴾[(٢)].

وقال الرسول ﷺ : « إذا كان الثلث الأخير من الليل نزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول : هل من داع فأستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له » .

ويذكر العلماء أنه : بعد ظهور الإمامين أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) وأبي منصور الماتريدي السمر قندي (ت ٣٣١ هـ) أخذ المتكلمة من أشاعرة وماتريدية، بالتأويلات المجازية، متبعين في ذلك الأسلوب الذي بدأه المعتزلة من قبل .

لقد كان هناك المشبهة والمجسمة الذين يثبتون كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وتحتية، واستواء على العرش، ووجه، ويد، ومحبة، وبغض . وما جاء في السنة من ذلك أيضًا من غير تأويل وبالظاهر الحرفي . ممن تمسكوا بإثبات الظاهر . فصاروا يتهمون من قبل الأشاعرة بالتشبيه والتجسيم . ومن هؤلاء أبو الحسن الزاغوني، والقاضي محمد بن الحسن أبو يعلى، وأبو عامر القرشي الذي اشتهر عنه وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾[(٣)] أراد أن يدفع ـ بحمية بالغة ـ التفسير المجازي فضرب على ساقه وقال : (ساق حقيقة شبيهة تماما بهذه وأشار إلى ساقه) .

وسبب انتشار دعوة كهذه قصور كثير من الناس عن تفسير متشابهات القرآن وتمييز وجوه أمثالها ومجازاتها الرائعة عند العرب . لذا تصدى لهؤلاء وأمثالهم في القرن السادس الهجري الإمام الفقيه الحنبلي الخطيب ابن الجوزي، فصنف في الرد

---

(١) [الفجر:٢٢].

(٢) [البقرة:٢١٠].

(٣) [القلم:٤٢].

عليهم رسالته الموسومة (دفع شبهة التشبيه) ويقول فيها : رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح . . فصنفوا كتابا شانوا به المذهب، رأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام؛ فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ووجهين زائدين على الذات، وفما، ولهوات، وأضراسًا، وأضواء لوجهه، ويدين، وإصبعين، وكفا، وخنصرا، وإبهاما، وصدرا، وفخذًا وساقين، ورجلين . وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس .

قد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة . ولا دليل لهم في ذلك من النقل، ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من صفات الحدوث . ولم يقتنعوا أن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات . ثم لما أثبتوا أنها صفات؛ قالوا لا نحملها على توجيه اللغة، مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجيء وإتيان على معاني بر ولطف، ولا ساق على شدة .بل قالوا : نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين .

والشيء إنما يحمل على حقيقته إن أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز . ثم يتحرجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون : نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه . وقد تبعهم خلق من العوام . وقد نصحت التابع والمتبوع، وقلت يا أصحابنا : أنتم أصحاب وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله وهو تحت السياط، كيف أقول ما لم يقل . فإياكم أن تبتدعوا من مذهبه ما ليس منه .

ثم قلتم : الأحاديث تحمل على ظاهرها فظاهر القدم الجارحة . ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه مجرى الحسيات . وينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلتم : نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر أحد عليكم . إنما حملكم إياه على الظاهر قبيح . فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل السلفي ما ليس فيه .

ويرى الباحثون : أنه إذا كان المعتزلة والأشاعرة والخطيب بن الجوزي الحنبلي يؤولون . فإن الشيعة الإمامية يفسرون الأسماء والصفات بالقرآن . يقول الشيخ المفيد في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١] : وأما لفظة ﴿اسْتَوَى﴾[٢] وهي التي جعلت الآية من المتشابهات عند القوم فمعناها : التمكن التام . والاستيلاء الكامل . بدليل ما يظهر من آية ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾[٣] أي تمكنت . وآية ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾[٤] أي تمكن واستقام وآية ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً ﴾[٥] فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة . وكثر في محاورات العرب استعمال (استوى) بمعنى التمكن التام : والاقتدار الكامل كقول بعيث الشاعر :

قد استوى بشر على العرق   من غير سيف ودم مهراق

يريد تمكنه التام . غير أننا نتوخى على الدوام تفسير القرآن بالقرآن، والاهتداء منه إليه . وقد دلنا على معنى الاستواء . . أن الله سبحانه قد ظهر من خلقه للسموات والأرض تمكنه التام، واقتداره الكامل على عالم الأرواح . أى دائرة ملكه الخاص به، والمهيمنة على عالم الأجسام . ويؤيد ذلك قوله تعالى بهذه الآية ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثرَى ﴾[٦] مشيرًا إلى أنه استوى قبل كل شيء، على عالم الملكوت، والأرواح . ثم تمكن بذلك من تملك عالم الناسوت والأجرام .

إن انطلاقة علماء المذاهب الإسلامية، كانت من القرآن الكريم، والقرآن كان رائدهم فيما ذهبوا إليه . وكما قال الأنباري : (إن القرآن يدل على الاختلاف . فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب . والقول بالإجبار[٧] صحيح، وله أصل في الكتاب، فمن قال بهذا مصيب . ومن قال بهذا مصيب) .

---

(١) [طه:٥].
(٢) [طه:٥].
(٣) [المؤمنون:٢٨].
(٤) [الفتح:٢٩].
(٥) [يوسف:٢٢].
(٦) [طه:٦].
(٧) أعمال العبادات والعادات والتكليفات الانسان مخير فيها فإن ضل فعليه ضلاله، وان اهتدى فله هداه، والله سبحانه وتعالى يجازى كل بما عمل .

وقد ساعد المجاز علماء المذاهب الكلامية على قول كثير من الآراء، ويحدد ابن قتيبة جوانب المجاز فيما يلي : (الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والإيضاح، ومخاطبة الجميع، والجمع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء أخرى كثيرة) .

وإذا كان الاختلاف يخترق جميع الأمم والملل المعروفة؛ فإن للاختلاف الذي وقع (بين المذاهب الكلامية) بنيته الأصلية مستمدة من خصوصية النص القرآني، والحديث النبوي . .

ونعني بالخصوصية هذا ما منح النص القرآني إعجازه، وما امتاز به على سائر النصوص، فالخطاب لقرآني كلام تتسع معانيه، وتتعدد وجوه الدلالة فيه . .

إنه كلام لا يمكن استقصاء معانيه أو حصر دلالاته . يقول الزركشي : (معاني القرآن لا تستقصى، ولا نهاية لفهم كلام الله)، ولا يمكن لأحد أن يقبض عليه، أو يفوز بحقيقته . من هذا تباين التفاسير والتأويلات، واختلاف الطرق، والمذاهب، وتعدد الفرق، والمقالات .

إذًا نحن إنما نحتاج أول ما نحتاج إلى الإعلان عن (حق الاختلاف) الذي هو حق من حقوق الإنسان، إن لم يكن أبرزها، حتى يكون اختلاف الآخر عن الأنا أمرا لا جدال فيه، أي حتى يتم قبول كل فريق بالفريق الآخر . وكما هو في معتقده ومذهبه .

وما دمنا لم نصل إلى الوحدة بعدم اعترافنا بحق الغير فالأولى أن نعترف بذلك، فإن وحدة تحاول أن تستتبع الآخر، أو تلحقه، أو تقهره، وتستبد به، لن تعمر طويلا . إذ سرعان ما يتصدع البناء . كذلك فإن الخطاب الذي لا يزيد عن تكرار أجوف لهوية فاقدة مقوماتها، لن يصنع وحدة أبدًا .

هكذا ينبغي للجميع أن يقروا بمبدأ الاختلاف، معترفين ببعضهم مقرين بأن الواحد هو شطر الآخر، وبأن العقائد والمذاهب وجوه لحقيقة واحدة . . والاعتراف

بحق الغير، وبأن له حقيقته . وقسطه من الوجود يتطلب ذهنا مفتوحا، وعقلا نيرا . ولا يخفى أننا إذا نجحنا معتزلة وأشعرية، وإمامية، وحنابلة، في الإقرار بالاختلاف، وأنه ضرورة من ضرورات الحياة . استطعنا أن نبدأ في الطريق .

وحسب الأمة ن تستثمر اللقاء على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها . ثم تعي بعد ذلك دور العقل الإسلامي وانطلاقه .

وتدرك في وضوح أن الخلاف والاختلاف ضرورة حياتية وحضارية . والأمة الإسلامية كانت وما زالت تملك رصيدا ضخما من الأصول والقواعد يمكن الأمة من تنمية فلسفتها الخاصة بها، والتي تجمع شملها، وتوحد صفوفها . وقد أتم الله على الأمة وحدة الأصل الإنساني ووحدة العقيدة، ووحدة المصدر، ووحدة الشعور، ووحدة الصف، ووحدة العبادات .

وقد يكون واضحًا : أن احترام العلماء ـ أيا كان فكرهم ومذهبهم ـ دليل صحة وعافية . وليس من الكياسة أن نشغل أنفسنا بنقد من هم أعلم منا، وأكثر معرفة ودراية .

وقد يرى كثير من المتنطعين والمتحذلقين . أن نقد هؤلاء العلماء أمر من مقتضيات التصحيح؛ أي تصحيح القضايا التي تناولوها، وقالوا ما قالوا .

ويبدو أن هؤلاء المتنطعين لا يرون مذهبا إلا مذهبهم، ولا يتصورون أن هناك علماء أفذاذًا تركوا للأمة الإسلامية تراثا زاخرا حيًّا كان له تأثيره .

ولذا يرى أهل الإنصاف : أن الأمة الإسلامية تملك رصيدًا ضخما من تراث هؤلاء العلماء الذين وهبهم الله علما فائقا؛ فبحثوا، ودرسوا، وأضافوا، وجددوا .

وإننا هذه الأيام أحوج ما نكون إلى إعادة بعث تراث السلف، وتقديمه إلى أمة الإسلام وإلى غير المسلمين، للوقوف على النهضة العلمية والفكرية لسلفنا الصالح وللاستفادة من جهودهم وفكرهم والتأسي بهم .

وكتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضى عبد الجبار من أوائل الكتب الهامة التى يجب أن تقدم هذه الأيام فهو يرد على كل الشبهات التى أثيرت ولا تزال تثار حول القرآن الكريم . فقد تتبع كل ما قيل، وكل ما روج من أباطيل ودفعها بالحقائق الدامغة والأدلة الباهرة، والفكر المتفتح، والحجج الواضحة .

وإن كان لنا بعض التحفظات على بعض آرائه، وقد علقنا عليها في الهوامش إلا أن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب وأهميته، ولا من بفضل القاضى عبدالجبار وعلمه، والاختلاف سنة البشر، ولذا فكتابه مرجع هام من مراجع الفكر الإسلامي المتجدد، فهو وأمثاله، حملوا راية الدفاع عن الدين وأصوله، فجزا الله علماءنا بالخير والثواب الجليل لما قدموه لنا من علم حفظوا به الدين ورفعوا به راية التوحيد

فهو كتاب يجب أن يقرأه كل مسلم، بل كل من يبحث عن الحق والعدل فى هذا العالم .

والله من وراء القصد، وهو ولينا ونعم النصير

المحققان

أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح　　　　المستشار توفيق على وهبه

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله على نعمه وإحسانه فى الدين والدنيا، وصلواته على محمد وآله الطيبين .

(أمـا بعــد)

فان أولى ما يتكلفه المرء فى إثارة العلوم ما يعظم النفع به فى دينه ودنياه، فيعرف كيف يعبد ربه فى الصلاة والصيام وغيرهما، (وذلك) بقراءة القرآن وبالانقطاع إلى الله، وكل ذلك لا يتم إلا بمعرفة معاني ما يقرؤه وما يورده في أدعيته من الأسماء الحسنى، إما مفصلاً وإما على الجملة، فانه تعالى قد أودع القرآن من المواعظ والزواجر وغيرهما ما اذا تأمله المرء وقعت به الكفاية .

وقد روى النبي ﷺ انه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد حذره عن اختلاف الأمة بعده : عليكم بكتاب الله، فان فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، ما يدعه من جبار إلا قصمه الله، ومن يتبع الهدى في غيره اضله الله، وهو حبل الله المتين، وأمره الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لما سمعه الجن لم يتناءوا أن قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[1] هو الذي لا تختلف به الألسنة، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه .

ومعلوم انه لا ينتفع به إلا بعد الوقوف على معاني ما فيه، وبعد الفصل بين محكمه ومتشابهه، فكثير من الناس قد ضل بأن تمسك بالمتشابه حتى اعتقد ان قوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[2] حقيقة في الحجر والمدر والطير

(١) [الجن: ١-٢].

(٢) [الحشر: ١].

والنعم، وربما رأوا في ذلك تسبيح كل شيء من ذلك، ومن اعتقد ذلك لم ينتفع بما يقرؤه[(١)] .

ولذلك قال تعالى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[(٢)] وكذلك وصفه تعالى بأنه ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)] وقد أملينا في ذلك كتابا يفصل بين المحكم والمتشابه، عرضنا فيه سور القرآن على ترتيبها، وبينا معاني ما تشابه من آياتها، مع بيان وجه خطأ فريق من الناس فى تأويلها ليكون النفع به أعظم ونسأل الله التوفيق للصواب ان شاء الله .

[البسملة]

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[(٤)] معنى بسم الله الابتداء به تبركا والاستعانة فى كل امر مهم، ومعنى الله ان العبادة به تليق دون غيره لأنه الخالق والمنعم بسائر النعم، ومعنى الرحمن المبالغة فى الانعام العظيم الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومعنى الرحيم المبالغة في الاكثار من الرحمة والنعمة، وقد يوصف بذلك غيره أيضًا .

[مسألة] قالوا ما وجه الابتداء ببسم الله، وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم فالاستعانة بالله تقع لا باسمه .

وجوابنا : ان الأمر كما قالوا، لكنه ذكر اسمه وأريد هو على وجه الاعظام، وهذا كقوله تعالى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾[(٥)] فأمر بتنزيه اسمه وأراد تنويهه عما لا يليق به، لكنه ذكر الاسم تعظيما، له وهذا كما يقال صلوات الله على ذكر النبي ﷺ .

[مسألة] قالوا فما وجه ذكر هذه الأسماء الثلاثة دون غيرها . قيل له ذكر الله لأن المكلف قد اختص بأن لزمته عبادته، وهو الذي يعرف أنواع نعمه، وذكر الرحمن الرحيم لأنه لأجل ذلك استحق العبادة .

---

(١) هناك آيات كثيرة حول هذا الموضوع منها : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤] ، ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [الرعد:٣١] ، وراجع النور٤١، الحشر ٢٤، والجمعة ١، والتغابن ١، وغير ذلك، فقد وردت كلمة سبح ومشتقاتها (٤٣) مرة فى الفرآن الكريم وكلها متضافرة على ان كل شيء يسبح بحمد الله سبحانه جل وعز .

(٢) [النساء:٨٢]. (٣) [الإسراء:٩].

(٤) [الفاتحة:١]. (٤) [الأعلى:١].

سورة الحمد

معنى الحمد لله الشكر لله، وكيف نشكره فعلمنا تعالى ذلك .

[مسألة] قالوا الحمد لله خبر، فان كان حمد نفسه فلا فائدة لنا فيه، وان أمرنا بذلك فكان يجب أن يقول الحمد لله .

وجوابنا : عن ذلك ان المراد به الامر بالشكر والتعليم لكى نشكره، لكنه وان حذف الامر فقد دل عليه بقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] لأنه لا يليق بالله تعالى، وإنما يليق بالعباد، فاذا كان معناه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[2] فكذلك ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[3] وهذا كقوله ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم ﴾[4] معناه ويقـولون ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[5] ومثله كثير في القرآن .

[مسألة] وربما قالوا لماذا أعاد ﴿ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾[6] وقد تقدم من قبل . وجوابنا : ان ذلك ليس بتكرار لأن المراد بالأول هو توكيد الاستعانة والمراد بالثاني توكيد الشكر له فذلك كرر .

[مسألة] قالوا ما معنى قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[7] ويوم الدين ليس بموجود حالا، وكيف يملك المعدوم وما فائدة ذلك .

وجوابنا : ان المراد القادر على (ذلك اليوم) الذي فيه الجنة على عظم شأنها والنار على عظم امرها وفيه المحاسبة والمساءلة فنبه تعالى بذلك، على انكم شكرتم وقمتم بالواجب فلكم من الفوز في الآخرة بالثواب نهاية ما تتمنون، فصار ذلك ترغيبًا في الشكر والعبادة وزجرًا عن خلافه .

(١) [الفاتحة:٥].
(٢) [الفاتحة:٥].
(٣) [الفاتحة:٢].
(٤) [الرعد:٢٣-٢٤].
(٥) [الأنعام:٥٤].
(٦) [الفاتحة:٣].
(٧) [الفاتحة:٤].

سورة البقرة

[مسألة] قالوا ما الفائدة في قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴾[١] ولا يعقل من ذلك في اللغة فائدة، وكيف يجوز ذلك والقرآن عربي والعرب لا تعرف ذلك ؟.

وجوابنا : ان الله تعالى جعل ذلك اسما للسورة وعلى هذا الوجه يقال سورة ﴿قٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ السجدة وسورة (طه)، ولله تعالى ان يجعل لهذه السورة اسما وهذا مروي عن الحسن البصري وغيره .

ومتى قيل فقد حصل في ذلك اشتراك ولا بد من ضم زائدة اليه فلا فائدة إذًا في ذلك.

فجوابنا : أن الألقاب كزيد وعمرو يقع فيها أيضًا الاشتراك ثم تمييزها بزيادة، وقيل أيضًا في جوابه : ان فائدة ذلك أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي تقدرون عليها «ومع» ذلك يتعذر عليكم هذا النظم بفضل رتبته فاعلموا انه معجزه .

[مسألة] ومتى قيل ولماذا قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[٢] ولم يقل هذا الكتاب؟.

فجوابنا : أنه جل وعز وعد رسوله إنزال كتاب عليه لا يمحوه الماء، فلما أنزل ذلك قال (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) والمراد ما وعدتك، ولو قال هذا الكتاب لم يفد هذه الفائدة .

[مسألة] قالوا ما معنى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٣] وقد علمتم أن خلقًا يشكون في ذلك، فكيف يصح ذلك؟ وان أراد لا ريب فيه عندي وعند من يعلم فلا فائدة في ذلك .

فجوابنا : ان المراد انه حق يجب أن لا يرتاب فيه، وهذا كما يبين المرء الشيء لخصمه، فيحسن منه بعد البيان أن يقول هذا كالشمس واضح، وهذا لا يشك فيه أحد، وهذا كما يقال عند اظهار الشهادتين : ان ذلك حق وصدق وان كان في الناس من يكذب بذلك .

---

(١) [البقرة:١]. (٢) [البقرة:٢].
(٣) [البقرة:٢].

[مسألة] قالوا لماذا قال تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] والهدى عندكم الدلالة وهو دلالة للكل فلماذا خص المتقين دون غيرهم هلا دل ذلك على ان الهدى هو نفس الإيمان ؟.

فجوابنا : أنه تعالى قد بين في غير موضع ان القرآن هدى للناس فعم الكل، وإنما خص المتقين ههنا من حيث اختصوا بقبوله، وهذا كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾[2] فخصهم من حيث يخشون عند الانذار وان كان ﷺ كان منذراً للكل كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[3] وقد ثبت ان ذكر الواحد لا يدل على ان غيره بخلافه .

[مسألة] يقال معنى قوله ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[4] ما الغيب الذي مدحهم بالايمان به أوَ لستم تقولون (لاَّ يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ) .

وجوابنا : ان هذا الغيب يراد به الغائبات التي قام الدليل على صحتها كأمر الآخرة والجنة والنار والملائكة والحساب فمدح المتقين ووصفهم بأنهم يؤمنون بذلك ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾[5] أي يدومون عليها ويؤدونها بحقها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[6] على وجه البر ولا ينفقون من الحرام الذي جعله الله رزقًا لغيرهم فغصبوه ثم قال ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[7] حتى يؤمنون بكل الرسل ولا يفرّقون بينهم ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[8] فلا يدخلهم شبهة في ذلك : ثم بين ان هؤلاء هم المفلحون الظافرون بثواب الله، فدل بذلك على ان الثواب انما يكون بهذه الطريقة ورغب في التمسك بها وزجر عن خلافها، وقد قيل ان في جوابه أن المراد أنهم يؤمنون بظهر الغيب باطناً كما يؤمنون ظاهراً وهذا أيضًا حسن .

---

(١) [البقرة:٢]. (٢) [النازعات:٤٥].
(٣) [سبأ:٢٨]. (٤) [البقرة:٣].
(٥) [البقرة:٣]. (٦) [البقرة:٣].
(٧) [البقرة:٤]. (٨) [البقرة:٤].

[مسألة] يقال معنى قوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾(١) ومعلوم ان الهدى كان دلالة فكل المكلفين فيه سواء فهلا دل ذلك على انه نفس الايمان .

فجوابنا : ان المراد انهم على بصيرة مما تعبدهم به، وتقبل الهدى يسمى هدى، كما ان الجزاء على الامتثال للدلالة يسمى هدى، وهذا كقوله تعالى فى أهل النار انهم قالوا ﴿ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾(٢) وارادوا بذلك النعيم والثواب .

[مسألة] يقال ما معنى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣) ومعلوم ان في الكفار من قرأه وآمن .

فجوابنا : أنه أراد قوماً من الكفار مخصوصين في أيامه ﷺ علم الله تعالى ان الصالح ان يخبر الرسول بأمرهم لكيلا يتشدد في استدعائهم ولا يغتم ببقائهم على الكفر وذلك كقوله تعالى ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾(٤) وهذا من العموم الذي يراد به الخصوص . وربما سألوا فقالوا اذا كان قد أخبرنا بأنهم لا يؤمنون فكيف كلفهم ؟ وكيف يقدرون على الايمان الذي لو فعلوه لكان تكذيباً لخبر الله تعالى ؟

فجوابنا : إن ذلك إنما يدل على أنهم لا يؤمنون اختيارا وإن قدروا عليه، فلذلك ذمهم وقد يقدر القادر على ما لا يختاره، كما أنه تعالى يقدر على افناء الدنيا في هذا الوقت وإن كان لا يختاره، ولو كان إيمانهم اذا قدروا عليه قدروا على تكذيب الله لكان الله تعالى اذا قدر على إقامة القيامة الآن وقد أخبر بأنه لا يقيمها الا بعد علامات، أوجب أن يكون قادراً على تكذيب الله، وكان يجب اذا قدر على الضدين وإنما يفعل أحدهما أن يكون قادراً على تجهيل نفسه، وهذا كلام من لا يعرف التكذيب والتجهيل وذلك أن التجهيل ما يصير به المرء جاهلا دون غيره والتكذيب ما يصير به كاذباً أو يتبين ذلك من حاله دون غيره .

---

(١) [البقرة:٥].
(٢) [إبراهيم:٢١].
(٣) [البقرة:٦].
(٤) [الغاشية:٢٢-٢٣].

[مسألة] في ذلك أيضاً يقال اذا كان قد علم أنهم يكفرون فلماذا حسن أن يكلفهم مع علمه بأنهم لا يختارون الا ما يؤديهم إلى النار ؟.

وجوابنا : انه انما علم انهم لا يختارون الايمان مع تمكنهم من اختياره وتسهيله سبيلهم إلى اختياره بكل وجه فانهم انما يؤتون من قبل أنفسهم، وأنهم لو اختاروا الوصول الى ثواب عظيم لصح ذلك منهم، ويفارق حالهم حال من منع من الايمان، وانما يقبح ذلك على مذهب من يقول انه تعالى يخلق فيهم هذه الأفعال من المجبرة .

[مسألة] قالوا فقد قال تعالى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾(١) وهذا يدل على أنه قد منعهم من الايمان، ومذهبكم بخلافه وكيف تأويل الآية ؟

وجوابنا : ان للعلماء في ذلك جوابين : أحدهما أنه تعالى شبه حالهم بحال الممنوع الذي على بصره غشاوة من حيث أزاح كل عللهم فلم يقبلوا، كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فاذا لم يقبل صح أن تقول انه حمار قد طبع الله على قلبه، وربما تقول انه ميت، وقد قال تعالى للرسول ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾(٢) وكانوا أحياء فلما لم يقبلوا شبههم بالموتى وهو كقول الشاعر .

لقد اسمعت لو ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادى

ويبين ذلك أنه تعالى ذمهم، ولو كان هو المانع لهم لما ذمهم، وانه ذكر في جملة ذلك الغشاوة على سمعهم وبصرهم وذلك لو كان ثابتاً لم يؤثر في كونهم عقلاء مكلفين .

والجواب الثاني ان الختم علامة يفعلها تعالى في قلبهم لتعرف الملائكة كفرهم وانهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم، ويكون ذلك لطفاً لهم ولطفاً لمن يعرف ذلك من الكفار أو يظنه، فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر وهذا جواب الحسن رحمه الله ولذلك قال تعالى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) [البقرة:٧].
(٢) [النمل:٨٠].
(٣) [البقرة:٧].

[مسألة] يقال كيف يجوز أن يقول ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(١) وذلك يدل على الماضي ثم ينفي بعد ذلك بقوله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) .

فجوابنا : أنه أراد تعالى المنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر، وقص تعالى خبرهم لعظم مضرتهم في ثلاث عشرة آية، كما أنه ذكر صفة المؤمنين في أربع آيات، وصفة الكفار في آيتين، فقد كانت مضرتهم أعظم في أيام الرسول ﷺ فكشف تعالى بذلك حالهم لئلا يغتر بهم ولكي يتحرز من مخالطتهم، ودل ذلك على ان اظهار الايمان، ليس بايمان وان المعتمد على ما في القلب من المعرفة، وعلى هذا الوجه قال ﷺ : «الايمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح» .

[مسألة] يقال كيف قال تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٣) ومعلوم ان الخداع منهم وان جاز على المؤمنين الذين لا يعرفون باطنهم فلا جائز على الله تعالى، فكيف جاز أن يقول ذلك ؟

وجوابنا : ان فعلهم لما كان فعل المخادع قال تعالى ذلك وان لم يكن خداعاً لله في الحقيقة ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(٤) لأن الذي فعلوه عاد بأعظم الضرر عليهم من حيث ينالهم ذلك بغتة وهم لا يشعرون .

[مسألة] ان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ﴾(٥) والمراد في قلوبهم كفر ونفاق فزادهم الله ذلك أو مَا يدل على ان الكفر من خلق الله ومن قبله .

فجوابنا : أنه تعالى ذكر المرض ولم يذكر الكفر فحمله على ان المراد به الكفر غلط والمراد بذلك أن في قلوبهم غماً أو حسدا على ما يخص الله تعالى به الرسول ﷺ وأصحابه، فقد كانوا يغتاظون ويعظم غمهم ثم قال تعالى ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾(٦) أي غماً بما يفعله بالرسول ويجدده له من المنزلة حالا بعد حال فقول من قال بحمله

---

(١) [البقرة:٨].
(٢) [البقرة:٨].
(٣) [البقرة:٩].
(٤) [البقرة:٩].
(٥) [البقرة:١٠].
(٦) [البقرة:١٠].

على الكفر غلط عظيم ولذلك قال ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] فان كان الله تعالى خلق ذلك فيهم كما خلق لونهم وطولهم، فأيّ ذنب لهم حتى يعذبهم وكيف يضيف اليهم فيقول ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[٢] وعلى هذا وصفهم تعالى بأنهم مفسدون في الأرض، وانهم السفهاء بعد ذلك وانهم ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾[٣] .

[مسألة] قالوا كيف وصف تعالى نفسه بالاستهزاء فقال ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٤] . فجوابنا : أن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى لأنه فعل مخصوص يفعله من لا يمكنه التوصل الى مراده إلا بهذا الجنس، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإنما أراد بذلك أنه يعاقبهم ويجازيهم على استهزائهم، كما قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ ﴾[٥] ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾[٦] وما يفعله الله تعالى لا يكون سيئة ولا اعتداء، ويقول العرب الجزاء بالجزاء والأول ليس بالجزاء وقال ﷺ «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٧] وانما أجرى اللفظ على جزاء، الاستهزاء مجازا واتساعاً . فان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٨] أفتجوزن على الله تعالى ان يمدهم في كفرهم وان يريد ذلك؟

وجوابنا : أنه تعالى أراد بمدهم في جزاء طغيانهم لا نفس طغيانهم، ويحتمل أن يكون ذلك عاقبة أمرهم في ذلك لقلة قبولهم، ويكون ذلك مآل أمرهم، وعلى هذا الوجه ذمهم بقوله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾[٩] فالمراد بقوله ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾[١٠] أنه يبقيهم وهذا حالهم، ويبين تعالى ذلك بأن ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[١١] فان ظلمة المكان وقد كان فيه الضياء ثم فقد أعظم من الظلمة الدائمة .

---

(١) [البقرة:١٠]. (٢) [البقرة:١٠].
(٣) [البقرة:١٤]. (٤) [البقرة:١٥].
(٥) [الشورى:٤٠]. (٦) [البقرة:١٩٤].
(٧) رواه البخارى فى التاريخ وأبو داود والترمذى والحاكم عن أبى هريرة، والدر قطنى عن أنس وأبى بن كعب، والطبرانى عن أبى أمامة . وصححه السيوطى .
(٨) [البقرة:١٥]. (٩) [البقرة:١٦].
(١٠) [البقرة:١٥]. (١١) [البقرة:١٧].

[مسألة] إن قيل كيف يصح أن يقول تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[(١)] ولم يكونوا كذلك في الحقيقة ؟.

فجوابنا : إنه تعالى شبه حالهم من حيث لم ينتفعُوا بما يسمعون ويبصرون ويقولون بحال من هذا وصفه، وذلك بين في اللغة فيمن لم يقبل ولا ينتفع، والبيان انه يوصف بذلك على ما قدمنا من انه ربما يوصف بأنه ميت، وبأنه بهيمة، وبأنه حمار، وقد تقدم ذكر ذلك .

وعلى هذا الوجه يقال حبك للشيء يعمي ويصم، والمراد يصيره الى رتبة الأعمى والأصم في انه لا ينتفع ويتعدى وجه الصواب .

[مسألة] فان قيل كيف يقول تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[(٢)] ولفظة (أو) يستعملها من شك في الامور دون العالم ويتعالى الله عن هذا الوضع :

(فجوابنا) : إنه تعالى كما يجوز أن يمثلهم بشيء، يجوز أن يمثلهم بشيء آخر في باب الضلالة، وليس المراد إلا الجمع بين الامرين، وقد يقال لفظة أو فيما طريقة الجمع في ذلك، كقوله تعالى ﴿ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾[(٣)] أراد الجمع وكذلك قوله ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ﴾[(٤)] أراد الجمع وقد يقال جالس الحسن أو ابن سيرين والمراد الجمع واذا جاز في الواو أن يراد به معنى أو كقوله تعالى ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾[(٥)] فكذلك يجوز أن يذكر أو يراد به الجمع .

[فصل] ثم إنه تعالى بعد وصف المنافقين يحث المكلفين على عبادته فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٦)] ولا يصح

---

(١) [البقرة:١٨].
(٢) [البقرة:١٩].
(٣) [النور:٦١].
(٤) [النور:٣١].
(٥) [النساء:٣].
(٦) [البقرة:٢١].

أن يقول ذلك الا مع الامر بمعرفة الله تعالى ليصح أن يعبد ومع اقامة الدلالة التي بالنظر فيها الى معرفة الله تعالى وذلك ما نبه عليه بقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم ﴾[١] ونبه بذلك على ان العبادة انما تليق به لانه خالقنا والمنعم علينا ونبه بذلك على بطلان التقليد لأنه لا يصح أن يكون طريقاً لمعرفته، ونبه بذلك على انه ليس بجسم وأنه انما يعرف بفعله وخلقه .

[مسألة] ان قيل فما قوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢] ولعل انما يستعمله المتكلم بمعنى الشك :

فجوابنا : إن المروى عن ابن عباس والحسن ان لعل وعسى من الله واجب، فالمراد لكي تتقوا ولكي تشكروا وتفلحوا و ذلك أحد ما يدلنا على انه تعالى لا يريد من المكلف الا الطاعة التي هي التقوى والشكر وما شاكل ذلك، وعلى هذا الوجه قال الله تعالى لموسى وهارون ﷺ ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٣] لانه أراد بذلك تذكره وخشيته وهو الذي يفهم في اللغة، واذا ذكر في غير ذلك فهو مجاز . وقد أجاب بعض العلماء بان المخاطب اذا كان لا يعلم هل يختار ذلك أو لا يختاره صح من المخاطب ان يخاطبه بذلك ليرتجاه، فمن حيث كان المخاطب مترجيا غير قاطع جاز ان يخاطب بذلك فامر تعالى بعبادته، ثم قال في آخره ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً ﴾[٤] وهذا هو معنى الاخلاص أي اعبدوه ووحدوه ثم نبه على وجوب الاعتراف بنبوة النبي ﷺ فقال ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[٥] فقد أوتيتم الفصاحة التامة فان كان غير صادق ولكم الحمية والانفة وقد ألزمكم طاعة الله والانقياد فما الذي يقعدكم عن ان تأتوا بمثله، وهلا دل قعودكم عن ذلك على ان القرآن معجزيدل على صدقه في النبوة ؟ وبين انهم كما لم يأتوا بمثله فكذلك حالهم أبداً بقوله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾[٦] .

---

(١) [البقرة:٢١].
(٢) [البقرة:٢١].
(٣) [طه:٤٤].
(٤) [البقرة:٢٢].
(٥) [البقرة:٢٣].
(٦) [البقرة:٢٤].

[مسألة] يقال لم قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[(١)] وكيف تكون الحجارة وقوداً وكيف يصح في الناس ان يكونوا وقوداً لها وهم لا يحترقون .

فجوابنا : أنه تعالى نبه على عظمها وانها لذلك تحترق بالحجارة وليس اذا كان الناس وقودها وجب ان يفنوا لانه تعالى يمنع وصول النار الى المقاتل وانما تحترق ظواهرهم كما قال عز وجل ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾[(٢)] أعاذنا الله منها بالتقوى .

[مسألة] قالوا فقد قال تعالى في هذه النار ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[(٣)] فهلا دل على ان غير الكفار لا يدخلونها ؟.

فجوابنا : أن للنيران دركات فهذا صفة واحدة منها، وبعد فليس اذا ذكر الله تعالى انها معدة للكافرين دل على نفي غيرهم، وعقب ذلك بقوله ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾[(٤)] وبين أن لهم فيها يتأذى به .

[مسألة] ان قيل فما معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(٥)].

فجوابنا : أنه تعالى لما ضرب مثل آلهتهم بالذباب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[(٦)] وضرب أيضاً مثلهم بالعنكبوت وضعف نِساجته قال الكفار طعناً في ذلك كيف يضرب تعالى مثل آلهتنا بهذه المحقرات ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية وأراد أنه انما يضرب المثل بما هو أليق بالقصة، وأصلح في التشبيه، فاذا ضرب مثلهم في باب

---

(١) [البقرة:٢٧].
(٢) [النساء:٥٦].
(٣) [البقرة:٢٤].
(٤) [البقرة:٢٥].
(٥) [البقرة:٢٦].
(٦) [الحج:٧٣].

الضعف كان ذكر الحقير في المنظر من الحيوان أحسن موقعاً، ومعنى قوله ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(١)] أي في الصغر والضعف وعجائب الحكمة في البعوضة وصغار الحيوان أزيد من عجائبهم في كبار الحيوان لمن تأمل .

[مسألة] قالوا فقد قال تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾[(٢)] وذلك يدل على أنه تعالى يضل ويهدي لا كما تقولون بأنه تعالى لا يجوز عليه ذلك .

« قلنا » إنا إنما ننكر أن يضل تعالى عن الدين بخلق الكفر والمعاصي وارادتها كما ننكر أن يأمر بها ويرغب فيها، ولا ننكر أن يضل من استحق الضلال بكفره وفسقه، وقد نص الله تعالى على ما نقوله في تفسير هذه الآية ودل عليه لانه قال ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ ﴾[(٣)] فنبه بذلك على أن قوله « يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً » أريد به يضل بالكفر به كثيرا والا يكون لقوله ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ ﴾[(٤)] معنى لان غير الفاسقين يضلهم على قول القوم، ثم انه تعالى وصف من يضله فقال ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾[(٥)] فبين تعالى أنه يضلهم بهذه الخصال، لا أنه يبدؤهم بالضلالة .

وعلى هذا الوجه قال ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾[(٦)] أي الى الثواب ﴿ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ ﴾[(٧)] بين كيف حق ذلك فقال ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[(٨)] وعلى هذا الوجه قال ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾[(٩)] فخصهم بذلك وقال ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[(١٠)] أي الى الثواب وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾[(١١)] وقال ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾[(١٢)] وقال ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[(١٣)] أي بالألطاف والتأييد وقال

---

(١)،(٢)،(٣)،(٤) [البقرة:٢٦].
(٥) [البقرة:٢٧].
(٦)،(٧)،(٨) [الأعراف:٣٠].
(٩) [إبراهيم:٢٧].
(١٠) [التغابن:١١].
(١١) [يونس:٩].
(١٢) [محمد:١٧].
(١٣) [الكهف:١٣].

تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾[١] أي بالادلة وقال ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢] أي بالأدلة وقال ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[٣] وقال تعالى ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾[٤] أي بقبوله لذلك وقال ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾[٥] وذم تعالى الشيطان وفرعون والسامريّ بما كان منهم من الضلال .

فالإضلال من الله تعالى مخالف لإضلالهم، لا كما يقوله المجبرة والقدرية الذين يضيفون تقدير الفواحش إلى ربهم، فنقول إنه تعالى هدى الخلق بالأدلة والبيان ويهدي من آمن بالثواب خاصة، ويهديهم أيضاً بالألطاف .

ونقول إنه يضل من استحق العقاب بالمعاقبة وبأن يعدلهم عن طريق الجنة وبأن لا يفعل بهم من الألطاف ما ينفعهم، ولا نقول إنه يضل عن الدين بأن يخلق الضلال فيهم، ولا أنه يريده ولا أنه يدعوهم اليه، لأن ذلك هو الذي يليق بالشياطين والفراعنة، وإنما قال تعالى ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾[٦] وأراد يعاقب بالكفر به ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾[٧] أي يثيب بالايمان به كثيراً ويجوز إضافة هذا الضلال إلى نفسه، وقد قيل أيضاً انهم لما ضلوا عنده جاز أن يضاف إلى نفسه كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ﴾[٨] ثم قال من بعد ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[٩] فأضاف ايمانهم وكفرهم إلى السورة لما آمن بعضهم عند نزولها وكفر بعضهم فكذلك أضاف هذا الضلال إلى نفسه لما كفروا بالمثل عند نزوله ثم بين تعالى بقوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾[١٠] على أن الكفر من قلبهم وانهم قد كفروا نعمة ربهم وعدد نعمه عليهم معظما لذنبهم وكفرهم، لأن عظم تعظم معصية المنعم ونعم، الله علينا لا يدانيها نعم فلذلك يكون

---

(١) [الليل:١٢].
(٢) [الشورى:٥٢].
(٣) [غافر:٣٤].
(٤) [الأعراف:١٧٨].
(٥) [الإسراء:٤٨].
(٦) [البقرة:٢٦].
(٧) [البقرة:٢٧].
(٨) [التوبة:١٢٤].
(٩) [التوبة:١٢٥].
(١٠) [البقرة:٢٨].

اليسير من المعاصي عظيما، كما يكون اليسير من عقوق الوالد البار عظيما، ودلّ بذلك على بطلان قول من يقول خلق الله فريقاً للكفر، وفريقاً للايمان، لان ذلك لو صح لكان لا نعمة له على من خلقه للكفر والنار .

[مسألة] قالوا ما معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾(١).

وجوابنا:أن المراد ثم قصد خلق السماء، لأنّ الاستواء عليه تعالى على الحد الذي يجوز على أشخاص لا يجوز، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾(٢).

[مسألة] ان قيل أنتم تنزهون الملائكة عن المعاصي، فكيف قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(٣) أفليس هذا القول منهم كالإعتراض على ربهم ؟.

وجوابنا : أنه تعالى أعلمهم طريقهم في العبادة، وانه سيسكن الارض من يقع من بعضهم الفساد والقتل، فلما قال تعالى وقد صور آدم وخلقه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٤) قالوا على وجه المسألة والتعرف ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾(٥) وعلى هذا الوجه يحسن ذلك، ولذلك جعل تعالى جوابهم ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٦) فبين سبحانه وتعالى انه العالم بالمصالح المستقبلة، فاذا كان في معلومها ما يظهر من الفضل والعلم من الانبياء والمؤمنين كان ذلك أصلح في الحكم .

[مسألة] قالوا أفما يدل قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ ﴾(٧) على ان الامر بم لا يطاق يحسن لأن الملائكة لم تقدر على هذه الأسماء، ولذلك قالت ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾(٨) .

---

(١) [البقرة:٢٩].
(٢) [البقرة:٢٩].
(٣) [البقرة:٣٠].
(٤) [البقرة:٣٠].
(٥) [البقرة:٣٠].
(٦) [البقرة:٣٠].
(٧) [البقرة:٣١].
(٨) [البقرة:٣٢].

وجوابنا : أن ذلك جعله الله تعالى لآدم ودلالة على نبوته من حيث عرفه أسماء المسميات جميعاً، فعرفت الملائكة بذلك أنه نبي وعظمّته، وجعل الله تعالى ذلك مقدمة الى ما أمرهم به من تعظيمه بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[1] والمراد عظموه بتوجيه السجود اليه، وإن كنتم تعبدون الله تعالى بذلك ولذلك قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2] وأنه تعالى قد عرف الملائكة بما كتب في أم الكتاب من الآجال والأرزاق وغيرهما أنه عالم بذاته بكل شيء فقال لهم ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾[3] ألم أدلكم منبها على ان الذي خص به آدم من الاسماء لم يخصهم به ارادة لاظهار نبوته وتعظيمه

وقوله ﴿ أَنْبِئُونِي ﴾[4] هو على وجه التحدي وتقدير عجزهم، ولذلك كان جوابهم ﴿ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[5] ولذلك قال ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[6] ومن لا علم له لا سبيل له الى العالم بانه صادق في الاخبار عما لا يعلم، ومعلوم انهم لو أخبروا لجاز أن يكونوا كذبة ولا يجوز أن يأمر تعالى بما هذا حاله .

[مسألة] قالوا كيف استثنى تعالى إبليس من الملائكة وهو من الجن في قوله ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾[7] .

وجوابنا : إنه لما دخل معهم في الأمر له بأن يسجد لآدم وأريد منه ذلك بهذا القول فصح الاستثناء لأن الاستثناء من جهة المعنى لا يكون الا كذلك، وذم الله تعالى له بأنه لم يسجد وتكفيره اياه يدل على قدرته على السجود بخلاف قول القدرية انه تعالى يأمر بما لا يقدر العبد عليه، وقوله تعالى في وصف إبليس ﴿ أَبَى ﴾ يدل أيضاً على بطلان قولهم لأنه لا يقال أبى الا اذا قدر على الشيء ثم امتنع منه اذ أبى فعل نفسه ،

---

(١) [البقرة:٣٤].
(٢) [البقرة:٣٣].
(٣) [البقرة:٣٣].
(٤) [البقرة:٣١].
(٥) [البقرة:٣٢].
(٦) [البقرة:٣١].
(٧) [البقرة:٣٤].

[مسألة] يقال كيف أسكن تعالى آدم وحواء الجنة، وكيف أذلهما الشيطان عنها، وكيف نفذ قول إبليس عليهما فخالفا أمر الله تعالى، وكيف فعلا ما عوقبا عنده على الاخراج من الجنة ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع في سكنى تلك الجنة أن يكون صلاحا اذا لم يفعلا أمراً من الأمور، وغير صلاح اذا فعلا ذلك، فلما وقع منهما أكل الشجرة التي هي من جنس ما نهى الله تعالى عنه، ويقال إنها العنب ويقال التين ويقال الحنطة والأول أقرب، أخرجهما تعالى من تلك الجنة ولم يخرجهما عقوبة، لأن معاصي الانبياء لا تكون إلا صغائر ولو فعلوا كبائر لحسن ذمهم ولعنهم، والنبوة تمنع من ذلك، فلما عصيا كان الصلاح اخراجهما الى الارض، لما في المعلوم من العواقب الحميدة .

وكان إبليس يظهر لهما فوسوس اليهما وكان عندهما أن الله تعالى انما نهى عن شجرة بعينها وأراد الله تعالى ذلك الجنس كله فذهلا عن التأويل، ولذلك قال تعالى ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾[١] ولو علما ان النهي عام في ذلك الجنس لم يقدما على اكل ذلك، ثم من بعد تاب الله عليهما فزال تأثير تلك المعصية، فلذلك قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[٢] وكان الله تعالى يعظم محل الانبياء لعلمهم كيف يتوبون، وما الذي يؤدون من الكلمات .

ثم إنه تعالى ذكر من بعد نعمه على بني اسرائيل، وذكّر أولادهم نعمه على الآباء، لأن النعمة على الآباء بحيث تخلصوا من قتل الأعداء اياهم نعمة على الاولاد الذين لولا ذلك الخلاص لم يوجدوا، فعلى هذا الوجه خاطبهم بهذه النعم وأمرهم بالوفاء بعهده لقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[٣] وهو المجازاة ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤] أي يجب أن تخافوا معصيتي، فان ذلك يوقعكم في العقاب، وآمنوا بما أنزلت على محمد ﷺ ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾[٥] فقد كانوا يطمعون في الضعفاء فيضلونهم ويصرفونهم عن اتباع محمد

---

(١) [طه:١١٥]. (٢) [البقرة:٣٧].
(٣)،(٤) [البقرة:٤٠]. (٥) [البقرة:٤١].

ﷺ، فلذلك قال : ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾[١] ثم قال ﴿ وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ ﴾[٢] فدل بذلك على وجوب اظهار الحق بالدعاء اليه ودل به على ان من لبس الحق بالتشبيه فقد أقدم على عظيم، وبين ان المرء كما يجب أن يدعو الى الخير يجب أن يتمسك به، ومن لم يتمسك به لم يؤثر دعاؤه للغير فقال ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة ﴾[٣] فجمع بذكر الصبر جميع ما منع تعالى منه، وبذكر الصلاة جميع ما أمر به، وبين ان الصلاة كبيرة ﴿ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٤] أي ثواب ربهم فيعلمون المجازاة فيعظم خوفهم، ويعلمون انهم اليه راجعون . وبين لبنى اسرائيل ولنا بقوله ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾[٥] ان من حكم ذلك اليوم ان المرء ينتفع بعلمه دون هذه الامور، وان أهل العقاب لا يتخلصون الا بما يكون منهم في الدنيا من التوبة وتلافي المعصية .

ثم قال عز وجل ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[٦] فمنّ عليهم بما كان منه تعالى من نجاة آبائهم على ما ذكرنا وذكر نعمه حالا بعد حال إلى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾[٧] وقوله في خلال هذه الآيات ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾[٨] يدل على ان الرؤية على الله تعالى لا تجوز وقوله ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَتْ ﴾[٩] يدل على قدرة الله تعالى على الامور العجيبة، وان عصا موسى كانت من الآيات العظام فمرة كانت تصير بيده ثعبانا فيتلقف إفك السحرة، ومرة كان يضرب بها على الحجر فينفجر منه الماء ما يحتاجون اليه، ومرة كان يضرب بها على البحر فينفلق ويصير لهم طريقاً يبسا .

---

(١) [البقرة:٤١].
(٢) [البقرة:٤٢].
(٣) [البقرة:٤٤-٤٥].
(٤) [البقرة:٤٥-٤٦].
(٥) [البقرة:٤٨].
(٦) [البقرة:٤٩].
(٧) [البقرة:٦٢].
(٨) [البقرة:٥٥].
(٩) [البقرة:٦٠].

ولما ذكر قوله ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[١] ظن بعضهم ان بني اسرائيل أفضل من سائر الانبياء وليس الامر كذلك، وانما أراد به فضلهم على عالمي زمانهم، وكذلك كانوا في أيام موسى ﷺ دينا ودنيا .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ ﴾[٢] كيف يدخل قتل النفس في التوبة ؟.

وجوابنا : أنه تعالى أوجب أن يقتل بعضهم بعضاً لعلمه بأن ذلك صلاحهم لاان ذلك من شروط التوبة لان التوبة مقبولة إذا صحت بدون غيرها .

[مسألة] وسألوا عن معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾[٣] فقالوا كأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم وهذا كالمتناقص .

وجوابنا : أن المراد في الذين آمنوا الاستمرار على ايمانهم، وفي الذين هادوا الانتقال الى الايمان، وذلك صحيح وقد قيل : إن المراد بأن الذين آمنوا من أظهر الاسلام، والمراد بمن آمن منهم كمال الايمان وذلك مستقيم .

[مسألة] وقد قيل كيف قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤] ونحن نعلم أن المؤمنين قد يخافون ويحزنون .

وجوابنا : أنه تعالى أراد ذلك في الآخرة كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[٥] وقال ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾[٦] وكل ذلك ترغيب في التمسك بالإيمان والطاعة .

---

(١) [البقرة:١٢٢]. (٢) [البقرة:٥٤].
(٣) [البقرة:٦٢]. (٤) [البقرة:٢٧٤].
(٥) [الأنبياء:١٠١]. (٦) [الأنبياء:١٠٣].

[مسألة] قالوا في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾[١] كيف يأمر بذبح بقرة لها صفة، ثم بأخرى لها صفة، أو ليس ذلك يدل على البداء ؟

« وجوابنا »: أنه أمر أولا بذبح بقرة على أيّ صفة كانت فلما عصوا كان الصلاح التشديد عليهم، ثم كذلك حالا بعد حال، الى أن أمرهم آخراً بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها، فيقال طلبوها فاشتروها بمال عظيم لأنه لم يوجد بتلك الصفة سواها وكان السبب في ما بينه بقوله ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾[٢] وكان هناك قتيل وكتموا القاتل فأخفوه فأراد الله تعالى اظهاره باحياء القتيل عند ضربه ببعض البقرة ليذكر ذلك المقتول قاتله فيقام عليه حد الله تعالى، والله تعالى وإن كان مقتدرًا على إحياء ذلك القتيل من دون أن يضرب ببعض البقرة، فقد كان لطفا لهم لان عادتهم كانت التقرب بذبح البقرة، كما تعبدنا الله تعالى بذبحها في الاضحية وكان ذلك من معجزات موسى عليه السلام .

[مسألة] يقال وقد قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[٣] كيف يجوز أن يفضل قلبهم في القسوة على الحجارة والحجارة لا قسوة فيها أصلاً ؟ وكيف قال ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[٤] وذلك لا يصح على الحجارة ؟.

وجوابنا:أن ذلك على وجه المثل، ضربه الله تعالى لقلبهم في القسوة لأن الظاهر أن القسوة تكون صلابة القلب، فكذلك القول في الخشية أورده على وجه المثل .

وقد قيل إن المراد ولو جعل الحجر حياً لكان يحصل فيه من الخشية ما ليس في قلبهم، والاول أقوى لأنّ الحجارة اذا جعلت حية لا تكون حجارة .

---

(١) [البقرة:٦٧].
(٢) [البقرة:٧٢-٧٣].
(٣) [البقرة:٧٤].
(٤) [البقرة:٧٤].

[مسألة] قالوا كيف يقول تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾[١] يعنى اليهود ثم يقولون من بعد ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾[٢] فنفي في الأول وأثبت في الثاني وذلك تناقض ؟

وجوابنا : أن المراد ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا ﴾[٣] إيماناً ظاهراً وباطناً والذي عناه في قوله ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾[٤] ما أورده ظاهراً على وجه النفاق فالكلام مستقيم، ولذلك قال ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾[٥] فذمهم بذلك على هذه الطريقة التي هي النفاق .

وبين انهم يحرفون التوراة ويشترون بها ثمناً قليلاً وأنهم كانوا يفعلون ذلك ليستأكلوا ضعفاءهم فقال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٦] ودل بذلك على ان كتمان الحق في الدين يوجب الويل، وقوله تعالى ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٧] زجر عظيم لمن يعصي ربه كما ان قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٨] ترغيب عظيم في التمسك بطاعته .

ثم ذكر انه أخذ ميثاق بني إسرائيل في أن لا يعبدوا الاّ الله وفي أن يتمسكوا بسائر ما ذكر بعد ذلك وانهم خالفوا وتولوا الا قليلا وانهم سفكوا الدماء . وبين تعالى أن جزاء ذلك الخزي في الحياة الدنيا وان يرادوا الى أشد العذاب وزجر بذلك عن مثل فعلهم وذمهم على التكذيب بالقرآن بقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾[٩] كل ذلك زجر عن فعل مثلهم .

[مسألة] وقالوا قال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُواً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[١٠] فقالوا كيف يجوز تعليله لا نزاله القرآن بأنهم أعداؤه ؟

---

(١) [البقرة:٧٥].
(٢) [البقرة:٧٦].
(٣) [البقرة:٧٥].
(٤) [البقرة:٧٦].
(٥) [البقرة:٧٦].
(٦) [البقرة:٧٩].
(٧) [البقرة:٨١].
(٨) [البقرة:٨٢].
(٩) [البقرة:٩١].
(١٠) [البقرة:٩٧].

وجوابنا : انه أراد توكيد ذمهم بانه بالمحل الذي ينزل به الوحي والقرآن لاجله على الرسل وزجرهم بذلك عن عدواتهم ثم بين ان من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فالله عدوه بقوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾(١) [البقرة:٩٨] .

[مسألة] وسألوا عن قوله ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾(٢) [البقرة:١٠٢] وقالوا الآية تدل على ان السحر من عند الله وان الملائكة أنزلت به وعلى انه اذا أدى الى مضرة فبإذن الله .

وجوابنا : أنه تعالى حكى عن اليهود انهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وانهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين، والمراد بذلك ما تخبر به الشياطين على ملك سليمان، ويكذبون عليه فانهم يتبرؤون من نبوّته أعنى اليهود وينسبوه الى السحر كما حكت الشياطين، فقال تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾(٣) [البقرة:١٠٢] نزهه عن السحر الذي نسبوه اليه ثم قال ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾(٤) [البقرة:١٠٢] بان نسبوا السحر الى سليمان على وجه الكذب وجحدوا نبوّته .

ثم قال تعالى في وصفه الشياطين ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾(٥) على وجه الاضرار ثم قال تعالى ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾(٦) فبين انه تعالى أنزل ببابل السحر عليهما ليعرفا الناس فيتحرزوا من ضرره، لان تعريف الشر حسن ومعه يصح الاحتراز، ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾(٧) يعنى الملكين ﴿حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾(٨) فبين ان مرادهم بتعليم السحر لا أن يعمل به .

ثم قوله تعالى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾(٩) وهو ذم لمن يتعلم من الملكين، فلا يتحرز بل يعمل به، فهو بمنزلة أن يعرف من الرسول الزنا وغيره من الفواحش، فيعضهم يعمل بذلك، فلا يخرج بيان النبي ﷺ لذلك من أن يكون حسنا، فكأنه قال ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾(١٠) واتبعوا ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾(١١) فيما يعلمون على وجه الذم لهم .

---

(١)[البقرة:٩٨].

(٢)،(٣)،(٤)،(٥)،(٦)،(٧)،(٨)،(٩)،(١٠)،(١١) [البقرة:١٠٢].

وقد روي عن الحسن انه كان يقرأ ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾(١) ويقول كانا عجلين أقفلين يأمران بالسحر ويتمسكان به، والقراءة المشهورة خلاف ذلك .

وقد قيل في تأويله إن المراد واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي تحكي وتخبر على ملك سليمان وما أنزل على الملكين ببابل، فكأنهم كما كذبوا على ملك سليمان كذبوا أيضاً على ما أنزل على الملكين، لا أنهما أنزلا ليعلما السحر، ويكون قوله ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾(٢) أي من السحر والكفر، والوجه الأول أقوى .

فان قيل وما السحر الذي هو كفر أتقولون إن جميعه كفر أو بعضه وما حقيقته؟ قيل إن السحر في الأصل هو ما لطف مأخذه مما يقصد به الإضرار والاحتيال، لكن في الناس من يوهم انه يفعل ما لا حقيقة له، كما يدعى بعضهم أنه يطير بلا جناح، ويركب المكانس وغيرها فيبعد بالوقت اليسير ؟ وانه يخيل الناس ويصور المرء بخلاف صورته الى ما شاكل ذلك وهو كما قال ﷺ « من أتى كاهناً أو عرافا فصدقهما فيما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد »(٣) لانهم يوهمون انهم يعلمون الغيب، وذلك كذب منهم ربما صدق في هذا الزمان بعض المنجمين في مثل ذلك وهو عظيم يوجب الطعن في نبوّة الانبياء صلوات الله عليهم الذين انما عرفت نبوّتهم بان أظهروا علم الغيب، نحو قوله عز وجل في وصف عيسى عليه السلام ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ ﴾(٤) فمن أوهم ذلك فهو كافر في الحقيقة .

فأما السحر الذي يصح وقوعه فهو ما لم يلطف من هذه الافعال التي تجري مجرى الحيل، فالأول هو الكفر والثاني يحتمل أن يكون كفراً ويحتمل خلاف ذلك فان أوهم انه يفرق بين المرء وزوجه بان يفعل في قلب الزوج أو قلبها ما لا يمكن ويكون معجزا فهو كالأول، وان أوهم انه يزيل العقل ويحدث العيوب في أحدهما فهو كالأول، وان ذكر انه يحتال بما يمكن للمرء أن يفعله حتى يفرق بينهما أو يقتل أو يفعل ما يؤدي الى المرض فذلك فسق ليس بكفر .

(١)،(٢) [البقرة:١٠٢]. (٤) [آل عمران:٤٩].

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة، وخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وحسنه .

وقد ذكر بعض مشايخ المتكلمين ممن عمل كتاب المتشابه ان رجلاً تزوج امرأة على أخرى فعظم ذلك على الأولى، وانها استعانت بغيرها فتوصل الى أن قال للثانية ان أردت أن تنغرس محبتك في قلب الزوج ليختارك على الاولى فخذي موسى فاقطعي ثلاث شعرات من لحيته وهي ما يقارب الحلق، وألقى الى الزوج بأن هذه المرأة ستحتال عليه بالقتل، فلما قرّبت الموسى منه في المحل الذي حرره لم يشك الزوج بان الامر على ما قال الرجل من انها قصدت قتله، فقام اليها وقتلها، وكان ذلك تفرقة، وقيل توصل اليها بهذه الحيلة فما يجري هذا المجرى يكون فسقاً ولا يكون كفراً .

وكل ذلك مما يصح تعرُّفه من الانبياء لكنهم يعلمون ذلك لكي يتحرز منه فيحسن ذلك، والشياطين يعلمون ليعمل به فيقبح ذلك فهذا تأويل الآية .

وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1] يحتمل أن يكون المراد بهذا الاذن العلم دون الأمر ويحتمل أن يكون المراد فعلهم نفسه فيما عنده بفعل الله تعالى ما يضر من يضر غيره فيكون ذلك منسوباً الى الله تعالى وما يفعله حيث يقع بارادته، يجوز أن يقال انه باذنه وبين ان من يفعل ذلك ماله عند الله من خلاق، وزجر بذلك عن التمسك بالسحر والحيل .

ثم قال ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾[2] لأن من باع نفسه بما يأتيه من السحر فهو خاسر الصفقة في هذه التجارة .

[مسألة] قالوا ما معنى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾[3] وكيف تكون المثوبة خيرا من السحر والسحر لا خير فيه ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾[4] يدل على ان الايمان باختيارهم يقع وانهم لم يؤمنوا فهم مقصرون بخلاف من يقول انه تعالى يخلق ذلك فيهم ورغب

---

(١) [البقرة:١٠٢].
(٢) [البقرة:١٠٢].
(٣) [البقرة:١٠٣].
(٤) [البقرة:١٠٣].

بذلك في الايمان والتقوى، ومعنى قوله في المثوبة انها خير أي أن ما يؤدي اليها اولى أن يتمسك به، وهذا كقوله تعالى ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾(١) وإنما أراد جنة الخلد دون النار .

[مسألة] يقال ما معنى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾(٢) ومعناهما واحد فكيف يصح الامر بكلمة والنهي عن الاخرى والفائدة لا تختلف ؟

وجوابنا : أن المنقول في الخبر أن اليهود كانت تقول للنبي ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ بكسر العين وتقصد الهزؤ وقوله تعالى ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾(٣) يدل على ذلك فأمر الله تعالى بالعدول عنه الى نظيره، وهو قوله ﴿انظُرْنَا﴾(٤) وفي ذلك دلالة على وجوب تجنب الكلمة اذا أوهمت الخطأ، وقوله تعالى في آخر الآية ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥) يدل على ما قلناه من انهم قصدوا أمراً مذموماً في رَاعِنَا، فلذلك نقل الله تعالى المؤمنين عنها الى قوله ﴿ انظُرْنَا ﴾(٦) .

[مسألة] وقالوا كيف يجوز أن ينسخ تعالى شيئاً بشيء كما قال ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(٧) وهل يدل ذلك على أن الآية لا تنسخ الا بآية؟.

وجوابنا : أنه يتبعد المكلف في كل وقت بما هو مصلحة له، وإذا كان في زمن ربما يكون الصلاح انتظار نقل المكلف من عبادة الى عبادة فعلى هذا الوجه ينسخ تعالى العبادة بغيرها، كما يفعل تعالى البرد بعد الحر والليل بعد النهار وقوله ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾(٨) أي بما هو أصلح من الاولى، ولا فرق بين أن يعلمنا بقرآن أو بوحي الى الرسول ﷺ ثم بين أنه تعالى على هذه المصالح قدير بأن يبينها كما شاء، فلا يدل على أن كل شيء داخل في قدرته كنحو أفعال العباد من كفر وإيمان، وقد يقال هو

---

(١) [الفرقان:١٥].
(٢) [البقرة:١٠٤].
(٣) [النساء:٤٦].
(٤) [البقرة:١٠٤].
(٥) [البقرة:١٠٤].
(٦) [البقرة:١٠٤].
(٧) [البقرة:١٠٤].
(٨) [البقرة:١٠٦].

قدير على كل شيء لانه الذي يقدر غيره، كما يقال للملك انه مالك للبلاد وما فيها لما كان مقتدراً على يملك الغير ويسلبه ملكه ولذلك قال ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[1] وزجر المرء عن أن يتكل الا على عبادته .

[مسألة] قالوا كيف قال تعالى ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ ﴾[2] وكيف منع من مسألة الرسول وقد نصبه الله تعالى معلماً ومبيناً ؟.

وجوابنا : أن المراد المنع من مسألته على الرد والتعنت لا على وجه التفهم ولذلك قال ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[3] .

[مسألة] وربما قالوا كيف يبدأ تعالى بقوله ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾[4] وعند العرب لا يبتدأ بذلك الاستفهام بل يبنى على كلام متقدم ؟.

وجوابنا : أنه قد يحذف المتقدم اذا دل الكلام عليه وذلك كقوله ﴿الم * تَنزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[5] ثم قال ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾[6] وقد قيل إن معناه بل تريدون أن تسألوا رسولكم يقول ذلك لليهود وقد تقدم ذكرهم .

[مسألة] وسألوا كيف قال ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾[7] أفتقولون كانوا يعرفون الاسلام والنبوّة مع اظهارهم اليهودية ؟.

وجوابنا : أن ظاهر الآية يدل على ذلك لأن كثيرا منهم كان يعرف ذلك ويبقي على اليهودية لأغراض الدنيا، وقوله تعالى ﴿ حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[8] يدل على أن حسدهم للرسول وللمؤمنين لم يكن من خلق الله تعالى والا لم يضفه الى أنفسهم،

---

(١) [البقرة:١٠٧].
(٢) [البقرة:١٠٨].
(٣) [البقرة:١٠٨].
(٤) [البقرة:١٠٨].
(٥) [السجدة:١-٢].
(٦) [السجدة:٣].
(٧) [البقرة:١٠٩].
(٨) [البقرة:١٠٩].

ورغب تعالى بقوله ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(١) وبقوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾(٢)على هذه الأعمال .

[مسألة] وقالوا أن قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾(٣)لا يصح لان الذين كان يحكى عنهم ان كانوا من اليهود لا يقولون ذلك في النصارى، وان كانوا من النصارى لا يقولون ذلك في اليهود فكيف تصح هذه الحكاية؟

وجوابنا : أن الفائدة معقولة والمراد ان اليهود قالت ﴿ لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً ﴾(٤) والنصارى قالت لن يدخل الجنة الا من كان نصارى، لان ذكر أهل الكتاب قد تقدم وحالهم في طعن كل واحد منهم في الآخر معلومة فلابد من أن يكون المراد ما ذكرنا .

ثم بيَّن تعالى ان تلك أمانيهم لا برهان عليه ثـم قـال ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾(٥) يعنى بالتعبد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(٦) وأراد بذلك مجانبة المعاصي ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾(٧) فجمع بين الأمرين في حصول الثواب لئلا يغتر المكلف فيقتصر في أحدهما.

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ ﴾(٨) وذلك معلوم من حالهم فأيّ فائدة في وضفهم بذلك ؟

وجوابنا : أن الفائدة بذلك قوله ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ﴾(٩) فبين أنهم ذهلوا عما تدل عليه كتبهم من تصديق البعض للبعض فيما أودعه الله تعالى في الكتب، وقد يقال ان فلانا ليس على شيء وأن كان في جملة ما يقوله ما هو حق إذا لم يتكامل تمسكه بالحق، كما يقول فيمن يخالف في التوحيد والعدل ليس هو على شيء وإن كان يقول بالحق في بعض الاشياء ولذلك قال تعالى بعده ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١٠).

---

(١) [البقرة:١٠٩].
(٢) [البقرة:١١٠].
(٣)،(٤) [البقرة:١١١].
(٥)،(٦) [البقرة:١١٢].
(٧)،(٨)،(٩)،(١٠) [البقرة:١١٢].

[مسألة] وقالوا قال تعـــالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[1] كيف يصح ذلك ومعلوم انهم قد يدخلون المساجد وليسوا مخالفين وما معنى سعيهم في خرابها ولم يتفق ذلك ؟

وجوابنا : أنه قد روى أن أبا بكر الصديق كان بنى مسجداً بمكة يدعو الناس الى الله تعالى فسعى الكفار في تخريبه، فانزل الله تعالى ذلك، وقد قيل إن المراد منعهم الرسول ﷺ والصحابة حتى اضطروا الى الهجرة، فبين الله تعالى انهم كما اخافوهم حتى فارقوا مسجد مكة، فسيرفعه بحيث لا يدخلونه الا خائفين .

ومعنى قوله وسعى في خرابها في المنع عن عمارتها بالصلاة وسائر ما يبنى له المسجد كقوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾[2] فكما جعل ذلك عمارة له جعل المنع من ذلك سعياً في خرابه فان حمل الكلام على المسجد الحرام لم يكن لهؤلاء الكفار أن يدخلوها الا على وجه الخوف، والا فان حمل على سائر المساجد كما قاله قوم، فالمراد انهم إذا دخلوا يكونون خائفين من المسلمين فلا يدخلونها الا لمحاكمة او غيرها فيكونون خائفين، ثم قال تعالى ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

[مسألة] وربما قيل أما يدل قوله ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[4] على المكان ؟

قلنا المراد أن هناك يوجد رضا الله، كقول القائل لغيره من شغلك ان تصلي لوجه الله، أي طلباً لمرضاته، لا على وجه الرياء والسمعة، ولوكان المراد بذلك المكان لوجب ان يكون تعالى في وقت واحد في أماكن بحسب صلاة المصلين .

---

(١) [البقرة:١١٤].
(٢) [التوبة:١٨].
(٣) [البقرة:١١٤].
(٤) [البقرة:١١٥].

وقد يذكر الوجه ويراد به ذات الله، وقد يقول القائل لغيره وقد سأله حاجة أحب أن تفعل ذلك لوجه الله تعالى، أي تقربا الى الله، فاما معنى قوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(١) ان ذلك لكم بحسب الاجتهاد اذ يراد به في الظلمة اذا غميت القبلة او في النافلة في السفر او في المسايفة وذلك مذكور في الكتب .

[مسألة] وسألوا عن قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾(٢) فقالوا كيف يكون ما ذكره آخرا مبطلا لما قالوا؟

فجوابنا : أنه بين أن من يخلق هذه الامور ويعمل عليها لا يكون الا قديماً مخالفاً لمن تصح عليه الولادة ولذلك اتبعه بقوله ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣) فبين تعالى بكل ذلك انه مخالف للاجسام التي تصح عليها الولادة .

وقالوا إن قوله إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون يدل على ان كل ما يفعله يفعله بهذا القول، وان ذلك يوجب أن قوله وكلامه ليس بمحدث، لانه لو كان محدثاً لكان يحدثه بقول آخر ويؤدي الى ما لا نهاية له

فجوابنا : أن ما قالوه متناقض لأن الظاهر يقتضي أنه يقول له كن، وهذه اللفظة مشتملة على حرفين أحدهما يتقدمه الآخر، والآخر يتأخر عنه على اتصال بينهما وما هذا حاله لا يكون إلا محدثاً فلا يصح اذاً ما قالوا، ولان قوله ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٤) يقتضى انه يقول ذلك مستقبلا وذلك علامة الحدوث، ولانه عطف المكوّن على القول بحرف الفاء، ومن حقه ان يكون عقيباً له، وما كان المحدث عقيبه لا يكون الا محدثاً، وعندنا ان المراد بذلك انه اذا قضى أمراً يكوّنه ويفعله من غير منع، وذكر هذا القول على وجه التوسع .

---

(١) [البقرة:١١٥].
(٢) [البقرة:١١٦].
(٣) [البقرة:١١٧].
(٤) [البقرة:١١٧].

ومثل ذلك في اللغة كما قال الشاعر : امتلأ الحوض وقال قطني . والحوض لا يقول ولكن المراد أنه إذا امتلأ فحسبه من الماء، وأراد تعالى بذلك أن الاشياء لا تتعذر عليه كما تتعذر على سائر القادرين .

وقوله تعالى عقيب ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾(١) ومعناه هلا يكلمنا الله يدل على أنه تعالى يفعل الكلام في المستقبل فكيف يجوز ان يكون قديماً وقوله تعالى.﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٢) والمراد بشيراً لمن اطاع ونذيراً لمن عصى، وهو ترغيب في الطاعة وزجر عن المعاصي وقوله من بعد لرسوله ﷺ ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾(٣) دلالة على النبوّة لا تعصمه من الوعيد اذا عصى فكيف يكون حال غيره .

[مسألة] وما معنى قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾(٤) كيف يجوز في كلمات الله أن يتمها إبراهيم .

وجوابنا : أن المراد فيه أنه ابتلاه بما يدل عليه الكلمات من العبادات وانه بامتثال ذلك أتم ما يلزمه، وقد قيل انه علمه من أسمائه الحسنى ما يصير بذلك من أهل النبوّة، ولذلك قال تعالى بعده : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾(٥) فبين ان هذه الكلمات هي كالمقدمة لذلك، وبين تعالى انه قد يكون في ذريته من يكون ظالماً فلا يستحق النبوّة والامامة، فقال : ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(٦) وبين تعالى انه جعل بيته الذي هو الكعبة ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾(٧) يثوبون اليه حالا بعد حال للعبادة، فقد كان في شريعة إبراهيم ﷺ الحج على قريب مما هو في شريعتنا، وجعل الله تعالى الحرم آمنا في أشياء كثيرة .

---

(١) [البقرة:١١٨].
(٢) [البقرة:١١٩].
(٣) [البقرة:١٢٠].
(٤) [البقرة:١٢٤].
(٥) [البقرة:١٢٤].
(٦) [البقرة:١٢٤].
(٧) [البقرة:١٢٥].

ثم أمر أن يسأل ربه أن يجعل الحرم آمنا وأن يؤتيهم من الطيبات وقد فعل تعالى لكنه سأل ذلك للمؤمنين فاجابه الله تعالى للكل فقال ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ﴾(١) وذلك لان عادة الله تعالى في الدنيا يعم خلقه بالارزاق بحسب المصالح فلا يحرم العاصي بمعصيته ولا يفضل المؤمن لإيمانه لكنه يدبرهم بحسب الصلاح، ودل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾(٢) على انهما تعبدا ببناء البيت فلذلك قالا :﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾(٣) الى سائر ما دعوا الله تعالى.

[مسألة] قالوا ما معنى ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(٤) ان كان الاسلام من فعل العبد ؟.

وجوابنا : أن المراد مسألة الألطاف والتسهيل في أن يصيرا مسلمين لأن المرء وإن كان يفعل الإسلام فلا يستغنى عن زيادات الهدى والألطاف، ولولا ذلك لما صح الأمر والنهي بالإسلام والكفر ولما جاز المدح عليه ولم يكن لقوله تعالى : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾(٥) معنى والوالد اذا توصل الى تأديب ولده بأمور جاز أن يقال جعله أديباً عالماً لفعله الأسباب التي عندها تعلم .

وقيل ان المراد بذلك الانقياد لا الإسلام الذي هو تمسك بالعبادات ودلوا على ذلك بالاضافة في قوله : ﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾(٦) ودلو عليه بما بعده من قوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٧) ومن يفعل الاسلام التي هي العبادات لا يوصف بانه أسلم لله، ويوصف اذا أؤيد به الإسلام والانقياد وقوله من بعد : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾(٨) والمراد اختاره لكم يدل على أن الاسلام فعلهم .

[مسألة] ان قيل لم قال : ﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٩) وما فائدة تعليق الإسلام بالموت وهو واجب في كل حال ؟.

---

(١) [البقرة:١٢٧].
(٢) [البقرة:١٢٧].
(٣) [البقرة:١٢٧].
(٤) [البقرة:١٢٨].
(٥) [البقرة:١٢٨].
(٦) [البقرة:١٢٨].
(٧) [البقرة:١٣١].
(٨)،(٩) [البقرة:١٣٢].

وجوابنا : أنه لما كان المرء يخاف الموت في كل وقت صار ذكر الموت دلالة على وجوب التمسك بالإسلام والخوف من تركه في كل وقت ويكون ذلك في التحذير أقوى .

[مسألة] وسألوا فقالوا كيف قال :﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾[1] مع قوله في غير موضع انهم غيروا الكتاب وحرفوه ؟.

فجوابنا : أنه تعالى أراد القرآن من أهل الكتاب من آمن، ولذلك قال : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] والكتب المتقدمة لا يجب فيها هذه التلاوة .

وقد قيل ان المراد يتلون التوراة على حقها من غير تحريف، لأن من آمن بالرسول كان هذا حالهم، فهذا أيضا يحتمله الكلام .

[مسألة] وسألوا فقالوا : كيف يقول تعالى ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[3] فكيف يصح أن ينفى أن يكون عليهم حجة ثم يقول الا الذين ظلموا فيكون لهم الحجة ؟.

وجوابنا : لكن للذين ظلموا الحجة فانهم يحتجون عليكم بالباطل وذلك استثناء منقطع .

[مسألة] وقالوا كيف قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾[4] فخصهم بهذا الهدى ؟.

وجوابنا : ان هذا الهدى من جنس اللطف الذي يتأتى في المؤمنين كقوله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[5] وقد بينا ان الهدى العام هو الدلالة ومتى أريد به الاثابة أو الألطاف فذلك خاص .

---

(١) [البقرة:١٢١].
(٢) [البقرة:١٢١].
(٣) [البقرة:١٥٠].
(٤) [البقرة:١٤٣].
(٥) [محمد:١٧].

[مسألة] وسألوا عن قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[١] وقالوا كيف يصح ذلك في الايمان وقد تقضى ؟

وجوابنا : أن المراد ابطال ثوابه وقد قيل انه نزل في صلاتهم الى بيت المقدس، فبين أنه وإن نسخها فثوابها محفوظ لمن لم يفسد ذلك بكفر أو كبيرة .

[مسألة] وسألوا عن قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[٢] قالوا لو عرف أهل الكتاب نبوّته لما صح مع كثرتهم أن ينكروا ذلك ويجحدوه فكيف يصح ما اخبر به تعالى عنهم ؟

وجوابنا : أن المراد من كان يعرف ذلك منهم وهم طبقه من علمائهم دون العامة منهم، ولذلك قال ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣] ولا يجوز ذلك على جميعهم لعلمنا باعتقاداتهم وتجويزه على من ذكرناهم يصح .

[مسألة] قالوا إن قوله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾[٤] يدل على أنه تعالى إنما علم من يتبع الرسول ومن لا يتبعه عند جعل القبلة كذلك، وهذا يوجب ان علمه تعالى محدث ؟.

وجوابنا : أن المراد إلاَّ ليفعلوا اتباع الرسول ﷺ فذكر العلم وأراد المعلوم لأن المعلوم، لا يكون الا بحسب العلم، فذكر العلم يدل على حال المعلوم، وذلك كقوله تعالى ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنكُمْ ﴾[٥] والمراد حتى يجاهدوا ونحن بذلك عالمون .

وقد قيل انه تعالى ذكر نفسه وأراد رسوله كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ﴾[٦] والمراد يؤذون أنبياءه وكأنه قال الا ليعلم الرسول من يتبعه .

[مسألة] وسألوا عن قوله ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[٧] فقالوا : كأنه قال أفيضوا أيها الناس من حيث أفاض الناس وذلك لا يفيد .

---

(١) [البقرة:١٤٣].
(٢)،(٣) [البقرة:١٤٦].
(٤) [البقرة:١٤٣].
(٥) [محمد:٣].
(٦) [الأحزاب:٥٧].
(٦) [البقرة:١٩٩].

وجوابنا : أنهم قبل الاسلام كانوا يقفون بمزدلفة، وبعضهم كان يقف بعرفة، فأمروا في الإسلام أن يقفوا بعرفة ثم يفيضوا منها الى المزدلفة وجعل ذلك شرعاً .

وقال بعضهم أراد بقوله من حيث أفاض الناس أي إبراهيم ومن يتبعه، لانه ﷺ في الحج أمر في أكثره باتباع طريقة إبراهيم ﷺ .

[مسألة]قالوا وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾[١] ثم قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾[٢] وليس لذلك تعلق بالأول فما الفائدة في ذلك ؟.

وجوابنا : أن المراد فاذكروا الله كذكركم آبائكم بأن تسألوه مصالحكم في الدين والدنيا ولذلك قال : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾[٣] فكأنه قال اذكروا الله في أمر دينكم ودنيا كم، كما ان هؤلاء الناس يقولون : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .

وضرب الله تعالى المثل بالآباء لان المعتاد ان المرء ينشأ على محبتهم وذكرهم والا فنعم الله تعالى أعظم من ذلك، فذكرهم الله يجب أن يكون أكثر من ذكرهم لآبائهم .

[مسألة] قالوا في قوله ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٤] كيف يصح الرجوع الى الله وليس هو في مكان ؟

وجوابنا : أن المراد به الرجوع الى الله حيث لاحكم ينفذ إلا بأمر الله تعالى، كما يقال فى الخصمين رجع أمرهما الى الحاكم او إلى الأمير، والمراد انه هو صار المتولي لذلك وقد جرت العادة في الدنيا ان غير الله يملك الأمور بأن ملكه الله، وفي الآخرة خلاف ذلك .

---

(١) [البقرة:٢٠٠].
(٢) [البقرة:٢٠٠].
(٣) [البقرة:٢٠١].
(٤) [البقرة:١٥٦].

وهذه الآية تدل على ان غير الانبياء يجوز أن يقال فيهم ﷺ لان الله تعالى ذكر في الصابرين على المصائب ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(١) وان كانت العادة في تعظيم الانبياء قد جرت بان يخصوا بذلك .

وزجر تعالى عن كتمان الحق زجراً عظيماً بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾(٢) وقد قيل ان المراد باللاعنين الملائكة وذلك نهاية الزجر في كتمان الحق . ثم بين أن هذا اللعن يزول بالتوبة فقال ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾(٣) ما كتموه ونبه تعالى بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ ﴾(٤) على ان من تاب من الكفار خارج عن هذا الحكم .

وبين تعالى بقوله ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٥) ان الواجب في العبادة أن توجه اليه وحده، وبين الأدلة عليه وعلى وحدانيته بقوله ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾(٦) فذكر هذه الآيات الدالة على الله تعالى وعلى أنه المنفرد بالألوهية، وبين في آخره بقوله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٧).

إنَّ الواجب على العقلاء أن يتدبروا هذه الامور في سائر حالاتهم كما قال تعالى﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾(٨) فالمعلوم ان العبادة بالصلاة والصيام وغيرهما تلزمهم في حال، دون حال والعبادة بذكر الله ومعرفته والتفكر في نعمائه والقيام بشكر إفضاله تلزم في كل حال .

---

(١) [البقرة:١٥٧]. (٢) [البقرة:١٥٩].
(٣) [البقرة:١٦٠]. (٤) [البقرة:١٦١].
(٥) [البقرة:١٦٣]. (٦) [البقرة:١٦٤].
(٧) [النحل:٦٧]. (٨) [آل عمران:٩١].

وعلى هذا الوجه قال ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[1] فذم من لم ينظر في هذين: أحدهما التفكر في سائر ما خلق ليقرر به توحيده، والآخر التفكر في قرب الاجل وللحزر من ترك التوبة والاستعداد، فنبه تعالى على وجوب هذين في كل حال يذكرهما المرء .

وبعد ذلك قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾[2] وبين ان الذين آمنوا أشد حباً لله أي لعبادته وتعظيمه، وبين أن هؤلاء اذا رأو العذاب علموا أن القوة لله جميعا دون الأنداد ويتبرأ من اتبع ممن اتبعهم عند رؤية العذاب، والذين يتبعون يتمنون الرجوع مرة أخرى حتى يتبرأوا ممن تبرأ منهم، ثم بين انه يريهم أعمالهم حسرات عليهم ومن تفكر في هذه الآيات يستغني بتأملها عن كل تذكر .

ثم قال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ﴾[3] فشرط فيه كلا الشرطين ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[4] الذي يزين لكم اللهو والهوى فانه عدو مبين . فخالفوه الى ما هو حلال وان شق عليكم ثم قال ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[5] فحذر من الشيطان بهذا النوع من التحذير، وقبح قول من حكى عنهم اذا قيل لهم ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[6] فاختار تقليد الآباء واتبع طريقهم على ما بينه الله تعالى من الحق، ومثلهم بقوله ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾[7] فوصف المنعوق بأنه وان سمع فهو بمنزلة الصم البكم لما يؤثر قول من دعاه الى عبادة الله فيه .

---

(١) [الأعراف:١٨٥].
(٢) [البقرة:١٦٥].
(٣) [البقرة:١٦٨].
(٤) [البقرة:١٦٨].
(٥) [البقرة:١٦٩].
(٦) [البقرة:١٧٠].
(٧) [البقرة:١٧١].

وبين بعد ذلك ما أحل وما حرم فقال ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[1] وبين ان ذلك وما أشبهه هو الحرام الا للمضطر، وأعاد زجر من يكتم الحق ويشتري به ثمناً قليلاً، وبين انهم يأكلون في بطونهم ناراً تحقيقاً لما يستحقونه من العذاب، وانهم اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار، ثم أنه تمم هذا الزجر والوعظ بقوله ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[2] وبين أن ذلك غير مقبول إلا بأن يؤمن المرء بالله فيعرفه حق المعرفة، ويؤمن بالملائكة والنبيين، ويؤتى المال وهو يحبه ﴿ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[3] ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويوفي بعهد الله إذا عاهده، وبعهد الناس، ويصبر على البأساء والضراء، يعني فيما ينزل به من جهه الله من الشدائد والأمراض قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[4] وذكر في موضع آخر ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[5].

وبين تعالى حكم القصاص في آيات فقال ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[6] لان من تصور انه اذا قتل يقتل كف عن القتل فيبقى حياً من قتله، ثم ذكر تعالى فيمن يحضره الموت الوصية للوالدين والأقربين، وهذا وان نسخ وجوبه فهو مرغوب فيه من الثلث او ما دونه، ثم قال ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[7] ترغيباً في إزالة الخلاف وبقاء الألفة . ثم بين تعالى حكم الصيام في آيات كثيرة وأوجب صيام شهر رمضان على المقيم الصحيح وزجر عن خلافه .

[مسألة] فان قيل فلماذا قال ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾[8] .

وجوابنا : أن ذلك كان من قبل، فانه كان المرء مخيراً بين الصيام وبين الإطعام ثم نسخ بوجوب الصيام، وانما رخص في ذلك لمن لا يطيق أو لمن خاف من الصيام،

---

(١) [البقرة:١٧٣].
(٢) [البقرة:١٧٧].
(٣) [البقرة:١٧٧].
(٤) [البقرة:١٧٧].
(٥) [المائدة:٢٧].
(٦) [البقرة:١٧٩].
(٧) [البقرة:١٨٢].
(٨) [البقرة:١٨٤].

ودل تعالى بقوله ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(١) على انه اذا كان لم يرد التشديد في الصوم مع السفر والمرض رحمة بالعبد، فبأن لا يريد منه ما يؤديه الى النار أولى .

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾(٢) لم يرد به تعالى قرب المكان، وهذا كقوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٣) وكقوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾(٤) وكقوله ﴿ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ ﴾(٥) وذلك مثله يحسن في الكلام البليغ .

وقد يقول المرء لغلامه وقد وكله في ضيعة على وجه التهديد له : إني معك حيث تكون، يريد معرفته باحواله والله، تعالى بكل مكان على وجه التدبير للاماكن وعلى سبيل المعرفة بما يبطنه المرء ويظهره، فهذا معنى الكلام، ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون قريباً ممن بالشرق وممن بالغرب، وان يكون في الأماكن المتباعدة تعالى الله عن ذلك، فانه قد كان ولا مكان، وهو خالق الامكانية .

وبين تعالى انه يجيب دعوة الداع إذا دعاه لكن ذلك بشرط أن لا تكون فسادا، والذين يدعون لا يعرفون ذلك، فلأجل ذلك ربما الاجابة وربما لا تقع وربما تقدم وربما تؤخر، وقد كان من قبل يحرم على الصائم الأكل إلا عند الإفطار، ثم أباحه الله تعالى، وأباح غيره طول الليل، فهو معنى قوله ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾(٦) فقد كان من بعض الصحابة اقدم على الوطء ثم تاب من بعد ذلك، فهو معنى قوله ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾(٧) ثم أباحه بقوله ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾(٨) .

---

(١) [البقرة:١٨٥].
(٢) [البقرة:١٨٦].
(٣) [ق:١٦].
(٤) [المجادلة:٧].
(٥) [المجادلة:٧].
(٦) [البقرة:١٨٧].
(٧) [البقرة:١٨٧].
(٨) [البقرة:١٨٧].

وروي عن بعض الصحابة ومن بعدهم انه كان يبيح الأكل الى قريب من طلوع الشمس، والصحيح انه انما يحل الى طلوع الفجر الثاني وهو الذي عليه العلماء والظاهر يدل عليه .

[مسألة] وسألوا عن قوله ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾(١) فقالوا ان ذلك يدل انه استبطاء النصر من جهة الله فكيف يجوز ذلك على الأنبياء ؟.

وجوابنا : أنهم لم يقولوا ذلك استبطاء بل قالوه على وجه المسألة والدعاء، وخوفاً على ما يلحق المسلمين من جهة الكفار، فبين تعالى أن نصره قريب وأمنهم مما خافوه وذلك مما يحسن .

[مسألة] ويقال كيف يجوز أن يقول تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾(٢) وما كتبه الله علينا لا يجوز أن يكره لانه من مصالحنا ؟.

وجوابنا : أن المرء تنفر نفسه عن ذلك لما فيه من المشقة وليس المراد انه يكره ذلك كيف يصح هذا وقد أوجب الله تعالى أن يعزم عليه وأن يراد، وكذلك معنى قوله ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٣) والمراد به كراهة المشقة والنفار، والمراد بقوله ﴿ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾(٤) محبة الميل والشهوة، وقوله من بعد ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٥) يبين صحة ما ذكرناه وهو أنه عالم بالمصالح وبما يؤدي اليه ما يشق من المنافع، وبما يؤدي اليه ما يتلذذ به من المضار .

[مسألة] وقيل كيف يقول تعالى﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾(٦) إن في الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ منافع للناس مع الإثم العظيم ؟

---

(١) [البقرة:٢١٤].
(٢) [البقرة:٢١٦].
(٣) [البقرة:٢١٦].
(٤) [البقرة:٢١٦].
(٥) [البقرة:٢١٦].
(٦) [البقرة:٢١٩] .

وجوابنا : أنه لا يمتنع أن يحصل في شربه منافع ترجع الى مصالح البدن، فاما أن يراد به منافع الآخرة فالذي بينه من أن الإثم في شربه أكثر من نفعه يبطل ذلك، وهذه الآية من أقوى ما يدل على تحريم الخمر لان اثم شربها اذا كان كبيراً فيجب ان تكون محرمة ومعنى قوله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾[1] يدل على اباحة خلط أموالهم بأموالنا واستعمال الاجتهاد فيما يكثر منها ويحصل فيه النماء وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بأن ينظر في أموالهم متميزة من أموالنا وتطلب لهم فيها المنفعة .

[مسألة] وقيل كيف قال تعالى ﴿ وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾[2] ثم قال بعد ذلك ﴿ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾[3] وكذلك الفساق ربما دعوا الى النار ويحل نكاح نسائهم ؟.

وجوابنا : أن الكفار قبل قوة الاسلام في حال غلبتهم كان الله تعالى حرم نكاح نسائهم لهذه العلة، ثم أباح نكاح الكتابيات وقد قوي الاسلام وذلوا باداء الجزية، فخرجوا من أن يكون فيهم هذه العلة[4]، ولذلك قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[5] فنبه تعالى بقوله ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ﴾[6] على ان ذلك شرع متجدد .

وهذا قول عامة الفقهاء وان كان فى الناس من يحرم نكاحهن في هذا الوقت أيضاً، فأما الفاسق من جملة من ينتحل الاسلام فانه لا يوصف بانه يدعو الى النار .

[مسألة] وربما سألوا فقالوا قد قال ﴿ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾[7] ومع ذلك فعندكم ان الحرة الكتابية يقدم نكاحها على نكاح الأمة فكيف يصح ذلك ؟

---

(١) [البقرة: ٢٢٠]. (٢)،(٣) [البقرة: ٢٢١].

(٤) أضف إلى ذلك أن أهل الكتاب أصحاب دين سماوى وان كان قد حدث لديهم بعض التحريفات فى العقيدة، أما غيرهم من عبدة النار أو عبدة الأصنام والأوثان فلا يجوز نكاح نسائهم .

(٥)،(٦) [المائدة: ٥]. (٧) [البقرة: ٢٢١].

وجوابنا:ان المراد تقديم الأمة المؤمنة على الأمة الكافرة، فلا يدل على ما ذكرته، كأنه تعالى لما أباح نكاح الحرائر نفى تحريم نكاح الاماء منهن أصلا، أو تحريم تقديم نكاحهن اذا كنا إماء على نكاح الأمة المؤمنة، وقد حصل في الكتابية اذا كانت أمة النقص من وجهين، فلذلك تقدم الأمة المسلمة على نكاحها عند كثير من العلماء .

[مسألة] وسألوا عن قوله تعالى ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا﴾(١) قالوا فكيف يمنع من ذلك مع البر وذلك غير مكروه ؟.

وجوابنا : أن المراد أن لا تبروا، ومثل ذلك شائع في اللغة كقوله تعالى :﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾(٢) ومعناه أن لا تضلوا، وقد قيل ان المراد كراهة الاكثار من اليمين وان بر فيه الحالف، فيعظم ذكره جل وعز عن هذه الطريقة .

[مسألة] وسألوا عن قوله ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾(٣) فقالوا كيف يصح وقد يقع ذلك تعمدا ؟.

وجوابنا : أن المراد أنه تعالى لا يؤاخذكم به على حد المؤاخذة بالايمان اذا كان ذلك يقع منه لا عن قصد الى عقد اليمين وان كان قاصداً الى نفس الكلام، وهذا كما تعلم ان الأكل في شهر رمضان سهواً لا يؤاخذ به من حيث قصد نفسه الأول وان كان ذلك الأكل مما يقبح .

[مسألة] وسألوا عن قوله تعالى ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾(٤) فقالوا كيف يصح ذلك وقد ثبت في الخبر عن رسول الله ﷺ انه تعالى لا يؤاخذ أمته بما تحدث به نفسها ما لم تعمل به ؟.

وجوابنا : أن كسب القلب إذا كان من باب الاعتقاد أو من باب الارادة والكراهة يؤاخذ المرء به، وانما أراد تعالى بهذا الكلام مؤاخذة الحالف على ما يقصده اليه من الأيمان، والمراد أيضاً المؤاخذة في باب ما يلزمه فيه الكفارة .

---

(١) [البقرة:٢٢٤].
(٢) [النساء:١٧٦].
(٣) [المائدة:٨٩].
(٤) [البقرة:٢٢٥].

وليس لحديث النفس في ذلك مدخل ولا يؤاخذ المرء بحديث النفس اذا كان على وجه من التمنى فانه يتمنى، أن يرزقه الله تعالى مال زيد أو امرأة زيد اذا مات على وجه المباح، فالمرء الذي يعمل في ذلك عملاً غير محرم لا يكون عليه في ذلك اثم .

[مسألة] وسألوا فيما قيل ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾(١) فقالوا جعلها من شعائر الله وذلك يقتضى التعبد، ثم قال ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾(٢) وذلك يدل على الاباحة فكيف يصح ذلك ؟.

وجوابنا : ان في المتقدمين من قال أن المراد بذلك فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، كانه تعالى بين ان ذلك وان كان من الشعائر فليس بواجب، وفي الناس من قال قد كان المشركون يمنعون من ذلك أشد منع، فورد عن الله تعالى ازالة هذا المنع بقوله : ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(٣) ولا يمتنع أن ذلك ينصرف الى ازالة المنع من التعبد، ويقولون : قد صح عنه ﷺ انه قال : اسعوا فان الله كتب عليكم السعي .

وقوله ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٤) عقيب ذلك كالدلالة على ان ذلك تعبد، لكنه يقوي الوجه الأول في انه ليس بواجب . وبعد فان رفع الجناح يقتضي ان ذلك ليس بقبيح، ثم الكلام كيف حاله هل هو واجب أو ليس بواجب يقف على الدليل، فليس في الآية تناقض كما زعموا .

[مسألة] وسألوا عن معنى قوله ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾(٥) فقالوا كيف جعل له أن يقصر في حقها لمكان اليمين .

وجوابنا : انه تعالى منع من ذلك بقوله ﴿ فَإِن فَاءُوا ﴾(٦) فان المراد فان فاؤوا فيها وخالفوا ما اقتضاه يمينهم، فان الله غفور رحيم، فمنع الزوج من أن يفعل ما يقتضيه يمينه فالأمر بالضد مما سألوا عنه والمراد بقوله فان فاؤوا العود الى خلاف ما منع نفسه منه باليمين، وأباح له مع ذلك الطلاق اذا أراد بشرط أن لا يقصد الى مضارتها لمكان اليمين .

---

(١)،(٢)،(٣)،(٤) [البقرة:١٥٨].

(٥)،(٦) [البقرة:٢٢٦].

ثم بين انه ان طلق فعلى المطلقة العدة، وبين تلك العدة فبين ان في حال العدة لبعولتهن الرجعة ان أرادوا بذلك . وبين ان بعد الرجعة لهن حق، كما أن عليهن حقا، فبين كيف يطلق المرأة وكيف يخالع امرأته عند المضارة، فبين في الطلاق الثلاث انها تحرم الا بعد زوج، وان ذلك مخالف للطلقة والطلقتين . فبين تعالى ما فيه الرجعة مما لا رجعة فيه .

وبين أن هذه الحدود متي لم يتمسك المرء بها عظم اثمه، ثم بين في الآيات ما يلزمه من أدب الدين في أحكام الزوجات وأحكام الرضاع وأحكام العدة وغيرها الى قوله ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى ﴾[1] فاد وجوب المحافظة على هذه الوسطى ولم يبينها فربما يكون ترك بيانها أصلح كما نقول في ليله القدر لانها اذا لم تبين مفصلة يكون المرء أقرب الى ما يلزم في حق عبادته، وإن كان العلماء قد اختلفوا في ذلك فذكروا الصبح والظهر والعصر وذكروا المغرب والذي يقوي في الخبر هو العصر .

[مسألة] وقالوا كيف يقول ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[2] ثم يقول ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴾[4].

وجوابنا : أنه فصل تعالى بين حال الأمن وبين حال الخوف الشديد، لكن يتمسك المرء بالمحافظة وان لم يتمكن من القيام والتوجه في سائر الأركان كما يجب، فقد روي في الخبر ان المراد بقوله ﴿ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانـاً ﴾[5] مستقبلي القبلة وغير مستقبليها اذا كان حال المسايفة والمحاربه، ولذلك قال تعالى ﴿ فَـإِذَا أَمِنـتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾[6] أي كما حده وبينه من أركان الصلاة .

---

(١) [البقرة:٢٣٨].
(٢) [البقرة:٢٣٨].
(٣) [البقرة:٢٣٨].
(٤) [البقرة:٢٣٩].
(٥) [البقرة:٢٣٩].
(٦) [البقرة:٢٣٩].

[مسألة] وربما قيل ما حده الله تعالى في المعتدة عن وفاة زوجها من الحول الذي بينه في قوله ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ ﴾(١) كيف أن يكون منسوخاً بقوله ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾(٢) مع أنه المتأخر في القرآن فكيف يجوز في المنسوخ أن يكون هو المتأخر ومعلوم من حال الناسخ أن يكون آخراً ؟

وجوابنا : أنه متأخر في نظم التلاوة وهو متقدم في الانزال على الرسول ﷺ ، وهذا هو المعتبر وهذا بمنزلة ما يثبت أن الناسخ فيه مقارن للمنسوخ وان وجب أن يكون متأخراً . ومن إصحابه أيضاً أن ينزل تعالى المنسوخ أولاً ويتعبد بالتوقف فيه، ثم يرد الناسخ فعنده يؤمر بالعمل به ثم بالعمل بالناسخ ويكون معهما قرائن .

وجعل الله على النساء الفراق بالموت أو الطلاق أو الفسخ مدة عدم احتياط الانسان فاذا لم يقع الدخول فلا عدة في الطلاق وتجب العدة في الوفاة . وجملة العدة تكون في الوفاة أربعة أشهر وعشراً اذا لم يكن حمل، فان حصل الوضع قبلها انقضت العدة به، وفي الطلاق بانقضاء أيام الحيض وهي ثلاث حِيَضٍ واذا لم يكن ممكناً فبالشهور، وهي ثلاثة أشهر في الحرائر، وفي الاماء على النصف من عدة الحرة .

وكل ذلك ما لم يكن حمل فاذا كان فالعدة تنقضي بوضع الحمل وقد بين الله تعالى كل ذلك وبين أيضاً ما يجب للزوجات من نفقة وغيرها .

[مسألة] وقوله ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾(٣) وهو أمر بالاعتداء وكيف يجوز ذلك والاعتداء قبيح ؟.

وجوابنا : أنه تعالى أجرى اسم الاعتداء على ما هو مقابل له من الجزاء كقوله ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٤) ولا يجوز عليه تعالى أن يأمر بالاعتداء مع قبحه(٥).

---

(١) [البقرة:٢٤٠]. (٢) [البقرة:٢٣٤].
(٣) [البقرة:١٩٤]. (٤) [الشورى:٣٩].
(٥) المقصود هو رد الاعتداء بمثله، فالله سبحانه وتعالى يأمر برد الاعتداء لا بالعدوان .

[مسألة] وربما قيل كيف قال ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾(١) كيف يصح أن يريهم ذلك في الآخرة ؟.

وجوابنا : أنه يحتمل أن يريهم ذلك في الصحف، ويحتمل أن يريهم ثواب عملهم من الجنة لو كانوا قد أطاعوا، فاذا صرف ذلك الى غيرهم كثرت حسراتهم .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾(٢) وكيف يصح ذلك ويتعالى الله عن جواز الاتيان عليه ؟.

وجوابنا : أن المراد إتيان الملائكة أو متحملي أمره، كما قال تعالى في سورة النحل ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾(٣) وهذا كقوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢] والمراد رسل ربك .

[مسألة] وربما قيل كيف قال ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾(٤) ولا يجوز عليه أن يزين الكفر ؟.

وجوابنا : أنه لم يقل من الذي زين، والمراد الشياطين وغيرهم ممن يحسن ذلك للكفار، ويحتمل ان يراد ان الله تعالى زين الحياة الدنيا بالشهوات ليكون بالامتناع من ذلك مستحقاً للثواب، وهذا يكون من قبل الله تعالى لكنه يضيف الى ذلك النهي والزجر، ولذلك قال ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٥) .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾(٦) ومعلوم في الثلاثة والسبعة انها عشرة فأيّ فائدة في ذلك؟

وجوابنا : أن المراد انها كاملة في الاجر لانه كان يجوز ان يقدر ان الهدى أعظم أجرا من هذا الصيام إذا لم يجد الهدى، فبين تعالى انه مثل في الاجر، ويحتمل أن يكون المراد أن أجرها في الكمال كأجر من أقام على احرامه ولم يتحلل ولم يتمتع،

---

(١) [البقرة:١٦٧].
(٢) [البقرة:٢١٠].
(٣) [النحل:٣٣].
(٤) [البقرة:٢١٢].
(٥) [البقرة:٢١٢].
(٦) [البقرة:١٩٦].

وقد قيل ان المراد أن صوم السبعة وان فارق صوم الثلاثة فهو كامل، كما يكمل لو اتصل . وقيل ان المراد بكاملة مكملة فكأنه قال تعالى فاكملوا صومها وقيل إن المراد قطع التوهم بوجوب شيء آخر بعدها .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) ولا اتصال لذلك بما تقدم ؟

وجوابنا : أن المراد أنه سميع لقوله عليم بفعله رغب بذلك في الجهاد والقيام به كما يجب .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾(٢) وعندكم قد هدى الله كل الخلق ؟.

وجوابنا : أنه خصهم لما اختصوا بان قبلوا وعملوا كقوله في أول السورة ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾(٤) ولا يجوز عليه عندكم ذلك ؟

وجوابنا : أنه قول لم يدل على نفي ما ذكر، فدل بذلك على انه تعالى لا يشاء ما يكون قبيحاً من العنت وغيره .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله في قصة طالوت ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾(٥) وعنكم ان الملك في الظلم لا يكون من قبل الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد بالملك الاقتدار والنعمة والرأي الصادر عن العقل وكل ذلك من جهة الله، أما نفس الظلم فلا يكون من فعله وهو سيئة .

---

(١) [البقرة:٢٤٤].
(٢) [البقرة:٢١٣].
(٣) [البقرة:٢].
(٤) [البقرة:٢٢٠].
(٥) [البقرة:٢٤٧].

[مسألة] وربما في قوله عــز وجــل ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(١) ان ذلك يدل على ان كل غلبة من المحاربين من قبل الله .

وجوابنا : أن الإذن قد يراد به التخلية، وذلك يكون من قبله تعالى لأنه لا يأمر بما يقبح، فأما الغلب في الجهاد فإنه من قبل الله من حيث وقع بأمره وترغيبه .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾(٢) كيف قطعوا بذلك وهو حكاية عن طالوت والذين آمنوا معه ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك انه لا طاقة لنا الا من قبله على وجه الاتكال على الله تعالى واضافة الحول والقوة اليه، وقد قيل إن ذلك هو من قول أهل الشرك فيهم لا من المؤمنين .

[مسألة] وربمــا قيــل كيف قــال تعــالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم ﴾(٣) وكيف قال ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ ﴾(٤) أو ما يدل ذلك على انه يريد القتال من الكفار أيضاً وانه لم يرده من المؤمنين ؟.

وجوابنا : أن المراد مشيئة الاكراه والمراد لو شاء الله أن يلجئهم فلم يقتتلوا لكن لم يشأ ذلك بل مكن من الأمرين تعريضاً للثواب، وقيل إن المراد بذلك ولو شاء الله أن لا يقتتلوا بسلب عقولهم لفعل ذلك، لكن اختلفوا لما أعطاهم العقول في القدر ولما اختلفوا فلو شاء الله أيضاً ما اقتتل الذين بعدهم بأن يمنعهم من القتال بالقتال .

[مسألة] وربما إن قوله في قصة طالوت ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَــبْراً ﴾(٥) يـدل على ان الصبر من قبل الله وأنتم تقولون انه من فعل العبد .

وجوابنا : أنهم سألوا من الألطاف فيقوي نفوسهم على الصبر على القتال كما ذكرناه في قوله ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٦) [الفاتحة:٦] .

---

(١) [البقرة:٢٤٩].
(٢) [البقرة:٢٤٩].
(٣) [البقرة:٢٥٣].
(٤) [البقرة:٢٥٣].
(٥) [البقرة:٢٥٠].
(٦) [الفاتحة:٦].

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(١) وقالوا ان ذلك يدل على أن الاسلام من فعل الله فيهم .

وجوابنا : أن ذلك كقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾(٢) ومعلوم انهم لم يفعلوا فيهم الكفر لكنهم رغبوا ودعوا الى ذلك، فالمراد انه تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور بالألطاف التي يفعلها في هذا الباب، والاخراج من الكفر والايمان في الحقيقة لا يجوز، وإنما يذكر على وجه المجاز والتشبيه في انتقال الأجسام .

[مسألة] وربما قالوا ان قوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾(٣) يدل على انه تعالى عالم بعلمه وأنتم تقولون أنه عالم بذاته .

وجوابنا : أن المراد بذلك المعلومات، ولذلك قال ﴿ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾(٤) فأدخل فيه ما يدل على التبعيض وذلك لا يتأتى الا في المعلومات .

[مسألة] وربما قالوا كيف قال ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾(٥) أفما يدل ذلك على انه يستوي على الكرسي ؟.

وجوابنا : أن المراد بهذه الاضافة أنه مكان لعبادة الملائكة كما يقال في الكعبة إنها بيت الله، وقد قيل ان المراد بالكرسي العلم والقدرة، والاول أصح، أراد تعالى أن يبين قدرته على العظيم من خلقه لتعلم بذلك قدرته على ما عداه .

[مسألة] وربما قيل ان قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾(٦) يدل على جواز الشك على الأنبياء في مثل ذلك .

وجوابنا : أن طلبه لذلك أن يريه ذلك عياناً من غير تدريج كما يخلق تعالى الحي من النطفة والعلقه، لا أنه لم يعرف الله فطلب زيادة شرح الصدر ولذلك قال ﴿بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٧) .

---

(١)،(٢) [البقرة:٢٥٧].

(٣)،(٤)،(٥) [البقرة:٢٥٥].

(٦)،(٧) [البقرة:٢٦٠].

[مسألة] وربما قيل في قولـه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾[١] ان قوله بعد قول ذلـك الكـافر ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَـأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾[٢] يـدل علـى ان إبـراهيم انقطـع في القـول الأول وذلك لا يجوز على الأنبياء .

وجوابنا : في ذلك من وجوه :

(أحدها) أن خصمه المنقطع لأن إبراهيم عليه السلام أراد إحياء من لاحياة فيه فلم يكن له في ذلك حيلة وادعى الاحياء على وجه التبقية، ومع ذلك زاده بياناً آخر لا يمكنه التمويه فيه .

(وثانيها) أنه أراد إثبات الألوهية بأمر لا يصح منا، وذكر إحياء الميت لدخوله في هذه الجملة، فاذا عدل الى ذكر الشمس وطلوعها فانما عدل عن مثال الى مثال لأن الأمثلة تذكر للايضاح .

(وثالثها) أنه بين له انه لم يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب مع ان ذلك من جنس الحركات التي يقدر العبد عليها، فكيف يصح منه ما ادعاه في إحياء الميت .

(ورابعها) أنه استأنف له حجة أخرى لما انقطع في الأول ادعى ما هو خارج عن طوق الاحياء .

(وخامسها) أن المحاجة من الأنبياء تقع على طريقة الاستدعاء فلهم أن يؤدوا حالا بعد حال ما يكون أقرب الى الاستجابة، ولا يقع ذلك على طريقة المناظرة، واذا كان الله تعالى نبه المكلفين بذكر الأدلة على وجه التحقيق يكلهم بذلك الى التدبير والتفكر . فالأنبياء ﷺ مثل ذلك بحسب ما يغلب في ظنهم من تأثيره فيمن يخاطب بذلك فلذلك قال تعالى بعده ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾[٣] لانه في الفصل الثاني تحير ولم يتمكن من إيراد شبهته كما أورد في الفصل الأول (فان قيل) فلو إنه قال لإبراهيم ﷺ

---

(١) [البقرة:٢٥٨]. (٢) [البقرة:٢٥٨].

(٣) [البقرة:٢٥٨].

عند قوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾[1] إن كان الله تعالى يأتي بها من المشرق فليأت بها من المغرب فكيف يكون حاله ؟ (قيل له) لو قال ذلك يسأل ربه أن يأتي بها من المغرب حتى يصير مشاهداً لها، وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2] يدل على أنه أراد بالهداية الاثابة أو طريقة الجنة أو الألطاف التي هي زيادات الهدي فان الهدى الذي هو الدلالة قد هدى به الظالمين كما هدى به المتقين .

وفي هذه الآية دلالة على بطلان التقليد لانّ الأنبياء ﷺ اذا لم يقتصروا على قولهم بل استعملوا المحاجة مع خصومهم فكيف يسوغ لاحد في الديانات التقليد .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله في الذي ﴿ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾[3] وأي معنى في هذا السؤال ؟.

وجوابنا : التنبيه على قدرته تعالى لأنه ظن أنه لبث يوماً أو بعض يوم، فأراه الله تعالى في أمر الطعام والشراب والحمار ما عرف به قدرته، ولا يجوز في جوابه أن يحمل الاّ على الظن، لأن الميت لا يعرف مقدار ما بقي ميتاً إلى أن أحياه الله، وكل ذلك يظهر ويكون معجزة لبعض الأنبياء .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾[4] كيف يبطل ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد بطلان ثوابها بما يقع من المتصدق من المنّ عليهم وأذية قلوبهم نحو أن يقول المتصدق للفقير ما أشد إبرامك، وخلصنا منكم الله، الى ما يجري هذا المجرى، فأدب الله تعالى المتصدق بأن لا يكسر قلب الفقير فكما أحسن

---

(١) [البقرة:٢٥٨].
(٢) [البقرة:٢٥٨].
(٣) [البقرة:٢٥٩].
(٤) [البقرة:٢٦٤].

في الفعل يحسن في القول، ولذلك مثله ﴿ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ﴾[١] وأدب أيضاً بقوله ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾[٢] لان ما ينفق لله وطلباً للثواب يجب أن لا تكون منزلته دون منزلة ما يتلذذ به في الدنيا وهذا تأديب حسن . وأدب أيضاً بقوله ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ﴾[٣] فيبحث على البخل وترك الصدقة ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾[٤] فيبحثكم على الصدقة وعلى خلاف الفحشاء والمعاصي . ويحث الله تعالى أيضاً على إخفاء الصدقة بقوله ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[٥] والعلماء يقولون إن الأولى في الواجب أن يظهر، وفيما عداه أن يكتم فيكون أقرب الى أن يكون مفعولاً لذات الله تعالى .

وربما قيل ما معنى قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٦] مع أن الله تعالى بعثه هادياً ومبيناً .

وجوابنا : أن المراد ليس هو الدلالة لأن الله تعالى قال ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٧] بل المراد اللطف لأن ذلك ليس في مقدوره ﷺ ولا يعلم الحال فيه، فلذلك قال ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٨] ويحتمل ان يريد به الثواب لأن ذلك في مقدوره تعالى، فقد كان ﷺ يغتم إذا لم يؤمنوا فبين أن ذلك ليس إليه .

[مسألة] وربما قيل إن قوله ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾[٩] كيف يصح ذلك وعندكم ان الشيطان لا يقدر على مثل ذلك ؟

---

(١) [البقرة:٢٦٤].
(٢) [البقرة:٢٦٧].
(٣) [البقرة:٢٦٨].
(٤) [البقرة:٢٦٨].
(٥) [البقرة:٢٧١].
(٦) [البقرة:٢٧٢].
(٧) [الشورى:٥٢].
(٨) [البقرة:٢٧٢].
(٩) [البقرة:٢٧٥].

وجوابنا : أن مس الشيطان إنما هو بالوسوسة كما قال تعالى في قصة أيوب ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾(١) كما يقال فيمن تفكر في شيء يغمه قد مسه التعب، وبين ذلك قوله في صفة الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾(٢) ولو كان يقدر على أن يخبط لصرف همته إلى العلماء والزهاد وأهل العقول لا الى من يعتريه الضعف، وإذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة، فتغلب عليه المرة فيتخبط كما يتفق ذلك في كثير من الإنس اذا فعلوا ذلك بغيرهم .

[مسألة] وربما في قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾(٣) فجعله العلة ما يعتري من النسيان وذلك قائم في الرجلين أيضاً فكيف يقتصر عليهما في الشهادة ؟

وجوابنا : أن الأغلب في النساء لنقصهن جواز النسيان وليس كذلك في الرجال فلذلك فصل بين الامرين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾(٤) ان هذا يدل على جواز تكليف مالا يطاق وإلا لم يكن لهذه المسالة معنى .

وجوابنا : أن مسألة الشيء لا تدل على أن خلافه يحسن أن يفعل، يبين ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾(٥) ولا يجوز أن يحكم بغيره، وقول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾(٦) ولا يجوز أن يخزي الله تعالى الأنبياء فبطل ما ذكرته، وبعد فيجوز أن يكون المراد بذلك ﴿ وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا ﴾(٧) من العذاب في الآخرة والطف بنا حتى ننصرف عما يؤدي الى ذلك .

---

(١) [ص:٤١]. (٢) [إبراهيم:٢٢].
(٣) [البقرة:٢٨٢]. (٤) [البقرة:٢٨٦].
(٥) [الأنبياء:١١٢]. (٦) [الشعراء:٨٧].
(٧) [البقرة:٢٨٦].

سورة آل عمران

[مسألة] ربما قيل اذا كان في القرآن ما يخالف ما في التوراة والانجيل من النسخ وغيره فكيف يقال ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾(١) .

وجوابنا : أن الناسخ به لا يكون مخالفاً لأن المنسوخ تُعُبِّدَ به في وقت، والناسخ تُعُبِّدَ به بعد ذلك الوقت، فلا خوف فيه، وفي شريعتنا ناسخ ومنسوخ، وليس ذلك بموجب ان لا يصدق بعضه بعضاً .

[مسألة] ربما قيل في قوله ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾(٢) أفما يدل ذلك على ان ننظر فيهما كما ننظر في القرآن ؟

وجوابنا : أن من عرف تلك اللغة وأمن التحريف يحسن منه أن ينظر فيهما، لكنه لا يحتاج من حيث كان العقل والقرآن يغني عن ذلك، وانما يمنع من النظر فيها لما يجري من التحريف الذي لا يميزه مما لا تحريف فيه .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾(٣) كيف يجوز أن ينزل ما يشتبه والمراد البيان ؟.

وجوابنا : أن ذلك ربما يكون أصلح وأقوى في المعرفة، وفي رغبة كل الناس في النظر في القرآن إذا طلبوا آية تدل على قولهم، ويكون أقرب اذا اشتبه الى النظر بالعقل ومراجعة العلم، وهذا يجوز أن يعرف المدرس أنه إذا ألقى المسألة الى المتعلم من دون جواب يكون أصلح ليتكل على نفسه وغيره .

---

(١) [آل عمران:٣].
(٢) [آل عمران:٣-٤].
(٣) [آل عمران:٧].

[مسألة] وربما قيل فما معنى قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾(١) كيف يجوز في بعض القرآن أن لا يعلمه وإنما يؤمنون به وقد أنزله الله بياناً وشفاء ؟.

وجوابنا : أن في العلماء من يتأوله على ما تؤول اليه أحوال الناس في الثواب والعقاب وغيرهما، فبين تعالى أنه جل جلاله يعلم ذلك وهو تأويله، وأن الراسخين في العلم يؤمنون بجملة ذلك ولا يعرفونه، ولم يعن بذلك الأحكام والتعبد، وهذا كقوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾(٢) وأراد به المتأول، وقال بعض العلماء المراد أن الراسخين يعلمون أيضاً وهم مع ذلك يؤمنون به، فيجمعون بين الامرين بأنه قد يعلم معنى الكلام من لا يؤمن به وقد يؤمن به من لا يعلم معناه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾(٣) أي الراسخون في العلم ويقولون مع ذلك ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(٤) وكلا الجوابين صحيح .

وبيّن تعالى أن من في قلبه زيغ يتبع المتشابه كاتباع المشبهة والمجبرة ظاهرة ما في القرآن فذمهم بذلك . والواجب اتباع الدليل وليس في المتشابه آية إلا ويقترن بها ما يدل على المراد . والعقل يدل على ذلك فالله تعالى جعل بعض القرآن متشابها ليؤدي الى إثارة العلم والى أن لا يتكلوا على تقليد القرآن ففيه مصلحة كبيرة .

وقد قيل إن المراد لا يعلم تأويله على التفصيل عاجلاً أو آجلاً إلا الله تعالى، وإن كان الراسخون في العلم يعلمون ذلك على الجملة دون التفصيل .

[مسألة] وربما سألوا في قوله أول السورة ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾(٥) ويقولون إنه تعالى ذكر ذلك ثم كرره بقوله ﴿ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾(٦) وأنتم تمنعون من مثل هذا التكرار في كتابه الله تعالى .

---

(١) [آل عمران:٧].
(٢) [الأعراف:٥٣].
(٣) [آل عمران:٧].
(٤) [آل عمران:٧].
(٥) [آل عمران:٣].
(٦) [آل عمران:٤].

وجوابنا : أن المعنى والغرض اذا اختلفا لم يكن تكراراً ففي الاول بين أنه أنزل الكتاب بالحق وأنه مصدق لما بين يديه من الكتب، وفي الثاني ان التوراة والإنجيل كما جعلها هدى للناس كذلك الفرقان جعله هدى ومفرّقا بين الحق والباطل .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾(١) ما فائدة الشهادة منه تعالى ومن لا يعلم ويعرف بصفاته وعدله لا يوثق بقوله ؛ وكذلك شهادة الملائكة فيما الفائدة في ذلك ؟.

وجوابنا : أنه تعالى قد نبه على طريق معرفته في مثل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ ﴾(٢) وفي آية المحاجة لإبراهيم ﷺ وغير ذلك، فأراد تعالى أن يحقق التوحيد بذكر شهادة الملائكة والعلماء ومثل ذلك بعد البيان يكون مصلحة، وليس المراد بذلك الشهادة التي هي مثل البينات في الحقوق، بل المراد التنبيه على وضوح الشيء ووضوح أدلته وبعث السامعين على تأمل طريقته .

[مسألة] وربما قالوا في قوله ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾(٣) ان ذلك كالدلالة على أنه يزيغ قلوب البعض من العباد، وانه يصرفهم عن الهدى .

وجوابنا : ما تقدم من أن السائل قد يسأل ما المعلوم أنه تعالى لا يفعل خلافه فليس في هذه المسألة دلالة على أنه تعالى يفعل ببعضهم زيغ القلب كما ليس في قوله ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾(٤) دلالة على انه يحكم بالباطل، والمراد أنهم سألوا أن يلطف بهم في أن لا يزيغ قلوبهم بعد الهدى لأن المهتدى قد يحتاج الى الألطاف ليثبت على ذلك ويزداد هدى الى هدى .

[مسألة] وربما قالوا فعلى هذا التأويل سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في أن لا يزيغ قلوبهم عن الهدى وهو اللطف فيجب في قوله ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾(٥) أن يكون تكراراً لأنّ الاول أيضاً رحمة ونعمة .

---

(١) [آل عمران:١٨].
(٢) [البقرة:٢١].
(٣) [آل عمران:٨].
(٤) [الأنبياء:١١٢].
(٥) [آل عمران:٨].

وجوابنا : أن المسألة الاولى هي اللطف في باب الدين، والثانية في التفضل في المعجل في مصالح الدنيا فالمعنى مختلف .

[مسألة] قالوا لم ذكر تعالى في قوله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾(١) ولا تعلق لوصفه تعالى بأنه سريع الحساب بقوله ومن يكفر بآيات الله فكيف يصح ذلك ؟.

وجوابنا : أن المراد بالحساب المجازاة على ما يأتيه المرء لان العلماء في الحساب مختلفون، فمنهم من يقول المراد به بيان ما يستحقه المرء على عمله، ومنهم من يقول بل المراد نفس المجازاة، وعلى الوجهين جميعاً للثاني تعلق بالأول فكانه قال ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾(٢) المحاسبة له ولغيره فيظهره ما يستحقه ويحل به، وهذا نهاية في التهديد وفي بيان العدل لانه تنبيه على ما ينزل به من العقاب فهو بحسب ما يستحقه لانه يفعل به على وجه المجازاة، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣) لما كان من باب التفضل .

[مسألة] وربما قالوا عن قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٤) ما الفائدة في ذكر قتل الأنبياء بعد الكفر وقتل المؤمنين، ومعلوم انهم يستحقون العقاب على كفرهم وان لم يفعلوا شيئًا من ذلك ؟.

وجوابنا:أن ما بشر به من العذاب لا يجب أن يرجع الى مجموع ذلك بل يرجع الى كل خصلة منه فكأنه قال : إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِنْ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ (٥) فكمثل ذلك فلا يدل ذكر الكل على ما ذكره لأن الوعيد راجع الى كل واحد، وقد قيل إن الآية نزلت في اليهود الذين كان سلفهم بهذه الصفات.

(١) [آل عمران:١٩].
(٢) [آل عمران:١٩].
(٣) [آل عمران:٣٧].
(٤) [آل عمران:٢١].
(٥) هذه ليست آية قرآنية وانما يضرب مثلا للايضاح والشرح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾(١) إنه يقع من العباد فكيف أضافه الله اليه ؟.

وجوابنا : أن النصر قد يقع من العباد بعضهم على بعض، والأكثر منه ما يقع من الله بأمور يفعلها فتقوى القلوب عندها في الجهاد وغيره .

[مسألة] وقالوا في قوله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾(٢) الخ : اذا كان تعالى زينه فكيف يعاقب العبد على ما زينه له ؟.

وجوابنا : أنه تعالى لم يذكر من الذي زين فيحتمل أن يريد من يدعوا الى المعاصي من شياطين الانس والجن، ويحتمل أنه تعالى زين له بالشهوات وخلق المشتهى لكنه يضم الى ذلك فيما هو معصية التخويف والوعيد وذلك مما يحسن، ولذلك ذكر المال والخيل والأولاد ثم قال في آخره ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(٣) فرغب في الآخرة العاقبة وزهد في العاجلة، فلهذا تأولناه على ان المراد ما جبل العباد عليه من الشهوات واللذات، ولذلك قال بعده ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٤) ثم وصفها بما ذكر بعده وأضاف الى ذلك رضوان الله تعالى، ثم اتبعه بقوله ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٥) ليتصور المرء في كل ما يأتيه أنه تعالى مطلع عليه .

وذكر في وصف الجنة ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾(٦) والمراد بذلك انهن مطهرات مما ينفر في الدنيا من حيض وغيره، وقيل من الذنوب، والأول أقرب لأن فيهن من لم يكلف، ومن كلف منهن فليست الحال حال تكليف فيذكر ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾(٤) كيف يكون العلم وحصوله طريقاً للاختلاف المذموم ؟.

---

(١) [آل عمران:١٣].
(٢) [آل عمران:١٤].
(٣) [آل عمران:١٤].
(٤) [آل عمران:١٥].
(٥) [آل عمران:١٥].
(٦) [آل عمران:١٥].
(٧) [آل عمران:١٩].

وجوابنا : أن من علم فعاند وبغى فذلك يكون عقابه أعظم، فيحتمل أن يريد بذلك أهل الكتاب الذين عرفوا فعاندوا، ولذلك خص الله تعالى أهل الكتاب بالذكر، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾(١) الدلالة وما هو طريق العلم لان من قصر في النظر فيه يعظم عقابه، ويوصف بأنه قد بغى في ذلك .

[مسألة] وربما قالــوا في قــوله ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾(٢) فيقولون كيف يبطل بذلك محاجتهم ؟

وجوابنا : أن المحاجة إذا كانت بغير الحجاج لا تدفع إلا بمثل ذلك فاذا كان النبي ﷺ قد بيّن وكرر ذلك البيان ثم وقع منهم محاجة صح دفعها بمثل هذا الكلام، والواحد منا اذا بيّن لمن خالف الحق حالا بعد حال لصح من بعده ؛ وقد كرر على المخالف أن يقول أن أتوكل على الله وأستسلم له، وأسلمك فيما تأتيه الى خالقك، وربما يكون ذلك أوكد وأرفع لباطله ممن أراد الحجاج عليه حالا بعد حال ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾(٣) فنبه بذلك على أن الابلاغ قد تقدم منه ﷺ حالاً بعد حال.

[مسألة] وربما سألوا عن قوله ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾(٤) فقالوا أضاف تعالى ملك الملوك الى نفسه وانه يفصل بين الظالم والعادل وقال : مع ذلك ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾(٥) والطاعة أجمع من الخير فيجب أن تكون من فعله .

فجوابنا : أن الأصل في كل ملك هو العقدة والعقل والتمكين ولا يكون ذلك الا منه تعالى، وإنما يختلف حال الملوك فيما عدا ذلك، فمنهم من يفعل بعد ذلك أنواعاً من أنواع الظلم فيقوى بها . ومنهم من لا يتعدى . فإذا حملنا الملك على ما ذكرناه أولاً، وهو الأصل فكل ذلك مضاف الى الله تعالى، وهو الذي يؤتيه وهو الذي

---

(١) [آل عمران:١٩].
(٢) [آل عمران:٢٠].
(٣) [آل عمران:٢٠].
(٤) [آل عمران:٢٦].
(٥) [آل عمران:٢٦].

ينزعه فأما العز فلا يكون في الحقيقة الا من الله تعالى على كل حال، لان من يعز بالمعاصي فهو ذليل، ولذلك لا يعد الكفر عزاً وان كان بعضهم يعز بعضاً بذلك .

وبعد فانه تعالى ذكر أولا أنه مالك الملك وأن ما يملكه يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، فلا يدخل في ذلك مالا يضاف الى ملكه من ظلم الظلمة.

فأما قوله تعالى ﴿ بِيَدِكَ الخَيْرُ ﴾[1] فالمراد أنه لا وصول إلى الخير إلا بالله تعالى، وعلى هذا الوجه نقول في الطاعات إنها من الله لما كان المطيع لا يصل الى فعلها إلا بأمور من قبله وقصده بتلك الامور أن يفعل الطاعة فينال الثواب، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتَ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2] فذكر ما هو كالاصول لمنافع الخلق وسائر ما يصلون به الى الملك وغيره .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] كيف يصح ذلك ومعلوم من حال كثير أنهم يتخذونهم أولياء ؟.

وجوابنا : أن ذلك بمعنى النهي ولذلك قال بعده ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾[4] فإن قيل فما المراد بهذه الولاية . فجوابنا : انها الولاية الراجعة الى الدين دون ما يتصل بأمور الدنيا، لان للمؤمن معاملة الكافر ومعاوضته ومعاشرته في الاكل وغيره، وإنما يحرم عليه ان يتولاه في باب الدين بالمدح وبالذب عنه فيما يتصل بالدين .

[مسألة وربما قيل ما معنى قوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[5] إن المحذِّر غير المحذَّر منه فكيف يصح ذلك ؟.

---

(١) [آل عمران:٢٦].
(٢) [آل عمران:٢٧].
(٣) [آل عمران:٢٨].
(٤) [آل عمران:٢٨].
(٥) [آل عمران:٣٠].

وجوابنا : أنه تعالى يذكر نفسه على وجه التأكيد وطريقة اللغة تشهد بذلك، والمراد بذلك التحذير من عقوبته ليتوق المرء من المعصية لأجل ذلك، وذلك معقول في الشاهد لأن الوالد قد يقول لولده وقد نهاه عن العقوق وغيره، وأنا أحذرك نفسي، فاتق الله فيما تأتي وتذر ويعني بذلك المجازاة والتأديب، ولذلك قال بعده ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(١) لأن من جملة الرأفة هذا التحذير الذي هو طريق الثواب وزوال العقاب .

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٢) وذلك يدل على أنه يخصهم بهذا الفضل ؛ وذلك يوجب أن، فضلهم من قبل الله تعالى .

وجوابنا : المراد أنه اصطفاهم بالنبوة والرسالة وذلك لا يكون إلا من قبله تعالى وان كان جل وعز لا يختارهم إلا لأمور كثيرة كانت من قبلهم، وتكون أيضاً من قبلهم فيما بعد . وربما أورد ذلك من يقول إن الأنبياء أفضل من الملائكة . وجوابنا : أن المراد بذلك اصطفاهم بالرسالة على عالمي زمانهم، وذلك لا يتأتي في الملائكة لأن الملائكة كلها رسل على ما ذكره الله تعالى . واختلفوا في العالمين، فقال بعضهم يدخل فيه كل الخلق، وقال بعضهم العقلاء ومن هو من جنسهم، وقال بعضهم الناس دون غيرهم لانهم الذين يظهر فيهم الجمع والتفريق، ولذلك يقول القائل : جاء في عالم من الناس، ولا يقول جاء في عالم من البقر، وكل ذلك يزيل هذه الشبهة خصوصاً وقد ثبت بآيات كثيرة أن الملائكة أفضل كما ثبت أن نبينا ﷺ أفضل، فكما لا يمكن في هذه الآية أن يقال أن هؤلاء الانبياء أفضل من رسولنا ﷺ فكذلك ما ذكرناه في الملائكة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾(٣) أنه يدل على أنه جعلها صالحة لأنها لم تكن نبية ؟

وجوابنا : أنه تعالى خصها بولادة عيسى عليه السلام من بين سائر الأنبياء وذلك من قبل تعبدها .

---

(١) [آل عمران:٣٠].
(٢) [آل عمران:٣٣].
(٣) [آل عمران:٤٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾(١) كيف يصح تحرير ما في البطن ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك أنها نذرت أن يكون ما في بطنها مسلماً لله تعالى ذكراً كان أو انثى، موفراً على عبادة الله تعالى . وقد كان مثل ذلك من عبادات ذلك الزمان، فلذلك قال تعالى ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾(٢) ولذلك قال ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾(٣) وكل ذلك لما في المعلوم من أمر عيسى عليه السلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾(٤) ما الفائدة في ذكر ذلك .

وجوابنا : أن التعبد فيما يحرر من الحمل في الذكر يخالف التعبد في الانثى فلذلك قال ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾(٥) فبين حكم الأنثى وبين أنه مخالف لحكم الذكر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾(٦) كيف يجوز ذلك وليست نبية والمعجزات لا تظهر إلا على الانبياء ؟. فإن قلتم ظهر على زكريا فكيف يصح أن يسألها فتقول هو من عند الله وعليه ظهر ؟.

وجوابنا : أن ذلك من معجزات زكريا فإنما قال لها أنى لك هذا لا لأنه لم يعلم أن ذلك من معجزاته، لكن ليعرف حالها وما تعتقده في ذلك، فلذلك قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾(٧) لأنه عرف منها اليقين، فلما أعجبه ذلك سأل الله أن يرزقه ولداً فبشره الله بيحي على ما نطق به الكتاب .

---

(١) [آل عمران:٣٥].
(٢) [آل عمران:٣٥].
(٣) [آل عمران:٣٧].
(٤) [آل عمران:٣٦].
(٥) [آل عمران:٣٦].
(٦) [آل عمران:٣٧].
(٧) [آل عمران:٣٨].

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[1] كيف يصح ذلك وقد كان هذا الخبر موجوداً عند النصارى وغيرهم ؟.

وجوابنا : أنه ﷺ لم يخالطهم مخالطة يقف بها على تفصيل هذه الامور وكان كسائر العرب، فبيّن تعالى انه خصه بهذا الغيب ليعرف به صحة نبوته، ولذلك قال ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ ﴾[2] فحكى تفصيل ما كان يجري في أمر مريم وذلك من أعظم معجزاته ﷺ وربما قيل في قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ ﴾[3] كيف قالت الملائكة لها وليست نبية ؟. وجوابنا : أنها قالت في زمن نبي وهو زكريا، وذلك مما يجوز عندنا، وعلى هذا الوجه يحمل ما روى أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية الكلبي بحيث يراه الناس .

[مسألة] وربما قيل ما معنى يبشرك بكلمة منه ؟ وما فائدة تسمية عيسى عليه السلام كلمة مع انه جسم والكلمة لا تكون إلا عرضاً ؟.

وجوابنا : أن ذلك في وصف عيسى مجاز عندنا، والمراد أنه يكون حجة ودلالة كالكلام، وان كان في العلماء من يحمله على الحقيقة ويزعم أنه مخلوق من كلمة كن فهو اذاً كلمة، وربما جعلوه كلمة لا من جنس الكلام والذي قلناه أصوب .

[مسألة] ويقال كيف يجوز أن يتكلم في المهد وذلك مخالف للعادة ؟ وكيف يقوى لسان الصبي على الكلام ويتكامل عقله ؟.

وجوابنا : أنه من حيث خرج عن العادة صار معجزاً، وانما قواه الله على الكلام وأكمل عقله في ذلك الحال، وجعل ذلك معجزة لشدة الحاجة في براءة ساحة أمه عما كان يذكر عند ولادتها، ولو تأخر ذلك لكان مفسدة، ومتى ظهر ذلك منه وهو صغير كان أقوي في الباب وأبلغ، إنما يكمل عقله وقوته بعد ذلك، فالله تعالى هو قادر على ذلك في حال الصغر وإنما لا يفعل في غيره إلا في حال الكبر للعادة

---

(١) [آل عمران:٤٤].
(٢) [آل عمران:٤٤].
(٣) [آل عمران:٤٥].

والمصلحة . فان للآباء مصالح في نشوء الاولاد على هـذا الترتيـب ولـولا ذلـك لكـان الصغير كالكبير في جواز كمال العقـل، ولـذلك يختلـف كمـال العقـل فهـو في واحـد اسرع منه في آخر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ ﴾(١) لا يجوز ان يكون عيسى خالقا .

وجوابنا : أنه من حيث اللغة كل من قدر فعله ضرباً من التقدير يوصف بذلك، وان كان من حيث الشرع لا يطلق فيه بل يقيد، كما لا يقال إن فلانا رب دون أن يقيد بذكر داره وعبده، (فان قيل) أفكان يحيى الموتى كما أضافه الله تعالى إليه ؟ (قيل) له ليس كذلك لأنه تعالى أضاف اليه خلق الطير من الطين ولم يضف إليه الأحياء بل قال وأحيي الموتى بإذن الله فأضافه الى الله لما كان هو المحيي عند ادعائه النبوة، وإنما أضيف اليه من حيث كان هو السبب في ذلك .

وجعل من معجزاته أيضاً أنه ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم لأن مثل ذلك لا يعرفه الغائب إلا من جهة الله تعالى، فلذلك قال ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٣) كيف يصح مع أن الله لم يتوفه بل رفعه الله ؟.

وجوابنا : أن العطف بالواو لا يوجب الترتيب فرفعه الله ثم توفاه وذلك جائز أيضاً أن يكون توفاه من حيث لم يشعر به، ثم رفعه فأعاد حياته

وربما سألوا في ذلك عن قوله ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٤) وما الفائدة في ذلك؟

وجوابنا : أن المراد يطهرك من أعمال الكفار ومن أحكامهم ومن الاضلال بهم على وجه يؤثر في حال النبوّة . وربما سئل أيضا عن قوله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٥) فقيل ما معنى ذلك ومعلوم أن من اتبعه لا شك أنه فوق الكفار ؟.

---

(١) [آل عمران:٤٩].
(٢) [آل عمران:٢٩].
(٣) [آل عمران:٥٥].
(٤) [آل عمران:٥٥].
(٥) [آل عمران:٥٥].

وجوابنا : ان المراد أنه جعلهم فوقهم في كثير من مصالح الدنيا لان ذلك هو يصح الاشتراك فيه دون ما يتصل بأمر الآخرة مما لا يصح الاشتراك فيه بين المسلم والكافر ولذلك قال ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(١).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾(٢) فيقال انهم في الدنيا يتمتعون لا يلحقهم شيء من العذاب فكيف يصح ؟.

وجوابنا : أن ذلك في لكفار المخصوصين في أيام عيسى ﷺ فلا يمنع أن يلحقهم بعض عذاب الدنيا ولو لم يكن الا الذم واللعن والحدود، لكان ذلك كافيا في عذاب الدنيا، والكفار في ايامنا قد يلحقهم العذاب من القتل ومن أخذ الجزية الى ما شاكله واختلفوا فقال بعضهم في أمراضهم أنها تجوز أن تكون عذابا وإن كان في العلماء من يمنع ذلك .

[مسالة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣) كيف يكون يجوز أن يخلقه ثم يقول ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾(٤) وقد تقدم خلقه له وذلك يتناقض .

وجوابنا : أن المراد خلق آدم من تراب، ثم قال له كن حيًّا وعلى سائر الصفات، فالذي كونه من حياته وغيرها هو غير الذي خلقه من قبل . وكذلك القول في عيسى أنه خلق الصورة ثم قال له كن على هذا المثال، هذا متى حمل قوله كن على الحقيقة.

فاما إذا أريد بذلك أنه كوّنه حيًّا بعد أن خلق الشخص فلا تناقض في ذلك، وإنما بيَّن تعالى بأنه مثل آدم أنه مخلوق لا من شيء متقدم يجري مجرى الأصل له، كالنطفة والعلقة لتعرف قدرته على ابتدائه، وليعلم أصحاب الطبائع بطلان قولهم فقد كان في ذلك الزمان فيهم كثرة .

---

(١) [آل عمران:٥٥].
(٢) [آل عمران:٥٦].
(٣) [آل عمران:٥٩].
(٤) [آل عمران:٥٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾(١) كيف ترفع محاجة النصارى في عيسى إذ قالوا إنه الله، وانه إبن الله، ومحاجة اليهود إذ كذَّبوا بولادته من غير ذكر بالمباهلة التي ذكرها الله ؟.

وجوابنا : أن الحجة في إبطال قولهم إذا ظهرت ولم يقع القبول وعلم الله تعالى أن في المباهلة مصلحة لم يمنع ذلك، ومعلوم أن عند المباهلة والملاعنة يخاف المبطل فربما يكون ذلك من أسباب تركه الباطل، إما ظاهراً وإما باطنًا، ولذلك قال تعالى بعده ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾(٢) لأن ما ينذر ويخوف يوصف بذلك ثم قال ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٣) دفعاً لقول النصارى في باب التثليث ثم قال ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾(٤) .

ثم قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(٥) دفعا لقول النصارى ثم قال ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٦) ثم بيّن بطلان قولهم : إن إبراهيم كان على ملتهم بِقَولِهِ ﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٧) وبيَّن بقوله ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾(٨) إن المقلد والمبطل في المحاجة مخطئ لأنه يحاج فيما لا علم له به، وبعث بذلك على النظر في الأدلة لأن هذا الناظر العالم هو الذي إذا حاج غيره يكون محاجاً فيما له به علم .

وبيّن أن أولى الناس بإبراهيم من اتبعه ونبينا ﷺ لأنه على ملته في الحج وغيره وأنما وصف إبراهيم بأنه كان حنيفاً مسلما لأنه كان على هذه الملة وإن كان في

(١) [آل عمران:٦١].
(٢) [آل عمران:٦٢].
(٣) [آل عمران:٦٢].
(٤) [آل عمران:٦٣].
(٥) [آل عمران:٦٤].
(٦) [آل عمران:٦٤].
(٧) [آل عمران:٦٥].
(٨) [آل عمران:٦٦].

شريعة نبينا ﷺ زيادات وتفصيلات، وفي قوله بعد ذلك ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾(١) دلالة على أن الله تعالى لا يضل عباده ولا يخلق الضلال والكفر فيهم لانه لو كان كذلك لما نسب الاضلال الى أهل الكتاب ولما نسب إضلالهم الى أنفسهم .

[مسألة] ويقال كيف قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾(٢) ثم قال ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾(٣) كيف يكونون كفاراً بما يشهدون ؟.

وجوابنا : أن المراد انهم يكفرون بالآيات وهم يعرفونها ويشاهدونها فينصرفون عن النظر فيها ويتبعون الشبهة والتقليد، ولذلك قال بعده ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾(٤) ولا يمتنع انه كان فيهم من يعرف الحق في نبوّة نبينا ﷺ ويعاند، فقد كان فيهم من علم البشارة بمحمد ﷺ في الكتب وكانوا يلبسون ذلك على العامة، ثم ذكر بعده ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾(٥) يعني الألطاف وانه يخص بذلك من يشاء، من المعلوم أنه عند ذلك يختار الإيمان .

ثم بين تعالى بقوله ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾(٦) إن ليهم ألسنتهم بذلك من فعلهم لا من خلق الله فيهم، ولو كان من حق من ينسب ذلك اليه هو الله تعالى لوجب أن يقال هو من عند الله ولما صح أن يقول تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾(٧) ونزّه تعالى عيسى عن قول النصارى لقوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾(٨) فإن أكثر النصارى يقولون بعبادة عيسى ﷺ .

---

(١) [آل عمران:٦٩].
(٢) [آل عمران:٧٠].
(٣) [آل عمران:٧٠].
(٤) [آل عمران:٧١].
(٥) [آل عمران:٧٣].
(٦) [آل عمران:٧٨].
(٧) [آل عمران:٧٨].
(٨) [آل عمران:٧٩].

[مسألة] وربما في قوله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾(١) كيف يصح ذلك، قوله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾(٢) يدل على نفي الإسلام عنهم وقوله ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾(٣) يدل على إثبات الإسلام وهذا يتناقص .

وجوابنا : أن المراد بقوله ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾(٤) الإستسلام والإنقياد وليس المراد إختيار الدين والإسلام، فبين تعالى أنه قادر على أن يجعلهم كذلك لكنه لا ينفعهم إلا اذا اتبعوه اختيارا، فلذلك قال طوعا وكرها، وأمر نبيه ﷺ أن يقول ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾(٥) الى قوله ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾(٦) فبين أنه قد آمن ومع ذلك هو مسلم أي منقاد لله تعالى على وجه الاختيار وأن هذا هو الذي ينفع، وبيّن بقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٧) إن الدين كله هو الإسلام، والإسلام هو الدين وإن ما عدا ذلك ليس من الدين والإسلام، وبيّن أن من ليس بمسلم من الخاسرين في الآخرة.

[مسألة] وربما قيل كيف يقول تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾(٨) وعندكم أن الله قد هدى الكافرين ؟.

وجوابنا : أنه قد هداهم بالأدلة والمراد بهذا الهدى هو الثواب وطريق الثواب، وذلك قال بعده ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٩) فخصهم بنفي الهدى عنهم ثم بين ما نفاه عنهم بقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾(١٠) فبين أنه لم يهديهم إلى الجنة بل عاقبهم بهذه العقوبة .

---

(١) [آل عمران:٨٣].
(٢) [آل عمران:٨٣].
(٣) [آل عمران:٨٣].
(٤) [آل عمران:٨٣].
(٥) [آل عمران:٨٤].
(٦) [آل عمران:٨٤].
(٧) [آل عمران:٨٥].
(٨) [آل عمران:٨٦].
(٩) [آل عمران:٨٦].
(١٠) [آل عمران:٨٧-٨٨].

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾(١) وكيف يجوز أن يتوبوا فلا تقبل توبتهم مع بقاء التكليف ؟.

وجوابنا : أنه لم يذكر متى تابوا فيحتمل انهم كفروا ثم تابوا وأرادوا الكفر ومن ازداد كفراً فتوبته المتقدمة لا تؤثر، لانه قد أفسدها زيادة الكفر، ولذلك قال بعده ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾(٢) وهذا خبر عن قوم مخصوصين كان هذا حالهم فلا يمكن أن يقال ان توبة كل كافر لا تقبل، ويحتمل أن توبتهم عند المعاقبة لا تقبل .

وقد روى أيضاً أن الآية نزلت في قوم ارتدوا وقالوا ما نقيم أقمنا على ارتداد، فاذا حصلنا عند أهلنا أظهرنا التوبة لتقبل ذلك منا، فمن يظهر التوبة وباطنه بخلاف ذلك لا تقبل توبته، ومعنى قوله ثم ازدادوا كفرا انهم جحدوا بنبوّة محمد ﷺ .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(٣) وقد ينفق المرء مالا يحبه ويعد في البر ؟.

وجوابنا : أن كل ما يخرجه المرءُ من وجوه البر لا بد من أن يحبه المرء ويريد الانتفاع به، ولولا ذلك لم يستحق الثواب عليه، ويحتمل أن يريد تعالى ترغيب المرء في أن لا يتصدق الا بأحب الأموال وأنفسها كما قال تعالى ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾(٤) ولذلك قال بعده ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(٥) فيجازي بحسب ذلك .

[مسألة]وربما قيل ما معنى قوله﴿إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾(٦) والتحريم يكون من قبل الله تعالى لا من قبل الانبياء ؟.

وجوابنا : أنه لا يمتنع في شريعته أن يحرم على نفسه الشيء فيحرم، كما ان في شريعتنا أن نوجب على أنفسنا أشياء بالنذر فتجب، فهذا أقرب ما يتأول عليه، وذلك لأن

---

(١) [آل عمران: ٩٠].
(٢) [آل عمران: ٩٠].
(٣) [آل عمران: ٩٢].
(٤) [البقرة: ٢٦٧].
(٥) [آل عمران: ٩٢].
(٦) [آل عمران: ٩٣].

سبب التحريم والإيجاب من قبل العبد، وان كان الله تعالى أوجب ذلك، وهذا كما اذا أحرم المرء لزمه من المناسك ما كان لا يلزمه لولا إحرامه وذلك كثير في العبادات .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١) ومعلوم أن قبله كانت الدنيا والمنازل .

وجوابنا : أن معنى قوله ﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾(٢) ليعبد الله عنده فهو أول بيت وضع لذلك ولذلك قال ﴿ وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٣) في وصفه ولذلك قال بعده ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾(٤) ولذلك قال بعده ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(٥) وهذا ما أقوى ما يدل على أن الانسان قادر قبل أن يحج وقبل دخوله في الحج بخلاف قول المجبرة والقدرية .

[مسألة] وربما قيل فلماذا قال ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(٦) وما المراد بذلك؟ وما الفائدة في أنه غني عنهم اذا كفروا وهذه صفتهم لو آمنوا أيضاً؟

وجوابنا : أن المراد ومن كفر بأن جحد وجوب الحج وقصد هذا البيت وبين قوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(٧) ان ما لزمهم عند هذا البيت انما أوجبه لمصالحهم لئلا يقدر أنه تعالى يوجب لا لهذا الوجه، فلذلك أطلق قوله بأنه غني عن كل العالمين، وقد روى عن رسول الله ﷺ ان المسجد الحرام أول مسجد وضع، ثم المسجد الأقصى وروي أن اليهود فضلت بيت المقدس على الكعبة وفضل المسلمون الكعبة فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول المسلمين .

[مسألة] ويقال ما معنى قوله ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾(٨) ومعلوم ان هذين الامرين قد كفر بهما الخلق، وهما لا يوجبان ايمان المكلفين فما الفائدة في ذلك ؟

(١) [آل عمران:٩٦].
(٢) [آل عمران:٩٦].
(٣) [آل عمران:٩٦].
(٤) [آل عمران:٩٧].
(٥) [آل عمران:٩٧].
(٦) [آل عمران:٩٧].
(٧) [آل عمران:٩٧].
(٨) [آل عمران:١٠١].

فجوابنا : أن قوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾(١) هو على التوبيخ والذم لهم من حيث كفروا مع ظهور آيات الله وظهور أمر الرسول، مع أن ذلك يوجب الإيمان إيجابا وانما يقتضي أن يختار المرء للايمان وقد ظهرا واتضحا، ولذلك قال بعده ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) والمراد من يعتصم بكتابه وبرسله فيعمل بما يقتضيان العمل به ﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣) ومن لم يفعل فقد ضل وكفر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(٤) انه يدل على لزوم التقوى فوق استطاعته، فقد روى عن بعض من لا يحصل انه منسوخ بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾(٥).

وجوابنا : أن حق تقاته لا يكون إلا ما يستطيعون لأنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها فلا اختلاف بين الآيتين، ولذلك قال ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ ﴾(٦) فإن من حق تقاته أن يتمنى المرء حتى يمت مسلما، ولذلك قال بعده ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾(٧) فدل إلى الإجتماع أيضاً وعلى التقوى وترك الإختلاف فيه، ولذلك قال بعده ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾(٨) فإن من أعظم نعم الله زوال التحاسد والتباغض والتنافس عن القوم ولهذا قوى أمر الرسول ﷺ لما انقادوا له على عظم محلهم، وكان من قبل لا ينقاد بعضهم لبعض وحبل الله هو دينه وشرعه والتمسك بكتابه وسنة رسوله، ولذلك قال ﴿ وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(٩) ولذلك قال ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١٠) والمراد لكي

---

(١) [آل عمران:١٠١].
(٢) [آل عمران:١٠١].
(٣) [آل عمران:١٠١].
(٤) [آل عمران:١٠٢].
(٥) [التغابن:١٦].
(٦) [آل عمران:١٠٢].
(٧) [آل عمران:١٠٣].
(٨) [آل عمران:١٠٣].
(٩) [آل عمران:١٠٣].
(١٠) [آل عمران:١٠٣].

تهتدوا فدل بذلك على انه أراد الاهتداء من جميعهم وقوله تعالى بعده ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾(١) يدل على انه أوجب على طائفة ممن يهتدون بالآيات أن يدعوا الى الخير ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانهم المفلحون وهم العلماء الذين يدعون الى الله ولذلك قال ﷺ ، العلماء أمناء الرسول على عباد الله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٢) فيقال أفما يدل ذلك على ان ليس في المكلفين الا كافر ومؤمن بخلاف قولكم ان بينهما فاسقاً لا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ؟.

فجوابنا : أن ذلك إن دل على ما قلت فيجب أن يدل على أن ليس فيهم إلا كافر مرتد لقوله ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٣) وقد ثبت خلاف ذلك، واذا جاز اثبات كافر أصلي لم يذكره تعالى، جاز اثبات فاسق لم يذكره تعالى، ومعلوم ان الموحد المصدق بالله ورسوله اذا أقدم على شرب الخمر والسرقة والزنا لا يوصف بأنه مؤمن مطلقا، لأن المؤمن هو الذي يمدح ويعظم وهؤلاء يلعنون . ولا يوصف بأنه كافر لأن الكافر هو الذي يختص بأحكام من قبله وغيره وليس في اثبات وصفين دلالة على نفي ثالث واتبعه تعالى بقوله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٤) فبين أنه لا يريد إلا الحق ونزّه نفسه عن ارادة الظلم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٥) كيف يصح ذلك وفي جملة أمته الفساق ومن يفسد في الأرض ومن هذا حاله لا يوصف بهذا الوصف ؟ :

وجوابنا : أن ذلك إشارة الى أمة الرسول ﷺ في أيامه، والمراد أن الخيار فيهم أكثر والتفاضل إذا كان في جميع لا يراد به كل عين فمتى قيل أن أهل بلد أصلح من

---

(١) [آل عمران:١٠٤].
(٢) [آل عمران:١٠٦].
(٣) [آل عمران:١٠٦].
(٤) [آل عمران:١٠٨].
(٥) [آل عمران:١١٠].

أهل بلد آخر لا يراد به ذكر كل واحد بل المراد ما يرجع إلى جماعتهم من كثرة خيارهن وبيّـن ذلك بقوله ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(١) وذلك لا يرجع الى كل واحد .

وقد قيل أراد تعالى الصلاح فيهم فلا يدخل من عداهم فيه بدليل قوله من بعد ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ﴾(٢) فبين في هذه الآية أنها خالصة عن الشر، بخلاف أهل الكتاب وفي قوله ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾(٣) ما يدل على صحة الجواب الأول فنبه بأن الاكثر منهم فساق بخلاف هذه الأمة التي الأكثر منها أهل الخير .

ويقوى من يقول بالوجه الآخر قوله تعالى ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(٤) فدل ذلك على أن المراد بالأول من يختص بالخير دون أهل الشر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾(٥) ثم قال ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾(٦) كيف يصح ذلك والمعلوم من حال الكفار أنه ينتفع بما ينفقه في وجوه البر، ويكون ذلك تخفيفا في عقابه ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك ان ما ينفقه لا يحصل له ثمرته من الثواب، وإن كان عقابه أقل من عقاب كافر لم يفعل من البر ما فعله، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٧) وهذا دلالة على انه تعالى منزه عن الظلم، ولو كان هو الذي خلق الكافر وكفره ليدرجه الى النار لما صح هذا التنزيه .

---

(١) [آل عمران: ١١٠].
(٢) [آل عمران: ١١٠].
(٣) [آل عمران: ١١٠].
(٤) [آل عمران: ١١٣-١١٤].
(٥) [آل عمران: ١١٦].
(٦) [آل عمران: ١١٧].
(٧) [آل عمران: ١١٧].

[مسألة] وربما سألوا عن قوله ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم ﴾[(١)] والله تعالى قال بعده ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٢)] وذلك تناقض .

وجوابنا : أن المراد لو آمن من لم يؤمن منهم لانه لا يصح الا فيهم، وقوله ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)] يعني من تقدم ايمانهم فلا تناقض في ذلك .

[مسألة] وربما قالوا كيف يقول تعالى ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾[(٤)] والاذى هو الضرر، فكأنه قال لن يضروكم الا ضررا ؟.

وجوابنا : أن المراد أنهم لا يتمكنون إلا من الضرر اليسير بما يكون من كلامهم ولذلك قال بعده ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ﴾[(٥)] وقال ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾[(٦)] وبين أنهم لا يضرون المسلمين الضرر الذي يظنون، وإنما ينالهم من جهتهم التأذي فالكلام متفق .

[مسألة] وربما قيل ثم وصف جل وعز أهل الكتاب الى أن قال ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[(٧)] ثم قال ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾[(٨)] فما المراد بذلك وقد وصفهم بالكفر وبهذه الصفات ؟.

وجوابنا : أنه لما قصد وصف الكثير منهم بذلك بين أنهم يقاربون في ذلك لئلا يقدر بأن حالتهم واحدة، ويحتمل أن بعضهم آمن فلذلك قال ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾[(٩)] وقوله من بعد ﴿ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾[(١٠)] يقوى الوجه الثاني .

---

(١) [آل عمران: ١١٠].
(٢) [آل عمران: ١١٠].
(٣) [آل عمران: ١١٠].
(٤) [آل عمران: ١١١].
(٥) [آل عمران: ١١١].
(٦) [آل عمران: ١١٢].
(٧) [آل عمران: ١١٢].
(٨) [آل عمران: ١١٣].
(٩) [آل عمران: ١١٢].
(١٠) [آل عمران: ١١٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ ﴾(١) الى قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾(٢) كيف يجوز أن يحبهم مع نفاقهم ؟

وجوابنا : أن المنافق والكافر يلزمنا أن نحب صلاحه في الدين والدنيا، وإن كانوا لا يحبون شيئاً من مصالحنا، وهذا كما يريد تعالى صلاحهما وإن يلطف لهم وان كان هم لا يحبون طاعة ربهم وعبادته .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٣) كيف يصح أن يكون محيطا بعلمنا والاحاطة لا تجوز إلا على الأجسام وما يجري مجراها ؟

وجوابنا : أن المراد إحاطة علمه بما نعمل، وذلك مشبه بالجسم المحيط بغيره، فكما أن ذلك الغير لا يخرج عن ما أحاط به فكذلك أعمالنا لا تخرج عن أن تكون معلومة لله وذلك من الله تعالى ترغيب في عمل الخير وتحذير من المعاصي .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّـةٌ ﴾(٤) كيف يوصف الفضلاء من أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم أذلة ؟

وجوابنا : أنه تعالى نبه بقوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ ﴾(٥) على أن المراد بقوله ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾(٦) قلة العدد والعدة والآلات والخوف من غلبة الكفار ولم يرد الذل الذي يجري مجرى الذم والنقص ومنه يقال لقليل العدد، اذا كان في مقابلتهم الجيش العظيم انهم أذلة، ولذلك قال بعده ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾(٧) فبين انه نصرهم بهم وأخرجهم من أن يكونوا أذلة .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ﴾(٨) من ان صورة الملائكة بخلاف صورة البشر منا، فكيف يصح ذلك ؟

---

(١) [آل عمران:١١٩].
(٢) [آل عمران:١١٩].
(٣) [آل عمران:١٢٠].
(٤) [آل عمران:١٢٣].
(٥) [آل عمران:١٢٣].
(٦) [آل عمران:١٢٣].
(٧) [آل عمران:١٢٤].
(٨) [آل عمران:١٢٤].

وجوابنا : أنه تعالى يغير خلقهم حتى يكون الظاهر منهم مثل صورة الانس رجالا وركبانا، والله تعالى قادر على ذلك، وبهذا القدر لا يخرجون من أن يكونوا ملائكة لأن ما لأجله صاروا ملائكة من الصورة ثابت فيهم .

[مسألة] وربما سألوا فقالوا كيف يقال للكفار ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾(١) فيأمر نبيه بأن يبقوا على الكفر لانهم إن لم يبقوا عليه لم يموتوا بغيظ المؤمنين .

وجوابنا : أن ذلك بصورة الأمر، وهو دعاء بهلاكهم كما يقول الإنسان لن يخالف في الحق مت كمداً وذلك مشهور في اللغة .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾(٢) إن ذلك يدل على أن فعل المجاهد خلقه .

وجوابنا : أن المراد ان مجموع النصر لا يتم إلا بأمور من قبله وإن كان لا بد من سعي المجاهد وهذا كما تقول في فضل الإبن وعلمه أنهما من جهة الوالد، لما كان ذلك لم يتم إلا من قبله ولذلك قال بعده ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(٤) إنه قد نفى أن يكون له ﷺ فعل وصنع، وذلك بخلاف قولكم ؟

وجوابنا : أن المراد أنه ليس له في تدبير مصالح العباد وما يكون صلاحاً لهم في الدين شيء، لان كل ذلك من قبله تعالى وليس المراد نفي صنعه وفعله، وكيف يجوز ذلك وقد نصبه مبشراً ونذيراً وقال ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾(٥) وأضاف له الطاعة ومدحه بضروب المدح .

وقوله تعالى من بعد ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾(٦) يدل على ان المراد بذلك ما قدمنا لانه بين أن صلاحهم يحصل بالتوبة ولا يحصل بمحبته ﷺ .

---

(١) [آل عمران:١١٩].
(٢) [آل عمران:١٢٦].
(٣) [آل عمران:١٢٧].
(٤) [آل عمران:١٢٨].
(٥) [الزمر:٦٥].
(٦) [آل عمران:١٢٨].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(١) كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين، ويقولون فيمن ليس بكافر من الفساق إنه يدخله، وكيف يصح من العباد اتقاء النار، وهم يقهرون عليها ؟.

وجوابنا : أن المراد بقوله ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ ﴾(٢) اتقاء المعاصي التي توجب استحقاق عقاب النار، وذلك ظاهر إذا قيل للمرء اتق ربك واتق السلطان أن المراد اتقاء ما يؤدي الى تأدبهم، فأما قوله ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٣) فلا يمنع من كونها معدة لغيرهم لأن ذلك الشيء بحكمه لا ينفي أن ما عداه مثله، وهذا كقوله تعالى في وصف النار ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾(٤) ومعلوم أن من لا يوصف بذلك من الحور والأطفال يجنبون النار أيضاً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٥) كيف يصح في الجنة وهي في السماء أن يكون عرضها السموات والارض .

وجوابنا : أنه قادر في نفس السماء والارض أن يزيد فيها أضعافاً كثيرة، وكذلك يقدر على الجنة التي عرضها كعرض السماء والارض وزيادة على ذلك . وقوله تعالى بعده ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٦) وإن كان يدخلها من ليس بمتقي، فبطل قولهم انه لما ذكر ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٧) دل على أنه لا يدخلها سواهم، ثم بين تعالى صفة المتقين الذين يستحقون الجنة فقال : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾(٨) ثم قال تعالى بعده ﴿ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾(٩) ثم قال تعالى بعده ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(١٠) وكل ذلك ترغيب التمسك بطاعة الله وبالتوبة والانابة .

---

(١) [آل عمران:١٣١].
(٢) [آل عمران:١٣١].
(٣) [آل عمران:١٣١].
(٤) [الليل:١٧].
(٥) [آل عمران:١٣٣].
(٦) [آل عمران:١٣٣].
(٧) [آل عمران:١٣١].
(٨) [آل عمران:١٣٤-١٣٥].
(٩) [آل عمران:١٣٦].
(١٠) [آل عمران:١٣٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[(١)] فعم ثم قال ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(٢)] لماذا فرق بين الأمرين، وعندكم انه بيان للكل وهدى وموعظة للكل ؟.

وجوابنا : أنه بيان وهدى للكل لكنه تعالى في كونه بياناً عم، وفي كونه هدى وموعظة خص المتقين من حيث تمسكوا به، فصار كأنه ليس بهدى ولا موعظة الا لهم كما ذكرناه في أول سورة البقرة في قوله ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[(٤)] كيف يصح أن يقول ذلك في الكافرين وكيف يصح أن يقول ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[(٥)] والله تعالى عالم لم يزل قبل أن يمس القوم القرح الذي ذكره ؟.

وجوابنا : أنه تعالى قد قوّى الكافر ومكنه بالآيات وغيرها وأمره ونهاه كما فعل ذلك بالمؤمن، وانه خص المؤمن بالألطاف وغيرها فصح لذلك أن يقول في تلك الايام ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[(٦)] ولذلك قال بعده ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾[(٧)] وقال ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[(٨)] فجعل تعالى المداولة محنة على الكافرين ونعمة على المؤمنين، وأما ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[(٩)] فالمراد وقوع المعلوم، ونبه بذكر العلم عليه لما كان معلوم العلم يجب ان يكون على ما تناوله العلم، ولذلك قال الله تعالى بعده ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[(١٠)] فنبه بذكر العلم على وقوع الجهاد منهم لأن ذلك هو الذي يستحق به الجنة .

---

(١) [آل عمران:١٣٨].
(٢) [آل عمران:١٣٨].
(٣) [البقرة:٢].
(٤) [آل عمران:١١١].
(٥) [آل عمران:١٤٠].
(٦) [آل عمران:١٤٠].
(٧) [آل عمران:١٤٠].
(٨) [آل عمران:١٤٠].
(٩) [آل عمران:١٤٠].
(١٠) [آل عمران:١٤٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(١) كيف يصح أن يلقى الموت وهو ينظر ؟.

وجوابنا : أن المراد رؤيته أسباب الموت ومقدماته دون نفس الموت، لأن الميت لا يتمكن من أن يكيف الموت ويراه، وهو كقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾(٢) والمراد به المرض الذي يخاف منه، وهو كقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾(٣) والمراد الاضجاع الذي هو مقدمة الذبح . وربما سألوا في هذه الآية فقالوا أليس تمنيهم الموت هو تمني قتل الكفار لهم، وذلك مما يقبح فكيف يصح ذلك ؟.

وجوابنا : أن الموت غير القتل أو يكون من قبل الله تعالى لا من قبل الكفار، فيصح أن يتمنوه تخفيفاً للتكليف عليهم . فبعث بذلك على الجهاد لكي لا يزهدوا فيه خوف الموت وقد يتمنى ذلك على وجه لا يحصل معه من الثواب ما يحصل بالموت في الجهاد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾(٤) ان ذلك لا تعلق له بما تقدم من الترغيب في الجهاد ؟.

وجوابنا : أن المروي في ذلك انهم قالوا لما انهزم أصحاب النبي ﷺ أنه قد قتل فنحن نعود الى ديننا الأول، فقال الله تعالى ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾(٥) وقال أيضاً ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾(٦) فلما انهزمتم وقد رغبكم الله في الثواب العظيم ان انتم ضربتم وان أتى القتل عليكم .

---

(١) [آل عمران:١٤٣]. (٢) [البقرة:١٨٠].
(٣) [الصافات:١٠٢]. (٤) [آل عمران:١٤٤].
(٥) [آل عمران:١٤٤]. (٦) [آل عمران:١٤٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِـإِذْنِ اللَّـهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾[1] إن ذلك يدل على أن قتل الكفار لهم يوم أحد من قبل الله لا من فعل الكفار .

وجوابنا : أنه تعالى اراد بالإذن العلم والكتابة ولم يرد الأمر لأن الموت لا يؤمر ولا الميت يؤمر بالموت، ويحتمل اذنه تعالى الملائكة بالتوفي والإماتة وليس في الآية ذكر القتل، ولو دخل فيها كان لا يمتنع لان المجاهد في الاكثر يجرح ثم تكون الاماتة من قبل الله تعالى، وفي العلماء من يقول أنه وإن دخل فلا بد من وجود الموت من قبل الله تعالى فيه، ونبه بقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾[2] على أن اختيار الراحة بترك الجهاد ليس فيها إلا النفع المعجل، وفي المصابرة على الجهاد ثواب الآخرة فرغب تعالى بذلك في المجاهدة .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[3] بعد ذكر الموت وانه لا يكون إلا باذنه تعالى ؟.

وجوابنا : أنه أراد مجازاة الصابرين على الجهاد وجعل صبرهم على الجهاد شكراً من حيث عبدوه تعالى تقربا اليه وطلبا لمرضاته، وهذا كقوله تعالى ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[4] فجعل عبادتهم شكراً لله تعالى لما فعلوه تعظيما له كما يشكر المنعم على وجه التعظيم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾[5] [آل عمران:١٥١] كيف يصح ذلك ونحن قد نجد في الذين كفروا من لا رعب في قلبه، وربما يكون الرعب في قلوب المؤمنين ؟.

---

(١) [آل عمران:١٤٥].
(٢) [آل عمران:١٤٥].
(٣) [آل عمران:١٤٥].
(٤) [سبأ:١٣].
(٥) [آل عمران:١٥١].

وجوابنا : أنه لا كافر يلقى الحرب مع المسلمين إلا وفي قلبه رعب كما ذكره الله تعالى، لانه لا يرجع في مقاتلته لى دين يسكن اليه كالمؤمن، ولأن المؤمن يزداد لطفا الى لطف ويعرف ذلك عنه الكافر، وهذا كقوله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(١) وقيل إن ذلك نزل في كفار مخصوصين يوم أُحد وهم الذين قال الله تعالى بحقهم ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾(٢) فبين تعالى انه سيلقي الرعب في قلوبهم فيغلبهم المسلمون .

[مسألة] وربما قيل قد قال ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾(٣) وذلك في بوم أحد وهو كالدلالة على أنه تعالى يفعل فيهم الاقدار والصرف ؟.

وجوابنا : أنه تعالى ذمهم في قوله ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾(٤) فأراد انه يوم بدر أراهم ما يحبون لما لم يعصوا، ويوم أُحد عصوا وقد كانﷺ رتب لهم في مجاهدة الكفار ترتيباً خالفوه، فلما لم يثبتوا في المحاربة على ما رسمه لهم لم يلطف لهم لأجل المعصية، بل شدد التكليف عليهم فجاز ان يقول ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾(٥) ولذلك قال تعالى ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾(٦) أي ليمنحكم بمصالح العاقبة ثم قال ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾(٧) ولو كان الصرف من خلق الله تعالى فيهم لم يكن لذلك معنى، وانما ضمن لهم النصرة بشرط طاعة الرسول فلما خالفوه ولحقهم بذلك الغم الصارف جاز أن يصفهم تعالى بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾(٨) وفي من قوله من بعد ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾(٩) ان ذلك يدل على أن لا صنع للعبد .

---

(١) [محمد:١٧].
(٢) [آل عمران:١٥٢].
(٣) [آل عمران:١٥٢].
(٤) [آل عمران:١٥٢].
(٥) [آل عمران:١٥٢].
(٦) [آل عمران:١٥٢].
(٧) [آل عمران:١٥٢].
(٨) [آل عمران:١٥٤].
(٩) [آل عمران:١٥٤].

وجوابنا : أنه تعالى حكى عنهم ما ذمهم عليه وهو قوله ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾(١) فلا دلالة فيما حكاه عنهم فأما قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾(٢) فالمراد به ما يتصل بالنصرة والتمكين، ولولا ذلك لما أمرهم بالجهاد، ولما ذمهم على تركه، ولذلك قال بعده ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ ﴾(٣) فنبهْ على انه تعالى يعلم من حالهم ما لا يعلمه ﷺ، وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٤) ترغيب للرسول ﷺ في جميل الأخلاق ليكون قبولهم أقرب ويدل على أن صرفهم فعلهم لانه لو كان خلقاً من الله فيهم لما صح ان يقول ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾(٥) لانه لا يصح منا أن نشاور فيما يخلقه تعالى، ولما صح قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(٦) ولما صح قوله ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ﴾(٧) لأن ما يوجد في الغالب والمغلوب هو من قبل الله تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾(٨) كيف يصح ذلك على الانبياء ؟

وجوابنا : أن المراد ما كان له أن ينسب إلى ذلك في إحدى القراءتين، وفي القراءة الاخرى ما كان له ان يفعل فنزهه عن الأمرين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً ﴾(٩) كيف يصح ذلك وقد قتلوا وماتوا ؟.

وجوابنا : أن المراد شهداء يوم أُحد بين تعالى أنه قد أحياهم، فلا ينبغي أن يظن فيهم انهم أموات وذلك صحيح وقد قال بعضهم مثل ذلك في كل الشهداء إذا ماتوا على توبة وطهارة .

---

(١) [آل عمران:١٥٤].
(٢) [آل عمران:١٥٤].
(٣) [آل عمران:١٥٤].
(٤) [آل عمران:١٥٩].
(٥) [آل عمران:١٥٩].
(٦) [آل عمران:١٥٩].
(٧) [آل عمران:١٦٠].
(٨) [آل عمران:١٦١].
(٩) [آل عمران:١٦٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾(١) كيف يصح أن يبقيهم لتقع منهم المعاصي ؟.

وجوابنا : أن المراد عاقبة أمرهم وذلك كقوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾(٢) والا فمراده من جميعهم العبادة والطاعة كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾(٤) كيف يصح ذلك ممن يدين بالإله أن يقول ذلك ؟.

وجوابنا : أن حكاية الله تعالى عنهم وقد ثبت حكمته لا طعن فيه فمن سلم حكمته فلا كلام له وان لم يسلم دللنا على الأصل ولم نتكلم في الفروع فقد كان في العرب على ما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام من يقول ذلك حتى يجعل من الأنعام نصيباً من الله، ولا يمتنع في المشبهة أن يكون فيهم من يقول ذلك، فاذا جاز أن يدينوا بأنه تعالى رمدت عينه فعادته الملائكة إلى غير ذلك لم ينكر ما حكاه الله عنهم، ومن اليهود من يقول بنهاية التشبيه فيصح أن يكون هذا قوله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ ﴾(٥) فما الفائدة في أن كرر قوله ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ ﴾(٦).

وجوابنا : أنه قد حكى ان قوماً من اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس واجتماع كلمتهم على تكذيب الرسول ﷺ ومع ذلك يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه، فقوله أولا ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾(٧) أراد به ما ذكرناه أولا وقوله ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ ﴾(٨) أراد به ما ذكرناه ثانياً، ويصح ايراد ذلك اذا طال

(١) [آل عمران:١٧٨].
(٢) [القصص:٨].
(٣) [الذاريات:٥٦].
(٤) [آل عمران:١٨١].
(٥) [آل عمران:١٨٨].
(٦) [آل عمران:١٦٩].
(٧) [آل عمران:١٨٨].
(٨) [آل عمران:١٨٨].

الكلام بعض الطول فيكون من باب التوكيد الذي يحتاج اليه، ثم ذكر تعالى قوله ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ** ﴾[1] والمراد بذلك أن يعتبر الخلق بالنظر في ذلك ويستدلون به على الله تعالى، وقوله ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾[2] يدل على ان الواجب على المرء أن لا يفارق ذكر الله تعالى على اختلاف أحواله، ولذلك قال تعالى ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[3] ويقولون ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً** ﴾[4] ولو كان تعالى يخلق الظلم وسائر القبائح لما صح ذلك، ولما صح قوله ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾[5] لان معنى ذلك تنزيهه تعالى عن كل سوء كما روى عنه ﷺ .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[6] كيف يصح أن يسألوا ذلك وخلافه لا يجوز على الله تعالى ؟.

وجوابنا : أن المسألة بالمعلوم أنه تعالى يفعله تحسن اذا كان فيه فائدة للمكلف وعلى هذا الوجه يقول في الدعاء : اللهم صل على محمد، ويقول اللهم اغفر للمؤمنين، ولذلك قال ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم** ﴾[7] فبين أنه يفعل ذلك وأنه لا يضيع أعمال المكلف بل يجازي عليها على ما فيه من التفاضل والتفاوت، وفي ذلك اثبات العمل للعبد لأنه تعالى لو خلق ذلك لكان إنما يجازي على عمل نفسه والله تعالى عن ذلك .

---

(١) [آل عمران: ١٩٠].
(٢) [آل عمران: ١٩١].
(٣) [آل عمران: ١٩١].
(٤) [آل عمران: ١٩١].
(٥) [آل عمران: ١٩١].
(٦) [آل عمران: ١٩٤].
(٧) [آل عمران: ١٩٥].

سورة النساء

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى :﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾(١) ما الفائدة في ذكر الارحام مع ذكر الله ؟.

وجوابنا : أنه تعالى ذكر الارحام ليرغب الناس فيما يلزم من حقها وذكرها مع ذكره إعظاماً لذلك، ولذلك قال بعده ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢) يعلم ما تقدمون عليه في حق عبادته وما تفعلونه في حق ذوى الأرحام فهذا هو الفائدة .

[مسألة] وربما قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾(٣) وأي تعلق لهذا بحديث الأيتام ؟.

وجوابنا : أن في الرواية أن من كان يقوم بحق اليتامى كان ربما يطمع في تزوجهن والبسط في أموالهن ويقفون أنفسهم عليهن للطمع، فأباح الله تعالى هذا النكاح من غيرهن وحرم البسط في أموالهن، ولذلك قال من بعده ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا ﴾(٤) وقال بعده ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا ﴾(٥) وكل ذلك يؤيد .

ما قلنا وأمر من كان غنياً في أموال اليتامي أن يستعفف ومن كان فقيراً أن يأخذ من أموالهم ما يجري مجري الاجرة على ما يأتيه من الاحتياط في أموالهم، ثم قال تعالى ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾(٦) لأن ذلك هو الاحتياط من وجهين : أحدهما أن لا يقصر فيما سلف، والآخر ان يعرف حال اليتامى فيما دفع اليهم من إفساد وإصلاح .

---

(١) [النساء:١].
(٢) [النساء:١].
(٣) [النساء:٣].
(٤) [النساء:٣].
(٥) [النساء:٦].
(٦) [النساء:٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿لِلرِجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾[1] ما الفائدة في ذكر النساء مع الرجال وذلك معلوم ؟.

وجوابنا : أنهم كانوا من قبل يورثون الرجال دون النساء، وكان ذلك عادة لهم فأنزل الله تعالى ذلك ليعلم أن النساء كالرجال في حق الإرث، ثم بيّنه تعالى فيما بعد قطعاً لهم عن العادة المتقدمة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُوْلُوا القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[2] ما الفائدة في ذلك ولا حق لهم في التركة ؟.

وجوابنا : أنه كان قديماً مما أوجبه الله، كما كان تعالى أوجب الوصية للوالدين والاقربين اذا لم يرثوا، ثم نسخ بآيات المواريث فبين الله تعالى فيها حق كل ذي حق، وصارت هذه العطية مندوباً اليها، وتكون عطية من جهة الورثة، وندب تعالى الى حفظ المال لمكان الورثة بقوله : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾[3] وعلى هذا الوجه ثبت الحجر بالمرض المخوف لحق الورثة خصوصاً إذا كانوا ضعافاً، وبين في آيات المواريث ما أنعم الله تعالى به عليهم وان سببه موت المورث فذكر جملة المال وأنه يرثه من له حق التعصيب، إما بانفراده وإما مع الإناث،

وذكر في الانصباء الثلثين والنصف والثلث والربع والسدس والثمن فهذا جملتها التي يقع عليه القيمة في المواريث، ثم قال تعالى معظـما للتعـــدي في ذلك ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا ﴾[4] فأوجب النار لمن تعدى فيما يتولى جل وعز قسمته .

---

(١) [النساء:٧].
(٢) [النساء:٨].
(٣) [النساء:٩].
(٤) [النساء:١٣-١٤].

[مسألة] وربما قيل كيف أوجب تعالى فيمن يأتي الفاحشة من النساء الامساك في البيوت وقد أوجب فيهن الحدود والرجم ؟ وكذلك في اللذين يأتيان النساء أوجب الأذى مع ايجاب الحد ؟.

وجوابنا : أن ذلك كان قديماً ثم نسخ بالجلد والرجم فالجلد في البكرين، والرجم في المحصنين اذا حصلت شرط الاحصان، ويوجب تعالى في العبد النصف من الجلد وذلك مبين في كتب الفقه .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾(١) كيف يصح أن لا تفيد هذه التوبة ؟.

وجوابنا : أن ذلك ورد فيمن أيس من الحياة لأنه عند ذلك يصير المرء مُلجأً إلى ترك المعصية، وانما يقبل التوبة ممن يتردد بين خوف ورجاء فيشق عليه التوبة، فأما في حال الإلجاء فذلك لا ينفع، كما لا ينفع أهل النار التوبة والندامة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾(٢) ما الفائدة في ذلك ولا يحل أخذ المال من أحد كرها ؟.

وجوابنا : أنه انما خص النساء لما يحصل لهن من الاختلاط بالأزواج حتى يتوهم في مال أحدهما انه مال الآخر، فبيَّن تعالى أن ذلك لا يمنع من تحريم أخذ مالهن من دون الرضا، ولذلك قال ﴿ وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾(٣) والمراد بذلك المنع من الطمع فيهن، وعلى هذا الوجه حرم الله تعالى الخلع إلا عند ضرب من الخوف على ما ذكره في قوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾(٤) .

---

(١) [النساء:١٨].
(٢) [النساء:١٩].
(٣) [النساء:١٩].
(٤) [البقرة:٢٢٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾(١) كيف يصح ذلك، وأنما يحسن أن يكره ما يكون قبيحاً ولا يجوز أن يجعل الله تعالى في القبائح خيراً كثيراً ؟.

وجوابنا : أن المراد بالكراهية في هذا الموضع نفار الطبع لا الكراهة التي هى في مقابلة الارادة، فذكر الله تعالى ذلك في كراهة النساء بأن يكون نافر الطبع عن عشرتها، وبيّن أن ذلك إذا صبر عليه ربما حصل الخير الكثير في عاقبته، لأن المرء قد يكره بعض النساء في وقت ثم يتفق فيما بعد أن يعظم محبته لهن وانتفاعه بهن، فلا ينبغي لمن تزوج أن يقدم على ما يقتضيه نفار طبعه بل يتوقف ويتبصر لجواز تغير الحال عليه وعليهن، فهذا هو المقصد والله أعلم .

ويحتمل وعسى أن تكرهوا فراقهن ويكون في ذلك خير كثير على نحو قوله تعالى ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾(٢) ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾(٣) وبيّن أن ما يؤتيهن من الصداق لا يحل له أن يأخذ منه شيئاً .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾(٤) كيف يكون أخذه ما أعطاهن من الصداق بهتانا والبهتان من صفات الكلام فهو الكذب ؟

وجوابنا : أنه شبهه بالكذب من حيث كان أخذه كالنقض للعطية والخلف لها فعظمه الله تعالى بأن شبهه بالكذب الذي مخبره على خلاف ما هو به من حيث كان كالمتكفل بالعقد والدفع اليها بأن لا يأخذ ذلك، فاما كونه إثماً مبينا فبين، لأن وصفه وتجليه وظهوره مبين .

---

(١) [النساء:١٩].
(٢) [النساء:١٣٠].
(٣) [النساء:٢٠].
(٤) [النساء:٢٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] كيف استثنى ما سلف من هذا النهي ومثل ذلك يستحيل لأنّ ما سلف لا يصح أن يباح ويحظر ؟.

وجوابنا : أن النهي يتضمن التحريم وإذا كان محرما بالشرع في المستقبل وما سلف جرى على حد الاباحه لم يمتنع، ذلك فكانه قال ما نكح آباؤكم من النساء حرام عليكم إلا ما قد سلف فانه وقع مباحا، ويكون المعنى صحيحاً .

وقد قيل أن المراد به سوى ما قد سلف، كما يقول الرجل لمن ينهاه عن بيع متاعه بعد ان كان قد أذن له، لا تبع متاعي إلا ما بعته ويحتمل أن يكون المراد إلا ما قد سلف، فلا تؤاخذون به، وقوله بعده ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] يقوي التأويل الأوّل لأنه كانه قال : إن ذلك فاحشة دون ما سلف فإنه ليس كذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾[3] أليس ذلك يقتضي اباحة سوى من ذكر لقوله وأحل لكم ما وراء ذلك ؟.

وجوابنا : أنه قد دخل تحت الأمهات كل من له حظ في الولادة وذلك معلوم بالاجماع وان كان نفس اللفظ لا يوجبه لأن الأم اذا أطلق فالمراد به من لها الولادة خاصة وعلى هذا الوجه لم يعقل من قوله تعالى ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[4] الجدة .

فحرم الله تعالى على الانسان أمه وكل أم له بواسطة، وحرم عليه ابنته وكل إبنة له بواسطة، وكما حرم عليه ذلك حرم عليه الأخوات وأولادهن وان كان ذلك بواسطة، وحرم عليه بنات جده من العمات والخالات ولم يحرم أولادهن فجلة ما حرم من النساء لمكان النسب هذه السبعة .

وحرم بالنسب أيضاً سبعة فحرم حليلة الابن وحرم أمهات نسائه وحرم بنات نسائه وهن الربائب بشرط الدخول بالأم، وحرم الجمع بين الأختين .

---

(١) [النساء:٢٢].
(٢) [النساء:٢٢].
(٣) [النساء:٢٣].
(٤) [النساء:١١].

وحرم بالرضاع مثل ما حرم بالنسب، فقد روى عنه ﷺ أنه قال «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[١] وإن كان تعالى إنما نص على الامهات والأخوات وقد ثبت بالسنة تحريم الجمع بين العمة وبنت أخيها، والخالة وبنت أختها، وأجرى ذلك مجرى الجمع بين الأختين، فهذا هو طريق يبين ما حرم الله تعالى من النساء في عينهن وعلى وجه الجمع بين ما أحله من ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾[٢] ان ذلك يدل على ان المتعة تحل كما يحل النكاح ؟.

وجوابنا : أن من تعلق بذلك فقد اغتر بهذه اللفظة وانما أراد تعالى ان ما أحله من النساء محصنين غير مسافحين فله أن يستمتع ولم يذكر تعالى سبب الاستماع في هذه الآية، وقد ذكر من قبل في قوله ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[٣] فإنما أباح الاستماع بشرط النكاح على ما ذكرنا، ولذلك قال من بعد ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٤] وذلك لا يليق الا بعقد، وقد ثبت فيه الأجر المسمى، ولذلك قال ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ ﴾[٥] يعني بنقصان وزيادة، ولذلك قال ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾[٦] فكل ذا يزيل هذه الشبهة .

وانما ورد في الخبر المتعة وانه ﷺ أباحه في حال الضرورة ثم حرمه وقد حرمه الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[٧] وظهر عن الصحابة تحريم ذلك، فان عمر بن الخطاب خطب بتحريمه على المنبر وأصحاب رسول الله ﷺ متوفرون فصار ذلك كالاجماع .

---

(١) رواه فى أحمد المسند وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن عائشة، ورواه مسلم وأحمد والنسائى وابن ماجه عن ابن عباس وخرجه السيوطى غى الجامع الصغير وصححه .

(٢) [النساء: ٢٤].
(٣) [النساء: ٣].
(٤) [النساء: ٢٤].
(٥) [النساء: ٢٤].
(٦) [النساء: ٢٥].
(٧) [المؤمنون: ٥-٧].

وأنكر ذلك عليٌّ عليه السلام لما بلغه اباحة ذلك عن ابن عباس انكاراً ظاهراً، وقد حكى عنه رضي الله عنه الرجوع عن ذلك فصار حظره اجماعاً من كل الصحابة، وذكر تعالى عقيب هذه الآيات التي بيَّن فيها ما يحل وما يحرم من النساء ما يريد من العبادة فقال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴾(١) فبين انه يريد الهداية والبيان والتوبة والعبادة دون اتباع الشهوات، فأبطل بذلك قول من يقول إنه تعالى كما يريد الحسن يريد القبيح تعالى الله عن قولهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾(٢) كيف يصح أن يأكل مال نفسه بالباطل ؟.

وجوابنا : أن الله تعالى ذكر الاكل وأراد سائر التصرف، ويحرّم على المرء في مال نفسه أن يصرف فيه بالأمور المحرمة، وأن يسرف في ماله ويبذر وأن يتجر فيه بالربا وغيره، فهذا هو المراد .

فأما أكل مال الغير بالباطل فالامر فيه ظاهر ولذلك قال تعالى ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(٣) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(٤) كيف يصح النهي عن ذلك ومعلوم ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه ؟.

وجوابنا : أن المفسرين حملوه على ان المراد أن لا يقتل بعضهم بعضاً على حد قوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾(٥) وقد ذكر فيه أن المراد أن لا يتعرض المرء لاسباب التلف فيكون في حكم القاتل لنفسه على حد قوله : ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(٦) ويحتمل ان يكون المراد بذلك القتل الهلاك ويكون

---

(١) [النساء:٢٦-٢٨].
(٢) [النساء:٢٩].
(٣) [النساء:٢٩].
(٤) [النساء:٢٩].
(٥) [النور:٦١].
(٦) [البقرة:١٩٥].

معناه مفارقة المعاصي لأنها تؤدي الى الهلاك ولذلك قال تعالى بعده : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً ﴾(١) .

ثم بيَّن تعالى بعده ما يدل على ان الكبائر لا تغفر فقال : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾(٢) فشرط تعالى في تكفير السيآت التي ليست كبائراً اجتناب الكبائر فدل بذلك على أن المؤاخذة تقع بها ولا تقع المغفرة بنفس الكبائر وهذا أحد ما يدل على أن أهل الصلاة فيما يفعلون من الكبائر اذا أصروا عليها يؤاخذون وبها بالصغائر جميعاً، ودل قوله جل وعز ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(٣) أن تمني ما يكون حسداً يقبح وان الواجب على المرء أن يتمنى ما يدبر عليه في احوال الدنيا من نقصان وزيادة ولذلك قال : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾(٤).

وفي الروايات أن العادة كانت في الميراث وغيره أن يختص به الرجال في أول الاسلام فنزلت هذه الآية وعلم بها أن النساء كالرجال وأن لهن حقاً في الميراث وفي سائر أسباب التملك، ثم ذكر تعالى أن الواجب على المرء أن يسأل ربه ما يريده من الفضل في الدنيا ويعدل عن طريقة التمني، فلذلك قال ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾(٥).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾(٦) كيف يصح ذلك وبالمعاقدة لا يرث المرء ؟.

وجوابنا : أن ذلك قد كان في أول الاسلام ثم نسخ بآية المواريث كما قد كانوا يرثون بالهجرة ثم نسخ .

---

(١) [النساء: ٢٩-٣٠].
(٢) [النساء:٣١].
(٣) [النساء:٣٢].
(٤) [النساء:٣٢].
(٥) [النساء:٣٢].
(٦) [النساء:٣٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[(١)] كيف أوجب ذلك لأجل انه فضل بعضهم على بعض، ولأجل انفاقهم لأموالهم فقد تكون المرأة أفضل من الرجل وأكثر انفاقاً ؟.

وجوابنا : أنه تعالى جعل ذلك علة في جملة الرجال لا في آحادهم لأن الغالب انهم أفضل في التدبير والرأي وطلب المعاش من النساء في أحوال كثيرة، وانهم الذين يتولون الإنفاق، والعلة اذا صارت للجملة لم يطعن فيها بالنادر في الآحاد والله تعالى جعلهم بهذا الوصف في مقابلة انه جعل النساء حافظات للغيب على الرجال مؤتمنات على ما يتصل بتدبير المنزل، فلكل فريق في ذلك من الحظ ما ليس للآخر .

[مسألة] وربما قيل كيف يصح قوله تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾[(٢)] ومعلوم أن نشوزهن اذا زال بالوعظ لم يحسن الهجران والضرب، فكيف جمع تعالى بين الثلاثة ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك الترتيب لا الجمع فمن يؤمل زوال نشوز امرأته بالوعظ لم يحسن منه الهجران، ومن يرجو ذلك بالهجران لم يحسن منه الضرب، واذا لم يرج زوال إلا بالضرب على وجه التأديب يحسن منه ذلك،

فكأنه تعالى قال فعظوهن واهجروهن اذا لم ينفع ذلك أو اضربوهن ان لم يؤثر، ذلك وانما صح ذلك لأن مراد المرء فيما من غيره أن لا يقع ذلك، فإذا أمكنه التوصل الى أن لا يقع بالسهل لم يكن له أن يعدل الى ما فوقه .

وهكذا مذهبنا في النهي عن المنكر ومثل ذلك يتعلق حسنه باجتهاد المرء فكأنه تعالى بيَّن أن الذي يحسن منه عند نشوز المرأة أحد هذه الثلاثة على الترتيب الذي ذكرناه، ولذلك قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾[(٣)] فنبه بذلك على ان لا سبيل لكم عليها اذا أطاعت بالموعظة فدل بذلك على صحة ما ذكرناه .

(١) [النساء: ٣٤].
(٢) [النساء: ٣٤].
(٣) [النساء: ٣٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِياً كَبِيراً ﴾(١) بعد قوله ﴿ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾(٢) كيف تعلق ذلك بهذا النهي ؟.

وجوابنا : أنه تحذير من هذا الفعل لأن معنى قوله ان الله كان علياً كبيراً انه مقتدر على المؤاخذة بما نهاكم، عنه وكذلك قوله ﴿ كَبِيراً ﴾(٣) فحذر تعالى من المخالفة بذكر هذين الوصفين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾(٤) فما يدل على انه تعالى يفعل فيهما الموافقة، وان فعلهما من خلق الله تعالى .

وجوابنا : أن التوفيق لا يكون إلا من قبل الله تعالى، وهو الأمر الذي يدعو العبد الى الصلاح، فعند الشقاق أمر تعالى بالحكمين من قبل الرجل والمرأة، ثم بيّن أن ذلك معني وأن بذل الجهد غير التوفيق من الله، فليس الأمر كما قدروه بل يدل على أن فعل العبد من جهته لأنه لو كان من خلق الله تعالى فيه لاستغنى عن التوفيق، ولذلك قال تعالى في هذا التوفيق ان من شرطه أن يريدا اصلاحا لا فساداً ليتخفف ذلك الواقع من قبله تعالى .

[فصل] ولما بين لنا ما نعامل به النساء عند الصلاح وعند النشوز وعند الشقاق بيّن أيضاً ما يلزم المرء أن يفعله لصلاح دينه، فقال ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾(٥) وذلك يجمع كل العبادات والطاعات التي تختص به ثم قال ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾(٦) يجمع تعالى بذلك الإحسان إلى كل محتاج وإن كان بعضهم أقرب إلى المرء كنحو ذي القربي والجار الجنب والصاحب

---

(١) [النساء:٣٤].
(٢) [النساء:٣٤].
(٣) [النساء:٣٤].
(٤) [النساء:٣٥].
(٥) [النساء:٣٦].
(٦) [النساء:٣٦].

بالجنب وملك اليمين وبعضهم أبعد كنحو اليتامى والمساكين وابن السبيل فأمر بالاحسان الى الكل ثم من بعد ذلك نبه المرء على طريقة التواضع فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾(١) .

فهذه الآية جامعة لكل ما يحتاج المرء اليه فتدخل فيه العبادات بكمالها وضروب الاحسان والانفاق في سبيله والمنع من ضروب التكبر والعدول عنه الى التواضع فهو على اختصاره يجمع ما يدخل في المجلدات الكبار، ثم قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٢) فجعل ذلك من صفات من يكون مختالاً فخوراً فنبه بذلك على ان الانفاق هو الذي يخرجه من أن يكون فخوراً ومن أن يكون بخيلاً فالذي يخرج من ذلك لا يكتم ما آتاه الله من فضله فيرى شكوراً معترفا بنعم الله قولا وفعلاً فكل ذلك تأديب من الله تعالى في باب الدين .

وبين من بعد كيف ينبغي أن ينفق في ذات الله تعالى فقال ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾(٣) فرغب في ذلك حتى ختم الكلام بقوله جل وعز ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾(٤) فبين كيف يدبر المكلفين ولا يظلم أحداً منهم حتى يمنعه الثواب أو يزيد في عقابه، وبين انه في الحسنات يضاعف ثوابها، وبيّن أنه يؤتى المرء الاجر العظيم على ما ينزل به من الشدائد، ودل بقوله إنه لا يظلم مثقال ذرة على بطلان قول هؤلاء القدرية الذين يقولون لا ظلم الا من قبل الله وبخلقه وإرادته . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) [النساء:٣٦]. (٢) [النساء:٣٧].
(٣) [النساء: ٣٨-٣٩]. (٤) [النساء:٤٠]

ثم بيَّن تعالى أنه ﷺ يكون شاهداً على أمته بما يقع منهم من خير وشر، فحذر بذلك من المعاصي وأن المرء اذا علم ان الرسول ﷺ مع عظم محله يشهد عليه كان أبعد من المعصية، وبين أن شهادته تكون يوم القيامة وان ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ ﴾(١) فيتمنون أن يبقوا في التراب وفي القبر لما رأوه من العذاب ويصيرون بحيث لا يكتمون الله حديثاً حتى تشهد عليهم أيديهم وألسنتهم بما كانوا يعلمون، فلوا لم يتدبر المرء إلا هذه الآيات لكفاه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٢) كيف يصح ذلك والسكران لا يخاطب لزوال عقله؟

وجوابنا : أن المراد المنع من السكر الذي لا يمكن اقامة الصلاة معه لا أنه اذا سكر يؤمر وينهى هذا هو الوجه . وروى عن بعض الصحابة أنه جعل ذلك أول دلالة على تحريم الخمر، ودل قوله : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾(٣) على أن الصلاة لا تصح إلا بقول، فذلك احد ما يدل على وجوب الذكر والقراءة في الصلاة ويدل أيضاً على ان المصلي يجب أن يكون عالماً بصلاته وبقراءته متدبرا لها فلا يصلي وهو غافل،

ونهى تعالى الجنب ان يقرب الصلاة إلا عابر سبيل حتى يغتسل فدل بذلك على أنه متى لم يكن مسافراً لم تصح صلاته إلا بالاغتسال، ونبه جل وعز على أنه اذا كان مسافراً يجوز أن يصلي بلا اغتسال بل بالتيمم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وَجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ ﴾(٤) كيف يصح أولاً أن يكون القرآن مصدقاً لما معهم وكيف يصح في الوجوه أن ترد على أدبارها وذلك يخرجها من أن تكون وجوهاً ؟.

---

(١) [النساء:٤٢].
(٢) [النساء:٤٣].
(٣) [النساء:٤٣].
(٤) [النساء:٤٧].

وجوابنا : أن القرآن مصدق لكتبهم من حيث فيها البشارة بمحمد ﷺ، ومخالفة شريعتهم لما في القرآن لا تمنع من أن يكون مصدقاً، كما أن ثبوت الناسخ والمنسوخ في القرآن لا يمنع من ذلك .

فأما طمس الوجوه وردها على أدبارها فمن عظيم ما يخوف به المرء من المعصية، ولم يقل تعالى انه بعد ردها على ادبارها تكون وجوهاً لهم، ولو قيل ذلك كان لا ينكر لان صورة الوجه اذا لم يتغير أجرى عليه هذا الإسم .

وبين تعالى من بعد أنه لا يغفر ان يشرك به والمراد الإصرار على الشرك ثم أنه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(١) والمراد مع الإصرار واذا صح ذلك فإنما أراد أصحاب الصغائر دون أصحاب الكبائر لقوله تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾(٣) وليس في اليهود من يعبد الصنم ويؤمن به كيف يصح ذلك ؟.

وجوابنا : أنه ليس المراد بالجبت والطاغوت الأصنام، بل المراد به الشيطان والسحرة على ما روي عن الحسن وغيره، والمروي عن ابن عباس ان كعب بن الاشرف قال لقريش أنتم خير من محمد ووعدهم بمعونة عليه، فقالوا له : أنتم أهل الكتاب ولا نأمن ان يكون ذلك خديعة فان أردت أن نثق بقولك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل، فنزلت هذه الآية .

وقد قيل إن المراد به الكهنة والسحرة كقوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾(٤) وبعد فليس في قوله ﴿ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ ﴾(٥) انهم أهل كتاب، لان كثيراً ممن بعث اليه موسى وعيسى ﷺ يدخلون في هذا الوصف وإن لم يؤمنوا، فلا يدل على ما ذكروه .

---

(١) [النساء:٤٨].
(٢) [النساء:٣١].
(٣) [النساء:٥١].
(٤) [النساء:٦١].
(٥) [النساء:٥١].

وقد يقال لمن تبع طريقة من يعبدون الاصنام انه يؤمن بها، كقوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾(١) لما اطاعوهم وكل ذلك يسقط هذه الشبهة .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾(٢) ان ذلك يوجب تعذيب من لم يذنب، أو تعذيب بعض من العاصي لم يكن بعضاً له في حال الذنب، ويوجب أيضاً ان يصير الواحد من أهل النار على الايام في نهاية العظم بأن يخلق له الجلد حالا بعد حال، وكل ذلك لا يحسن .

وجوابنا : أن المراد بهذا التنزل أنه تعالى يغير ذلك الجلد عن صورة الإحتراق الى صورة الصحة، فيقال أنه بدل وإن كان الجلد ثانياً هو الذي كان أولاً، كما يقال في الماء أنه قد تغير وتبدل إذا صار ملحاً بعد ان كان عذباً ، وقد قيل ان الله تعالى يخلق جلداً بعد جلد ولا يوجب ذلك فساداً لان المعذب هو العاصي دون ابعاضه .

ويصح عندنا أن يعظم الله تعالى جسد أهل النار على ما روى في الخبر ويعذبون، وهذا كما يذم ويلعن الكافر وان صار بعد كفره سميناً ولا يؤدي الى العظم الذي ينكر، فانه تعالى كما يخلق جلداً بعد جلد يفنى ذلك حالاً بعد حال، ولذلك قال تعالى ﴿ لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾(٣) فجعل ذلك عذابا لهم لا للجلد .

[فصل] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾(٤) يدل على ان العبد هو الفاعل، والا لم يكن لهذا الامر معنى، ولا للوعظ فائدة إذا كان تعالى هو الخالق لرد الامانة وللحكم، وأي نفع في هذا الوعظ ان كان مراده تعالى ذلك ؟ وأي تأثير بهذا الوعظ حتى يصفه بهذا الوصف وحتى يمن تعالى على عباده بذلك ؟ وكذلك قوله تعالى من بعد : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(٥) لا يصح الا إذا كان العبد هو المختار لفعله، فيكون موافقاً لما في الكتاب ولسنة الرسول ﷺ ولطريقة العلماء .

---

(١) [التوبة:٣١].
(٢) [النساء:٥٦].
(٣) [النساء:٥٦].
(٤) [النساء:٥٨].
(٥) [النساء:٥٩].

وقد اختلفوا في أولى الامر منكم : فمنهم من قال الامراء، ومنهم من قال العلماء، وقوله من بعد : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(١) يدل على انهم الفاعلون لهذا الرد عند التنازع وإلا كان قوله ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾(٢) لا يفيد اذ الفائدة في ذلك ان إيمانكم بالله يقتضي امتثال أمره بهذا الرد .

وصف تعالى بعد ذلك المنافقين بأنهم يزعمون انهم آمنوا بالله والرسول ويريدون مع ذلك ﴿ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾(٣) والمراد بذلك شيطان الإنس أو الجن على ما تقدم ذكره ولذلك قال بعده ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾(٥) كيف يصح ان يكلفهم قتل أنفسهم مع ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه ؟.

وجوابنا : أن المراد قتل بعضهم لبعض كقوله تعالى : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾(٦) وعلى هذا الوجه تأوله المفسرون، ويحتمل ان يكون المراد التعرض لأسباب الهلكة، وقد يقال لمن يفعل ذلك أنه قتل نفسه، ولذلك قال بعده : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ﴾(٧) فنبه بذلك على أن الإيمان منهم مما يصح ويصح خلافه، وذلك يدل على أن ذلك فعلهم لانه لا يقال لمن لا يصح منه الا القيام فقط لو فعل القعود لكان خيراً له .

وبيّن من بعد حال المطيع بما يرغب نهاية الترغيب في الطاعة فقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً ﴾(٨) ثم رغب

---

(١) [النساء: ٥٩].
(٢) [النساء: ٥٩].
(٣) [النساء: ٦٠].
(٤) [النساء: ٦٠].
(٥) [النساء: ٦٦].
(٦) [النور: ٦١].
(٧) [النساء: ٦٦].
(٨) [النساء: ٦٩-٧٠].

تعالى في الجهاد فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً ﴾[١] ووصف بعده حال المنافقين بقوله ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٢].

ثم رغب تعالى في الجهاد وبيّن ان للمجاهد الثواب قتل أو غلب فقال : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾[٣] لأن الذي يحصل له هو لتحمله المشقة لأنه يقتل، وقتل الكفار له مصيبة، فبيّن أنه سواء قتل أو غلب فله الثواب الجزيل على ما تحمله من الكلفة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[٤] كيف يصح ذلك أن يحكى عن الولدان وهم لا يعرفون ربهم ؟.

وجوابنا : أنه تعالى ذكر جملة من يجب أن يهاجر ويتخلص من القرية الظالم أهلها، والمراد بقوله : ربنا أخرجنا من يصلح أن يقول ذلك، كما يقال إن أهل البصرة معتزلة، يقولون بالعدل والتوحيد، ويراد بذلك كبارهم وان لم يفصل، ولذلك قال ﴿ وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ﴾[٥] ومثل ذلك لا يقع من الولدان فهو كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾[٦] والمراد انه من تصح منه العبادة .

[مسألة] وربما قالوا كيف قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[٧] ما فائدة ذلك وقد علم كل أحد ان آخر أمره الموت ؟.

---

(١) [النساء: ٧١].
(٢) [النساء: ٧٢-٧٣].
(٣) [النساء: ٧٤].
(٤) [النساء: ٧٥].
(٥) [النساء: ٧٥].
(٦) [البقرة: ٢١].
(٧) [النساء: ٧٨].

وجوابنا : أنه تعالى يحث على الجهاد وبيّن ان المؤمن يقاتل في سبيل الله والكافر يقاتل في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

ثم بيّن أن من كتب عليهم القتال قالوا ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[(١)] وبيَّن ان حياة الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى، ثم بين أن الذي لأجله تحذرون الجهاد نازل بكم وان كنتم في القصور والبروج، فلا وجه لرغبتكم عن الجهاد مع الثواب العظيم حذراً من ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[(٢)] أو ما يدل على ان الحسنات والسيئات من خلق الله ؟.

وجوابنا : أن المراد بهذه الحسنة الخصب والرخاء وبهذه السيئة الشدة والأمراض، فقد كانوا يقولون في مثل ذلك انها بشؤم محمد ﷺ، ينفرون العوام عن اتباعه، ولذلك قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾[(٣)] والأمر يذهب في السيئات الى انها من عند غير المكتسب وغير الله، يدل على ذلك قوله تعالى من بعد : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[(٤)] وأراد بذلك ما يفعله المرء من الطاعة والمعصية، ولولا صحة ما ذكرناه لكان الكلام متناقضاً، ولقالت العرب لرسول الله ﷺ أنت تزعم في القرآن انه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وقد وجدنا ذلك، وانما عدلوا عن هذا القول لأنّ المراد بالأوّل المصائب والأمراض، وبالثاني المعاصي فأضافها الى نفس الانسان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[(٥)] كيف يصح أن يستثنى القليل وفضل الله ورحمته على الجميع ؟

---

(١) [النساء:٧٧].
(٢) [النساء:٧٨].
(٣) [النساء:٧٨].
(٤) [النساء:٧٩].
(٥) [النساء:٨٣].

وجوابنا : أن هذا الاستثناء قد اختلف فيه فقال بعضهم : إنه راجع الى ما تقدم وهو قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾[١] فكأنه قال أذاعوا به إلا قليلا منهم، وقال بعضهم هو راجع إلى قوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٢] إلا قليلا وقال بعضهم هو راجع إلى قوله ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾[٣] فكأنما كان يصح طعن هذا الطاعن لو لم يصح رجوع هذا الإستثناء الى هذا الوجه الآخر، فأما اذا صح رجوعه الى الوجهين الأوّلين فقد زال الطعن .

ومع ذلك فإنه يحتمل في هذا الفضل أن يكون المراد به اللطف في باب الدين فبيّن تعالى أنه لولا ذلك اتبعوا الشيطان إلا قليلاً فانهم مما لا لطف لهم، وإذا لم يكن لهم لطف لم يكن لفعل ذلك بهم معنى، فهم يطيعون مع عدم هذا الفضل، فهذا الطعن زائل على كل وجه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ ﴾[٤] إن ذلك يقتضي أنه المخصوص بتكليف الجهاد .

وجوابنا : أن المراد أنه لم يكلف هو الجهاد إلا في نفسه، ولم يكلف جهاد غيره، وانما كلف في غيره البعث على ذلك والأمر به، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٥] .

[مسألة] وربما قل في قوله تعالى ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾[٦] أنه يدل على انه يضل الكافر .

---

(١) [النساء:٨٣].
(٢) [النساء:٨٣].
(٣) [النساء:٨٣].
(٤) [النساء:٨٤].
(٥) [النساء:٨٤].
(٦) [النساء:٨٨].

وجوابنا : أن ذلك دليلنا لأنه تعالى قال في المنافقين ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾[١] فبين تقدم نفاقهم وبيّن نزول اللعن بهم، ثم قال ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا ﴾[٢] وأراد هنا الثواب والمدح من أضل الله على ما تقدم من كفره، وقد بيّنا ذلك في أول الكتاب .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً ﴾[٣] أنه يدل على أن له أن يقتل خطأ .

وجوابنا : أن المراد أن إيمان المؤمن لا يثبت مع قتل المؤمن، وقد ثبت مع قتل الخطأ فكأنه قال لا يصح وهو مؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يكون قتله خطأ، ثم بيّن حكم قتل الخطأ في الكفارة وقد قيل أن المراد لكن أن قتله خطأ . أنه استثناء منقطع والأوّل أبين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[٤] أفما يدل ذلك على أن توبة قاتل العمد لا تقبل كما روى عن بعضهم ؟.

وجوابنا:أنه تعالى قد قدر في المعقول أن التوبة من كل المعاصي مقبولة وبيّنه أيضاً في القرآن بقوله ﴿إِلاَّ مَن تَابَ﴾[٥] في سورة الفرقان بعد تقدم ذكر الكفر والقتل والزنا،

فالمراد إذاً فجزاؤه جهنم إن لم يكن معه توبة بيّن ذلك قوله ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾[٦] ومعلوم من حال التائب انه حبيب الله وأنه لا يلعن ولا ينزل به الغضب من الله بل يناله الرضا من جهته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٧] ما فائدة هذا التخصيص وهو عالم بسرائر القلوب ؟.

---

(١) [النساء:٨٨].
(٢) [النساء:٨٨].
(٣) [النساء:٩٢].
(٤) [النساء:٩٣].
(٥) [الفرقان:٧٠].
(٦) [النساء:٩٣].
(٧) [النساء:٦٣].

وجوابنا : أن ذلك تهديد من الله تعالى وإذا خص قلوبهم بالذكر كان أقوى، ولا يمنع من كونه عالماً بكل شيء، إذ العادة جارية في الوعيد أن يخص، كقول القائل لوكيله احذر مخالفتي فإني عالم بما تأتيه .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾(١) .

وجوابنا : أن ذلك كالدفع لتقدير من يقدر أن المراد في اكتسابها للطاعات ناقصة عن الرجل كنقصان حظها في الميراث، فبيّن تعالى ان حالهم في الآخرة لا تختلف، فلذلك قال من بعد ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾(٢) فبيّن أنه في مصالحهما لا يتغير ما يفعله كما لا يتغير ما يستحقانه من الثواب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ﴾(٣) لماذا كرر والمراد واحد ؟ ولماذا قال ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ ﴾(٤) ولم يقل بهما ؟.

وجوابنا : أن من المعاصي ما يكون خطأ، ومنها ما يكون عمداً، فالإثم لا يكون إلا عمداً، والخطيئة قد تقع وهو غير عالم بها، وذلك نحو أن يأكل ويعلم أنه صائم، وأن يأكل ولا يعلم ذلك، إن كان في الأمرين قد يكون عاصياً فلذلك ذكرهما تعالى، ومعنى قوله ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ ﴾(٥) أي يرم بذلك فأشار إلى ما تقدم، فلذلك لم يقل بهما .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾(٦) كيف يشهد على نفسه ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك ليس الشهادة التي تؤدى، بل المراد المعرفة بما يأتي ويذر، فأوجب أنْ يعرف من نفسه ما يكون معروفاً وما يكون منكراً فيتركه ويتوب كما ينكر ذلك على غيره، ولذلك قال بعده ﴿ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ

(١) [النساء:٣٢].
(٢) [النساء:٣٢].
(٣) [النساء:١١٢].
(٤) [النساء:١١٢].
(٥) [النساء:١١٢].
(٦) [النساء:١٣٥].

فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعْدِلُوا ﴾[١] وتوعدهم بقوله ﴿ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[٢] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٣] كيف يصح ذلك ؟.

وجوابنا : أن المراد من آمن فأمره الله أن يدوم على ذلك ويثبت عليه في المستقبل ويحتمل أن يريد مجموع ما ذكره في قوله : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[٤] ان مجموع ذلك ربما لا يحصل للكثير من المؤمنين، ولذلك قال بعده ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[٥] فتوعد بكل ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً ﴾[٦] هلا قال علمت وذلك مما يعلم ؟.

وجوابنا : أن النشوز من الزوج وإن ظهر فإن ذلك يبدو منه لا محالة ولا يعلم وإنما يخاف، ولأجل ذلك يستحب الصلح، فلذلك ذكر الله تعالى الخوف دون العلم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[٧] كيف يصح ذلك والكثير منهم مات على كفره ؟.

وجوابنا : أنه خاص بقوم منهم، ويحتمل أن يكون المراد عند المعاينة يعرفهم الله تعالى ذلك ويؤمنون به وإن كانوا ملجئين إلى ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ ﴾[٨] كيف يصح لأجل ظلمهم أن يحرم عليهم، ولهم في اجتناب ذلك ثواب وهو نفع لهم فكيف يعاقبون به ؟.

---

(١) [النساء:١٣٥].
(٢) [النساء:١٣٥].
(٣) [النساء:١٣٦].
(٤) [النساء:١٣٦].
(٥) [النساء:١٣٦].
(٦) [النساء:١٢٨].
(٧) [النساء:١٥٩].
(٨) [النساء:١٦٠].

وجوابنا : أن المراد ان عند ظلمهم كان الصلاح تحريم ذلك الا انه عقوبة، لان التكليف نعمة وليس عقوبة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾(١) كيف قال تعالى بعده ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ ﴾(٢) وذلك لا يجوز في اللغة ؟.

وجوابنا : أن بعضهم قال : هو نسق على ما التي في قوله بما أنزل اليك، فكانه قال انهم يؤمنون بما أنزل اليك وبالمقيمين الصلاة، وقيل أيضاً قال بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة المقيمين الصلاة، وقيل كانه قال ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، وقيل كانه قال وبإقام الصلاة وقيل لما طال الكلام نصب المقيمين على وجه المدح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾(٣) أليس ظاهر الآية أنه يخص من يشاء بالتزكية ؟.

وجوابنا:أن التزكية من الله هي المدح والثناء وذلك لا يكون إلا من قبله أو بأمره.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾(٤) أليس يدل على أنه هو الذى أضل وأنه لا سبيل لمن ضل الى الهدى ؟.

وجوابنا : أن المراد من أضله الله عن الجنة لا يصح أن يهديه إلى الجنة والثواب وقد حكم عليه بالعقاب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴾(٥) أنه يدل على أن يسلط الكفار على المؤمنين .

وجوابنا : أن المراد به لو شاء لفعل لكنه لا يفعل لقبحه وذلك جائز عندنا .

---

(١) [النساء:١٦٢].
(٢) [النساء:١٦٢].
(٣) [النساء:٤٩].
(٤) [النساء:٨٨].
(٥) [النساء:٩٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[١] ان ذلك يوجب انه تعالى جسم يحيط بالأشياء .

وجوابنا :ان المراد إحاطة العلم لقوله تعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[٣] كيف يصح ذلك وقد أمرنا أن نعدل بين النساء ؟.

وجوابنا : أن المراد بذلك أن لا نستطيع أن[٤] نعدل بينهن في الشهوة والمحبة لا فيما يتصل بالنفقات والقسم وغيرها[٥] وروي عن رسول الله ﷺ انه قال : « هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك » فانه ﷺ كان يقسم الليالي بين نسائه على السواء لكنه فيما يرجع الى شهوة القلب كان لا يمكنه التسوية لان الشهوة من قبل الله تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾[٦]. فبين أنه لا سبيل لهم إلى ترك الكفر وهذا خلاف قولكم إن الله تعالى قد مكن وأزاح العلة ؟.

وجوابنا : أن المراد أنه لا يغفر لهم في الآخرة ولا ليهديهم سبيلاً إلى الثواب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٧] ان ظاهره يدل على انه منعهم من الايمان .

---

(١) [النساء:١٢٦]. (٢) [البقرة:٢٥٥].

(٣) [النساء:١٢٩].

(٤) ليست فى الأصل وأضفناها تصحيحا للمعنى المراد .

(٥) المقصود ان الزوج لا يستطيع العدل بين زوجاته فى الشهوة والمحبة ولكنه يستطيع العدل فى النفقات والقسم وغيرها، كما أوضح ذلك حديث سيدنا رسول الله ﷺ .

ولذلك قال تعالى إتماما للآية : ﴿ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء:١٢٩] فظهر أنه ميل القلب . والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

(٦) [النساء:١٣٧]. (٧) [النساء:١٥٥].

وجوابنا: أن المراد بالطبع والختم قد فسرناه وأنه علامة وليس يمنع، ولذلك قال تعالى : ﴿ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١) ولو كان منعاً فمنع القليل كما يمنع الكثير، وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾(٢) أنه قال بعده ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾(٣) فدل بذلك ان الإيمان من فعله .

وجوابنا : أن نقول في الإيمان انا وصلنا اليه بالله تعالى وبفضله وألطافه . وبعد فليس في الظاهر ما قالوه بل المراد فمنّ الله عليكم بالأدلة والبيان وإرسال الرسل وذلك صحيح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾(٤) كيف يصح ان يهديهم الى طريق جهنم والهداية لا تكون الا في المنافع ؟.

وجوابنا : أن ذلك مجاز فشبه ذلك بالهداية الى الثواب لما كان طريقاً إليها، ويحتمل أن يريد لكن يسوقهم الى جهنم فيكون في حكم المبتدأ من الكلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾(٥) ما الفائدة في اثنتين وقد عرف ذلك بقوله كانتا ؟.

وجوابنا : أنه يجوز أن يقال بعد قوله كانتا صغيرتين أو صالحتين إلى غير ذلك من الصفات فأفاد بقوله اثنتين ان المراد العدد وذلك فائدة صحيحة .

---

(١) [النساء:١٥٥].
(٢) [النساء:٩٤].
(٣) [النساء:٩٤].
(٤) [النساء:١٦٨-١٦٩].
(٥) [النساء:١٧٦].

سورة المائدة

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(١) كيف يليق بذلك قوله من بعد ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾(٢)؟

وجوابنا:أن قوله عز وجل أوفوا بالعقود قد دخل تحته عقد التكليف كما يدخل تحته العقود في المعاملات غيرها فجعله تعالى مقدمه لذكر التعبد فذلك قال : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾(٣) ثم بين بعده ما حرمه من الميتة والدم وغيرها، ومثل ذلك يعظم موقعه من الحكم اذا قدمه امام أمره ونهيه، كما يحسن من أحدنا أن يقول لولده : التزم عهدة البر فمن سبيلك أن لا تخالفنى في كيت وكيت، فالكلام متسق والحمد لله وقيل إن تقدير الكلام كأنه قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(٤) يا أيها الذين آمنو أحلت لكم بهيمة الانعام فعلى هذا الوجه يكون الكلام أبين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ ﴾(٥) كيف يصح أن يحل الأماكن والأوقات ؟

وجوابنا : أن المراد لا يحل ما حرم في هذه الاماكن والأوقات، فلا يجري ذلك مجرى الأمور التي يحل التصرف فيها مطلقاً .

[مسألة وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(٦) كيف يصح ذلك ولم يكن الدين من قبل ناقصاً اذ لا يجوز أن يقال كان دينه ﷺ قبل ذلك اليوم ناقصاً ؟

---

(١) [المائدة:١].
(٢) [المائدة:١].
(٣) [المائدة:١].
(٤) [المائدة:١].
(٥) [المائدة:٢].
(٦) [المائدة:٣].

وجوابنا : أن المراد الكمال الذي لا يتغير بعده ولا ينسخ ويقال انه آخر ما أنزله الله على الرسول . والدّين وإن كان كاملاً في كل وقت من حين بعثه الله تعالى فقد يصح فيه الزيادات في الادلة وفيما يلزم المرء يبين الله تعالى استقرار ذلك، وكذلك قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾(١) أن المراد أنه استقر حتى لا يتغير، لا أنه كان من قبل غير مرضي، وقد يكون الشيء كاملاً مرضياً وهو أنقص من شيء آخر كامل، وعلى هذا الوجه قول في الإيمان والإسلام والدين أنها تزيد وتنقص، وعلى هذا الوجه يكون دين المسافر كاملاً وإن قصر في الصلاة وأفطر في الصيام، كما يكون دين المقيم كاملاً، وكذلك القول في الغني والفقير .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٢) كيف يصح ذلك وقد كان قبل ذلك اليوم حلالاً وكيف يصح ذلك وقد أكمل الله تعالى الدين من قبل ؟

وجوابنا : أن في جملة ما أحله الله ما لا يعلم إلا بالشرع وهو نكاح الكتابيات وعلى هذا قال الفقهاء إن بذلك نعلم إباحة نكاحهن حتى قال بعضهم إن ذلك ناسخ لقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾(٣) وقال بعضهم بل هو مخصص فلما كان ذلك في جملة ما أحله الله تعالى جاز أن يقيده باليوم .

وبعد فقد يقال اليوم أحل كذا وإن كان حلالا من قبل، وهذا اليوم الذي ذكر الله تعالى أنه أكمل فيه الدين فذلك داخل تحت الدين، هذا هو مذهب أكثر القدماء .

وقد قال بعضهم إن المراد بقوله ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾(٤) من أسلم منهن ولم يجوز نكاحهن وهن على كفرهن والقول الأول أبين .

---

(١) [المائدة:٣]. (٢) [المائدة:٥].
(٣) [البقرة:٢٢١]. (٤) [المائدة:٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾(١) كيف يصح الكفر بالإيمان وإنما يكفر المرء بالله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد جحد الإيمان فان من جحده فقد غطاه فشبه ذلك بالكفر الذي هو التغطية، كما يقال يكفر بالسلاح وعلى هذا الوجه قال تعالى في آية الحج : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾(٢) ويقال إن فلانا كفر بالصلاة وكفر بالنبي والمراد ما قدمنا لكنه لا يطلق ذلك إلا في جحد هذه الوقائع أو الجهل بها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾(٣) كيف يصح ذلك والمكلف منا ومن غيرنا لا يذكر ذلك، ويعلم ان القول لم يقع منه قبل التكليف ؟

وجوابنا : أن ذلك أمر من الله تعالى أن يذكروا ذلك والذكر هو العلم بما يتجدد من النعم حالاً بعد حال، ونفس العلم ربما علم باضطرار وإن كان إنما يعلم أنه من نعم الله باستدلال، فأما الميثاق من الله تعالى فهو العلم بما أودع في العقل من التكليف، ولا عاقل إلا ويقر بانه يقبح منه الظلم القبيح فيجب عليه الانصاف وغيره، فهذا هو المراد ولذلك قال بعده ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾(٤) يعني فيما ألزم وكلف ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٥) وقال قبله عند ذكر التيمم ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾(٦) .

فدل تعالى بذلك على أنه لم يضيق على المكلف بالطهارة والماء معوز، بل وسع فألزم التيمم بالموجود من التراب، فكيف يصح مع ذلك أن يقال انه تعالى يكلف المرء الايمان وسائر الطاعات وهو لا يطيقه .

(١) [المائدة:٥].
(٢) [آل عمران:٩٧].
(٣) [المائدة:٧].
(٤) [المائدة:٧].
(٥) [المائدة:٧].
(٦) [المائدة:٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾(١) ان ذلك يدل على انه تعالى يخلق قسوة القلوب وسائر المعاصي .

وجوابنا : أن قوله ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾(٢) دلالة على انهم نقضوا وأنه لأجل ذلك لعنهم فجعل قلوبهم قاسية، ولا يصح ذلك الا والكفر قد تقدم منهم، واذا صح ذلك وجب حمل قوله ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾(٣) على أن المراد حكمنا بذلك كما يقال جعلت الرجل بخيلا اذا سألته فظهر بخله .

ويحتمل أن يريد تعالى أنه جعل قلبهم على صفة يحتاجون معها الى مزيد تكليف في الطاعة، ومثل ذلك يكون من قبل الله تعالى، كما تقول في الجبن والشجاعة والذكاء والبلادة ولفظة الجعل وان دلت على الفعل فقد يراد بها غير ذلك، كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً ﴾(٤) والمراد اعتقدوا ذلك فسموهم، وكقوله في القصاص ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً ﴾(٥) والمراد حكمنا .

بذلك وقد قيل إن المراد به أنا خليناهم وقد يقال للرجل اذا ترك أن يعمر أرضه قد جعله خراباً واذا لم يؤدبُ ولده يقال قد جعله فاسداً الى غير ذلك، ولولا صحة ما ذكرناه لما قال بعده ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾(٦) فذمهم على ذلك .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز أن يقول تعالى ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(٧) والله تعالى لا يغرى بالعداوة ولا يبعث عليها ؟

وجوابنا: أن الله تعالى ذكر بني اسرائيل ووعدهم بشرط أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بالرسول ثم قال ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(٨)

---

(١) [المائدة:١٣].
(٢) [المائدة:١٣].
(٣) [المائدة:١٣].
(٤) [الزخرف:١٩].
(٥) [الإسراء:٣٣].
(٦) [المائدة:١٣].
(٧) [المائدة:١٤].
(٨) [المائدة:١٢].

ثم قال ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾[١] ثم قال من بعد ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾[٢] ثم قال ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ﴾[٣] لما لم يتمسكوا بالميثاق، والمراد بذلك أنه خلاهم عن الألطاف التي لو تمسكوا بطاعة الله لكان يفعلها بهم، فلما لم يتمسكوا بها لم يكن ذلك اللطف لطفاً لهم فجائز أن يقال أغرى بينهم، وهذا كقوله تعالى ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً ﴾[٤] لما لم يلطف بهم .

وهذا كما يقال فلان يرسل كلبه إذا لم يمنعه، وقد قيل إن ذم اليهود للنصارى على التثليث، وذم النصارى لليهود على تكذيب عيسى مما يحسن، فإذا أغرى تعالى بينهم في ذلك حسن .

وعلى هذا الوجه يحسن من أحدنا معاداة الكفار، ويحسن من الكافر الذي يعبد الصنم معاداة المبتغي للشبهة [ويحسن من المبتغى للشبهة][٥] معاداة عابد الصنم، ومثل هذه المعاداة ربما تكون لطفاً في التمسك بالحق .

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾[٦] فقالوا كيف خص هؤلاء بأن يهديهم بالقرآن ؟

وجوابنا : لأنهم إذا اختصوا بقبوله جاز أن يخصهم كما ذكرناه في قوله تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾[٨] ان ذلك يدل على أن ترك الكفر وفعل الايمان من قبل الله تعالى .

وجوابنا : أن الظاهر أن الكتاب الذي هو القرآن يخرجهم من الظلمات إلى النور باذن الله، ومعلوم انه لا يخرج في الحقيقة عن الكفر الى الإيمان، وإنما يقال ذلك لما كان سبباً لإيمان الكافر، فأما قوله باذنه فالمراد أنه بأمر الله وعلمه، وذلك صحيح لأنه تعالى ألزم أمر الإيمان .

---

(١) [المائدة:١٣]. (٢) [المائدة:١٤].
(٣) [المائدة:١٤]. (٤) [مريم:٨٣].
(٥) ليست في الأصل وأضفناها ليستقيم المعنى .
(٦) [المائدة:١٦]. (٧) [البقرة:٢].
(٨) [المائدة:١٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾(١) كيف يصح ذلك وليس في النصارى من يطلق ذلك (٢) ؟

وجوابنا : أن من يقول منهم بأن الله تعالى اتخذ المسيح فصار لاهوتا بعد ان كان ناسوتا، وانه يحيي الموتى وانه يلزم عبادته، فهو قائل بهذا القول في المعنى، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾(٣) فنبه بذلك على أن المراد ما ذكرناه (٤).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾(٥) كيف يصح تحريم الجنة عليهم ولا اختيار لهم فيها ؟

وجوابنا : أن ذلك يقال فيما يقع للناس فيه من المنافع تشبيهاً بما يلزم المرء أن يتجنبه من المحرمات، وذلك معقول في اللغة والتعارف، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٦) ونبه بذلك على أن من يستحق العقاب والنار لا ناصر له .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾(٧) كيف يصح ذلك وليس في النصارى من يقول هذا القول بل يقولون الاله واحد لكنه يوصف بأنه ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس ؟

---

(١) [المائدة:٧٢] .

(٢) هناك نصوص كثيرة فى الأناجيل المعترف بها لدى النصارى تقول ان المسيح إله هى : يو ١/١، ٨- روم ١٥/٩، يو ٢٠/٥، رؤ ١٣/١٩، طى ١٣/٢، فل ٦/٢، قول ١٥/١، ١٩-٩/٢ عب ٣/١، يو ١٨/٥، ٢٤/٨ و ٢٨و٥٨، ١٩/١٢ (راجع الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ طبع دار المشرق ببيروت عام ٢٠٠٠ .

وفى انجيل برنابا الفصل ٢٠/٩٣ (لأن فريقا يقول : إنك الله . وآخر : إنك ابن الله . ويقول فريق : إنك نبى) .

بل إن عنوان الانجيل يدعى ألوهية المسيح فيقول : (كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح)

(٣) [المائدة:٧٢] .

(٤) هناك طائفة تقول : ان المسيح هو الله، وهذا الرأى مأخوذ عن اليعقوبية المنسوبين إلى يعقوب البراذعى الذى كان راهبا بالقسطنطينية وكان يزعم ان المسيح هو الله، وطائفة تقول إنه ابن الله حقيقة، وهم القائلون بالتثليث ـ الآب والإبن والروح القدس ـ والثلاثة إله واحد بزعمهم وهم الأرثوذكس، وكما كفر القرآن الطائفة الأولى، فقد كفر الثانية أيضا . قال تعالى فى الآية التالية مباشرة : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة:٧٣] وعلى كلا الوجهين فالقرآن هو الحق، فقد حكى عن حقيقتهم .

(٥) [المائدة:٧٢] . (٦) [المائدة:٧٢] . (٧) [المائدة:٧٣] .

وجوابنا : أنه تعالى لم يحك عنهم أنهم يقولون ثالث ثلاثة آلهة، بل قال إنهم يقولون ثالث ثلاثة وهو معنى قولهم إذا أثبتوا إبنا وأبا وروحاً قديمات، وعلى هذا يقول في هؤلاء المشبهة إنهم يثبتون معبودهم ثالثا ورابعاً وعاشراً إذا قالوا إن معه علماً وقدرة وحياة قديمة ولا معتبر بالعبارات في ذلك (١) .

ولو لم يصح ما ذكرناه لقطعنا على أنه كان فيهم من يقول ذلك (٢) . ولم نعلمه، ولذلك قال بعده ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ** ﴾(٣) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾(٤) كيف يصح أن يقول ذلك وقد كان في زمانه مثل يوشع بن نون وغيره مما صار نبيًا ؟

وجوابنا : ﴿ **إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي** ﴾(٥) أراد ملكاً مخصوصاً حتى يجري أخاه مجرى نفسه في كل وجه ولم يكن ذلك حال غيرهما فلا يصح ما ذكرته .

---

(١) هناك نصوص كثيرة فى الأناجيل المعترف بها لديهم يقول بأن عيسى ابن الله هى : ـ متى ٣/٤، ٢٩/٨، ٣٣/١٤، ٥٤/٢٧ ــ لو ٣٥/١ يو ٧/١٩ متى ١٧/٣، ١٦/١٦، ٥/١٧، ٦٣/٢٦-٦٤، يو ٣١/٢٠، ٤٩/١، ٢٥/٥، ١١/٤و٢٧، ١ يو ١٥/٤ — الابن الواحد يو ١٤/١، ١٦/٣-١٨، ١ يو ٩/٤- واحد مع الآب لو ٣٠/١٠، ١١/١٧، ٢١، ١٨/٥-١٩، أبى متى ٢١/٧، ٣٣/١٠، ٢٧/١١، ٣٥/١٨، ٣٩/٢٦-٤٢، يو ١٦/٢، ١٧/٥، ١١/٢٠، فى الآب يو ٩/٤-١١، ٢٠ أزلى يو ٥٨/٨، قول ١٥/١، رؤ ١٤/٣ الان نظر يسوع إله فى نصوص الهامش السابق) ـ قدير متى ٢٧/١١، ١٨/٢٨ يو ٣٥/٣، ٢٠/٥، ٣/١٣، ٢/١٧، اتور ٢٧/١٥، اف ٢٠/١-٢٢، فل ٩/٢-١١، ٢١/٣ عب ٣/١-١٣ رؤ ٢١/٣، ١٠/٢١ ــ دون الآب يو ٢٨/٤ وفى انجيل برناباب فصل ٢٠/٩٣ ان فريقا يقول : إنك الله . وآخر إنك إبن الله . ويقول فريق : إنك نبى .

(٢) أ- يقول بعض النصارى : ان الاقانيم ليست مجرد أسماء تطلق على الله، أو مجرد صفات ينعت بها، بل هى ثلاث شخصيات متميزة غير منفصله متساوية فائقة عن التصور « يسّى منصور، رسالة التثليث ص ١٥٦ » .

ب ـ ليس الله إذن كائناتلقًا فى القضاء ومنعزلا فى السماء، لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة وتفيض منها على الكون براءته (القس بوكس الياس ـ يسوع المسيح) .

ج ـ أن الله رغم اعلانه لنا أنه واحد إلا أنه فى حقيقته وباطنه مكون من ثلاثة أجزاء، وكل جزء أو تعين من هذه الاجزاء والتعيينات هو إله كامل (عوض سمعان ـ الله بين الفلسفة والمسيحية ص٩٧ .

د ـ يقول المستشار الدكتور محمد مجدى مرجان فى كتابه الله واحد أم ثالوت والمؤلف كان مسيحيا وهداه الله إلى الإسلام : (يقرر أصحاب الثالوث فى صراحة ان الله الابن هو أعظم الآلهة وأعظم الاقانيم، فهو الله الأعظم،أما الأب فهو أقل منه درجة، وأما الله الروح القدس فهو أدنى منه أيضا، وبدون الاله الابن أعظم الآلهة، يصبح كلا من الإلهين الآخرين فناء وموتا وعدما) . أ هـ/ ص ٢٠ وما بعدها .

وهكذا يتبين أن من النصارى من يقول : الأب إله، والإبن إله، والروح القدس إله، وهم الثلاثة متساوون فى الدرجة، فمنهم من يقول بأن لله ثالث ثلاثة . والقرآن هو القول الفصل،

(٣) [المائدة:٧٥] . (٤) [المائدة:٢٥] . (٥) [المائدة:٢٥] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾[١] كيف يصح أن يبقوا يتيهون فيها هذه المدة الطويلة وعلى ما يقال تلك البقعة انما هي فراسخ قليلة ؟

وجوابنا : ان ذلك جائز في قدرة الله تعالى بأن يكونوا اذا قربوا من الطرف يحول الله تعالى الطرف وسطا فيكون حالهم أبداً، وكذلك جائز في أزمان الأنبياء فيكون معجزة لهم، ويجوز أيضاً أن تتغير دواعيهم ومقاصدهم حالا بعد حال بأن يكون تعالى يطرح قلوبهم بأن يصرفهم عن الخروج عن التيه والتحير فيه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[٢] كيف يجوز أن يقول هابيل هذا لقابيل والاثم يختص هو به في قتله أو ليس ذلك يدل على ان من ليس بعاصٍ قد يلحقه اثم العاصي ؟

وجوابنا : أن الذي فعله به من القتل لما كان متعلقا بهابيل جاز أن يقول ذلك وكأنه قال ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي ﴾[٣] يعني قتلي، وإثمك يعني سائر ما فعلته حتى وصلت إلى قتلي، وقد قيل كيف يصح أن يريد ذلك وهو قبيح .

وجوابنا : أن المراد إرادته للذم والعقاب لا لنفس القتل الذي هو معصية، ولذلك قال بعده ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[٤] فكأنه أظهر أنه مريد لوقوعه في النار من حيث فعل ذلك ليصرفه عن هذا القتل بهذا القول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾[٥] أليس ذلك يدل على أن نفس الإنسان سوى شخصه وهو يطيعها فيما يفعل ؟

وجوابنا : أن مثل ذلك قد يطلق في اللغه فيقال أطاعه نفسه وعصت فيمن يتبع الهوى والشهوة أو يخالف فلا يدل على ما قاله، ولذلك قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[٦] ولم يقل فأصبحت نفسه خاسرة .

---

(١) [المائدة:٢٦].
(٢) [المائدة:٢٩].
(٣) [المائدة:٢٩].
(٤) [المائدة:٢٩].
(٥) [المائدة:٣٠].
(٦) [المائدة:٣٠].

[مسألة] وربما قيل كيف خفي عليه بعد قتله له أن يدفنه في الأرض حتى ينبه على ذلك بما بعثه الله تعالى من الغراب فأراه ذلك ؟

وجوابنا : ان ذلك كان ابتداء القتل والموت لا تتمنع الشبهة فيه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾(١) هو كيف تصح التسوية بين من يقتل الواحد ومن يقتل الخلق جميعاً، وذلك بعيد عن متعارف الشرع وطبيعة العقل ؟

وجوابنا : أن بيان عظم هذا القتل في العقاب وانه من حيث يقتدي به ويسهل سبيل القتل وغيره عظم إثمه، كما قال ﷺ «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٢) .

(فإن قيل) أفتقطعون على أن من قتل هذه النفس فعقابه كعقاب من قتل الناس جميعاً .

(قيل له) ذكر الله تعالى ذلك في بني إسرائيل خاصة فلا يمنع مثل ذلك فيهم وإن لم يجب في غيرهم لأن عظم المعاصي يختلف بالأوقات واختلاف الأحوال، ويحتمل أن يراد به فكأنما قتل الناس جميعا في عظم ما فعل، وإن لم يبلغ ذلك الحد في العقوبة لأن الظاهر لا يدل الا على هذه الجملة .

ومتى قيل فما معنى قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾(٣) وذلك ليس في مقدور أحد .

---

(١) [المائدة: ٣١-٣٢].

(٢) جزء من حديث رواه مسلم ونصه : «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أوزارهم شىء». راجع مختصر صحيح مسلم للمنذرى تحقيق الشيخ محمد ناصر الألبانى رحمه الله ـ طبع وزارة الأوقاف بالكويت ـ حديث رقم ٥٣٣ ص ١٤٥/١٤٦.

(٣) [المائدة: ٣٢].

فجوابنا : أن المراد التخليص من القتل والهلاك، وذلك يعظم في الواحد كما يعظم في الجماعة .

(فإن قيل) أليس يدل على قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[1] على انه ندم والندم توبة ؟

وجوابنا : أنه لم يندم من حيث أنها معصية وقبيح . بل لما افتضح وكان ظن أن ذلك يخفى فلما ظهر قتله ندم لشيء يخصه .

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[2] وكيف يصح أن يحابوا الله ؟

وجوابنا : أن المراد محاربة أنبيائه فقدم ذكره تعالى تعظيما لذلك، وبين أن من عادى رسله وحاربهم، فقد عادى الله تعالى فنبّهنا بذلك عل عظم هذا الفعل وفخامته، والمراد بالمحاربين من ذكره العلماء من الكفار والمفسدين في الصحارى والبلاد .

ثم بيّن أن حكمهم فيما يأتون من القتل وأخذ الأموال لا يخرج عما ذكر تعالى من أن ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[3] فيلزم ذلك فيهم بحسب جناياتهم ولذلك قال تعالى ﴿ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4] وبين أن من تاب قبل القدرة عليه فهذه الأحكام عنه زائلة فيما كان من حق الله تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[5] كيف يصح وهم ملجؤون إلى أن لا يفعلوا القبيح وإرادتهم ما حكم الله تعالى بخلافه تقبح ؟

---

(١) [المائدة:٣١].
(٢) [المائدة:٣٣].
(٣) [المائدة:٣٣].
(٤) [المائدة:٣٣].
(٥) [المائدة:٣٧].

وجوابنا : أن لعلماء التوحيد في ذلك جوابين :

(أحدهما) أنه يصح أن يريدوا ذلك ويحسن وان كان الله تعالى لا يفعله، وعلمهم بأنهم لا يخرجون من النار لا يمنع من حسن ذلك لو وقع . فهذا القائل يحسنه على ظاهره .

(والثاني) أن المراد أنه يقع منهم ما يقع من المريد في دار الدنيا، فوصفهم تعالى بالإرادة لأجل ذلك،.ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(١).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾(٢) كيف يصح ذلك في المنافقين واليهود وقد أراد الله عزوجل عندكم تطهير قلوب الخلق المكلفين من الكفر والمعاصي ومن قبل ذلك ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾(٣).

وجوابنا : أن الفتنة قد يراد بها التشديد في التكليف، وقد يراد بها العقوبة، والله يريد كلا الأمرين، فأما تطهير القلب فالمراد به أنه عز وجل علم أن لا لطف لهم حتى يريده فيصير صارفاً لهم عن المعاصي، ويحتمل أنه لقي قلوبهم ليس عليهم سمة الإيمان كما قال تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل كيف يصح قوله ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾(٥) ومعلوم أن كثيراً منهم ليس بكافر عندكم وقد كرر الله تعالى ذلك فقال مرة هم الكافرون وأخرى هم الظالمون وأخرى هم الفاسقون .

وجوابنا : أن المراد به اليهود لأن هذه الآيات واردة فيهم ولأنه تعالى قال بعده ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(٦) وذلك صفة اليهود وهم كفار، وقد قيل فيه ان المراد به من لا يحكم بما أنزل الله مستحِلاً لَهُ، وقيل إن المراد ومن لم يحكم بشيء

---

(١) [المائدة:٣٧].
(٢) [المائدة:٤١].
(٣) [المائدة:٤١].
(٤) [المجادلة:٢٢].
(٥) [المائدة:٤٤].
(٦) [المائدة:٤٦].

مما أنزل الله فلا يلزم ما قالوه وإن تعلق بذلك الخوارج فلم يصح لأكثرهم ففيهم من لا يقول بأن من لم يحكم بما أنزل الله يكون كافراً إذا كان صغيراً أو كان على التأويل أو على السهو فلابد من أن يرجع الى ما ذكرناه من التأويل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾(١) كيف يصح ذلك وشريعة عيسى مخالفة لشريعة موسى ؟

وجوابنا : أن وقوع النسخ في الشرائع لا يخرجها من أن تكون متفقة كما أن احتلاف الشرع في الغني والفقير والمقيم والمسافر لا يخرج الشرع من أن يكون متفقاً، لأن كل شيء من ذلك صلاح في وقته، وعلى هذا الوجه بيّن تعالى في القرآن أنه مصدق للتوراة والانجيل، والزم رسوله اذا حكم بينهم أن يحكم بالقرآن، وأن لا يتبع أهواءهم التي هي بخلاف القرآن .

وبيّن بعد ذلك بقوله ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾(٢) أن الذي يجمع الكل في كونه مصلحة يخرجه من أن يكون مختلفاً بل يكون بعض مصدقاً لبعض، ولذلك قال تعالى بعده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٣) فجعل اختلافهم ثابتاً في المذاهب التي هي مخالفة للحق لا في الشرائع الحقة .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(٤) كيف يصح مع الذي بينهما من المعاداة ؟

وجوابنا : أنه تعالى لم يعين البعض وبعض من النصارى أولياء بعض منهم، وكذلك بعض اليهود، ومع ذلك فاليهود والنصارى يتولى بعضهم بعضاً فيما يتفقون عليه من التكذيب لشريعة نبينا ﷺ، ولذلك قال بعده ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾(٥) فنبه بذلك على أنه أراد بالتولي الإجتماع على ما ذكره .

---

(١) [المائدة:٤٦].
(٢) [المائدة:٤٨].
(٣) [المائدة:٤٨].
(٤) [المائدة:٥١].
(٥) [المائدة:٥١].

وذكر بعد ذلك أحوال المنافقين الذين يتولون الكفار في الباطن فقال ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾[(١)] وبين طريقهم مع المؤمنين وانهم يقولون ﴿ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾[(٢)] ثم بيّن بعد انهم سيندمون اذا ظهرت النصرة من الله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾[(٣)] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[(٤)] ومعلوم من حال المؤمن (أنه يلين للمؤمن) ويعظمه ويتولاه ؟

وجوابنا : أن مراده تعالى بيان ما يحصل بهم من القهر والغلبة للكفار، وما يحصل لهم من اللين والخضوع للمؤمنين، فوصف ذلك بالعزة وهذا بالذلة، وهذا كما يقال لمن يخضع لغيره انه يذل له ويذلل، ولذلك قال تعالى بعده في وصفهم ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾[(٥)] وبيّن تعالى ان جهادهم على هذا الوجه فضل من الله من حيث يوفق لذلك ومن حيث يؤديهم الى النعم العظيمة من الثواب . وبيّن بعده عز وجل بقوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[(٦)] صفة من يتولى المؤمنين وأنه تعالى يتكفل بنصرتهم وغلبتهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾[(٧)] كيف يصح وصف من تقدم ذكره من أهل الكتاب والمنافقين بذلك ولم يكن فيهم من يعبد الطاغوت ؟

---

(١) [المائدة:٥٢].
(٢) [المائدة:٥٢].
(٣) [المائدة:٥٢].
(٤) [المائدة:٥٤].
(٥) [المائدة:٥٤].
(٦) [المائدة:٥٥].
(٧) [المائدة:٦٠].

وجوابنا : أنه تعالى قد ذكر من قبل أهل الكتاب بقوله ﴿ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾[1] فلا يمتنع أن يرجع هذا الوصف اليهم، ويحتمل في الطاغوت أن يراد به شياطين الانس والجن فقد كان فيهم من يضل العوام ويدعوهم الى الكفر، ومن يطع هؤلاء يسمى عابداً له كما قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[2] لما أطاعوهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] كيف يصح ذلك وليس فيهم من يقول هذا القول لا على ظاهره ولا على وجه التخيل ؟

وجوابنا : أن في التوراة أن قوماً منهم كانوا يستبطئون الرزق من جهة الله تعالى وينسبونه الى البخل ففيهم نزلت هذه الآية . فبيّن تعالى أن يده مبسوطة العطاء والأفضال والرزق لكنه ينفق كيف شاء بحسب المصلحة،

ولم يرد تعالى بذكر اليدين الجارحة ولا صفة مجهولة كما يذهب اليه المشبهة، بل أراد تعالى النعم وإنما ثنى ذلك لأنه أراد نعم الدنيا والدين والنعم الظاهرة والباطنة، ولو أراد تعالى الجارحة لم يكن لذكر البسط والانفاق معنى لأنه لا يثبت التكذيب في قولهم إلا بالانفاق، فزال ما نسبوه إليه من البخل وليس للجارحة في ذلك مدخل .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[4] وكيف يكون الأكل على هذا الوجه ؟

وجوابنا : أنه تعالى في كثير من القرآن يذكر الاكل ويعني سائر وجوه الانتفاع نحو قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً ﴾[5] ومعلوم من حال الإنتفاع أنه

---

(١) [المائدة:٥٧].
(٢) [البقرة:٣١].
(٣) [المائدة:٦٤].
(٤) [المائدة:٦٦].
(٥) [النساء:١٠].

يكون سببه ما ينزل من السماء وما ينبت من الأرض وعلى هذا الوجه قال تعالى ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1] فكنّى تعالى عن ذلك بهذين الحرفين الذين يجمعان كل المنافع .

ثم بيّن تعالى أن منهم أمة مقتصدة وهم الذين أسلموا وسلكوا طريق الحق من قبل فنبّه بذلك على أن كل أهل الكتاب ليسوا بالصفة التي ذكرها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[2] معلوم انه اذا يبلغ الرسالة فما فائدة التكرار .

وجوابنا : أن المراد بقوله بلغ ما أنزل اليك من ربك هو القرآن . وبيّن انه إن لم يبلغ القرآن لا يكون قد بلغ الرسالة أجمع، فليس ذلك بتكرار بل هو تنبيه على أن في جملة ما حمل من الرسالة ما لا ينطق القرآن به، ومتى لم يبلغ القرآن لم يتم ابلاغ الرسالة أجمع، فالفائدة في ذلك عظيمة ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[3] فأزال عن قلبه الخوف من إبلاغ كل الرسالة .

وعلى هذا الوجه نقول إن الرسول ﷺ لا يجوز أن يكتم شيئاً من الشرائع ولا ان يغير . وبين بأنه تزال عنه سائر الموانع في ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[4] كيف يصح ذلك فكأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم ؟

وجوابنا : أن قوله تعالى ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُم ﴾[5] يرجع إلى الذين هادوا وإلى الصابئين والنصارى دون المؤمنين فالكلام مستقيم، فكأنه قال إن الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحا، وبعد فلو رجع الى الكل لكان المراد

(١) [الذاريات:٢٢].
(٢) [المائدة:٦٧].
(٣) [المائدة:٦٧].
(٤) [المائدة:٦٩].
(٥) [البقرة:١٢٦].

الإيمان في المستقبل، فكأنه قال ان الذين آمنوا من ثبت على ايمانه في المستقبل واستمر عليه وعمل صالحاً فيستقيم الكلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ ﴾(١) كيف يصح ذلك ومعلوم من حالهم انهم ماتوا ولم يمسهم من العذاب ما ذكره تعالى ؟

وجوابنا : أنه أخبر عن المستقبل ولم يذكر الله ان ذلك يمسهم في الدنيا . فالمراد انه يمسهم ان ثبتوا على الكفر العذاب الأليم في الآخرة وإن تابوا أزال ذلك عنهم، وقد قيل إن المراد بذلك ما ينالهم من الذل والجزية وغيرهما لان ذلك صغار وعذاب .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾(٢) ما الفائدة في ذلك ؟

وجوابنا : انه بيّن بذلك أنه رسوله لا معبود ولا إله لأن من جاز ذلك عليه واحتاج إلى الطعام لا يجوز أن يكون إلهاً معبوداً . فبين بذلك بطلان قول النصارى ولذلك قال بعده ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٣) ثم قال بعده أيضاً ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً ﴾(٤) ثم قال بعده ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾(٥) وكل ذلك يبين صحة ما قلنا .

وعظم تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله جل وعز ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾(٦)الى آخر الآيات ثم عظم اثم من يتولى أعداء الله بقوله جل وعز ﴿ تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن

---

(١) [المائدة:٧٣-٧٤].
(٢) [المائدة:٧٥].
(٣) [المائدة:٧٥].
(٤) [المائدة:٧٦].
(٥) [المائدة:٧٧].
(٦) [المائدة:٧٨-٧٩].

سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[١] ثم قال ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[٢] فدل بكل ذلك على ما يجب من تولي المؤمنين ومعاداة الكافرين والفاسقين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ ﴾[٣] كيف يصح ذلك وما يستحقه من الإثم في اليمين أو في الحنث لا يزول بذلك ؟

وجوابنا : أن لهذه الكفارة حظا في التكفير وإن لم يزل للكل فلذلك سمي بهذا الإسم لا أنه إذا فعلها لاجل يمينه وحنثه زال كل عقابه بل خففه، فلذلك يحتاج إلى التوبة ليقطع بها على زوال العقوبة، لان قدر تأثير الكفارة غير معلوم، وقد يقال ان ذلك كفارة لا لأنها تكفر الإثم، وعلى هذا الوجه يكون كفارة في عظم الأمور، ويكون كفارة فيما هو طاعة أيضاً.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾[٤] كيف يصح المنع من المسألة والتكفير وهي تعرف بحال ما سأل عنه السائل ؟

وجوابنا : أن المسألة في باب الدين تعرف الحق لا ينكر، وليس هذا هو المراد بل المراد المسألة على وجه التعنت لقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾[٥] الآيات فان ما جرى هذا المجرى يقبح وربما عظم حتى بلغ حد الكفر إذا اقترن به القدح في النبوّة .

وبين تعالى بقوله ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ﴾[٦] وبقوله ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾[٧] أن كل ذلك من فعلهم ولو

---

(١) [المائدة:٨٠].
(٢) [المائدة:٨١].
(٣) [المائدة:٨٩].
(٤) [المائدة:١٠١-١٠٢].
(٥) [الإسراء:٩٠].
(٦) [المائدة:١٠٣].
(٧) [المائدة:١٠٣].

كان ما فعل العبد مخلوقاً من جهة الله لما صح ذلك، وبين بقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[1] أن تقليد الآباء وغيرهم في باب الدين جرم عظيم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[2] ان ذلك يوجب أن يتشاغل المرء بنفسه ولا يفكر في حال غيره فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر .

وجوابنا : أن الأثر المروى عن أبي بكر الصديق في ذلك هو الجواب، فانه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأو الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب »[3] . فبين ان منع الغير من الظلم والمنكر من الواجبات على من يتمكن فيضره اذا لم يمنعه، والمراد بذلك ان أحداً لا يؤخذ بذنب غيره واذا لم يؤخذ فكيف يؤاخذ الله تعالى بما يخلقه فيه فيوجبه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا ﴾[4] كيف يصح منهم هذا القول وقد علموا بماذا أجابهم من دعوة الى الدين من الأمم ؟

وجوابنا : أن المراد لا علم لنا إلا ما أنت يا رب به أعلم ولذلك قال بعده ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾[5] ويحتمل أنهم قالوا لا علم لنا بباطن أمورهم لأنهم إنما يعلمون الظاهر والله تعالى هو العالم بباطن ما فعلوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[6] كيف يجوز من الحواريين أن يحملوا قدرة الله تعالى على ذلك ؟

---

(١) [المائدة:١٠٤]. (٢) [المائدة:١٠٥].

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وصححه .

(٤) [المائدة:١٠٩]. (٥) [المائدة:١٠٩].

(٦) [المائدة:١١٢].

وجوابنا : أنهم ذكروا الاستطاعة وأرادوا نفس الفعل ولـذلك ﴿ قَـالُوا نُرِيـدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾[١] ولذلك صار جواب قولهم أن عيسى عليه السلام قـال ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[٢] ولو كان مرادهم القدرة فقط ما كان لذلك معنى .

ويحتمل أن يكون المراد انزال مائدة تكون مصلحة للكل، لأن ذلك ربما لم يدخل تحت القدرة كما نقول في باب الألطاف ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ العَالَمِينَ ﴾[٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٤] كيف يصح ذلك وعيسى لم يقل ذلك للناس وكيف يصح أن يقول ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾[٥] وذلك يخبر به عن الماضي ولم يتقدم ذلك منه تعالى في الدنيا ؟

وجوابنا : أن ذلك من الله تعالى على وجه التوبيخ والتقريع لمن قال ذلك، وقد يجوز من الحكيم أن يخاطب بذلك متهما بفعل ليكون ردعاً وتوبيخاً لمن فعل والله تعالى عالم بالأمور، ولا يصح الاستفهام عليه فالمراد ما ذكرناه .

فقد كان فيهم من يزعم أن عيسى ﷺ أمرهم بأن يتخذوهما إلهين فيعبدوهما ويطيعوهما كطاعة المرء لله ولذلك قال بعده ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾[٦] وقد قيل ان هذا القول وقع منه تعالى في مخاطبة عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة عند ما رفعه إلى السماء فلذلك قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾[٧] وقيل أيضاً وإذ قال يستعمل في المستقبل إذ قدر فيه تقدير الماضي كقوله تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ ﴾[٨] لما قدر فيه تقدير الماضي ولذلك قال تعالى بعـده

(١) [المائدة:١١٣].
(٢) [المائدة:١١٤].
(٣) [المائدة:١١٥].
(٤) [المائدة:١١٦].
(٥) [المائدة:١١٦].
(٦) [المائدة:١١٦].
(٧) [المائدة:١١٦].
(٨) [الأعراف:٥٠].

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾(١) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾(٢) أليس ذلك من قول عيسى ﷺ يدل على أنه كأن لا يعرف أنه تعالى يعذب الكفار لا محالة ؟

وجوابنا : أن المراد تفويض أمرهم الى الله وأنه يفعل بهم ما يريد مما يكون عدلا وحكمة، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾(٣) من استمر على كفره وبقوله ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ من آمن .

---

(١) [المائدة:١١٧].
(٢) [المائدة:١١٨].
(٣) [المائدة:١١٨].

سورة الأنعام

[مسألة] ربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾[1] كيف يصح ذلك في الجميع وقد بين في غير موضع أنه خلقهم من نطفة ؟

وجوابنا : أن المراد أصل الخلقة في آدم لأنه خلق من طين على ما ذكره تعالى، فلما كان الكل يرجع في خلقهم الى آدم صح أن يقول تعالى خلقكم من طين .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾[2] أليس ذلك يدل على أن للانسان أجلين وأنتم تمنعون من ذلك ؟

وجوابنا : أن أجل الانسان في الحياة هو وقت حياته وأجله في الموت هو وقت موته فإذا كان موته لا يقع إلا في وقت واحد في الدنيا، كان مقتولاً أو غير مقتول فأجله واحد والمراد بذلك، ثم قضى أجلا في الدنيا لأنها دار الفناء وأجل مسمى عنده وهو أوقات حياتهم في الآخرة التي لا انقطاع لها، بين ذلك أن الآخرة دار البقاء ولذلك قال بعده ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[3] فانما وقع ذلك منهم في باب الاعادة في الآخرة.

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[4] كيف يصح أن يكون في مكانين وكيف يصح مكان لله تعالى وقد كان موجوداً ولا مكان أصلاً ؟

وجوابنا : أن المراد أنه في السموات والارض بأن يعلمها ويحفظهما ويدبرهما، وقد بيّن ذلك تعالى بقوله من بعد ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾[5] .

---

(١) [الأنعام:٢].
(٢) [الأنعام:٢].
(٣) [الأنعام:٢].
(٤) [الأنعام:٢].
(٥) [الأنعام:٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾(1) أن الكذب يكون قبيحاً وأهل الآخرة ملجؤون الى أن لا يقع منهم القبيح .

فالمراد بذلك ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾(2) أي في الدنيا لانهم كانوا يحسبون أنهم بخلاف ذلك، ثم قال ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾(3) أي في دار الدنيا لانهم أخبرو عن أنفسهم بنفي الشرك وهم كانوا مشركين في الحقيقة . فالكذب إنما وقع منهم في الدنيا وأخبروا في الآخرة عن أحوالهم في الدنيا، ومثل ذلك يكون فتنة في الآخرة عليهم لانهم يخبرون بما ليس بعذر، فلا ينفعهم ذلك، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(4) يعني ذهب ذلك عنهم وظنوا خلافه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ﴾(5) كيف يصح ذلك وقد أمرهم بهذا الاستماع، فكيف يمنعهم بالوقر والكن ؟

وجوابنا : أن ذلك تمثيل لا تحقيق من حيث لم يسمعوا ما أمروا فصاروا بمنزلة من في آذانه وقر، ولم ينتفعوا بما فهموا فصاروا كمن في قلبه كن . وقد قيل إن المراد بذلك أنهم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ اذا قرأ القرآن فحجبوا عن استماعه من حيث كان المعلوم انهم لا ينتفعون به، ولذلك قال بعده ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾(6) وبين الله تعالى بعد إقامة الحجة ان الحجب مانعة عن معرفة كثير من الآيات إذا كان المعلوم أن يكذّب ولا ينتفع به، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا ﴾(7) وذمهم بذلك ولو كان المنع وقع منه لما صح أن يذمهم على منعهم منه .

---

(1) [الأنعام:٢٢-٢٤]. (2) [الأنعام:٢٣].
(3)،(4) [الأنعام:٢٤]. (5)،(6) [الأنعام:٢٥].
(7) [الأعراف:١٤٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(٢) كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنهم تمنوا الرد الى دار الدنيا والتمني لا يقع فيه الكذب وجد الأمر على ما تمنى أم لم يوجد، وإنما يقع الكذب في الإخبار فمعنى قوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(٣) انهم بمنزلة من يكذب من حيث لو ردوا لعادوا .

فان قيل أتقولون بجواز ردهم الى الدنيا حتى يقال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه؟ (قيل) أما من اضطر الله تعالى الى معرفته عند المعاينة أو بعدها فلا جائز أن يكلفه بعد ذلك لكنه لما كان يجوز أن يرد من دون هذا الاضطرار جاز أن يتمنى ذلك وجاز أن يخبر تعالى عن حالهم بما وصفه على وجه التقدير .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ﴾(٤) ما فائدة ذلك ؟

وجوابنا: شدة محبته ﷺ لإيمانهم وقبولهم كان يوجب أن يغتم باعراضهم ويكبر ذلك عليه، فبين تعالى أن ذلك ليس في طوقه وهو متعلق باختيارهم فلو فعل ما فعل لم يجد منهم الانقياد، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٥) والمراد لو شاء أن يلجئهم الى ذلك لفعل لكنه تعالى أراد إيمانهم اختيارا لينتفعوا بالثواب. ثم بين تعالى بقوله ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾(٦) من ينتفعون بقبولهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(٧) فيجازيهم على ما فعلوا .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٨) ما الفائدة في ذلك ؟

(١) [الأنعام:٢٧].
(٢) [الأنعام:٢٨].
(٣) [الأنعام:٢٨].
(٤) [الأنعام:٣٥].
(٥) [الأنعام:٣٥].
(٦) [الأنعام:٣٦].
(٧) [الأنعام:٣٦].
(٨) [الأنعام:٣٧].

وجوابنا : أنه تعالى بيّن أن ما يلتمسونه من الآيات مقدور لله تعالى، لكنهم لا يعلمون أن ذلك بمنزلة ما قد أظهره من الآيات في انهم لن يؤمنون عنده .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[١] أليس يوجب ذلك ان كل حي مكلف ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله أمم جماعة فكأنه قال ما من دابة ولا طائر الا وهم جماعة من الجنس الواحد، فأما أن يريد بذلك انهم مكلفون فمحال لأنا اذا كنا نعلم أن الصبيّ قبل البلوغ لا يكلف لفقد العقل فالبهائم والطير أولى بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٢] كيف يصح ذلك ونحن نعلم انه ليس في القرآن بيان أشياء كثيرة ؟

وجوابنا : أن المراد الشيء الذي يحتاج اليه في باب الدين لأنه الذي إذا لم يبينه تعالى يكون مفرطا، إذ المفرط يكون مفرطاً بأن لا يبين ما يجب بيانه، وجميع أمور الدين قد بينه الله تعالى في القرآن إما مجملاً وإما مفصلا، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾[٣] نبه بذلك على أنهم بمنزلة من هذه حاله لعدولهم عما يجب أن يتبعوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾[٤] كيف يصح أن يذكر أشياء ويجمع ثم يوحد بقوله يأتيكم به ؟

وجوابنا : أن المراد يأتيكم بما تقدم ذكره، وقد يصح في ذلك أن يوحد كما يصح أن يجمع . وبين تعالى بذلك انه آتاهم هذه الآيات من سمع وبصر وقلب لينتفعوا بها، فلما لم ينتفعوا بها فكأنها مفقودة ولذلك قال بعده ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[٥] موبخاً لهم على عدولهم .

---

(١) [الأنعام:٣٨].
(٢) [الأنعام:٣٨].
(٣) [الأنعام:٣٩].
(٤) [الأنعام:٤٦].
(٥) [الأنعام:٤٦].
(٦) [الأنعام:٤٦].

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾(١) كيف يصح أن ينهاه عن ذلك مع وصفه لهم بالعبادة والخشية ؟

وجوابنا : أنه ﷺ ربما كان يقدم الاكابر من العرب محبة منه لإيمانهم وتألفا لهم فأدبه الله تعالى بهذه الآية في المؤمنين، لئلا يقدم غيرهم عليهم ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾(٢) نبه بذلك على أن المقدم هو من يعلمه الله تعالى عابداً شاكراً، ثم قال تعالى لنبينه ﷺ ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾(٣) فأمره بأن يحييهم ويعرفهم عظم منزلتهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ﴾(٤) كيف يصح أن يؤاخذ من عمل السوء ولا يعرفه ؟

وجوابنا : أن كل عامل السوء والمعصية يوصف بأنه عمله بجهالة وإن كان عالما به، والمراد بذلك أنه عمل ذلك على غير ما يقتضيه عقله، فإن الذي يوجبه العقل التحرز من ذلك ؛ وعلى هذا الوجه يوصف كل من يقدم على المعاصي بأنه جاهل ولا يراد بذلك الاعتقاد الذي هو جهل، فلذلك قال تعالى ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٥).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٦) ما فائدة ذلك والله عليم بكل شيء ؟

وجوابنا : أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما سيحدث من الامور . ولكن تستدل الملائكة متى وجدته على علمه وقدرته، وهذا كما يحاسب يوم القيامة ويوكل الحفظة بالمكلف لاحصاء ما يأتيه ويفعله ليكون مصلحة له في الدنيا وتبكيتاً له في الآخرة .

---

(١) [الأنعام:٥٢].
(٢) [الأنعام:٥٣].
(٣) [الأنعام:٥٤].
(٤) [الأنعام:٥٤].
(٥) [الأنعام:٥٤].
(٦) [الأنعام:٥٩].

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[1] أنه يدل على جواز المكان له .

وجوابنا : أن المراد فوقهم في القدرة والقهر لا في المكان، ولذلك قال بعده ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[2] إلى غير ذلك مما يدل على قدرته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[3] فجمع وقال في موضع آخر ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾[4] فوحد وذلك مناقضة ؟

وجوابنا : ان ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح وله جمع عظيم من الملائكة يأمرهم بذلك فلا مناقضة في هذا الباب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾[5] كيف يصح والمكان مستحيل عليه ؟

وجوابنا : أن المراد ردوا الى حيث لا مالك ولا حاكم الا هو وقد تقدم نظائر ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾[6] كيف يصح ذلك وليس يثبت مولى باطل فيتميز مولى الحق عنه ؟

وجوابنا : أن المراد ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾[7] أنه الذي خلقهم فأحياهم وبلغهم هذا الحد، ولا يجوز أن يشاركه غيره في ذلك وهذا هو المراد، ولذلك قال بعده ﴿ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾[8] فإنه إذا جعل المكلف بهذه الأوصاف جازاه في الآخرة بحسب ذلك .

---

(١) [الأنعام: ٦١].
(٢) [الأنعام: ٦١].
(٣) [الأنعام: ٦١].
(٤) [السجدة: ١١].
(٥) [الأنعام: ٦٢].
(٦) [الأنعام: ٦٢].
(٧) [الأنعام: ٦٢].
(٨) [الأنعام: ٦٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِّـنكُمْ ﴾[1] أما يدل ذلك على انه تعالى أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ مِّنكُمْ ﴾[2] لا يدل على المشاركة في أنه من الجن بل قد يجوز أن يريد المشاركة في أنه من المكلفين العقلاء الذين يصلحون لذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعـالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[3] أن هذا يدل على المنع من النظر في الأدلة .

وجوابنا : أن المراد خوضهم في الآيات على وجه الرد والوقيعة كما كان كثير منهم يفعله وكيف يصح ذلك وقد بعث ﷺ بالآيات في الدعاء اليه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾[4] أليس ذلك كفراً من قائله فكيف يجوز ذلك على إبراهيم ؟

وجوابنا : أن ذلك في حال النظر ذكر على وجه الاستدلال لا على وجه الخبر، ولذلك قال بعده ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾[5] فاستدل بحركته وغيبته على انه ليس برب، وكذلك قال في الشمس والقمر وقال في آخره ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6] فعرفه تعالى استدلالا بالسموات والأرض كما نقل عنه الاستدلال على الله تعالى، وقد قيل إن المراد بقوله هذا ربي على وجه الاستفهام والنظر ومثل ذلك قد يتفق من المستدل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً ﴾[7] وأن ذلك يدل على انه تعالى يجوز أن يشاء الشرك .

---

(١) [الأنعام: ١٣٠].
(٢) [الأنعام: ١٣٠].
(٣) [الأنعام: ٦٨].
(٤) [الأنعام: ٧٦].
(٥) [الأنعام: ٧٦].
(٦) [الأنعام: ٧٨-٧٩].
(٧) [الأنعام: ٨٠].

وجوابنا : أن المراد إلا أن يشاء ربي شيئاً مما أخافه، فرجع الاستثناء الى أسباب الخوف لا إلى الشرك . ولذلك قال بعده ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾(١) وقال بعده أيضاً ﴿ فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾(٢) فنبه بذلك على انه لا يخاف الا ما يكون من قبل الله تعالى دون ما يتوهم للاصنام .

ثم قال بعده ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ ﴾(٣) فبين أن الأمن في الآخرة والاهتداء الى الثواب إنما يحصل لمن يتحرز من الظلم وكل المعاصي تعد في الظلم ولذلك قال تعالى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٤) ثم بيّن قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾(٥) الى آخره، ذكر الانبياء ثم قال بعده ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٦).

فبيّن أن الحجة على توحيد الله واحدة في الانبياء وغيرهم . ثم قال من بعد ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٧) فبيّن أن الشرك يحبط كل هذه الطاعات ثم قال ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾(٨) فنبه بذلك ان الدلالة واحدة .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٩) أليس ذلك دلالة على أنه خصهم بالهدى .

وجوابنا : ما تقدم من أنهم لما قبلوا خصهم بالذكر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ ﴾(١٠) كيف يصح وليس في الناس من يجعل لله شريكاً من الجن ؟

وجوابنا : أن المراد انهم جعلوا الملائكة شركاء الجن من حيث اتفقوا في انهم لا يرون . وقيل ان إبليس يعبده كثير من الناس كالشريك لله على ما يحكى عن بعض المجوس .

---

(١) [الأنعام:٨١].
(٢) [الأنعام:٨١].
(٣) [الأنعام:٨٢].
(٤) [لقمان:١٣].
(٥) [الأنعام:٨٣].
(٦) [الأنعام:٨٨].
(٧) [الأنعام:٨٨].
(٨) [الأنعام:٩٠].
(٩) [الأنعام:٨٧].
(١٠) [الأنعام:١٠٠].

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) وعن قوله تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٢) وقالوا يدل ذلك على صحة قول المجبرة .

وجوابنا : عن ذلك أن المراد وخلق كل شيء مما يوصف بأنه مخلوق لأن كل ذلك من قبل الله تعالى، وهذا كقوله القائل أكلت كل شيء يريد مما يصح كونه مأكولا، فلا يدل على ما قالوه، وقد أجيب عنه بأن المراد التكثير والمبالغة لا أنه عموم في الحقيقة، كقوله تعالى ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٣) وقوله ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٤) وذلك مذهب العرب في المبالغة، وبين ذلك قوله ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾(٥) فبيّن حسن ما خلق فلا يصح أن يضاف اليه شيء من القبائح .

وقيل أيضاً أن المراد قدر الأشياء لا أنه أوجدها وأحدثها فما هو من فعله قد قدره وما ليس من فعله قدره أيضاً بأن بيّن أحواله، وذلك كقوله تعالى ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾(٦) والمراد الأخبار عن حالها، فأما دلالة قوله عز وجل ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾(٧) على أنه تعالى لا يجوز أن يرى بالأبصار فبيّن وذلك مشروح في الكتب .

وأما قوله تعالى ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٨) فالمراد به لطيف الفعال لأن اللطف عليه في ذاته يستحيل كما يستحيل عليه الصغر تعالى الله عن ذلك، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾(٩) فالمراد به لو شاء أن يمنعهم ويحول بينهم وبين الاختيار لما وقع الشرك منهم، ويحتمل ولو شاء أن يلجئهم الى خلاف الشرك لما أشركوا .

---

(١) [الأنعام:١٠١].
(٢) [الرعد:١٦].
(٣) [القصص:٥٧].
(٤) [النمل:٢٣].
(٥) [السجدة:٧].
(٦) [الحجر:٦٠].
(٧) [الأنعام:١٠٣].
(٨) [الأنعام:١٠٣].
(٩) [الأنعام:١٠٧].

ومن عظيم آداب القرآن قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[(١)] فنهاهم عن سب آلهتهم لئلا يقع منهم ذكره تعالى بما لا يليق به على وجه المقابلة لأن من ظن أنه إذا سب آلهتهم وقع منهم ذلك يكون قد أغراهم بهذه المعصية .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[(٢)] أليس ذلك يدل على أنه تعالى قد زين عمل الكفار والعصاة وذلك بخلاف قولكم وقول المسلمين ؟

وجوابنا : أن المراد به ما ألزمهم تعالى من العمل وشرعه لهم وليس المراد وقع منهم، وعلى هذا الوجه يقول الوالد للولد قد زينت لك العمل الذي رسمته لك فخالفتني فيسمى ما لم يقع منه عملا من حيث الامر والالزام، وبين ذلك قوله تعالى من بعد ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] على وجه الدفع لهم عن الكفر وغيره، فكيف يصح أن يكون مع ذلك مزيناً لما فعلوه، وقد بيّن تعالى في غير موضع أن الشيطان هو المزين لعملهم وقد قيل إن المراد زينا أعمالهم من حيث ميل الطبع والشهوة وأمرناهم مع ذلك بالمخالفة، والجواب الأول أبين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾[(٤)] أن ذلك يدل على أنه تعالى يخلق في قلوبهم الكفر والإيمان، قالوا ويقوي ذلك قوله ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[(٥)].

وجوابنا : أن المراد بذلك أنه يجعلهم كذلك في الآخرة فتقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار تنكيلا لهم، وأما قوله ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[(٦)] فالمراد أنه يخلي بينهم وبين ما اختاروه فلا يمنعهم كما نقول فيمن بصرناه برشده فلم يقبل،

---

(١) [الأنعام:١٠٨].
(٢) [الأنعام:١٠٨].
(٣) [الأنعام:١٠٨].
(٤) [الأنعام:١١٠].
(٥) [الأنعام:١١٠].
(٦) [الأنعام:١١٠].

قد تركناه ورأيه لأنا لم نكره ذلك منه، وبين صحة ذلك قوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾(١) فنبه بذلك على أنهم خلاهم لعلمه بسوء فعالهم وأنهم لا يعدلون الى الطريقة المثلى، ومعنى قوله ﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٢) أن يلجئهم إلى الإيمان، لكن لا ينفع وإنما ينتفعون بما يفعلونه اختياراً فيستحقون به الثواب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾(٣) وأن ذلك يدل على أن مكرهم بكفرهم من قبله تعالى .

وجوابنا : أن المراد بينا ذلك من حالهم، كما يقال في الحاكم أنه جعل الشاهد مزوراً إذا بيّن ذلك من حاله، ويقال إن المعتزلة جعلت المشبهة كفاراً لما بينوا ذلك من حالهم، كما يقال إن الحنفي جعل الوتر واجباً لما ذهب هذا المذهب .

فأما قوله تعالى ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾(٤) فالمراد أنه جعلهم في كل قرية وأمرهم بالطاعة وعاقبتهم هذا المكر، وهذا كقوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾(٥) وإنما التقطوه لغير ذلك لكن لما كان مآل أمرهم الى العداوة كما يقال خلقت الدنيا للفناء لما كان ذلك، عاقبتها، ولذلك قال تعالى ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٦) فذمهم على ذلك .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾(٧) كيف يصح ذلك عندكم وأنتم تقولون أراد من الكل الهدى ؟ وكيف يصح ذلك ونحن نعلم ان الكافر لا يكون ضيق الصدر بكفره، بل ربما يكون أشرح بما هو عليه من المؤمن ؟

---

(١) [الأنعام:١١١].
(٢) [الأنعام:١١١].
(٣) [الأنعام:١٢٣].
(٤) [الأنعام:١٢٣].
(٥) [القصص:٨].
(٦) [الأنعام:١٢٣].
(٧) [الأنعام:١٢٥].

وجوابنا : ان المراد فمن يرد الله أن يهديه بزيادات الهدى كقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾[١] بشرح صدره للإسلام لأن زيادات الهدى أحد ما يقوي صدر المؤمن على إيمانه، وقوله ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ﴾[٢] أي عن هذه الزيادات من حيث يعلم أنه لا ينتفع يجعل صدره ضيقاً حرجاً فتضطرب عليه إعتقاداته الفاسدة إذا فكر فيها .

وهذا يدل على قولنا في العدل إنه تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب إلى ثباته على الايمان من شرح الصدر بزيادات الأدلة، ويفعل بالكافر ما يكون أقرب الى أن يقلع عن الكفر من ضيق الصدر وإلا فقد هدى الجميع بالأدلة وأزاح لهم العلة حتى لم يؤتوا إلا من قبل أنفسهم، وكل كافر إذا فتشت عنه متى نوظر وكلم يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند إيراد الأدلة عليه، لكنه يكابر ظاهراً ويوهم أنه على بصيرة، ولذلك قال تعالى من بعد ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] .

[مسألة] وربما سئل عن قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً ﴾[٤] كيف يصح منه تعالى أن يوليهم مع ظلمهم ؟ أو ليس قد قال في سورة البقرة ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٥] ؟

وجوابنا : أن ذلك شبيه بقوله تعالى ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[٦] فالله تعالى يقوي الظالم على غيره من الظلمة ليدفعه عن الظلم ولولا ظلمه لكان لا يمكنه من ذلك، وذلك ليس مخالفاً لقوله تعالى ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٧] اذ المراد بذلك النبوة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٨] أما يدل ذلك على جواز المكان لله تعالى ؟

---

(١) [محمد:١٧].
(٢) [الأنعام:١٢٥].
(٣) [الأنعام:١٢٥].
(٤) [الأنعام:١٢٩].
(٥) [البقرة:١٢٤].
(٦) [البقرة:٢٥١].
(٧) [البقرة:١٢٤].
(٨) [الأنعام:١٢٧].

وجوابنا:أن هذه الاضافة إضافة إعظام وإكرام كما يقال إن لزيد قدراً عظيماً عند عمرو لا يراد به المكان، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[(٢)] أو ليس في ذلك دلالة على أن في الجن والإنس الكفار من لا يخلد في النار ؟

وجوابنا : أن المراد ما شاء الله ممن لا يبقى على كفره، ولأنه تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها ومن الجائز أن يؤمن بعضهم فقال ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[(٣)] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[(٤)] أليس يدل ذلك على وجوب حقه يوم الحصاد خاصة ؟

وجوابنا : في ذلك أنه قد روى وجوب هذا الحق من قبل وأنه نسخ بالعشر والزكاة، وروى أيضاً أن المراد به نفس العشر لأنه يدخل تحت قوله وآتوا حقه يوم حصاده، والتوقيت بذلك إنما دل به على الإيجاب والكلام في كيفية إخراجه يرجع فيه إلى دليل الشرع .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[(٥)] ثم قال في آخره ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾[(٦)] كيف يصح أن يجازيهم على بغيهم تحريم ما يحرمه ولهم في اجتناب ذلك المحرم ثواب من هذا الوجه نعمة، فكيف يصح أن يكون عقوبة ؟

وجوابنا : أن المراد جزيناهم على بغيهم بتحريم ذلك عليهم من حيث نعلم أن جزاء البغي لا يكون ما يؤدي الى النفع وإلى الثواب، وذكر بعده ما بيّن به من وجوه أنه تعالى لا يريد الشرك والكفر فقال ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا

---

(١) [الأنعام:١٢٧].
(٢) [الأنعام:١٢٨].
(٣) [الأنعام:١٢٨].
(٤) [الأنعام:١٤١].
(٥) [الأنعام:١٤٦].
(٦) [الأنعام:١٤٦].

﴿ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾(١) وهذا مقالة المجبرة، فقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٢) والمراد كذبوا الرسل الذين دعوهم الى خلافه، وهو قولنا أنه تعالى لا يشاء الشرك ولا سائر القبائح، ثم قال ﴿ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾(٣) وهو العذاب .

والعذاب لا يذاق إلا على القول القبيح ثم قال ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾(٤)ولا يقال ذلك إلا للمبطل، ثم قال ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾(٥) ولا يقال ذلك للمحق، ثم قال ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾(٦) والمراد تقدرون ما يكون كذباً أو في حكم الكذب، كما قال تعالى ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾(٧) ثم قال بعده ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾(٨) عاطفاً على ما تقدم، ثم قال ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٩) بين أنه إنما أراد خلاف الشرك منهم إختياراً ليفوزوا بثوابه، ولو شاء أن يهديهم لهداهم أجمع .

ثم أنه تعالى عهد الى عباده بعهد جامع ووصاهم به فقال : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(١٠) ومن تأمل هذه الآيات وعمل بها أغنته عن كل دليل، ثم قال في آخره ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١١) فبين أن كل ما تقدم ذكره من وصاياه جل وعز لعباده، والوصايا في الشاهد يجب القيام بحقها، فوصية الله تعالى أولى بذلك، خصوصاً وإنما وصاهم بذلك لحظهم ولما يعود عليه من النفع .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(١٢) كيف يصح ذلك في كل الحسنات ؟

---

(١) [الأنعام:١٤٨].
(٢) [الأنعام:١٤٨].
(٣) [الأنعام:١٤٨].
(٤) [الأنعام:١٤٨].
(٥) [الأنعام:١٤٨].
(٦) [الأنعام:١٤٨].
(٧) [الذاريات: ١٠].
(٨) [الأنعام:١٤٩].
(٩) [الأنعام:١٤٩].
(١٠) [الأنعام:١٥١].
(١١) [الأنعام:١٥٣].
(١٢) [الأنعام:١٦٠].

وجوابنا : أنه قد قيل في ذلك ان المراد به التفضل الزائد على الثواب، فمنّ الله تعالى بذلك في كل حسنة ترغيباً في الطاعة، وقيل فيه أيضاً إن المراد فله عشر أمثالها في أنها حسنة وإن كان الواحد من ذلك ثوابا عظيما، والثاني تفضل وهو دون ذلك الثواب فاذا تأولناه على هذا الوجه زال القدح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] كيف يصح ذلك مع تقدم إسلام سائر الأنبياء وأممهم .

وجوابنا : أن المراد بذلك وأنا أول المسلمين من قومي لأنه قد تقدم قوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] ومعلوم أنه ﷺ كان أول من أسلم بذلك من أمته، وقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[3] دليل بيّن في أن الفعل للعبد وأنه لا يؤاخذ بما يكون من فعل غيره، وأن قول من يزعم أن أطفال المشركين يعاقبون بذنوب أبائهم خطأ عظيم، ومعنى قوله ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾[4] أن اليه المرجع خاصة دون غيره، لا كما قد عهد في الدنيا أن غير الله قد يرجع اليه في الامور، ولذلك قال تعالى ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[5] ولو كان المراد الرجوع إلى المكان لم يصح هذا القول ولم يكن فيه فائدة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾[6] بعد ذكر القرآن، وهذا يوجب أنه آتاه الكتاب بعد القرآن وذلك لا يصح ؟

وجوابنا : أن لفظة ثم ربما دخلت لفظاً لا معنى ويكون المراد ترتيب الإعراب والإخبار كما يقال علمت فلاناً العلم ثم ربيته، فيكون قصده إعلام إنعامه عليه لا ترتيب ذلك فكأنه قال ثم نعلمك يا محمد أنا أتينا موسى الكتاب .

---

(١) [الأنعام:١٦٣].
(٢) [الأنعام:١٦٢].
(٣) [الأنعام:١٦٤].
(٤) [الأنعام:١٦٤].
(٥) [الأنعام:١٦٤].
(٦) [الأنعام:١٥٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾(١) أليس ذلك كالاغراء بالتكذيب ؟

وجوابنا : أن المراد لمن يتوب منهم ولذلك قال ﴿ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ ﴾(٢) ويحتمل فإن كذبوك فقل ربكم عاجلا ذو رحمة واسعة في الرزق وغيره فيمهل ويرزق ولا يعجل بالعقوبة. ويحتمل فقل ربكم ذو رحمة واسعة علينا وعلى من خالفنا لا يرد باسه عنه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ ﴾(٣) كيف قال ذلك وهو يؤخره الى الآخرة ؟

وجوابنا : انه وصف قدرته على ذلك على وجه الردع، وليس المراد بيان كيف يقع، وبعد فان سريع يستعمل على وجه الإضافة إلى ما هو أعظم منه في المدة أو لأنه يعقب الموت، ثم يقال بتقدير السريع لأن ما بين الإماتة والإعادة طويله كقصيره .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾(٤) كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه تعالى أخبر بذلك عن شركائهم فقال شركاؤهم ليردوهم(٥) فلا سؤال علينا في ذلك .

---

(١) [الأنعام:١٤٧]. (٢) [الأنعام:١٤٧].
(٣) [الأنعام:١٦٥]. (٤) [الأنعام:١٣٧].
(٥) أى زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم .

سورة الأعراف

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾(١) كيف يصح أن يقول لمحمد ﷺ والحرج هو الشك والشك لا يجوز عليه في القرآن .

وجوابنا : أن ذلك نهى وقد ينهاه عز وجل عن المعلوم انه لا يقع، كما قال الله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (٢) وبعد فليس الحرج هو الشك فيحتمل أن يريد به لا يكن في صدرك الضيق من القيام بأداء القرآن وابلاغه ولذلك قال بعده ﴿ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) واذا بعثه الله تعالى على الأداء وتوعده على تركه فغيره بذلك أولى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً ﴾ (٤) كيف يصح بعد اهلاكهم أن يعاقبهم .

وجوابنا : أن المراد أهلكناها بما جاءهم من بأسنا، كما يقال أهلكنا القرية فخربناها وليس الاهلاك غير التخريب وانما بيّن وجه التخريب وقد قيل ان فيه تقديماً وتأخيراً فكأنه قال وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (٥) كيف يصح ذلك ولم يمنع من أن لا يسجد وإنما منع من السجود .

وجوابنا : أن المراد ما منعك أن تسجد وهو كقوله ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (٦) والمراد لكي يعلموا وكقوله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ (٧) والمراد أن لاتضلوا فاذا

---

(١) [الأعراف:٢].
(٢) [الزمر:٦٥].
(٣) [الأعراف:٢].
(٤) [الأعراف:٤].
(٥) [الأعراف:١٢].
(٦) [الحديد:٢٩].
(٧) [النساء:١٧٦].

كان تعالى أمره بالسجود كما قال ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[1] فقد نبه بقوله اذا أمرتك على أن المراد ما منعك أن تفعل ما أمرتك، وذلك يدل على قدرة ابليس على السجود كما نقوله وان لم يفعله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾[2] لماذا خص ذلك المكان بأنه لا يتكبر فيه دون غيره والتكبر محرم في كل مكان ؟

وجوابنا : أن في الأماكن ما يكون له منزلة فنفس المقام فيه يكون كالتكبر . فلما جعل تعالى ذلك الموضع مقراً للانبياء جاز أن يقول ذلك لا أن التكبر يحسن في غيره، ولذلك قال بعده ﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [3].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾[4] كيف يصح وقد كفر ابليس أن يجيب دعاءه ؟

وجوابنا : أن فعل ما سأل العبد قد لا يكون اجابة متى فعل لا لمكان المسألة في أنظاره بل لأن في تبقيته مصلحة العباد ليتحرزوا من المعاصي ومصلحة له في التكليف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾[5] كيف يصح من الله تعالى أن يفعل به أو بغيره ذلك وهو قبيح ؟

وجوابنا : أن المراد بما أحرمتني الثواب وخيبتني منه وليس المراد به الضلال بل المراد به الحرمان ولذلك قال بعده ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [6] الآية ولا يليق ذلك إلا بأن يقول اذا أحرمتني الثواب وخيبتني وقطعت رجائي لأفعلن كيت وكيت .

---

(١) [الأعراف:١٢].
(٢) [الأعراف:١٣].
(٣) [الأعراف:١٣].
(٤) [الأعراف:١٤-١٥].
(٥) [الأعراف:١٦].
(٦) [الأعراف:١٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(١) كيف الحكم في ذلك وهو كالغيب ؟

وجوابنا : أنه يجوز أن يكون قد عرف ما سيكون من الناس من حيث أعلم الله بذلك الملائكة فقالوا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾(٢) . فجوابنا : في هذه لمسألة كالجواب في تلك المسألة .

[مسألة] وربما قيل اذا كان الله تعالى قد أخرجه من الجنة وقال لآدم ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾(٣) فكيف يصح أن يوسوس كما قال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ (٤) .

وجوابنا : أنه يجوز أن يخاطبهما وهو خارج الجنة، ويجوز منهما أيضاً أن يخرجا من الجنة فيراهما، فليس في ذلك مناقضة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(٥) كيف يصح ذلك على الأنبياء ؟

وجوابنا : أن الذي وقع منهما من الصغائر وقع على وجه التأويل، لكن الأنبياء لما عظم الله من محلهم تعظيم الصغائر عند أنفسهم، فعلى هذا الوجه ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ (٦) وقد يكون المرء بالصغيرة ظالماً لنفسه من حيث حرمها الثواب الذي نقص لمكان الصغيرة، ومن حيث يجب عليه التأسف والندم ولذلك غم عظيم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ (٧) كيف يصح ذلك وقوله للملائكة كان قبل ان خلقنا وصورنا ؟

---

(١) [الأعراف:١٧].
(٢) [البقرة:٣٠].
(٣) [البقرة:٣٥].
(٤) [الأعراف:٢٠].
(٥) [الأعراف:٢٣].
(٦) [الأعراف:٢٣].
(٧) [الأعراف:١١].

وجوابنا : أن المراد خلقنا من هو أصلكم فذكر أولاده من حيث تفرعوا عنه، فالمراد خلق آدم وهو كقوله جل وعز في سورة البقرة لأهل الكتاب ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ ﴾[١] والمراد آباؤهم الذين أولادهم لم يحصلوا على هذا الوصف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ ﴾[٢] كيف يصح وعندكم أنه قد هدى الجميع ؟

وجوابنا : أن المراد في الآخرة، وفي الآخرة يكون الهدى بمعنى الثواب، كانه قال فريقاً هداهم الى الجنة بحسن طاعتهم وفريقاً حق عليهم الضلالة، وذلك اخبار عن حال ما يعاد لكي يكون أقرب الى الطاعة، ولذلك قال بعده ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٣] يعني ان الضلالة حقت عليهم لهذه الطريقة التى كانت منهم في الدنيا .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٤] أليس ذلك يوجب أن أحداً لا يقدر على قطع الأجل بالقتل وغيره على ما يقوله بعض المجبرة ؟

وجوابنا : أن الأجل هو الوقت الذي يعيش المرء اليه فسواء انقطعت حياته بالقتل أو باماتة الله تعالى إياه، فذلك الوقت هو أجله لا أجل له سواه، والعبد قادر على كل أحد، لكن ما المعلوم خلافه لا يقع لانه لا يصح أن يفعله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾[٥] كيف يصح الضعف في العقاب وليس العقاب مما يصح فيه الزيادة فان الزيادة عليه ظلم ؟

---

(١) [البقرة:٥٠].
(٢) [الأعراف:٢٩-٣٠].
(٣) [الأعراف:٣٠].
(٤) [الأعراف:٣٤].
(٥) [الأعراف:٣٨].

وجوابنا : أنهم أرادوا الدعاء عليهم بمزيد العقاب، فليس من يضل ولا يضل ولا يقتدى به بمنزلة من يضل ويضل، ومعنى قوله تعالى ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾[1] أنه لا أحد منهم الا ويستحق من العقاب زيادات على قدر معاصيه إما في الوقت أو في الأوقات .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾[2] كيف يصح ذلك والجنة ما خلقت بعد ولا دخلوها ولا دخلوا النار ؟

وجوابنا : أن التقدير في ذلك أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ أني سأكلف الناس، فمن أطاع منهم أدخله الجنة ومن عصى أدخله النار، فعند ذلك ينادي أهلُ الجنة أهلَ النار . وينادي أهلُ النار أهلَ الجنة، وليس كل ما كتب في اللوح المحفوظ ينزله تعالى الى الرسول ﷺ .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾[3] كيف يصح والنسيان على الله تعالى لا يصح ؟

وجوابنا : أن المراد فاليوم لا نجازيهم بالحسنى كما لم يحسنوا بالطاعة، وأهل اللغة يستعملون النسيان بمعنى الترك وحقيقته ما ذكرناه .

وفي قوله ﴿ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾[4] دلالة على أن كل آية ذكر الله تعالى فيها اللقاء وذكر نفسه أراد به غيره من اليوم أو الثواب أو غيرهما .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾[5] كيف يصح ذلك وأبواب السماء لا تفتح لغيرهم أيضاً ؟

وجوابنا : أن المراد لا تفتح لصفحهم التي فيها أعمالهم كما قال تعالى ﴿ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[6] وان كتاب الأبرار لفي عليين وتخصيصهم بالذكر لا يمنع من كون الفساق بمنزلته .

---

(١) [الأعراف:٣٨].
(٢) [الأعراف:٤٤].
(٣) [الأعراف:٥١].
(٤) [الأعراف:٥١].
(٥) [الأعراف:٤٠].
(٦) [المطففين:٧].

وقوله تعالى ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾(١) وهو على وجه التبعيد يحقق أن دخولهم الجنة لا يقع، وقوله من بعد ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ ﴾(٢) يدل على ان الفاسق بمنزلتهم وذلك اذا مات على فسقه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ﴾(٣) ما فائدة هذا السؤال في الآخرة وكلهم يعرفون ذلك ؟

وجوابنا : أنهم قالوه على وجه التوبيخ لهم لا على طريق المسألة والتعرف وقوله ﴿ نَعَمْ ﴾(٤) كالإعتراف بتقصيرهم في الدنيا وانهم أهل الانكار والتوبيخ ولذلك قال بعده ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾(٥) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(٦) كيف يصح وصفهم بذلك لأنه ان أراد أصحاب الأعراف فهم عالمون، ولا يوصف العالم بأنه يدخل الجنة انه طامع، وان أريد أهل النار فهم عالمون بدخول النار، فكيف يطعمون في ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد به أصحاب الأعراف ويوصفون بالطمع وإن كانوا من أهل الجنة تحقيقاً لذلك، ولأنهم لا يعرفون وقت دخول الجنة في حال شهاداتهم للناس وعليهم .

[مسألة] وربما سأل الحشو عن قوله تعالى ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾(٥) ان ذلك يدل على أمر الله تعالى في القرآن ليس بخلق ولا مخلوق ؟

---

(١) [الأعراف:٤٠].
(٢) [الأعراف:٤٠].
(٣) [الأعراف:٤٤].
(٤) [الأعراف:٤٤].
(٥) [الأعراف:٤٤-٤٥].].
(٦) [الأعراف:٤٦].
(٧) [الأعراف:٥٤].

وجوابنا : أن المراد أن له الخلق والأمر من نفس الخلق فهو الذي يبقيه أو يفنيه ويتصرف فيه كيف يشاء فلا يدل أفراده بالذكر على صحة ما قالوه من أنه لم يدخل الأمر تحته كقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾(١) والاحسان من العدل وذلك كثير في الكلام .

[مسالة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾(٢) كيف يصح ذلك ومعلوم أن الذي خبث أيضاً من البلاد لا يخرج نباته الا باذن الله ؟

وجوابنا:أن المراد بذلك يخرج نباته موافقا للمراد والنفع لا نكدا ونبه جل وعز على ذلك بقوله ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾(٣) وذلك نقصان في الخروج وبيان النفع به لا يكاد يقع وذلك مثل من الله تعالى لمن يعمل العمل الصالح وخلافه.

ثم ذكر تعالى قصص الأنبياء وأنهم دعوا الأمم الى معرفة الله تعالى وخوّفهم عذابه وأن نوحاً ﷺ قال لقومه ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(٤) ان لم تعبدوه وانهم قالوا له إنَّك في ضلال مبين، وأنه قال لهم ﴿ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٥) .

وهذه الجملة يعرف بها رفق الأنبياء وحسن دعائهم الى الدين وانهم بدأوا بالدعاء الى معرفة الله وعبادته وأنهم نزهوا أنفسهم عن الطمع في هذه الحياة وفيها اذا تأملها المرء ما يعتبر به ويعرف آداب الأنبياء ﷺ في الدعاء الى الدين وصبرهم على ما نالهم من الامم فيقتدى بهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى في قصة صالح ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(٦) ثم قال ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾(٧) كيف يجوز أن يقول لهم ذلك وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم ؟

(١) [النحل:٩٠].
(٢) [الأعراف:٥٨].
(٣) [الأعراف:٥٨].
(٤) [الأعراف:٥٩].
(٥) [الأعراف:٦١-٦٢].
(٦) [الأعراف:٧٨].
(٧) [الأعراف:٧٩].

وجوابنا : أن في ذلك تقديماً وتأخيراً ومثل ذلك يكثر في الكلام[١].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[٢] ثم قال تعالى ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً﴾[٣] كيف يصح ذلك ومعلوم أنه لغير المؤمنين أيضاً ؟

وجوابنا : أنه أراد بقوله ﴿ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾[٤] قد نبه على ان ذلك لكل العباد فمراده أخيراً هو أنها للمؤمنين في الحال وفي العاقبة، ولذلك قال ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٥] فان من نال شهوته عاجلاً وعاقبته النار لا يعد ما ناله نعمة عليه .

وقيل ان المراد بذلك ما حرموه من البحيرة والسائبة فبين انها من الطيبات للمؤمنين من حيث عرفوا أنها من رزق الله تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى﴿ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾[٦] وذلك كالمدح يصح ذلك في الكفار .

وجوابنا : أن المراد ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور في الكتاب . وقيل ينالهم نصيبهم من نعم الدنيا وقوله تعالى من بعد ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٧] عند معاينة العذاب يدل على ما قلنا لأنه بيّن به أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم عند نزول العذاب بهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾[٨] أليس هذا يدل على أن ملتهم كان عليها شعيب من قبل وذلك كفر لا يجوز على الأنبياء ؟

---

(١) أى أنه قال لهم ذلك قبل أن يعمهم العذاب .
(٢) [الأعراف:٣٢].
(٣) [الأعراف:٣٢].
(٤) [الأعراف:٣٢].
(٥) [الأعراف:٣٢].
(٦) [الأعراف:٣٧].
(٧) [الأعراف:٣٧].
(٨) [الأعراف:٨٨].

وجوابنا : قد يقال عاد في كذا اذا ابتدأه كما يقال أن زيداً عاد الى ما يكرهه أو يحبه وان كان من قبل لم يفعل، وقد صح أن الكفر والكبائر لا يجوزان على الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، فالمراد اذاً أو لتدخلن في ملتنا على وجه التهديد قالوه لشعيب فكان جوابه ﷺ ﴿قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ*قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾[1]

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنا﴾[2] أليس يدل ذلك على تجويز أن يشاء الله عودة شعيب الى ملتهم مع أنها كفر؟

وجوابنا : أن المراد بذلك التعبيد فعلقه بالمشيئة التي يعلم أنها لا تكون كقوله تعالى ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾[3] ويحتمل أنه أراد التي حتي الشرائع يجوز أن يعبد الله بمثلها بعد النهي عنه على وجه النسخ .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[4] كيف ذلك من موسى ﷺ مع علمه بأنه لا يؤخذ بذنب غيره ؟

وجوابنا : أنهم سألوه رؤية الله تعالى ولم يقنعوا بما يكون من قبل الله تعالى فلما سأل ﷺ بقوله ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[5] لقومه لا لنفسه قال تعالى ﴿ لَن تَرَانِي ﴾[6] وأكد ذلك بقوله ﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾[7] فشرط استقراره فلما لم يستقر بأن جعله دكا عند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾[8]قال هذا القول توبيخاً لقومه لأن الله عز وجل أخذه بذنب غيره ولذلك قال ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾[9] يعني شدة التكليف .

وقد كان سأل الله الرؤية لقومه ولم يأذن جل وعز في ذلك والانبياء صلى الله عليهم وسلم لا يسألون ربهم ما يرغبون إلا بعد الإذن فعلى هذا الوجه قال ما قال .

---

(١) [الأعراف:٨٨-٨٩].
(٢) [الأعراف:٨٩].
(٣) [الأعراف:٤٠].
(٤) [الأعراف:١٥٥].
(٥) [الأعراف:١٤٣].
(٦) [الأعراف:١٤٣].
(٧) [الأعراف:١٤٣].
(٨) [الأعراف:١٤٣].
(٩) [الأعراف:١٥٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[(١)] ثم قال ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[(٢)] وبعض ذلك يخالف بعضاً .

وجوابنا : أن المراد بذلك الرحمة الخاصة التي هي الثواب وما تقدم وما تأخر يدل على ذلك لأنه قال من قبل ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي ﴾[(٣)] فقرنها الى العذاب وقال بعده ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[(٤)] ثم وصفهم بالوصف العظيم، وإنما قال ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٥)] أنها لو قدرت لكل واحد لوسعته، أو قاله أيضاً على وجه التكثير والمبالغة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[(٦)] أليس ذلك كالمدح لليهود ؟

وجوابنا : أنه مدح من كان على ملته في أيام حياته لأن تكذيبهم بعيسى ومحمد حدث من بعده . ويحتمل أنه مدح لقوم يؤمنون بمحمد ﷺ .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾[(٧)] كيف يصح ذلك وقد آمن بعضهم ؟

فجوابنا:أن ذلك خبر عن قوم مخصوصين بيّن ذلك بقوله تعالى من قبل ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾[(٨)] واذا كان خبراً عن قوم لم يصح هذا الالزام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾[(٩)] كيف يصح ان يمنع من الوعظ والدعاء الى الخير ؟

---

(١) [الأعراف:١٥٦].
(٢) [الأعراف:١٥٦].
(٣) [الأعراف:١٥٦].
(٤) [الأعراف:١٥٦].
(٥) [الأعراف:١٥٦].
(٦) [الأعراف:١٥٩].
(٧) [الأعراف:١٠١].
(٨) [الأعراف:١٠١].
(٩) [الأعراف:١٦٤].

وجوابنا : أن المراد بذلك اليأس من صلاحهم، وتعريف القوم أن الوعظ لا يؤثر فيهم، أو على وجه التوبيخ للقوم لا أنه منع من الوعظ وكيف يكون منعاً . وجوابهم ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(١) يبين انهم وعظوا لتجويز التقوى .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾(٢) كيف يصح أن يتجلى وليس بجسم وما فائدة تجليه للجبل ؟

وجوابنا : أن المراد بهذا التجلي الاظهار وذكر الله الجبل وأراد أهله، فكأنه قال فلما بيّن لاهل الجبل أنه لا يرى بأن جعله دكا، حصل المراد فيما سألوا وهذا كقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٣) وأراد على أهلها وكل ذلك بمنزلة قوله ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾(٤) وأراد أهلها .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾(٥) كيف يصح ان يصرفهم عن آياته وأدلته ؟

وجوابنا : أن المراد سأصرفهم عن الآيات الزائدة التي يفعلها تعالى لمن المعلوم أن ينتفع ويؤمن عنده، ولذلك قال ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾(٦) وهو كقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾(٧) فيزيده هدى لأنه ينتفع بذلك دون من لم يهتد وان كان الكل سواء في اقامة الحجة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾(٨) أليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى والضلال ؟

وجوابنا : أن المراد ومن يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدى في الدنيا، ومن يضلل عن الثواب الى العقاب ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾(٩) في الدنيا، وسبيل ذلك أن

---

(١) [الأعراف:١٦٤].
(٢) [الأعراف:١٤٣].
(٣) [الأحزاب:٧٢].
(٤) [يوسف:٨٢].
(٥) [الأعراف:١٤٦].
(٦) [الأعراف:١٤٦].
(٧) [محمد:١٧].
(٨) [الأعراف:١٧٨].
(٩) [الأعراف:١٧٨].

يكون بعثاً من الله تعالى على الطاعة وكذلك قوله تعـالى ﴿ **مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ** ﴾(١) المراد من يضلله عن الثواب في الآخرة، ولا هادي له اليه .

ومعنى قوله ﴿**وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(٢) انا نخلي بينهم وبين ذلك وان كنا قد أزحنا العلة وسهلنا السبيل الى الطاعة(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾(٤) وفي الخبر ان جميع بني آدم أخذ عليهم المواثيق من ظهر آدم ﷺ كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن القوم مخطئون في الرواية فمن المحـال أن يأخـذ عليهم المواثيـق وهم كالذر لا حياة لهم ولا عقل . فالمراد انه أخذ الميثـاق مـن العقـلاء بـأن أودع في عقلهم ما ألزمهم اذ فائـدة الميثـاق أن يكـون منبهـا وان يـذكر المـرء بالـدنيا والآخـرة وذلك لا يصح الا في العقلاء .

وظاهر الآية بخلاف قولهم لأنه تعالى أخذ من ظهور بني آدم لا من آدم، والمراد أنه أخرج من ظهورهم ذرية أكمل عقولهم فأخذ الميثاق عليهم وأشهدهم على أنفسهم بما أودعه عقلهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا** ﴾(٥) كيف يصح فيمن يؤتيه الله تعالى من الآيات والنبوّة أن ينسلخ من ذلك .

وجوابنا : أن ذلك لا يصح في الأنبياء والمراد من آتاه الله العلم بالأدلة وفضله بذلك ثم انسلخ منه، وذلك مما يصح وهذه طريقة كثير من المضلين عن دينه في المسألتين المتشاكلتين في ذلك .

---

(١) [الأعراف:١٨٦]. (٢) [الأعراف:١٨٦].

(٣) ان الله سبحانه وتعالى بين سبيل الهدى والطاعة وطريق الضلال والغواية وترك الإنسان مخيرا بين هذا وذك، ثم يحاسب كل على عمله، ان خيرا فخير، وان شرا فشر .

(٤) [الأعراف:١٧٢]. (٥) [الأعراف:١٧٥].

ويحتمل ان المراد لآتيناه فأعرض عن النظر فيها فصار منسلخاً عنها لأنه قبل ثم انسلخ .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ (١) ثم قوله ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾(٢) تكرار ذلك ما فائدته .

وجوابنا : أن فى الأول سألوا عن وقت الساعة فبين ان يحكم بأن علم ذلك عند ربه تعالى، وان الصلاح أن لا يبين ذلك ليكون العبد الى الخوف أقرب، وأراد بقوله ثانياً يسئلونك كانك حفي عنها المسألة عن نفس الساعة، فقد كان عالماً بها في الجملة فليس في ذلك تكرار .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾(٣) كيف يصح ذلك مع كونهم صالحين وانبياء وكيف التأويل في ذلك ؟

وجوابنا : أن معنى قوله فلما آتاهما صالحا البنية الصحيحة في الاولاد، ولا يمتنع في الصالح أن يكون كذلك ويقع منه الكفر والشرك، وليس في الظاهر ان ذلك وقع من آدم وإنما المراد وقوع ذلك من الذكر والأنثى من الذرية، فهو معنى قوله ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾(٤).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾(٥) كيف يقول ﷺ ذلك مع زهده في الدنيا وهي له معرّضة ؟

وجوابنا : أن المراد لو كنت أعلم الغيب وقت خروجي من الدنيا لاستكثرت من الخير والطاعة فقد كان ﷺ لا يعرف قدر أجله، ولو عرف زاد في الطاعات وليس

---

(١) [الأعراف:١٨٧].
(٢) [الأعراف:١٨٧].
(٣) [الأعراف:١٨٩-١٩٠].
(٤) [الأعراف:١٩٠].
(٥) [الأعراف:١٨٨].

المراد لاستكثرت من الخير فيما يتصل بملذات الدنيا، وقد يحتمل لاستكثرت من الخير في دفع المضار عن نقسي والمؤمنين من أصحابي، ولذلك قال بعده ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[(١)] .

[مسألة] وربما سألوا عن قول الله تعالى ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾[(٢)] على وجه المحاجة لمن يعبد الاصنام، كيف يصح ذلك والمعبود الذي هو الإله لا وصف له بهذه الصفات أيضاً ؟

وجوابنا : أن فقد هذه الأعضاء والحواس نقص في الأجسام ووجودها فضيلة في الأحياء، فصح أن يحاجهم بذلك، واستحالة ذلك على لله تعالى هو الذي يوجب الإلهية لأنها لو جازت عليه لكان محدثا فكيف صح ما سألوا عنه .

[مسألة] وربما سألوا في قوله ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾[(٣)] كيف يصح أن يأمر بالمعروف، والجهاد الإعراض عن الجاهلين، واجتماع ذلك لا يصح ؟

وجوابنا : أن المراد أن يأمرهم بالمعروف ويقيم عليهم الحجة فان هم ردوا ذلك فتجاهلوا أعرض عنهم، وذلك لا يتنافى ومعنى قوله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾[(٤)] التحرز من وسوسة الشيطان لأن الشيطان لا يتمكن من الرسول ﷺ وربما كان الخطاب بذكر الرسول ﷺ والمراد غيره .

---

(١) [الأعراف:١٨٨].
(٢) [الأعراف:١٩٥].
(٣) [الأعراف:١٩٩].
(٤) [الأعراف:٢٠٠].

سورة الأنفال

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾(١) كيف يتعلق الأنفال بالتقوى واصلاح ذات البين ؟

وجوابنا : أن الأنفال التي ملكها الله تعالى الرسول وأمره بوضعها في حقها يحتاج فيها الى أن يتقوا الله والى أن يصلحوا ذات بينهم فيعدلوا عن الميل والحيف وأن يطيعوا الله ورسوله في الرضا بما يأتيه ومفارقة السخط، وذلك نهاية في الإحكام .

ثم وصف تعالى المؤمنين بما قال ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢) فقال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٣) فجعل من وصف المؤمن انه عند ذكر ربه يوجل قلبه فيخاف من تقصير في عبادته ويرجو، وعند ذلك يصير المرء وجل القلب وعند تلاوة القرآن يزداد إيمانا بالعلم به والعمل . ويتوكل على ربه فيما يحصل له من الدنيا، وفيما يكسبه من المال فيطلبه بالوجه المباح ولا يجزع اذا لم ينله بل يسير على الحال فلا يتعداه فيحصل متوكلا، وليس التوكل الكسل كما ظنه بعضهم .

ولذلك قال ﷺ «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرِ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً» فجعلها متوكلة وان طلبت، وجعل من صفتهم اقامة الصلاة والانفاق مما رزقوا وذلك يدل على ان الرزق لا يكون محرما لان الانفاق من المحرم ليس من صفات المؤمنين .

---

(١) [الأنفال:١].
(٢) [الأنفال:١].
(٣) [الأنفال:٢-٤].

وكل ذلك يدل على أن الإيمان قول وعمل ويدخل فيه كل هذه الطاعات وأن المؤمن لا يكون مؤمنا الا بأن يقوم بحق العبادات ومتى وقعت منه كبيرة خرج من أن يكون مؤمنا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ** ﴾(١) هو كلام مبتدأ به تام لأنه لم يتقدم ولم يتأخر عنه ما يشبهه به ؟

وجوابنا : أن هذا الجنس من الحذف ربما يعد في كمال الفصاحة . فبشر الله نبيه بالنصرة التامة وجميل العاقبة يوم بدر، كما سهل له الخروج من بيته من غير قصد الى المحاربة، فهذا هو المراد، ولذلك قال ﴿ **وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** ﴾(٢) والمراد ثقل الخروج عليهم وقوة المشقة لا أنهم كرهوا الخروج معه ﷺ .

ومعنى قوله ﴿ **يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ** ﴾(٣) انهم يراجعونك للتبيين لا أنهم يخالفون، ثم بين عظم المشقة بهذا الكلام ولم يكن القوم ألفوا الجهاد فان ذلك كان مبدأ الأمر بالقتال، فبين تعالى ان ذلك يؤديهم الى الخيرات من الغنائم وغيرها .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ **وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ** ﴾(٤) ما معنى ذلك والحق لا يخفى في نفسه ؟

وجوابنا : تحقيق ما وعدكم به من المضرة والغنائم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾(٥) كيف وقع هذا التثبيت من الملائكة للمؤمنين ؟

وجوابنا : أنه يحتمل أنهم عرفوا الرسول والرسول عرف المؤمنين تقوية قلوبهم، ويحتمل أنهم ألقوا ذلك الى المؤمنين بالخواطر .

---

(١) [الأنفال:٥].
(٢) [الأنفال:٥].
(٣) [الأنفال:٦].
(٤) [الأنفال:٧].
(٥) [الأنفال:١٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾(١) كيف يصح ذلك مع القول بأن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ؟

وجوابنا : أنه ﷺ كان يرمي يوم بدر والله تعالى بلغ برميته المقاتل فلذلك أضافه تعالى الى نفسه كما أضاف الرمية أوّلاً اليه بقوله اذ رميت والكلام متفق بحمد الله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ ﴾(٢) كيف يصح أن يضم الصم البكم الى الذين لا يعقلون ؟

وجوابنا: أنه تعالى ذكر قبله ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾(٣) فذمهم على ترك القبول ثم شبههم بالصم البكم على طريقة اللغة في مبالغة ذم من لا يقبل الحق، فربما قيل فيه انه ميت كما قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾(٤) ولذلك قال بعده ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾(٥) يعني القبول ثم قال ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٦) فذمهم نهاية الذم وقوله تعالى من بعد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٧) وهو حث من الله تعالى على الجهاد فكما ذم من قعد عنه ولم يطع الرسول كذلك مدح من قام بحقه، وأراد بقوله ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٨) أن الجهاد يؤدي الى حياتهم من حيث لولاه لقتلهم الكفار فهو كقوله ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾(٩) ويحتمل اذا دعاكم للامر الذي يؤدي الى حياة الأبد وهو الثواب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾(١٠) بالاماتة وبغير ذلك فحث على الجهاد قبل أن يرد عليهم ما يمنع من ذلك من موت أو غيره .

---

(١) [الأنفال:١٧].
(٢) [الأنفال:٢٢].
(٣) [الأنفال:٢١].
(٤) [النمل:٨٠].
(٥) [الأنفال:٢٣].
(٦) [الأنفال:٢٣].
(٧) [الأنفال:٢٤].
(٨) [الأنفال:٢٤].
(٩) [البقرة:١٧٩].
(١٠) [الأنفال:٢٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾(١) كيف يصح ذلك والمضار على الله تعالى لا تجوز ؟

وجوابنا : أن الله تعالى ذكر نفسه وأراد غيره على مثال قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(٢) لأنه قد ثبت أن خيانة الكافر للغير إنما تكون بارادة السوء والمضار وذلك لا يجوز على الله تعالى، وذلك قوله تعالى ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾(٣) لكنه من المجاز الحسن الموقع لأن الأمانة لا تسلم اذا تخللها الخيانة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾(٤) كيف يصح ان ينفي ذلك أوّلاً ثم يثبته آخراً ؟

وجوابنا : أنه تعالى نفى ذلك بشرط، وأثبته مع فقد ذلك الشرط، وذلك متفق، وقد قيل انه نفى بالاوّل عذاب الاستئصال وأثبت ثانياً عذاب الآخرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾(٥) أليس ذلك يدل على ان كل فعل يقع بقضاء الله ؟

وجوابنا : أن الآية نزلت في واقعة بدر وانه اتفق لهم ما لم يظنوه من الجهاد والظفر، وذلك لا شبهة في أنه من قضاء الله كقوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾(٦) وقد يقال في كل معقول انه من قضاء الله على وجه الإعلام والإخبار إما مجملاً واما مفصلاً، وقوله تعالى من بعد ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾(٧) يدل على أن العبد الفاعل المختار وأنه بعد البينة اختار ما يؤديه الى الهلاك، ولو كان الله تعالى هو الخالق لذلك فيه لكان وجود البينة كعدمها .

---

(١) [الأنفال:٢٧].
(٢) [الأحزاب:٥٧].
(٣) [الأنفال:٢٧].
(٤) [الأنفال:٣٣-٣٤].
(٥) [الأنفال:٤٢].
(٦) [الإسراء:٢٣].
(٧) [الأنفال:٤٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾(١) قد أضاف موافقة بعضهم لبعض الى نفسه وذلك بخلاف قولكم ؟

وجوابنا: أن الأسباب التي بها يؤتلف كانت من قبله تعالى فأضاف اليه الائتلاف، وهذا كما تضيف الى الله تعالى الرزق وان كان المرء يسعى في الاكتساب، وأراد تعالى إعظام المنة على رسوله ﷺ بما سهله من تألف القوم على طاعته وموافقته مع الذي كانوا عليه من المباينة الشديدة ومن الانفة والحمية .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾(٢) كيف يصح ان يضيف ذلك الى الرسول ﷺ وهو منزه عن الرغبة في الدنيا ولا يريد الا ما أراده الله تعالى ؟

وجوابنا : أنه لم يضف ذلك الى الرسول ﷺ على الحقيقة حتى يلزم ما ذكرته وانما نسبه الى غيره ممن كان بغيته الغنائم، وقد يصح أيضاً من الانبياء إرادة عرض الدنيا من المباحات وان كان تعالى يريد العبادات .

ومعنى قوله تعالى ﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣) فالمراد ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ من كون ما وقع من باب الصغائر المغفورة، وقيل لولا كتاب سبق نزوله ما أحدثتموه من الأسرى، والكتاب هو القرآن فآمنتم به واستحققتم بالإيمان غفران صغائر ذنوبكم لمسكم فيما أخذتم من الامر عذاب عظيم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً ﴾(٤) اليس يدل ذلك على حدوث علم من الله تعالى ؟

وجوابنا : أنه تعالى يذكر العلم ويريد المعلوم من حيث صح أن معلوم العلم يكون على ما تناوله، وعلى هذا الوجه يمدح أحدنا صاحبه ويقول قد علمت ما أنت عليه من الخير والفضل وذلك كثير في القرآن .

---

(١) [الأنفال:٦٣].
(٢) [الأنفال:٦٧].
(٣) [الأنفال:٦٨].
(٤) [الأنفال:٧٠].

سورة التوبة

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾(١) ثم قوله ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ ﴾(٢) وانسلاخها بانقضاء المحرم وذلك ينقص الأول .

وجوابنا : أنه كان في الكفار من له عهد ومن لا عهد له، ومن له عهد يختلف عهده، فقوله تعالى ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾(٣) هو لمن هذا عهده، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ ﴾(٤) هو لمن لا عهد له أو لمن ينقضي عهده بانقضاء هذه المدة فلا اختلاف بين الكلامين .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾(٥) كيف يتولون ؟

وجوابنا : أن هذه اللفظة تفيد التهديد والمراد أنه تعالى قادر على انزال العقوبة فلم لا يجوز عليه المنع ؟وما أكثر ما يرد في القرآن هذا اللفظ على الوجه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ ﴾(٦) كيف يصح أن يستثنيهم لمكان العهد وذلك لا ينجيهم من العذاب الأليم ؟

وجوابنا :أن قوله وبشر الذين كفروا يوهم أن الإقدام على كل كافر بالقتل يجوز فأزال الله تعالى هذا الإيهام بقوله ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم ﴾(٧) والمراد لكن الذين عاهدتم

---

(١) [التوبة:٢].
(٢) [التوبة:٥].
(٣) [التوبة:٢].
(٤) [التوبة:٥].
(٥) [التوبة:٣].
(٦) [التوبة:٣-٤].
(٧) [التوبة:٤].

من المشركين فليس لكم اذا وفوا الا الوفاء لهم، ومعنى قوله تعالى من بعد ان الله يجب المتقين أن الوفاء بالعهد يحبه الله وهو من باب التقوى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾(١) كيف يستقيم تشبيه سقاية الحاج بمن آمن بالله ؟

وجوابنا : أن المراد أجعلتم القيام بسقاية الحاج كمن آمن بالله . أو يكون أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن بالله ومثل هذا الحذف يحسن في اللغة اذا كان الثابت في الكلام يدل على المحذوف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(٢) ثم قوله ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(٣) كيف يصح فيمن يكفر بالله تعالى أن يسوغ له الكفر ببذل الجزية ؟

وجوابنا : أن قتلهم لأجل كفرهم وهو شرعي لا عقلي ويجوز ان يكون الصلاح في ذلك ما لم يعطوا الجزية . فاذا أعطوا حرم قتلهم، وربما يكون في ذلك هدايتهم للاسلام اذا أقروا ثم سمعوا الشرائع وقد قيل إن قتلهم على الشرك لو لم يجز تركه لأدى الى الاكراه، وقد قال تعالى ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾(٤) .

فإن قيل فأنتم متى قلتم ذلك فان في الكفار من لا يرضى منه الا بالقتل فيجب أن يكون مكرهاً على الاسلام .

وجوابنا : انه لا كافر الا وقد يجوز أن يتخلص ببعض الوجوه وان كان مقيما على الكفر فلا يلزم ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾(٥) ما فائدة وصف قولهم بذلك وكل الاقوال هذا سبيلها ؟

---

(١) [التوبة:١٩].
(٢) [التوبة:٢٩].
(٣) [التوبة:٢٩].
(٤) [البقرة:٢٥٦].
(٥) [التوبة:٣٠].

وجوابنا : أن المراد به ان هذا القول لا حقيقة له لانه قد يوصف ما لا حاصل له من الأقوال بذلك، وقد يُقبل أحدنا على من يتكلم بمالا يصح فيقول هذا بلسانك ولا تقوله عن قلبك ويراد ما ذكرنا، ولذلك قال بعده ﴿ **يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾(١) فبين ان ذلك من الافك الذي لا حاصل تحته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** ﴾(٢) كيف يصح ذلك وليس فيهم من يتخذ أحبارهم أرباباً وانما يقول بعضهم ذلك في عيسى فقط ؟

وجوابنا : أن المروى عن رسول الله ﷺ انه قال في معناه : انهم لما أطيعوا فيما أمروا به ونهوا عنه، وصفوا بأنهم أُتخذوا أربابا وذلك صحيح فيهم، وعلى هذا الوجه يوصف مالك العبد بأنه ربه اذا أطاعه فالأمر مستقيم وبين تعالى بعده بقوله ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾(٣) .

إن الطاعة والعبادة لا تحق الا لله وكل من يطيع غيره فانما يطيعه بأمر الله فتكون طاعته طاعة لله، ثم قال تعالى ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾(٤) فوصف باطلهم بهذا الوصف، وقال تعالى ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ** ﴾(٥) فوصف الحق بهذا الوصف لصحته وبيانه، ثم أردف ذلك بقوله تعالى ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ** ﴾(٦) فبين ان الذي يؤديه ﷺ هو الدين الحق ووصفه بأنه يظهره على الدين كله تحقيقاً لقوله جل وعز ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ** ﴾(٧) .

ثم بين ما عليه الأحبار والرهبان بقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(٨) فبين أن طاعتهم محرمة إلا من أمر الله بذلك فيه على ما قلنا .

---

(١) [التوبة: ٣٠].
(٢) [التوبة: ٣١].
(٣) [التوبة: ٣١].
(٤) [التوبة: ٣٢].
(٥) [التوبة: ٣٢].
(٦) [التوبة: ٣٣].
(٧) [التوبة: ٣٢].
(٨) [التوبة: ٣٤].

ثم أتبعه بالوعيد العظيم لمن امتنع عن الزكاة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١) وأكثر المفسرين علله أن المراد به مانع الزكاة وبين أن الأموال التي منعت منها الزكاة ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾(٢) وذلك من أعظم الوعيد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾(٣) كيف خصها بالنهي عن الظلم وحال جميع الشهور سواء في ذلك ؟

وجوابنا : أن للأشهر الحرم التي هي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة مزية في أن الظلم فيها يكون أعظم، كما أن لنفس الحرم مزية الاماكن في الظلم فلذلك خصه بالذكر ولا يمنع ذلك فيما عداه انه بمنزلته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾(٤) كيف يصح ذلك وقد أمرهم بالجهاد مع رسول الله ﷺ ؟

وجوابنا : أنه لما كان في خروجهم مضرة على المسلمين لنفاقهم اذ كانوا يضمرون التخريب جاز ان يقول تعالى ذلك لان الصلاح في صرفهم عن الخروج، ولو خرجوا على الوجه الصحيح لما كره الله ذلك، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾(٥) وقال ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾(٦) وكل ذلك يشهد بصحة ما ذكرناه، وبين تعالى بعد ذلك ما يدل على أنه مع الفسق لا يتقبل من المرء شيء من الطاعات فقال ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾(٧) والتقبل لا يصح إلا في الطاعات، فيدل ذلك على أن الفسق والكفر لا يمنعان من وقوع الطاعة وإن منعا من التقبل .

---

(١) [التوبة:٣٤]. (٢) [التوبة:٣٥].
(٣) [التوبة:٣٦]. (٤) [التوبة:٤٦].
(٥) [التوبة:٤٧]. (٦) [التوبة:٤٨].
(٧) [التوبة:٥٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[1] في صفة المنافقين وفاعل الانفاق لا يجوز أن يكون كارهاً له .

وجوابنا : أن المراد أنهم يكرهون ذلك الانفاق على الوجه الذي أمروا وانما ينفقون خوفاً ولا يمتنع أن يراد الشيء على وجه ويكره على وجه آخر، كما يراد من الغير ان يصلي لله ويكره منه أن يصلي على وجه الرياء والسمعة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[2] كيف يصح ان يريد تعالى أن يعذبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا ؟

وجوابنا:أن تكثير الأموال والأولاد في الدنيا لا يكون عقوبة لأن الله تعالى يفعله تفضلا أو مصلحة في الدين، لكنها لما جاز أن يكونا فتنة ومحنة وسبباً للعقوبة من حيث يغتر المرء بهما فينصرف عن طريق الطاعة الى خلافه، جاز أن يقول تعالى ذلك بعثاً للبعد عن هذا الجنس من الإغترار، وهذا كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾[3] ويحتمل أن يريد أنه يعذبهم في الآخرة بها فيكون التعذيب متناولا الآخرة دون الدنيا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[4] كيف يصح أن يأمر الله تعالى ببذل المال تالفاً على الدين ومتى صاروا الى الدين للمال لم ينتفعوا به؟

وجوابنا : أن ذلك وان كان في الحال لا ينتفع به فقد يكون تلطفاً في الاستدراج اليه فيصير الواحد منهم بذلك من أهل الدين، وقد أمرنا الله تعالى بأن نأخذ أولادنا بالصلاة لمثل هذا المعنى وان كانوا لا ينتفعون بالصلاة وليسوا مكلفين .

واختلف العلماء في المؤلفة هل يدخلون الآن في سهم من الزكاة فأكثرهم يمنع من ذلك لظهور الإسلام وقوته واستغنائه عن تألف قوم في الذبِّ عنه والمجاهدة فيه .

---

(١) [التوبة:٥٤].
(٣) [التوبة:٥٥].
(٣) [التغابن:١٤].
(٤) [التوبة:٦٠].

ومن العلماء من يقول بل سهمهم ثابت ابداً واذا وجد من ليس يقوى على الايمان ويظن أنه يصير من أهل القوة فيه اذا دفع ذلك اليه فيكون حاله كحال سهم في سبيل الله للذين يجاهدون .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾[١] كيف يصح ان يكون خيراً وما يسمع قد يكون الخير والشر والصواب والخطأ ؟

وجوابنا : أنه تعالى قيد ذلك فقال بعده ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾[٢] فبين انه اذن يقبل ما تكون هذه صفته وقبول الخير وما يؤدي الى الخير هو طريقة الصالحين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[٣] فذكرهما ثم وحَّد كيف ذلك ؟

وجوابنا : أن الواجب أن لا يذكر تعالى مع غيره بل يجب أن يفرد بالذكر إعظاماً، وقد روي انه ﷺ سمع رجلاً يقول الله ورسوله فقال الله ثم رسوله، ولذلك قال تعالى بعد ذكر نفسه ورسوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[٤] فأفرد ذكره وقد أفرد الله ذكر جبريل وميكائيل عن الملائكة تفخيما لهما وتعظيما، فما ذكرناه أحق وأولى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٥] كيف يصح ذلك وأكثر الفساق لا يوصفون بالنفاق ؟

وجوابنا : أنه تعالى بيَّن في المنافقين انهم كذلك لأن جميع المنافقين هم فاسقون، وانما كان يجب ذلك لو قال ان الفاسقين هم المنافقين .

---

(١) [التوبة: ٦١].
(٢) [التوبة: ٦١].
(٣) [التوبة: ٦٢].
(٤) [التوبة: ٦٢].
(٥) [التوبة: ٦٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾[1] كيف يصح ذلك في تعذيب المنافقين وإنما يستعمل حسب في الخير ويستعمل في خلافه حسيب؟

وجوابنا : أن المراد بذلك الزجر عن النفاق كما تزجر من ينهمك في شرب الخمر، فتقول حسبك هذا الفعل فيكون على وجه الزجر لا على وجه الوصف، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[2] ثم انه تعالى بعد ذكر قصة المنافقين ذكر ما يحقق عدله وحكمته فقال ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3] ولو كان الظلم خلقاً لله تعالى لكان هو الظالم دون أنفسهم .

ثم ذكر بعده جل وعز طريقة المؤمنين فقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾[4] فوقف رحمته تعالى على من هذه صفته، وبين أنها صفة المؤمنين وأن من ليس هو كذلك لا يمدح بالإيمان، وبين أنه وعدهم جنات عدن على ما وصف، ووعدهم برضوان من الله وأن ذلك من باب الإنعام الأكبر والأعظم . وبين أن ذلك هو الفوز العظيم لأن من أوتي ذلك فقد أدرك نهاية المطلوب.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾[5] كيف يصح ذلك ومن حكم المنافقين أن لا يجاهدوا وأن يجروا مجرى المؤمنين في أحكام الدنيا ؟

وجوابنا : أن النفاق ما دام مكتوماً فحاله ما وصفه، فأما إذا ظهر فحال المنافقين في المجاهدة كحال الكفار، وإنما ذكر تعالى ذلك عند ظهور نفاقهم على ما تقدم ذكره، ولو صح ما ذكرته لحملنا مجاهدة المنافقين على غير الوجه الذي تحمل عليه مجاهدة الكفار .

---

(١) [التوبة:٦٨].
(٢) [التوبة:٦٨].
(٣) [التوبة:٧٠].
(٤) [التوبة:٧١].
(٥) [التوبة:٧٣].

ولذلك قال تعالى لنبيه ﷺ بعد ذلك ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾(١) وقال بعده ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ﴾(٢) فنبه بذلك على ظهور النفاق .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى في وصفهم ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ﴾(٣) وكانوا لم يزالوا على النفاق ؟

وجوابنا:أن المراد أظهروا الكفر بعد إظهار الاسلام وذلك دلالة على ما قلنا من أن نفاقهم ظهر فأوجب الله تعالى فيهم ما تقدم ذكره، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾(٤) .

ثم قال تعالى بعده ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا ﴾(٥) فنبه بذلك على عظم الذم في نقض العهد والمواثيق وأن من نقضه يكون أعظم حالا ممن ابتدأ بذلك .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله جل وعز ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾(٦) فأضاف نفاقهم الى نفسه وأنه أدامه فيهم كيف يصح ذلك مع حكمته ؟

وجوابنا:أنه تعالى لما خلاهم ونفاقهم ولم يلطف بهم من حيث كان المعلوم أنه لا لطف لهم لتقدم النفاق فيهم جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه، وذلك قوله ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ ﴾(٧) والمراد به التخلية، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾(٨) فبين أن المراد هو ذلك لا أنه خلق فيهم النفاق .

---

(١) [التوبة:٧٣].
(٢) [التوبة:٧٤].
(٣) [التوبة:٧٤].
(٤) [التوبة:٧٤].
(٥) [التوبة:٧٥-٧٦].
(٦) [التوبة:٧٧].
(٧) [مريم:٨٣].
(٨) [التوبة:٧٧].

وقال تعالى بعده ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾(١) وكل ذلك لا يليق الا بزجرهم عن النفاق ولو كان هو الخالق لذلك فيهم لما صح، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾(٢) فبين أن استغفاره لا يؤثر وكذلك سائر الالطاف ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(٣) لان تقدم ايمانهم صير ما يفعله لطفاً لهم، فاذا لم يتقدم حرموا أنفسهم ذلك وخرجوا بسوء اختيارهم عن أن يتأنى فيهم اللطف فيكون ذلك كالجناية منهم على أنفسهم، وهو معنى قوله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٤) ويقال ان المعاصي اذا اجتمعت وكثرت بلغ القلب في القسوة مالا تؤثر فيه الالطاف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ﴾(٥) كيف يصح مع ذلك أن يقول ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(٦) وذلك كالمتناقض ؟

وجوابنا : أن الكلام اذا اتصل دل آخره على أوّله فالمراد بذلك البعض ويحتمل أن يراد بالأعراب من امتنع عن المهاجرة، فقد كان يقال مهاجر وأعرابي . وبين ذلك قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾(٧) فميزهم من الأعراب الذين أرادهم بهذه الآية .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾(٨) ما فائدة ذلك والله تعالى يقبل التوبة ممن لم يعمل الا السيئات كما يقبلها ممن خلط الصالح بالسيء ؟

---

(١) [التوبة:٧٧-٧٨]. (٢) [التوبة:٨٠].
(٣) [محمد:١٧]. (٤) [المطففين:١٤-١٥].
(٥) [التوبة:٩٧]. (٦) [التوبة:٩٩].
(٧) [التوبة:١٠٠]. (٨) [التوبة:١٠٢].

وجوابنا : أنه تعالى نبه بقوله ﴿ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾[١] على وقوع التوبة منهم والندامة، فلذلك خصهم بقبول التوبة لا أنه نفى قبول التوبة عن غيرهم ممن ذكرهم تعالى بقوله ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ ﴾[٢] لأن هؤلاء لم يتوبو بل أصروا فلذلك قال تعالى ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[٣] لأنهم اذا بقوا فإما أن يصروا فالعذاب، وإما أن يتوبوا فتوبتهم مقبولة .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤] كيف يصح الأخذ من قبل الرسول ﷺ وبفعل غيرهم لا يلحقهم المدح حتى يوصفوا بأنهم مطهرون مزكون ؟ وكيف يقول ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[٥]؟

وجوابنا : أن المراد بذلك من تاب وقبل الله توبته . فبين أنه اذا أخذ منهم الصدقة فهذه حالهم وأمره بأن يدعو لهم بالرحمة والثواب، وهي معنى قوله ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[٦] ولذلك قال بعده ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[٧] والمراد بهذا الأخذ القبول، وذلك لا يليق الا بالمؤمن التائب الذي يسر ويرضى بما فعله الرسول ﷺ من أخذ الزكاة منه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[٨] كيف يصح من الرسول والمؤمنين أن يعملوا أعمالهم ولا سبيل الى ذلك لا فيما بطن ولا فيما ظهر ؟

وجوابنا : أن المراد الاعمال الظاهرة التي يشهد الرسول بها ويشهد المؤمنون كما ذكره الله تعالى في الشهداء .

---

(١) [التوبة:١٠٢].
(٢) [التوبة:١٠٦].
(٣) [التوبة:١٠٦].
(٤) [التوبة:١٠٣].
(٥) [التوبة:١٠٣].
(٦) [التوبة:١٠٣].
(٧) [التوبة:١٠٤].
(٨) [التوبة:١٠٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[١] كيف يدخل قتل الكفار لهم فيما به يستحقون المدح وذلك كفر بينهم ؟

وجوابنا : أن قتل الكفار لهم يتضمن وقوع الصبر الشديد على الجهاد فيدل على هذه الطاعة العظيمة، فلذلك ذكره تعالى وعلى هذا الوجه الذي ذكرناه يوصف المقتول في الجهاد بانه شهيد لما دل القتل له على ما ذكرناه ودل تعالى بقوله فيما بعد ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] على أن المؤمن لا يتكامل كونه مؤمناً إلا بهذه الخصال .

ونبه تعالى بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[٣] على أنهم مستحقون العقاب لا يجوز لنا أن نستغفر لهم ونترحم عليهم، وإنما يجوز ذلك في المؤمن الذي نقطع بإيمانه أو تظهر منه دلالة ذلك، ودل تعالى بقوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾[٤] على أنه تعالى يُريد بالضلال المضاف اليه العقاب وما شاكله، فلذلك قال ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[٥] فنبه على أن إضلاله بالعقاب لا يكون إلا بعد هذا البيان، وأضاف الإيمان والكفر الى السورة في قوله ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ﴾[٦] الى آخر الآية على وجه المجاز، لما كان الإيمان منهم عند نزولها ولما كان الرجس والكفر من الكفار عند نزولها، وذلك معلوم وهو كقوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[٧] إذ معلوم لكل واحد أن المراد أهلها .

---

(١) [التوبة:١١١].
(٢) [التوبة:١١٢].
(٣) [التوبة:١١٣].
(٤) [التوبة:١١٥].
(٥) [التوبة:١١٥].
(٦) [التوبة:١٢٤].
(٧) [يوسف:٨٢].

وزجر تعالى عباده بقوله ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١) فبين أنه لا يدع بما ينزل بهم من الامراض والمصائب والمحن ستراً يحجبهم عن الطاعة والتوبة وهم مع ذلك غافلون، وذلك زجر عظيم عن الإعراض وترك التوبة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾(٢) أن ذلك يدل على أنه جل وعز يصرفهم عن الطاعة فما تأويل ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد ثم انصرفوا بترك الطاعة والتوبة صرف الله قلوبهم أي عاقبهم على انصرافهم كما قال تعالى ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾(٣) وقوله ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٤).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٥) ان هذا كالنص في انه تعالى خلق الكفر فيهم ؟

وجوابنا : أنهم كانوا يؤخرون الحج من شهر الى شهر، فبين تعالى انهم يَضِلُّون بذلك لا ان الله تعالى يفعله، فالاضلال منسوب اليهم لا اليه تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾(٦) ان ذلك يدل على أنه يمنعهم من الطاعة .

وجوابنا : أن كلامنا في الطبع وانه علامة كالختم وانه لا يمنع من الايمان كما تقدم .

---

(١) [التوبة:١٢٦].
(٢) [التوبة:١٢٧].
(٣) [البقرة:١٩٤].
(٤) [الشورى:٤٠].
(٥) [التوبة:٣٧].
(٦) [التوبة:٨٧].

سورة يونس

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ﴾(١) ان ذلك كالنص في انه تعالى جسم يجوز عليه المكان ؟

وجوابنا : أن المراد بالاستواء الاستيلاء والاقتدار كما يقال استوى الخليفة على العراق وكما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وقد ثبت بدليل العقل أن ما يصح عليه الاستواء من الأجسام لا يكون إلا محدثاً مفعولا فلا بد من هذا التأويل(٢).

(فَإِنْ قِيلَ) فلماذا قال الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾(٣) ومعلوم أن اقتداره لم يتجدد .

وجوابنا : ان ثم في اللفظ دخلت على الاستواء والمراد دخولها على التدبير وهو قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾(٤) والتدبير من الله تعالى حادث .

ومتى قيل فلماذا خص العرش بالذكر وهو مقتدر على كل شيء .

فجوابنا : لعظم العرش وهذا كقوله تعالى ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٥) وان كان ربا لغيرهما، ومعنى قوله بعد ذلك ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾(٦) ان مرجع الخلق اليه حيث لا مالك سواه، كما يقال رجع أمرنا الى الخليفة اذا كان هو الناظر في أمرهم وليس المراد بذلك المكان .

---

(١) [يونس:٣].

(٢) مذاهب أهل السنة يخالفون هذا التأويل ويأخذون بقول : الإمام مالك رحمه الله : (الاستواء معروف، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة) . وكل من الفريقين يحاول بتفسيره تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبيه والتجسيم .

(٣) [يونس:٣].

(٤) [يونس:٣].

(٥) [الإسراء:١٠٢].

(٦) [يونس:٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾[١] ان ذلك يدل على جواز لقائه بالرؤية والمشاهدة .

وجوابنا : أن المراد لا يرجون لقاء ثوابنا واكرامنا ولا يرجون المجازاة على ما يكون في الدنيا وهذا كقوله ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٢] وكقوله ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٣] .

وبعد فقد يقال لقي فلان فلاناً وإن لم يره وقد يوصف بذلك الضرير إذا حضر غيره وقد يرى الرجل غيره من بعد ولا يقال لقيه، فليس معنى اللقاء الرؤية، ولذلك قال تعالى بعده ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾[٤] فنبه بذلك على ان المراد انهم لا يؤمنون بيوم القيامة وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾[٥] يدل على أن الهدى هو الثواب فيكون حجة على ما نتأول عليه وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾[٦] ان ذلك يدل على ارادته لذلك،

وجوابنا : أن المراد نخلي بينهم وبين ذلك وان كنا لا نأمر ولا نريد الا الطاعة وهذا كقوله ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً ﴾[٧] والمراد التخلية وكما يقال أرسل فلان كلبه على من يدخل داره اذا لم يمنعه من الوثوب على الناس .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٨] أليس في ذلك دلالة على أنه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك لننظر نفس العمل وهو تعالى يراه بعد وجوده وأما علمه فلم يزل ولا يزال .

---

(١) [يونس:٧].
(٢) [البقرة:٤٦].
(٣) [المائدة:٣٣].
(٤) [يونس:٧].
(٥) [يونس:٩].
(٦) [يونس:١١].
(٧) [مريم:٨٣].
(٨) [يونس:١٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ ﴾(١) فعمم ذلك ثم قال ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) فخص كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه يدعوا إلى دار السلام الكافة، ومعنى قوله ويهدي من يشاء أي من قبل ما كلفه دون من لم يقبل . ويحتمل ان يراد بهذه الهداية نفس الثواب فيكون قد دعا كل الخلق وأثاب من آمن منهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾(٣) أليس المراد بها الرؤية على ما روي في الخبر ؟

وجوابنا : أن المراد بالزيادة التفضيل في الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهذا مروي وهو الظاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الرؤية أعظم من كل الثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى ولذلك قال بعده ﴿ وَلاَ يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾(٤) فبيّن أن الزيادة هي من هذا الجنس في الجنة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَناًّ إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾(٥) كيف يصح ذلك وكثير من الأحكام يعول فيها على الظن ؟

وجوابنا : أنه تعالى ذكر ذلك في محاجة من يعبد الاصنام في قوله تعالى ﴿ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾(٦) إلى غير ذلك والظن في هذا الحق لا يقبل وانما يقبل الاجتهاد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾(٧) ما الفائدة في هذا الجواب ؟

---

(١) [يونس:٢٥].
(٢) [يونس:٢٥].
(٣) [يونس:٢٦].
(٤) [يونس:٢٦].
(٥) [يونس:٣٦].
(٦) [يونس:٣٥].
(٧) [يونس:٤١].

وجوابنا : أنه لا يقول ذلك على وجه الحجاج لكنه إذ أقام الحجة واستمروا على التكذيب صح أن يزجرهم بهذا القول، وقد كان ﷺ يغتم بمثل ذلك فكان تسلية من الله تعالى له وما بعده من قوله ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[١] وقوله ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾[٢] كل ذلك يدل أن المراد طريقة الزجر لهم .

ثم ذكر تعالى بعده بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٣] ان الظلم من قبلهم ولم يؤتوا إلا من جهة تقصيرهم وأنهم ممكنون من تركه والعدول عنه كما نقول في هذا الباب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[٤] كيف يجوز من موسى أن يسأل ربه ذلك وأن يعتقد انه تعالى رزقهم لكي يضلوا ؟

وجوابنا : أن المراد أنعمت عليهم بهذه النعم فسيروها سبباً لضلالتهم فمعنى قوله ﴿ لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾[٥] أن عاقبتهم ذلك كقوله ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾[٦] وأما قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾[٧] فهو دعاء عليهم وقد ضلوا .

ويجوز أن يدعى على من قد ضل وكفر بضروب العقاب، ويجوز أنه يدعو عليهم بالإخترام والإماتة اللذين معهما لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم في الآخرة لأنه من المعلوم أنه لا يؤمن أبداً كلما عجل اخترامه يكون عقابه أخف، وبين تعالى بقوله ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾[٨] ثم

---

(١) [يونس:٤٢].
(٢) [يونس:٤٣].
(٣) [يونس:٤٤].
(٤) [يونس:٨٨].
(٥) [يونس:٨٨].
(٦) [القصص:٨].
(٧) [يونس:٨٨].
(٨) [يونس:٩٠].

قال ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١) أن الايمان مع الالجاء لا ينفع وانما ينفع والمرء متمكن من اختيار الطاعة والمعصية وداعيته مترددة بين الامرين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾(٢) كيف يصح في العلم ان يكون سبباً للاختلاف والقول الباطل ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك انهم اختلفوا وقد أقام الحجة وأوضح الطريق لهم على جهة الندم لهم، ولـذلك قال بعـــده ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٣) .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز أن يقوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾(٤) ومعلوم ان الشك في ذلك لا يجوز عليه ؟

وجوابنا:أنه تعالى ذكره والمراد من شك في ذلك على وجه الزجر أو قال ذلك لاهل الكتاب الذين يجوز أن يسألهم غيرهم عما في الكتب من تصديق محمد ﷺ(٥).

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾(٦) أليس ذلك يدل على ان تقدم كلمته تعالى يمنع من الايمان ؟

---

(١) [يونس:٩٠]. (٢) [يونس:٩٣].
(٣) [يونس:٩٣]. (٤) [يونس:٩٤].
(٥) هذا الخطاب للنبى ﷺ هو فى حقيقته موجه إلى الكافة أن يسألوا أهل الكتاب عن محمد ﷺ وعن القرآن الكريم، لأن لديهم فى كتبهم بشارات بالرسول الخاتم ﷺ ، ولكنهم يكتمونها حقدوا وحسدا، لأنهم كانوا يرجون أن تكون النبوة من بينهم فى بنى إسرائيل .
ولقد اعترف كثير من أهل الحق منهم بوجود هذه البشارات راجع كتاب الإنجيل والصليب للقس دافيد بنجامين الاشورى، وكتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل للقس إبراهيم فليس الذى أسلم وتسمى (بإبراهيم خليل أحمد) والأجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة للقرافى بتحقيقنا، ففيها كثير من البشارات .
(٦) [يونس:٩٦].

وجوابنا : أن المراد أن من المعلوم أنه لا يؤمن وقد سبقت الكتابة من الله تعالى بذلك في اللوح المحفوظ لا يؤمن، لكنه إنما لا يؤمن اختياراً(١)، وكما سبق ذلك في الكتاب فقد سبق فيه أيضاً أنه يمكن من الإيمان فيعدل عنه بسوء اختياره ولذلك قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾(٢) ولو كان ذلك يمنع من الإيمان لم يكن في مجيء الآيات فائدة وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴾(٣) دلالة على أنه لم يشأ إيمانهم على وجه الإكراه مع قدرته على أن يكرههم عليه وإنما سأل ذلك على وجه التطوع والاختيار لكي يفوزوا بما عرضوا له من الثواب،

وقوله تعالى من بعد ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) بعد تقدم ذكر العقاب يدل على ان من ليس بمؤمن من الفساق والكفار لا ينجيهم الله من العقاب .

[مسألة] وربما قيل كيف جاز أن يقول موسى للسحرة ﴿ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾(٥) وذلك معصية لا يحسن الأمر بها ؟

وجوابنا : انه قال لهم لا على وجه الأمر لكن على وجه التعريف بأنهم مبطلون وان باطلهم ينكشف بما سيأتيه فهو قريب من تحدي الانبياء بالمعجزات .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾(٦) والنتيجة لا تكون الا بالبدن ؟

---

(١) سبق فى علم الله سبحانه وتعالى ما سيفعله الإنسان فكتبه فى اللوح المحفوظ ولم يكتبه جل وعز ليلزمه به، وإنما بين له طريق الهدى وطريق الضلال وترك له حرية الإختيار، فمن حاد عن الهدى بسوء اختياره حقت عليه كلمة ربك أنه لا يؤمن .

(٢) [يونس:٩٧].

(٣) [يونس:٩٩].

(٤) [يونس:١٠٣].

(٥) [يونس:٨٠].

(٦) [يونس:٩٢].

وجوابنا : أن المراد انا ننجيك خاصة دون غيرك[1] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] كيف يفعل من ذلك ما لم يغن عنهم شيئاً ؟

وجوابنا : أن ذلك كالزجر من حيث ينصرفون عما فيه حظهم، ويحتمل انه لا يغني عنهم في الآخرة اذا عوقبوا من حيث تركوا القبول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[3] كيف يجوز وقد سألوه أن يقتصر على الجواب واليمين دون الحجة ؟

وجوابنا : أنه قد أقام الحجة وانما أرادوا منه الفتوى فأفتاهم وأكد ذلك باليمين .

---

(١) النجاة إما أن تكون بالحياة، أو بالبدن بعد الوفاة، والمراد أنه سبحانه وتعالى نجى بدنه بعد موته، ليكون آية ومعجزة لمن بعده .

(٢) [يونس:١٠١].

(٣) [يونس:٥٣].

سورة هود

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿الـر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾(١) كيف يصح ذلك والتفصيل ليس بشيء غير الإحكام ؟

وجوابنا:أن الله تعالىٰ كتب القرآن في اللوح المحفوظ ثم أنزله مفصلا الى الرسول لا جملة واحدة بحسب المصلحة، فهذا معنى قوله، ثم قال ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٢) لانه تعالى أمر بانزاله على هذا الحال من التفصيل بعد إِحكام الجميع .

وهذه الآية تدل على أن القرآن فعله تعالى من حيث وصفه بأنه أحكمه، وذلك لا يتأتى الا في الافعال ومن حيث وصفه بأنه فصلت آياته ومن حيث وصفه بأنه من لدن القديم تعالى، وإنما يقال ذلك في الأفعال كما يقال : إن هذه النعم من فضله وبين ما تقتضيه آيات الكتاب بقوله ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾(٣) فبين ما تضمنه الكتاب وبين حال التائب وانه يمتعه متاعاً حسناً ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾(٤) وبين حكم المصير بقوله ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(٥) ثم بين أن المرجع الى الله تعالى والمراد الى يوم لا حاكم ولا مالك سواه وهو يوم القيامة .

وبيّن بقوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(٦) تكفله بإرزاق كل حي . ومتى قيل فاذا تكفل بذلك فلماذا يلزمه السعي .

فجوابنا : أن تكفله هو على هذا الوجه لا على حد الابتداء، كما ان تكفله برزق الولد هو على وجه المباشرة لا على وجه الابتداء .

---

(١) [هود:١].
(٢) [هود:١].
(٣) [هود:٢-٣].
(٤) [هود:٣].
(٥) [هود:٣].
(٦) [هود:٦].

وبين ان كل ذلك مكتوب في الكتاب المبين وفائدة كتابة ذلك في اللوح المحفوظ أن الملائكة تعتبر بذلك وتعرف قدرة الله تعالى وعلمه إذا وافق ما يحدث من الأمور ذلك المكتوب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(١) ما الفائدة في خلقها في هذه الأيام وهو قادر على أن يخلقها في لحظة واحدة ؟

وجوابنا : أنه تعالى خلقها في هذه المدة مصلحة للملائكة(٢) لكي يعتبروا بذلك، كما انه قادر على جمع كل رزق لنا في يوم واحد لكنه للمصلحة يفعله حالا بعد حال ولذلك قال بعده ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٣) وبين تعالى بقوله ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت انكارهم للاعادة وبين بقوله ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ ﴾(٤) استعجالهم بما كان يخوف به الرسول ﷺ وبين آخراً بقوله ﴿ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾(٥) أن ذلك مؤخر لأنه تعالى حليم لا يعجل العقوبة ويمهل توقعاً للتوبة .

وبين تعالى طريقة الإنسان المذمومة بقوله ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾(٦) فبين أنهم عند الإحسان إليهم يفرحون، فإذا نزع ذلك لمصلحة يوجد منهم كفر النعمة، واذا أجزل النعم عليهم يسلكون طريقة الفخر والفرح دون الإنقطاع إلى الله تعالى والتواضع له .

وذلك تأديب من الله تعالى فيما ينبغي أن يفعله المرء عند الغنى والفقر وفيما يكره منه، ولذلك قال بعده ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٧)فاستثناهم من القوم.

---

(١) [هود:٧].
(٢) وللإنسان أيضاً .
(٣) [هود:٧].
(٤) [هود:٨].
(٥) [هود:٨].
(٦) [هود:٩-١٠].
(٧) [هود:١١].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[١] ما الفائدة في هذا الابتداء ولا خبر له ؟

وجوابنا : أن الخبر قد يحذف اذا كان كالمعلوم، والمراد أفمن كان بهذا الوصف كمن هو يكفر ولا يسلك طريقة العبادة وما توجبه البينة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ﴾[٢] أنه يدل على جواز المكان عليه لان العرض لا يصح الا على هذا الوجه .

وجوابنا : أنهم لما عرضوا في الموضع الذي جعله الله تعالى مكانا للعرض صح ذلك، ومعنى قوله تعالى من بعد ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾[٣] انهم من حيث لم يقبلوا ولم ينتفعوا بما سمعوا ورأوا كانوا في حكم ما لا يسمع ولا يبصر، ولو أراد الحقيقة لما ذمهم من قبل بقوله ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾[٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[٥] أن ذلك على أنه تعالى يريد الضلال .

وجوابنا : أن مراد نوح عليه السلام عند مخاطبة قومه بذلك إنه إن كان تعالى يريد حرمانهم وخيبتهم من الفوز بالثواب[٦] وانزال العقاب فنصحه لا ينفع، وذلك احالة على المعلوم من حالهم أورده على وجه الزجر لهم .

---

(١) [هود:١٧]. (٢) [هود:١٨].
(٣) [هود:٢٠]. (٤) [هود:٢٠].
(٥) [هود:٣٤].

(٦) بناء على اختيارهم الضلال، وليس اضلال الله لهم، فالله سبحانه وتعالى تركهم وما يختارون، فكل ما يرد من أن الله جل وعز يضل أو يغوى أو يهدى إنما هو إخبار عما كتب فى اللوح المحفوظ السابق علمه بما سيختارونه بمحض إرادتهم . فإذا قال : لن يهتدوا أو لن يضلوا، أو لن يهديهم الله، فبناء على إختيارهم، وليس إن الله يختار لهم أو يفرض عليهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ ﴾(١) أليس في ذلك دلالة على انه تعالى وعده تخليص ابنه مع القوم ثم لم يقع فكيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه تعالى قد كان وعد بنجاة أهله وأراد من آمن منهم، وظن نوح أن ابنه منهم ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾(٢) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾(٣) ان ذلك يدل على أن الطاعات من فعل الله تعالى .

وجوابنا : أن التوفيق من فعل الله تعالى في الحقيقة وهو ما يفعله مما يدعو العبد إلى العبادة، كخلق الولد والغنى وما شاكله فنحن نقول بالظاهر والقوم لا يمكنهم ذلك إذ قالوا إن الله تعالى يخلق أعمال العباد لأنّ خلقه ذلك مما يغني عن اللطف والتوفيق والمعونة والهداية فكان ذلك على مذهبهم يجب أن لا يصح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾(٤) أليس ذلك يدل على انقطاع العذات من حيث وقته بداوم السموات والأرض اللذين يفنيان وأنتم تقولون بالخلود فكيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن للنار سماء وأرضاً وكذلك الجنة ولا يفنيان فهذا هو المراد وقد قيل ان المراد بذلك تبعيد خروجهم فعلقه تعالى بما يبعد في العقول زواله على مذهب العرب في مثل قول الشاعر .

اذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

---

(١) [هود:٤٥].
(٢) [هود:٤٦].
(٣) [هود:٨٨].
(٤) [هود:١٠٦-١٠٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[١] ان ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود ؟

وجوابنا : أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة قبل دخول النار وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الأشقياء فقال ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[٢] وقوله تعالى من بعد لرسوله ﷺ ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾[٣] على وجه الزجر لغيره على نحو ما قدمناه من قبل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٤] كيف يصح أن يوفيهم نفس العمل ؟

وجوابنا : أن المراد جزاء العمل من الثواب وعقاب وهو الذي يصح أن يفي به وعده .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[٥] كيف يصح ذلك وقد أبيح لنا مخالطتهم ؟

وجوابنا : أن المراد الركون اليهم فيما يتصل بالمدح والإعظام وما يجري مجرى الموالاة، ولم يرد ما يتصل بالمعاشرة، ومعنى قوله من بعد ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[٦] ان التوبة تزيل عقاب المعاصي وكثرة الطاعات تكفر السيئات، ومعنى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[٧] بالإلجاء والإكراه لكنه إنما شاء منهم ذلك على وجه الإختيار لكي يفوزوا بالثواب .

---

(١) [هود:١٠٧].
(٢) [هود:١٠٨].
(٣) [هود:١٠٩].
(٤) [هود:١١١].
(٥) [هود:١١٣].
(٦) [هود:١١٤].
(٧) [هود:١١٨].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[1] أليس ذلك يدل على أنه خلقهم للإختلاف الذي في جملته المعصية وذلك يدل على أنه تعالى مريد منهم ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد للرحمة خلقهم لأنه قال ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[2] فلذلك راجع الى الرحمة لا الى الاختلاف، والرحمة من الله تعالى لا تكون إلا بارادته، فكأنه قال ولكي يرحمهم خلقهم، وهو أقرب مذكور إليه وقد ثبت بالدليل أن الإختلاف الباطن لا يريده الله تعالى بل يكرهه أشد كراهة فقد نهى وزجر عن فعله .

[مسألة] وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾[3] كيف يصح ذلك إذا لم يكن هو الخالق لتصرف الحيوان ؟

والجواب عنه : أن المراد أنه قادر على تصريفها كما يشاء، والعرب تذكر ذلك على هذا المعنى فتقول ناصية فلان بيد فلان .

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾[4] كيف يجوز منه وهو نبي أن يجادل الملائكة في ذلك؟

وجوابنا : أنه جادل ليعرف ما لأجله استحقوا العذاب وهو أحد الوجوه التي يجادل المجادل لأجلها .

---

(١) [هود:١١٨-١١٩].
(٢) [هود:١١٩].
(٣) [هود:٥٦].
(٤) [هود:٧٤].

سورة يوسف

أول ما نذكر في هذه السورة أنها مشتملة من آداب الانبياء صلوات الله عليهم ومن آداب الأخلاق والتمسك بالصبر والحلم، وتوقع الفرج بعد حين، والتشدد في الصبر على المعاصي واحتمال المكاره على ما لو تأمله القاريء وتمسك بكله أو بعضه لعظم موقع ذلك في دينه ودنياه،

فليتأمل القاريء أولاً رؤيا يوسف للكواكب والشمس والقمر وان أباه صلى الله عليهما وسلم كيف أمره بكتمان ذلك عن اخواته والصبر في كتمان ذلك صعب فاحتمله تحرزاً من حسدهم .

وليتأمل ثانياً كيف جاد به على اخواته لئلا يستوحشوا وظن السلامة مع خوفه منهم عليه حتى أقدموا على ما أقدموا .

وليتأمل ثالثاً أنه بعد ظهور ذلك منهم كيف احتملهم ولم يجازهم على ما فعلوه بقطعهم واخراجهم عن محبته وعن النظر لهم .

وليتأمل رابعاً صورة يوسف فيما وقع اليه من امرأة العزيز وكيف تشدد في الاحتراز عنها واحتمل لذلك الحبس الطويل حتى كانت عاقبة صبره ما حصل من اعتراف الكل بصيانته ووصوله الى الملك والبغية .

وليتأمل خامساً ما دفع اليه إخوته في تلك السنين الصعبة من التردد الى يوسف يطلبون من جهته القوت واحتمالهم لما عاملهم به .

وليتأمل سادساً كيف صبر عليهم وكيف احتمل في تخليص أخيه الى حضرته واحتباسه عنده على مهل وقد كان يمكنه التعجل .

وليتأمل سابعاً كيف حسنت معاملته مع إخوته حين ظفر بهم وقد كانوا عاملوه من قبل بما عاملوه به .

وليتأمل ثامناً كيف توصل الى ازالة الغمة عن قلب أبيه وصبر الى أن ظفر بالوقت الذي أمكنه فيه إحضاره عنده على أحسن الوجوه .

وليتأمل تاسعاً كيف كان صبر يعقوب ﷺ في بابه وفي باب غيبة أخيه وهو كالراجي لعودهما إليه واجتماعه معهما .

وليتأمل عاشراً كيف قبل يوسف عذر إخوته وقد اعتذروا إليه مع تلك الجنايات العظام فكان جوابه ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[1].

وليتأمل حادي عشر كيف قبل يعقوب أيضاً عذرهم وزاد بأن قال ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2] إلى وجوه أُخَر تركنا ذكرها .

ثم أنه تعالى قال في آخر السورة لرسوله ﷺ ولجماعة المكلفين ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[3] فنبه بذلك على وجوب التمسك بهذه الاخلاق والآداب، وكذلك قال تعالى في أول السورة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[4] لان النفع يعظم بذلك من تأمله وهذا معنى قوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[5] لان من تدبر القرآن وتمسك بأحكامه وآدابه وأخلاقه انفتح قلبه للخيرات دينا ودنيا، فإذا قرأه من غير تدبر يصير قلبه كأَنَّ عَلَيْهِ قِفْلاً لا يتغير عما هو عليه .

فهذه المقدمة التي قدمناها في هذه السورة تنفع فيها وفي القرآن ثم نذكر ما فيها من المتشابه على طريقتنا في هذا الكتاب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى لرسوله ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[6] كيف يقول ذلك ولم يكن موصوفاً من قبل بذلك ؟

وجوابنا : أن المراد من الغافلين عن هذه القصة وما شاكلها وإلا فمعلوم من حاله ﷺ التيقظ لكل ما يتعلق بالدين .

---

(١) [يوسف:٩٢].
(٢) [يوسف:٩٨].
(٣) [يوسف:١٠٢].
(٤) [يوسف:٣].
(٥) [محمد:٢٤].
(٦) [يوسف:٣].

[مسألة] وربما قيل كيف قص يوسف رؤياه على يعقوب كأنه مصدق بها وكيف أمره أبوه بكتمان ذلك بقوله ﴿ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾(١) كانه عالم بصدق الرؤية مع أنها قد تخطيء وتصيب ؟ وكيف قال ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾(٢) فأخبر عن أمر مستقبل لا يعرفه ؟

وجوابنا : أن مثل ذلك قد يعمل فيه بالظن فلا ينبغي أن لا يفعل الا اليقين ويحتمل انه عرف من إخوته من قبل ما يوجب أن يأمره بالكتمان وما يعلم عنده انهم لو وقفوا على هذه الرؤيا لكادوا له، ولو كان مثل ذلك لا يصح الا مع العلم لقلنا إنه تعالى قد أوحى اليه إما جملة وإما مفصلا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ ﴾(٣) أهو من قول يعقوب أو من قوله تعالى، فان كان من قول يعقوب فكيف عرف ذلك ؟

وجوابنا : انه من قول يعقوب وقد كان الله أعلمه ذلك، يبين ما قلناه قوله أخيراً ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

فإن قيل فإذا عرف ذلك فكيف يجوز أن يغتم على ما ذكره الله تعالى في الكتاب ويخفى عليه حال يوسف .

وجوابنا : أنه قد عرف ذلك من جهة الله تعالى على شرط أن يبقى فلذلك كان خائفا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٥) كيف يجوز ذلك لهم وهم أنبياء أو مرشحون للنبوة ؟

---

(١) [يوسف:٥].
(٢) [يوسف:٥].
(٣) [يوسف:٦].
(٤) [يوسف:٦].
(٥) [يوسف:٨].

وجوابنا : أن محل الولد من أبيه أن ينزله منزلة سائر أولاده فلا يقبح قولهم إن أبانا لفي ضلال مبين، اذ مرادهم ذهابه عن إنزالهم هذه المنزلة أيضاً، وبعد فلو قبح لكان ذلك قبل حال التكليف على ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾[١] لان هذا القول لا يليق الا بحال الصبي وفقد كمال العقل وقولهم ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ ﴾[٢] إنما صح أيضاً لأن الحال حال الصبا وفقد كمال العقل، فكذلك سائر ما فعلوه بيوسف لما أرسله يعقوب معهم

(فان قيل) كيف كانت الحال حال الصبا وقد قال تعالى بعده ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[٣].

وجوابنا : أنه يحتمل أن يكون بمنزلة قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[٤] ويكون بطريقة الإلهام أو إظهار أمارة ويحتمل في هذا الايحاء أن يكون الى يعقوب لتقدم ذكر يعقوب .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾[٥] وما معنى ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٦] فكيف يصح منهم الكذب ووصف الدم بالكذب ؟

وجوابنا : أنه يحتمل في قولهم أكله الذئب أنهم قالوه تعريضاً لا خبراً على التحقيق، ويحتمل أن يكونوا قد كذبوا لكنه وقع منهم في حال الصبا .

فاما قوله ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[٧] فمن أحسن ما يوجد في مجاز فانهم صوروه بخلاف صورته فصار كالكذب، ويحتمل أن يكون المراد بدم واقع من كاذب على معنى قوله ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا من قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾[٨] أي أهلها وسكانها وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[٩] يدل على ما قلناه من أنه كان ذلك في حال الصبا .

---

(١) [يوسف:١٢].
(٢) [يوسف:٩].
(٣) [يوسف:١٥].
(٤) [النحل:٦٨].
(٥) [يوسف:١٧].
(٦) [يوسف:١٨].
(٧) [يوسف:١٨].
(٨) [الأنبياء:١١].
(٩) [القصص:١٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾[1] أليس ذلك كان بعد البلوغ والنبوّة فكيف يصح من الانبياء العزم على الزنا ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله ﴿ هَمَّتْ ﴾[2] العزيمة منها وبقوله ﴿ وَهَمَّ ﴾[3] الرغبة والشهوة وان كان شديداً في الانصراف عن ذلك، وقد يقال هم فلان بكيت وكيت بمعنى اشتهى .

ويحتمل ما قيل انه هم بها لولا أن رأى برهان ربه فنفاه عنه بشرط قد وجد ولذلك قال تعالى ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾[4] وقال بعد ذلك بآيات حاكياً عنها انها قالت ﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[6] كيف يصح الحكم بمثل ذلك مع تجويز خلافه ؟

وجوابنا : أنه لا يمنع في شريعة ذلك الزمان الحكم بمثل ذلك، وقد يجوز مثل ذلك في شريعتنا أيضاً في أشياء كثيرة كالحكم بالقافة عند بعضهم، وكالحاق الولد بالفراش عند جميعهم، وكرد للقطة بالعلامات عن بعضهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[7] كيف يصح ذلك من جماعة العقلاء حتى يتفق منهن قطع اليد عند مشاهدته ؟

وجوابنا : أن حديث يوسف اذا كان قد تمكن في قلبهن لما سمعن من خبر امرأة العزيز وشدة كلفها به لم يمتنع وبين أيديهن فاكهة ومعهن ذلك السكين أن

---

(١) [يوسف:٢٤].
(٢) [يوسف:٢٤].
(٣) [يوسف:٢٤].
(٤) [يوسف:٢٤].
(٥) [يوسف:٥١].
(٦) [يوسف:٢٦-٢٧].
(٧) [يوسف:٣١].

يخرجن في حال إرادتهن لقطع ذلك وأكله الى أن يقع منهن خطأ، وليس في القرآن ان ذلك القطع كيف كان وفي أي موضع كان في اليد، ولا في القرآن كم كان عدد النسوة، ولا فيه أن ذلك وقع من جميعهن أو من أكثرهن ومثل ذلك لا يستنكر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى في جواب منام الفتيين كيف يصح أن يقطع بذلك فيقول ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ ﴾(١) ويقول ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾(٢) وذلك كلام قاطع بهذا الأمر ؟

وجوابنا : أنه يجوز أن يكون قاله من وحي، فقد كانت الحال حال نبوّة، ولو لم يثبت ذلك لجاز أن يحمل على وجه الظن، على أن الخبر في ذلك كان يثبت لديه، فالقرآن يدل على ان نفس يعقوب ونفس إبراهيم ﷺ كانوا قد أوتوا المعرفة بتأويل الرؤيا وقد قيل في الخبر أنهما قالا بعد اظهارهما ما رأياه أنهما كذبا، فقال يـوسـف ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾(٣) وذلك لا يكون إلا عن وحي .

[مسألة] وربما قيل كيف يصح وهو في السجن أن يظهر أن آباه إبراهيم واسحق ويعقوب ولا يظهر ذلك في القوم، وكيف يصح ممن نجا منهما أن لا يذكر يوسف إلا بعد زمان وإلا بعد رؤيا الملك، أو ليس كل ذلك نقيض العادات ؟

وجوابنا : أن يوسف عليه السلام كان في صورة العبد الرقيق لذلك الملك وكان يخاف أن يظهر من كلامه ما يدل على خلاف ذلك خاصة فيمن كان خادماً لذلك الملك وراجياً لأن يعود الى الخدمة، فلذلك أخفى نسبه، فأما النسيان فقد يصح في مثل ذلك اذا قل الحرص في مثله، فلذلك قال تعالى ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾(٤) وقال ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾(٥) ثم ما كان من جوابه لرؤيا الملك وموافقة الصدق في ذلك، يدل على نبوّته .

---

(١) [يوسف:٤١].
(٢) [يوسف:٤١].
(٣) [يوسف:٤١].
(٤) [يوسف:٤٢].
(٥) [يوسف:٤٥].

[مسألة] وربما قيل أن يوسف لما أجاب في رؤيا الملك ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾(١) ولم يذكر له جواب الرؤيا، كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه في هذه السورة قد ذكر تعالى أشياء حذف جزء منها اختصاراً ولدلالة الكلام عليه وذلك يحسن .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز وقد أمر الملك أن يخلص من السجن ان يختار أن يبقى فيه ويقول ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾(٢) وقد كان يمكنه ان يخرج ثم يفتش عند ذلك ؟

وجوابنا : أنه رأى وقد أحب الملك حضوره عنده أن التفتيش عن ذلك يكون أقوى وموقعه أحسن فأوهم أنه لا يخرج من السجن إلا وقد ظهرت براءة ساحته كالشمس، فلذلك قال ما قال فلما قلن ما قلن من قولهن ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾(٣) أيقن بظهور أمره فيما كان اتُّهم به فعند ذلك خرج الى حضرة الملك .

[مسألة] وربما قيل كيف جاز من يوسف ان يمدح نفسه فيقول ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(٤) ومدح النفس مكروه ومَنْهِيٌّ عنه بقول الله تعالى ﴿ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾(٥) وكيف يجوز للنبي أن يتولّى من قبل الكفار ؟

وجوابنا : أن مدح النفس عند الحاجة إليه يحسن فلا يكون المراد المدح بل يكون المراد ذلك الوجه الذي يقع به النفع، وعلى هذا الوجه قال ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ» فنبه بقوله ولا فخر على أن مراده ليس مدح النفس، فيوسف ﷺ أظهر ذلك لما كان في توليته الخزائن من المصلحة خصوصاً في تلك السنين الشديدة، فاما تولي ذلك من جهة الكفّار فانه يحسن اذا لم يمنع الشرع منه فان كان ذلك الملك كافراً فذاك حسن وان كان مؤمناً فلا سؤال .

---

(١) [يوسف:٥٠].
(٢) [يوسف:٥٠].
(٣) [يوسف:٥١].
(٤) [يوسف:٥٥].
(٥) [النجم:٣٢].

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز في اخوته وهم جماعة أن لا يعرفوا يوسف كما قال تعالى ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[1] وذلك بخلاف العادة في الجماعة ؟

وجوابنا : أن القوم فقدوا يوسف وهو في سن الصبي فتغير وجهه وقد كان لباسه أيضاً من قبل بخلاف لباسه وقد صار له الملك وكذلك سائر أحواله وكان القوم يتهيّبونه عند المخاطبة لشدة الحاجة اليه، وكلُّ ذلك مما يجوز أن لا يعرفه القوم فيجوز أن حالته في معرفته لهم بخلاف حالهم لتمكنه من الامور وفراغ قلبه لتأملهم .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز مع المجاعة الشديدة أن لا يكيل لهم مع الحاجة حتى يأتوا بأخيه ومثل ذلك لا يحل ؟

وجوابنا : أنه عرف أن الحاجة ليست في ذلك الوقت، وكان له بغية في حضور أخيه وأنه سينتهي ذلك الى حضور أبَويْه أيضاَ فلذلك فعل .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز أن يخفى خبره عليهم المدة الطويلة مع قرب المسافة بين مصر وبين البدو الذي كانوا فيه حتى يجري الأمر على ما ذكره الله عز وجل في كتابه ؟

وجوابنا : أن إِخوة يوسف لما أقدموا على ما فعلوه في أمر يوسف وحملة جماعة من السيارة وقد اشتروه بثمن بخس ظنوا فيه خلاف ما ظهر فقلَّ تفتيشهم عنه، ولما حمل واشتراه ذلك العزيز لامرأته واتخذاه كالولد كان كالمكتوم عن الناس مع حسن صورته ومثله ربما يخشى ظهوره، ثم أقام محبوساً ما أقام وتردد في المجلس فعمي أمره وقد طالت المدة، فلذلك ولأمثاله خفي خبره على أبيه وإِخواته .

فأما خبرهم فلم يخف عليه لأن الذي عامل به إخوتَه يدل على أنه كان بذلك عارفاً وكان يتلطف في تحصيل أخيه ثم أبيه بالوجوه التي أباحها الله تعالى، ومثل هذا السبب قد يخفى عنده الخبر، فلذلك خفي على يعقوب وعلى اخوته خبره .

(١) [يوسف:٥٨].

(فان قيل) كيف يجوز مع شدة محبة يعقوب أن لا يفتش عن خبره وقد كان قال لهم ما يدل على أنه اتهمهم في أن الذئب أكله ؟

وجوابنا : أن يعقوب ما كان يعرف الأخبار إلا من جهة أولاده لأن سائر الناس كان يقبض عنهم وأولاده كانوا لا يفتشون عن ذلك لأن سبب الجناية كان منهم وظنوا أنه مفقود في الحقيقة، ولأن شدة حزنه وما لقي من المحن في تلك السنين كان يشغل عن مثله .

(فان قيل) كيف يجوز من يعقوب وهو نبي ان يحزن كل ذلك الحزن على يوسف أو ليس ذلك يصرف عن أمور الآخرة ؟

قيل له قد أبيح للوالد محبة الولد والسرور بأحواله خصوصاً اذا كان الولد على مثل صفات يوسف أو ما يقاربها، ويحتمل أيضاً أنه كان اشتد حزنه لإنه ظن أنه قصّر في حفظه وأنه فرّط في أن سلمه إلى إخوته فتضاعف حزنه لذلك أيضاً .

فان قيل له كيف جاز أن يقول يوسف وقد جعل السقاية في رحل أخيه إنهم لسارقون وهذا في الظاهر كذب ؟

وجوابنا : أن جعل السقاية في رحل أخيه يجوز أن يكون من قبله بأمره، فأما ما قاله المؤذن من أنهم سارقون فهو من قبل المؤذن لا من قبل يوسف .

فان قيل فكيف قال ﴿ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾(١).

وجوابنا : أن كل ذلك ليس من قول يوسف، فأما تملك السارق فقد كان فى دين ذلك الملك ويجوز أن يكون في بعض شرائع الأنبياء، فلذلك قالوا فهو جزاؤه .

فان قيل وكيف قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٢) وأخذه على هذا الوجه معصية لا يجوز أن يشاءه الله فكيف يصح ذلك ؟

---

(١) [يوسف:٧٤-٧٥].

(٢) [يوسف:٧٦].

وجوابنا : أن المراد مشيئة حصوله هناك حتى يصح أخذه لأنّ كل ذلك مما يجوز أن يشاءه الله ولذلك قال بعده ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾[(١)] .

فإن قيل كيف يصح أن يقول يعقوب ﷺ ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[(٢)] فيضيف اليهم التفنيد والذم له وكيف جاز أن يقولوا له ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴾[(٣)] فينسبون الضلال اليه ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع أن يجد ريح يوسف وأمارات حياته وأن يكون الله تعالى قوي ذلك لما أراده من اجتماعهم وأما الضلال في اللغة فهو الذهاب عن الشيء الذي فيه نفع، فأرادوا بقولهم إنك لفي ضلالك القديم انك تجري على عادتك في العدول عما ينفعك ومثل ذلك قد يجوز أن يقال للانبياء فيما يتعلق بأمور الدنيا .

فان قيل كيف يعود بصيراً بالقاء القميص اليه ؟ قيل له : إنه نبي وفي أيام الانبياء قد يصح ظهور ما يخرج عن العادة فان لم يكن من معجزات يعقوب فهو من معجزات يوسف فلا سؤال في ذلك .

واختلفوا فقال بعضهم كان بصره قد ضعف لا أنه قد زال ومثل ذلك كالمعتاد اذا كان المرء شديد الخوف ثم يعود له الفرج والسرور فتعود قوة بصره ومنهم من قال بل كان بصره قد زال على ما يدل الظاهر عليه فيكون الجواب ما تقدم .

فان قيل كيف قال وقد عاد بصره ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] أو ليس ذلك يدل على أنه كان عالماً بحياة يوسف ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع أن يكون عالماً بذلك من جهة الوحي، ولا يمتنع أن يكون ظاناً لذلك لعلامات وأمارات، واذا علم فقد يجوز أن يكون عالماً بشرط لا يحل معه القطع، ويجوز خلافه وأحواله كانت تدل على أنه لم يكن قاطعاً على موته ولا يمتنع أن يكون قد أُوحي اليه بما يدل على عوده اليه آخراً .

---

(١) [يوسف:٧٦]. (٢) [يوسف:٩٤].
(٣) [يوسف:٩٥]. (٤) [يوسف:٩٦].

فإن قيل كيف يجوز أن يقولوا ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[١] وهذا كلام معتذر تائب فيكون جوابه ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[٢] فلم يقبل عذرهم في الحال وذلك لا يجوز على الانبياء ؟

وجوابنا : أنه قبل عذرهم في الوقت، وإنما وعدهم باستغفار مستقبل يقتضي استدعاء حصول المغفرة من قبل الله تعالى، فأراد الدعاء لله تعالى وذلك مما لا يجب في الوقت وإنما يلزم في الحال قبول العذر فقط، كما قال يوسف عليه السلام ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[٣] ويحتمل أنه عليه السلام لم يعرف أن مقصدهم بقولهم ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[٤] الإعتذار الخالص وإن كانوا قد تابوا من قَبْلُ فقال سوف أستغفر لكم ربي إذا عرفت منكم الاخلاص .

فان قيل كيف قالوا وقد دخلوا عليه : إنك لأنت يوسف وقد ترددوا عليه حالاً بعد حال حتى قال ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾[٥] وكيف يخفى عليهم حديث أخيهم خاصة وكيف قال لهم ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[٦] وكانوا أنبياء ؟

وجوابنا : ما تقدم من أن حال يوسف قد تغير في صورته وفي محله وكانوا لا يتأملون تأمل متعرف فلذلك خفي عليهم، فأما أخوه فكانوا يعرفونه ولم يقل يوسف ﴿ وَهَذَا أَخِي ﴾[٧] لانهم لم يعرفوه لكنه أراد اظهار نعمة الله عليه باجتماع أخيه معه، ولذلك قال ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٨] فاما قوله ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[٩] فالمراد به أيام الصبا، وقد يقال لمن لا يعرف الامور انه جاهل لا على طريق الذم .

فان قيل فما معنى قوله وقد آوى اليه أبويه ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[١٠] وكانوا قد دخلوا ؟

---

(١) [يوسف:٩٧].
(٢) [يوسف:٩٨].
(٣) [يوسف:٩٢].
(٤) [يوسف:٩٧].
(٥) [يوسف:٩٠].
(٦) [يوسف:٨٩].
(٧) [يوسف:٩٠].
(٨) [يوسف:٩٠].
(٩) [يوسف:٨٩].
(١٠) [يوسف:٩٩].

وجوابنا : انهما التقيا به خارج مصر فقال ما قال وذلك صحيح، وهذا كما يستقبل المرء من يعظمه خارج البلد وأراد بذلك تعريفهم انهم تخلصوا مما كانوا عليه من المحق والمجاعة في ذلك البدو. فان قيل فما معنى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾(١) وكيف يسجدون له وذلك من العبادات التي لا تليق الا بالله تعالى ؟

وجوابنا : أن رفعه لهما على العرش كان على وجه الاعظام وايصال السرور اليهما برفعها على السرير المرتفع، فاما السجود فقد يحسن شكراً لله اذا وصل المرء الى نعم عظيمة، فيجوز أن يكون سجودهما له على هذا الوجه، وأضيف السجود اليه لما كان سبب ذلك، كما يضاف السجود الى القبلة على قريب من هذه الطريقة .

ويحتمل في السجود أن يكون وقع منهما على وجه الإعظام له فان ذلك يحسن على بعض الوجوه . وقد قيل ان الله تعالى ذكر السجود وأراد الخضوع بضرب من الميل الى الارض أقرب الى الظاهر بيَّن ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاًّ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾(٢) ودل بقوله ﴿ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾(٣)على انه قد زال عن قلبه ما عملوه به فاضافه إلى الشيطان تحقيقاً لذلك، ودل بقوله وقد جعله الله نبياً ﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ ﴾(٤) بعد التحية وقوله ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(٥) على وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى والخضوع له في المسألة مع العلم بالغفران .

فمنّ الله تعالى على نبينا ﷺ بقوله ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾(٦) لان في قصة يوسف من العجائب والعبر ما يوجب الشكر، ودل بقوله ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٧) على أن من يؤمن من الناس قليل من كثير، وإن كان الانبياء

(١) [يوسف:١٠٠].
(٢) [يوسف:١٠٠].
(٣) [يوسف:١٠٠].
(٤) [يوسف:١٠١].
(٥) [يوسف:١٠١].
(٦) [يوسف:١٠٢].
(٧) [يوسف:١٠٣].

يحرصون على ايمانهم، ودل بقوله ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾[١] على ان دعاء الغير الى الايمان لا يكاد يؤثر الا مع رفع الطمع، ودل تعالى بقوله ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٢] على ان الواجب على العاقل التفكر في الآيات اذا شاهدها وان ذلك من أعظم ما يأتيه المرء، وكذلك قال بعده ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٣] .

ثم بين ما يلحقهم إذا أعرضوا عن الآيات من العقاب فقال ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾[٤] فنبه بذلك على وجوب الحذر من قرب الساعة وقرب الأجل .

ثم أمر نبيّه ﷺ بأن يقول ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[٥] ودل بذلك على ان هذا الدعاء كما يلزم الرسول يلزم من اتبعه من أهل المعرفة واليقين .

ودل بقوله ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦] على وجوب تنزيه الله تعالى ممن يدعو الى الدين عما لا يليق به وقوي مننفسه ﷺ من بعد بقوله ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[٧] .

وبين ما في قصص الانبياء من النفع في الدين فقال ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[٨] وهذا أحد ما يدل على ان الواجب أن يقرأ القرآن بتدبر حتى ينتفع المرء بذلك .

---

(١) [يوسف:١٠٤]. (٢) [يوسف:١٠٥].
(٣) [يوسف:١٠٦]. (٤) [يوسف:١٠٧].
(٥) [يوسف:١٠٨]. (٦) [يوسف:١٠٨].
(٧) [يوسف:١١٠]. (٨) [يوسف:١١١].

سورة الرعد

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(١) كيف يصح أن يرفعها بعمد ونحن لا نراها ؟

وجوابنا : أن المراد أنه يرفعها ويمسكها لا بعمد أصلا، ودل بذلك على قدرته لأن أحدنا لا يصح أن يرفع الثقيل إلا بعمد، وعلى هذا الوجه قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا ﴾(٢) وذلك من عظم نعم الله تعالى، فلولا ذلك لم يصح التصرف على الارض ولا أن يدور الفلك والشمس والقمر والنجوم .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾(٣) اذ لم يجز عليه المكان .

وجوابنا:أن المراد الاستيلاء والاقتدار،(٤) وذكر ثم في الاستواء والاقتدار وأراد ما

---

(١) [الرعد:٢]. (٢) [فاطر:٤١]. (٣) [الرعد:٢].

(٤) يقول القرطبي رحمه الله في تفسيره :-

لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه سبحانه استوى على العرش حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء، قال مالك رحمه الله : (الاستواء معلوم ـ يعنى فى اللغة ـ والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة) وكذا قالت أم سلمة رضى الله عنها .

وقد يؤول العرش فى الآية بمعنى الملك أى ما استوى الملك إلاَّ له جل وعز وهو قول حسن وفيه نظر .

وللشيخ سيد قطب رحمه الله تفسير لطيف قريب من القاضى عبد الجبار فهو يتحدث عن رفع السماء بلا عمد ثم عن الاستواء على العرش فيقول : (فإن كان علو ـ يعنى السماء ـ فهذا أعلى، وإن كانت عظمة فهذا أعظم، وهو الاستعلاء المطلق، يرسمه فى صورة على طريقة القرآن فى تقريب الامور لمدارك البشر المحدودة .

وهى لمسة أخرى هائلة من لمسات الريشة المعجزة، لمسة فى العلو المطلق إلى جانب اللمسة الأولى فى العلو المنظور، تتجاوران وتتسقان فى السياق).

وعموما فإن قصد جميع الفقهاء والعلماء والمذاهب هو تنزيه المولى سبحانه وتعالى عن التشبيه والتجسيم فإن اختلفت تفسيراتهم فالهدف والقصد واحد .

راجع كتاب (الإسلام أمام افتراءات المفترين للمستشار توفيق على وهبة ـ طبع جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٨ هـ) . وكذا كتابه (شبهات حاقدة حول الاسلام) ـ طبع دار المنار بالقاهرة ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م .

بعد من تسخيره الشمس، لأن اقتداره ليس بحادث ولا متجدد فكأنه قال ثم ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾(١) وهو مستولٍ على ذلك مقتدر ثم يدبر الأمور التي قدر آجالها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾(٢) ما الفائدة في قوله اثنين وقد عقل ذلك مما تقدم ؟

وجوابنا : أنه تأكيد يفيد فائدة زائدة لأن الزوجين قد يراد بهما أربعة فبين بقوله اثنين المراد وهو خلقه من كل شيء الذكر والانثى وما يجري مجراه، وفي قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾(٣) دلالة على نعمه وان الواجب التفكر فيها ليستدل بها على قدرته وليعرف ما يلزم من شكره وعبادته وجعل جل وعز ذلك مبطلاً لقول من أنكر الاعادة فلذلك قال ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله تعالى ﴿ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾(٥) وانما يحسن ذلك منا لانا لا نقدر على التعذيب والمنع الا بالآلات ؟

وجوابنا : انه تعالى يزجر المكلف عن المعاصي بما جرت العادة أن يعظم خوفه لاجله، كما يرغب في الطاعة بما جرت العادة به من الملاذ والمناظر والا فهو قادر على أن يؤلم المعاقب بغير هذه الامور .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٦) أما يدل ذلك على ان كل شيء مخلوق من جهته ؟

وجوابنا : انه تعالى ذكر ذلك بقوله ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾(٧) فبين بعده ان كل شيء عنده بمقدار لانه عالم بكل ذلك، وقد يقال عنده ويراد به في علمه كما يقال ذلك ويراد القدرة ويراد الفعل، ولذلك قال بعده ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾(٨) .

---

(١) [الرعد:٢].
(٢) [الرعد:٣].
(٣) [الرعد:٣-٤].
(٤) [الرعد:٥].
(٥) [الرعد:٥].
(٦) [الرعد:٨].
(٧) [الرعد:٨].
(٨) [الرعد:١٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[١] أليس ذلك يدل على انه الفاعل لهذه التغيرات ؟

وجوابنا : انه أضافها إليهم كما أضافها الى نفسه والمراد انهم اذا غيروا طريقتهم في الشكر والطاعة غير الله تعالى أحوالهم بالمحن وغيرها زجر بذلك المكلف عن المعاصي .

فان قيل فقال بعده ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾[٢] وذلك يدل على ان السوء من عنده .

وجوابنا : أن المراد المحن والشدائد وتوصف بالسوء مجازاً وليس في الآية انه يفعل ذلك وانما فيها انه اذا أراده لا مرد لان ما يريده الله تعالى يكون أبداً بالوجود أولى اذا كان ذلك المراد من فعله .

فأما اذا أراد من عباده الطاعات فانما يريدها على وجه اختيار وقد يجوز أن لا تقع لسوء اختيار المكلف .

[مسألة] ومتى قيل فما معنى قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾[٣] وكيف يصح التسبيح من الرعد ؟

وجوابنا : أن المراد دلالة الرعد وتلك الاصوات الهائلة على قدرته وعلى تنزيهه وذلك كقوله تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[٤] لدلالة الكل على أنه منزه عما لا يليق، ولذلك قال ﴿ وَالْمَلائكَةُ مِنْ خيفَته ﴾[٥] ففصل بين الامرين، وقوله بعد ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾[٦] معناه يخضع فالمكلف العارف بالله يخضع طوعاً وغيره يخضع كرهاً لانا نعلم ان نفس السجود لا يقع من كل واحد .

---

(١) [الرعد: ١١].
(٢) [الرعد: ١١].
(٣) [الرعد: ١٣].
(٤) [الحديد: ١].
(٥) [الرعد: ١٣].
(٦) [الرعد: ١٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(١) ألا يدل ذلك على انه الفاعل لكل شيء وعلى ان العبد لا يفعل والا كان يتشابه فعله بفعل الله ؟

وجوابنا : أن قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾(٢) زجر للعاصي والكافر بان شبهه بالأعمى وترغيب للمؤمن بأن شبهه بالبصير، ونبه بقوله ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾(٣) على أن عبّاد الأصنام بمنزلة العميان في عبادتهم لها مع أنها لا تنفع ولا تضر، فهو معنى قوله ﴿ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾(٤) ثم بين أنه الخالق للنعم التي يستوجب عندها العبادة فلا تليق العبادة إلا به ولا مدخل لأفعال العباد في ذلك وقد بينا من قيل وجوها في أن قوله تعالى ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٥) لا يدل إلا على أن المقدر من هذه الاجسام والنعم من قبله فلا وجه لإيراد ذلك وبيّن تعالى ما أراده بقوله من بعد ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾(٦) فدل بذلك على مراده .

وقال بعده ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾(٧) ثم قال بعده ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾(٨) بأن عصوا وخالفوا ثم قال ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٩) .

وبين صفة ذوي الالباب فقال ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ

(١) [الرعد:١٦].
(٢) [الرعد:١٦].
(٣) [الرعد:١٦].
(٤) [الرعد:١٦].
(٥) [الرعد:١٦].
(٦) [الرعد:١٧].
(٧) [الرعد:١٧].
(٨) [الرعد:١٧-١٨].
(٧) [الرعد:١٩].

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(١) .

فانظر أيها القارىء لكتاب الله كيف صفة من ينال الحسنى ويفوز بثوابها، وكيف صفة ذلك الثواب العظيم، فانه جل جلاله لم يقتصر على أن لهم الجنة حتى بين أن من صلح من الاقربين يحصل معهم هناك ممن كلف ويحصل معهم من لم يكلف أيضاً من الذرية، وأن الله تعالى يأمر ملائكته بالدخول عليهم في كل وقت بالسلام والتحية، ويعرّفونهم أن كل ذلك جزاء لهم على ما صبروا فانهم صبروا قليلاً فدام لهم ذلك الملك والنعيم فهو معنى قوله ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(٢) لانها دائمة على عظم نعمها وخلوصها من كل شائبة .

ثم أنه تعالى ذكر خلاف ذلك فيمن خالف ربه وعصى فقال ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾(٣) فالملائكة تلعنهم حالا بعد حال عن أنفسهم وعن ربهم ولهم سوء الدار وهو النار الدائمة التي عقابها خالص عن كل روح وراحة .

وقد حكى بعض الأئمة أنه سئل عن وصف المؤمن فتلا هذه الآية ولو أردنا أن نفسرها لطال الكتاب فان قوله ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾(٤) يدخل فيه القيام بسائر الواجبات التى عهدها إلينا والقيام بكل الأمانات والوفاء بكل العقود، وكذلك كل فضل منه .

ثم بين تعالى ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٥) يعني أهل النار ثم قال ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾(٦) وقوله بعد ذلك ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾(٧) يدل على أن المراد بالهداية ما نقول من الاثابة وغيرها .

---

(١) [الرعد: ٢٠-٢٤].
(٢) [الرعد: ٢٤].
(٣) [الرعد: ٢٥].
(٤) [الرعد: ٢٠].
(٥) [الرعد: ٢٦].
(٦) [الرعد: ٢٦].
(٧) [الرعد: ٢٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾(١) أليس ذلك مخالفاً لقوله في المؤمنين حيث قال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٢) ؟

وجوابنا : أن الطمأنينة المذكورة هاهنا المراد بها المعرفة وسكون النفس الى المجازاة مع الوجل والخوف من المعاصي، فالكلام متفق لأن المؤمن ساكن النفس الى معرفة الله تعالى وإلى المجازات على الطاعات، ومع ذلك خائف مما يخشاه من التقصير ووجل القلب فظن في مثل ذلك أنه مختلف اذ قد نادى على نفسه بقلة المعرفة، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾(٣) .

وبين تعالى عظم شأن القرآن بقوله من بعد ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ﴾(٤). وجواب ذلك محذوف والمراد لكان هذا القرآن وذلك يدل على أنه في الفصاحة قد بلغ نهاية الرتبة وأنه صار معجزاً لذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ بَل لِّلَّه الأَمْرُ جَميعاً ﴾(٥) أليس يدل ذلك على أنه الفاعل لكل شيء ؟ وقوله من بعد ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَميعاً ﴾(٦) أليس ذلك يدل على أنه لم يشأ من جميعهم الإيمان وإلا لهداهم ؟

وجوابنا : أن المراد به أنه هدى بعض الناس دون من لم يجعله بصفة المكلف ويحتمل أن يكون المراد لهداهم بالالجاء حتى يجتمعوا على الايمان وقوله ﴿ بَل لِّلَّه الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾(٧) صحيح لان المراد اقتداره على كل شيء وأن ما يريده لا يصح فيه المنع وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾(٨) يدل على أن وعده ووعيده لا يقع فيهما خلف .

---

(١) [الرعد:٢٨].
(٢) [الأنفال:٢].
(٣) [الرعد:٢٩].
(٤) [الرعد:٣١].
(٥) [الرعد:٣١].
(٦) [الرعد:٣١].
(٧) [الرعد:٣١].
(٨) [الرعد:٣١].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾(١) أليس ذلك على أن الله يصد الكافرين عن طريق الخير ويفعل الاضلال وذلك لا يجوز ؟

وجوابنا : أن ذلك يدل على أن هذا التزيين من الشيطان ومن أنفسهم ولولا ذلك لوجب أن يكون تعالى صاداً لهم عن السبيل مع علمنا بأن ذلك لا يجوز عليه، وإنما أراد بقوله ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾(٢) أي بالعقوبة على ما فعله، فما له من هاد الى الجنة، ولذلك قال ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾(٣) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾(٤) أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن وذلك بخلاف ما تقولون ؟

وجوابنا : أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن وذلك بخلاف ما تقولون . وإلاَّ لفنيت اذا أفنى الله تعالى العالم، فكان لا يكون أُكلها دائماً فدل على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾(٥) أما يدل على جواز البدء على الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك أنه جل جلاله يمحو عن المؤمن الصغائر لأنها مغفورة ويحتمل أنه المنسوخ والناسخ، ويحتمل أنه يمحو ما لا مدخل له في الثواب والعقاب ويثبت ماله مدخل في ذلك، ويحتمل أنه يمحو ما كتب من آجال وأرزاق من مضى ويثبت ذلك فيمن يبقى ويحدث (٦).

---

(١) [الرعد:٣٣]. (٢) [الرعد:٣٣].
(٣) [الرعد:٣٤]. (٤) [الرعد:٣٥].
(٥) [الرعد:٣٩].
(٦) وقيل يمحو من الشرائع السابقة ما يشاء ويثبت فى اللاحقة ما يشاء وذلك كما في قوله تعالى ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧] أى يخفف عنهم بعض ما كان مفروضا عليهم لشدته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ﴾[1] كيف يصح المكر على الله إذ بين أنه من صفات الذم ؟

وجوابنا : أن المراد انزاله بهم العقاب وما شاكله من حيث لا يعرفون كما ذكرنا في سورة البقرة في قوله ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] وما شاكله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[3] فيقولون كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن حفظهم وان لم يقع من الامر فانه يقع عند تقدم الامر، فالمراد يحفظونه عن أمر الله يذكر الأمر ويراد به التقوية والتمكين فلما كانوا يحفظونه بأن مكنهم ويقويهم جاز ذلك .

---

(١) [الرعد:٤٢].
(٢) [البقرة:٩].
(٣) [الرعد:١١].

سورة إبراهيم

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الـر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(١) كيف يفعل الرسول ذلك ؟

والجواب أن المراد يدعوهم الى العدول الى الايمان عن الكفر ويبين لهم ذلك، فوصف بأنه يخرج لما كان يفعل السبب الداعي الى ذلك، ولذلك قال ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾(٢) اذ المراد ان ذلك بأمره ووحيه وهذا أحد ما يدل على الايمان وما عدلوا عنه من الكفر بفعلهم فيكون بيانه سبباً لاختيارهم العدول عن الكفر الى الايمان، وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾(٣) يدل على أن ما يقع منهم من جهتهم لانه لوكان خلقاً لله فيهم لما صح أن يستحبوا شيئاً على شيء .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٤) أما يدل ذلك على أنه بعد البيان هو الذي يضل ويهدي ؟

وجوابنا : أن المراد أنه يضل عن طريق الجنة الى النار ويهدي الى الجنة من أزاح علته ببيان الرسول ﷺ لكي تكون الحجة لله عليهم، وهو كقوله ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(٥) وقوله ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(٦) يدل على أنه يكلف الناس لينفعهم ولحاجتهم الى ذلك وأنه غني عن كل شيء(٧).

---

(١) [إبراهيم:١].
(٢) [إبراهيم:١].
(٣) [إبراهيم:٣].
(٤) [إبراهيم:٤].
(٥) [الإسراء:١٥].
(٦) [إبراهيم:٨].
(٧) المقصود أن من شاء الضلالة يضله الله، ومن شاء الهدى يهديه الله، فالله سبحانه وتعالى لا يشاء الضلالة لأحد ولكن الانسان هو الذى يشاء ويختار، ومن شاء الهدى يسر الله له طريقه إليه، وكل مجازر بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر . وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]، ثم : بان سبحانه وتعالى فى الآيتين التاليتين جزاء المؤمن وجزاء الكافر . ولا يظلم ربك أحدا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١) أليس ذلك يتناقص بأن يقول آخراً لا يعلمهم الا الله ويقول اولا ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(٢) ؟

وجوابنا : أن المراد بآخره هو قوله ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٣) وأتاهم خبرهم على الجملة دون التفصيل فالكلام مستقيم ويحتمل أن يريد أنه أتاهم نبأ هؤلاء على الجملة ويريد بقوله ﴿ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٤) التفصيل من أحوالهم فلذلك قال بعده ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾(٥) .

وقد ذكرنا من قبل أن ذلك ذم لهم وهو كناية عن ترك القبول منهم لان هناك استعمالا لليد في رد قولهم وبيانهم، ولذلك قال ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾(٦) فبين أن مراده تعالى بتكليفهم هذا الغفران .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٧) فأحالوا إيمانهم الى الله تعالى .

وجوابنا : أن المراد بذلك الارسال والنبوّة لان قومهم قالوا انهم بشر مثلنا فأجابوهم بقولهم ﴿ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٨) وأرادوا النبوة واظهار المعجزات، هذا ونحن نضيف الايمان أيضاً الى الله تعالى ونقول: إنه من نعمه لما كان الوصول إليه بيسره وألطافه مع التمكين، وكذلك نقول في الطاعات : إنها من الله ولا نقول ذلك في المعاصي، وقد نهى عنها وزجر عن فعلها، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا ﴾(٩).

---

(١) [إبراهيم:٩].
(٢) [إبراهيم:٩].
(٣) [إبراهيم:٩].
(٤) [إبراهيم:٩].
(٥) [إبراهيم:٩].
(٦) [إبراهيم:١٠].
(٧) [إبراهيم:١١].
(٨) [إبراهيم:١١].
(٩) [إبراهيم:١١-١٢].

[مسألة] وربما قيل كيف ذكر أولاً جل وعز قولهم ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) ثم كرره ثانياً ما الفائدة في ذلك ؟

وجوابنا : أنهم في الأول قالوا ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) وأرادوا يتصل بالنبوّة، ثم قال ثانياً ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٣) وأرادوا في صبرهم على ما يعرض في النبوّة فأحد الامرين غير الآخر .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾(٤) أليس ذلك يتناقض ؟

وجوابنا : أن ذلك كناية عن شدة عذابهم وان لم يكونوا أمواتاً، وهو كقوله ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى ﴾(٥) ولذلك قال بعده ﴿ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾(٦) .

وبين تعالى ان عمل الخير من الكفار لا ينفع فقال ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾(٧) فبين أن كفرهم يحبط كل خير عملوه وبين ان ذلك هو الضلال البعيد ثم بين تعالى بعده بقوله حكاية عمن استكبر عند قول الاتباع ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً ﴾(٨) انهم ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾(٩) وذلك في الآخرة، فمرادهم اذاً لو هدانا الله تعالى الى الجنة وعدل بنا عن النار لفعلنا ذلك بكم، وهذا يدل على ان الهدى قد يكون على هذا المعنى، كما قد يكون بمعنى الدلالة والبيان وقوله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾(١٠) يدل على ان العذاب دائم لا كما يقوله بعض الجهال من انه ينقطع .

---

(١) [إبراهيم: ١١].
(٢) [إبراهيم: ١١].
(٣) [إبراهيم: ١٢].
(٤) [إبراهيم: ١٧].
(٥) [الحج: ٢].
(٦) [إبراهيم: ١٧].
(٧) [إبراهيم: ١٨].
(٨) [إبراهيم: ٢١].
(٩) [إبراهيم: ٢١].
(١٠) [إبراهيم: ٢١].

وقوله تعالى من بعد حكاية عن الشيطان ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾(١) يدل على ان الشيطان لا يقدر الا على الوسوسة وعلى ان وسوسته لا تزيل الذم والعقاب عمن قبل منه، وان اللوم في كل فاعل على نفسه يرجع وقوله من بعد ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢) يدل على ان الظلم من الذنوب العظام التي يستحق بها العذاب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٣) ان ذلك يدل على ان ايمانهم من فعل الله فيثبتهم عليه ؟

وجوابنا : أن المراد يثبتهم على الخيرات ديناً ودنيا لاجل ايمانهم، فلذلك قال ﴿ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٤) ولذلك قال بعده ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾(٥) أي يضلهم عما يفعله بالمؤمنين ديناً ودنيا، ولذلك قال بعده ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً ﴾(٦) تعجباً منهم من حيث لم يعرفوا موقع نعم الله تعالى وعدلوا عن شكره وطاعته، ورغبنا عاجلاً في الطاعة فقال ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلالٌ ﴾(٧) فبين أن الذي ينفعهم في الآخرة أن يطيعوا بأنفسهم وبأموالهم قبل اليوم الذي فيه لا ينتفع أحد بمكسب وتصرف .

ثم بين تعالى أنواع نعمه بقوله جل وعز ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾(٨) الى قوله ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾(٩) ترغيباً للعبد في شكر هذه النعم حالا بعد حال ثم قال تعالى من بعد ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١٠) .

---

(١) [إبراهيم:٢٢].
(٢) [إبراهيم:٢٢].
(٣) [إبراهيم:٢٧].
(٤) [إبراهيم:٢٧].
(٥) [إبراهيم:٢٧].
(٦) [إبراهيم:٢٨].
(٧) [إبراهيم:٣١].
(٨) [إبراهيم:٣٢].
(٩) [إبراهيم:٣٤].
(١٠) [إبراهيم:٣٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾(١) كيف يصح أن يسأل ربه هذين الأمرين ثم يوجد خلاف ذلك فانا نجد البلد يجري فيه الخوف العظيم ونجد في أولاده من يعبد الاصنام ؟

وجوابنا : أن قوله آمناً لا يدل على كل شيء فقد يكون آمناً من ضروب الخوف غير آمن من سواه، ومعلوم ما يحصل بمكة من الامن ويحتمل أنه دعا ربه أن يجعله آمنا في ايامه حتى يؤمن بعضهم ويتألفوا على طاعته .

والمراد بقوله ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ ﴾(٢) من هو موجود منهم وقد نزههم الله تعالى عن ذلك، وقوله بعد ذلك ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾(٣) يعني الاصنام فمراده أنهن صرن سبباً للضلال لا ان الصنم يصح أن يضل ويهدي، ولذلك قال بعده ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) يعني بالتوبة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾(٥) كيف يصح ذلك وهو الذي بنى البيت على ما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾؟(٦) .

وجوابنا : أنه يحتمل في قوله عند بيتك المحرم أن يكون المراد عند تلك البقعة التي بُني فيها البيت . ويحتمل ان بناء البيت كان قائماً ثم اختل فبناه إبراهيم فيكون الكلام مستقيما، ومعنى قوله من بعد ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾(٧) ان عنده انزال العقوبات بهم من حيث لا يشعرون وسمّاه مكراً مجازاً، ومعنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾(٨) انهما يصيران على خلاف هذه الصورة سماه تبديلا كما يقال ان فلاناً قد تبدل اذا تغيرت أخلاقه. ويحتمل أن يكون الله تعالى يبتدئهما فيخلق أرضاً غير هذه في القيامة وسماء غير هذه فيكون أقرب الى الحقيقة

---

(١) [إبراهيم:٣٥].
(٢) [إبراهيم:٣٥].
(٣) [إبراهيم:٣٦].
(٤) [إبراهيم:٣٦].
(٥) [إبراهيم:٣٧].
(٦) [البقرة:١٢٧].
(٧) [إبراهيم:٤٦].
(٨) [إبراهيم:٤٨].

سورة الحجر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾(١) كيف يجوز ذلك ولا شك في انهم يتمنون في الآخرة ذلك فما فائدة ﴿ رُّبَمَا ﴾(٢) ؟

وجوابنا : أن ذلك من باب الردع وربما يكون أقوى فأحدُنا يقبل على ولده وقد عدا عن التعلم فيقول ربما تندم على ما أنت عليه فيكون في الزجر أبلغ، ولأن الكافر قد يسلم ويتوب فلا يقطع منه على ذلك، ومن قوله بعد ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(٣) تبين صحة ما قلناه لأن ذلك وان كان بصورة الامر فهو تهديد وزجر عظيم .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾(٤) وكل شيء يفعله فهو في معلومه ويثبت في أم الكتاب فأي فائدة في هذا التخصيص ؟

وجوابنا : أن القوم كانوا يستعجلون العذاب من الانبياء اذا توعدهم فبين تعالى ان ذلك مؤقت بوقت لا يقدم ولا يؤخر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٥) كيف يصح ذلك مع جحدهم لنبوّته وانكارهم ان الله تعالى أنزل ذلك عليه ؟

---

(١) [الحجر:٢].
(٢) [الحجر:٢].
(٣) [الحجر:٣].
(٤) [الحجر:٤].
(٥) [الحجر:٦].

وجوابنا : أنهم قالوا على وجه أن ذلك صفته عند نفسه لأنه ﷺ كان يدعى ذلك وهذا كرجل يدعى أنه صانع فينادي بما يدعيه وان كان المنادى لا يعترف له به وبين ذلك ما ذكروه من بعد ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١] وبين تعالى لهم أنه ما ينزل الملائكة إلا بالحق ومتى أنزلهم لم يكن انكار وامهال، وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٢] يدل على ان القرآن لا يغير ولا يبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص، وشبههم بمن يجهل ما يشاهده بقوله جل وعز ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾[٣] فبين أنهم في العدول عن التمسك بالنبوات والقرآن بهذه المنزلة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾[٤] أما يدل ذلك على أن أفعال العباد من خلقه لدخوله في قولنا شيء ؟

وجوابنا : أن المراد أن عندنا علم كل شيء، ولذلك قال ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٥] أو يكون المراد عندنا القدرة على ما ذكرنا من النعم فلا ننزّل ذلك إلا بقدر الحاجة إليه، بيّن ذلك أنه تعالى قال من قبل ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾[٦] فبين بعده انه قادر على إدامة ذلك وكنّى عن القدرة التي لا آخر لها بذكر الخزائن، ولذلك قال بعده ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[٧] فذكر ما ينزله من الأمطار وما ينتبه من الاقوات ثم قال ﴿ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[٨]، ثم قال ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ ﴾[٩] دل كل ذلك على عظم نعمه على عباده مرغباً لهم في شكره وطاعته .

---

(١) [الحجر:٦-٧].
(٢) [الحجر:٩].
(٣) [الحجر:١٣-١٥].
(٤) [الحجر:٢١].
(٥) [الحجر:٢١].
(٦) [الحجر:١٩-٢٠].
(٧) [الحجر:٢٢].
(٨) [الحجر:٢٢].
(٩) [الحجر:٢٣].

ثم بين تعالى كيف خلق آدم من ﴿ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[1] وكيف خلق الجان ليعتبر بذلك وكيف أمر بالسجود لآدم وتقدم القول في ذلك، وبين بقوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾[2] أن الذي يقال من أن الشيطان محبط لا أصل له، وإنه إنما يوسوس فلا يكون له سلطان إلا على من يتّبعه فيقبل منه الوسوسة، وعلى هذا الوجه كرر تعالى في القرآن التحذير من الشيطان فحاله في ذلك دون حال الواحد من الإنس إذا رغب غيره في المعاصي، فعلى هذا الوجه قال تعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3] التابع والمتبوع .

ثم بين تعالى ما للمتقين من المنزلة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴾[4] الى آخر الآيات وأدب الله تعالى نبيَّه ﷺ بقوله ﴿ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِـــينُ ﴾[5] فأمره بتحقير ما عليه الكفار من متاع الدنيا، وأمره بالتواضع لمن آمن به وأمره بأن يقوم بالانذار في كلا الفريقين فلا يمنعه تمنع القوم عن الإنذار كما لا يمنعه إيمان من آمن به عن ذلك .

ثم أقسم تعالى بعد ذلك على أنه يسألهم أجمعين عما كانوا يعملون ولم يقتصر على الخبر حتى أكده بالقسم زجراً للناس عن المعاصي، فإن من تصورً أن معاصيه طول عمره محصية عليه يصير في الآخرة كالمشاهد لها جميعا يزجره ذلك عن الإقدام عليها وترك التوبة منها .

ولذلك قال بعده للرسول ﷺ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6] فقد أقمت الحجة عليهم ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[7] الـذين يقـع في قلبـك الخـوف مـنهم

---

(١) [الحجر:٢٦].
(٢) [الحجر:٤٢].
(٣) [الحجر:٤٣].
(٤) [الحجر:٤٥-٤٦].
(٥) [الحجر:٨٨-٨٩].
(٦) [الحجر:٩٤].
(٧) [الحجر:٩٥].

فشبَّه تعالى بالصّادع في الابلاغ والانذار ليكون مقيما للحجة على من آمن وكفر، واكد تعالى بقوله ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[١] فقد كانوا ينسبونه مرة إلى السحرة ومرة إلى الجنون ومرة الى الفِرْيَة ومثل ذلك يعظم على المرء ويأنف منه فقوّى الله تعالى قلبه على احتماله وعلى ألا يجعله سبباً للفتور في الإبلاغ والبيان فلذلك قال بعده ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[٢] .

وهذه الآداب وإن خص الله تعالى بها الرسول ﷺ فهي عامة في سائر الناس، وهي من عظم نعم الله تعالى على خلقه إذا تأملوه وتمسكوا به، فما أحد من المكلفين إلا وله وليّ وعدو يتردد بين محن ونعم فكل ذلك تأديب له .

(١) [الحجر:٩٧].

(٢) [الحجر:٩٨-٩٩].

سورة النحل

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾(١) وكيف يكون إنزالهم بالروح وكيف يكون الروح أمراً ؟

وجوابنا : أن المراد به ذلك القرآن والشرع كما قال ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(٢) وسمّى القرآن روحاً لأنه بمنزلة الروّح الذي يحيا به أحدنا من حيث يحيا به الانسان في أمر دينه وأنه يؤدي الى الحياة الدائمة فإن قيل فما معنى قوله ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾(٣) وهل المراد به هذا الامر الذي تنزله الملائكة ؟ قيل له بل الأقرب في أتى أمر الله أنه الوعيد، ولذلك قال بعده ﴿ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٤) لأنهم كانوا يستعجلون العذاب، كقولهم ﴿ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾(٥) وكما قال ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾(٦) فبين أن أمر الله قد أتى بالوعيد في الآخرة، والله تعالى حليم لا يعجل فلا تستعجلوه .

ثم قال تعالى ﴿ يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٧) وعنى به الأحكام وسائر الشرائع التي بيّنها الله تعالى في القرآن وعلى لسان الرسول ﷺ ولذلك قال بعده ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(٨) ثم قال بعده ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٩) وبيّن أنه خلق ذلك لكي يؤمن العباد وذلك يبطل قول من يقول خلق بعضهم ليكفروا وكيف يقول جل وعز ﴿ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١٠) وهو الذي يخلق فيهم الشرك ويجعلهم بحيث لا يقدرون الا عليه .

---

(١) [النحل:٢].
(٢) [الشورى:٥٢].
(٣) [النحل:١].
(٤) [النحل:١].
(٥) [الأعراف:٧٧].
(٦) [الحج:٤٧].
(٧) [النحل:٢].
(٨) [النحل:٢].
(٩) [النحل:٣].
(١٠) [النحل:٣].

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) وإنما يخلق لمصالح المكلفين ؟

وجوابنا : أن ما لا يعلمه الملائكة قد يكون صالحاً لنا وقد يجوز فيما يخلقه أن يكون نفعاً لنا وان لم نعلمه أو نفعاً لبعض الحيوان أو تفضلاً فلا يلزم ما قالوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾(٢) كيف يصحّ في السبيل أن يكون على الله وكيف يصح أن يكون منها جائر ؟

وجوابنا : أنه تعالى لما بيّن من قبل نعمه وبين من جملتها الأنعام والخيل والبغال وكيف خلقها نفعاً للمكلفين قال بعد ذلك إن على الله قصدُ السبيل، والمراد بيان ما يلزم المكلف وازاحة سائر علله فلا يجوز أن يكلفه ما لا يصح إلا بالأنعام وغيرها إلا ويخلقها له وكذلك سائر ما يحتاج اليه وبيّن بقوله ومنها جائر أن في جملتها ما يخرج المكلف عنه ويعصى مع أن في جملتها ما يقبل ويطيع ولو شاء ﴿ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٣) بالالجاء لكن ذلك لا ينفع .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾(٤) أما يدل ذلك على أنه لا فعل إلا لله ؟

وجوابنا : أنه تعالى بيّن من قبل أصناف النعم من انزاله الماء وإنباته أنواع الخيرات والثمرات وتسخيره الليل والنهار والبحر وما فيها من النعم والنجوم ودلالتها على الامور، فقال بعده تنبيهاً للخلق عما يلزم شكره وعبادته ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾(٥) فبعث بذلك على عبادة الله تعالى وبكّت به من يعبد الاصنام وغيرها ممّا لا تصحُ منه هذه النعم، ولا يدخل في ذلك أفعال العباد لأنه نبّه بذلك على أن الواجب أن يفعلوا الطاعة والشكر والعبادة، وكيف يكون نفس الفعل خلقاً من قبل الله تعالى ؟

---

(١) [النحل:٨].
(٢) [النحل:٩].
(٣) [النحل:٩].
(٤) [النحل:١٧].
(٥) [النحل:١٧].

ولذلك قال بعده ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[1] فبين أن الذي قَدِم ذكره من نعمه هو قليل من كثير النعم التي يفعلها الله تعالى حالاً بعد حال في جسم الانسان وحواسه وجوارحه وغير ذلك، ثم قال ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[2] يخوّف بذلك العبد من أن يخالف ما يظهر من الطاعة ويبعثه على أن يكون باطنه في الاخلاص كظاهره والذي بيّن ما قلناه قوله تعالى من بعد ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[3].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[4] كيف يصح أن يحملوا أوزار غيرهم ولئن جاز ذلك لم يمتنع أن يعذب الله تعالى أطفال المشركين بذنوب آبائهم ؟

وجوابنا : إن الذين أضلوهم لما كانوا سبباً لضلالهم جاز أن يقول تعالى ذلك والمراد أنهم لما ضلوا وأضلوا كانت أوزارهم أعظم كما روي عنه ﷺ « فيمن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً أَنَّ عَلَيْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَهَا » والمراد مثل ذلك لا أنَّ عين ما يستحقه من يتأسّى به يستحقه من سَنَّ فعل السُنَّةِ السيّئة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ ﴾[5] أما يدلّ ذلك على أنه تعالى يهدي ويضل وان ذلك من خلقه ؟

وجوابنا : أن المراد فمنهم من هدى الله الى الثواب لتمسكه بالعبادة، ومنهم من حقّت عليه الضلالة عن الثواب الى العقاب بمعصيته، وهذا كقوله ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ ﴾[6] فسمّى نفس العقاب ضلالاً كما سمّى نفس الثواب هدى في قوله ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[7] والهدى

---

(١) [النحل:١٨].
(٢) [النحل:١٩].
(٣) [النحل:١٩-٢٠].
(٤) [النحل:٢٥].
(٥) [النحل:٣٦].
(٦) [القمر:٤٧].
(٧) [محمد:٤-٥].

بعد القتل لا يكون الا بالإثابة، ولذلك قال بعده ﴿ **إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ** ﴾(١) فنبّه بذلك على ما ذكرنا ويحتمل أن يريد بالهدى زيادة البصيرة فيفعله بمن قبل وأطاع عنده دون من علم أنه لا يقبل، كما قال تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً** ﴾(٣) كيف يصح أنه يوحي إلى ما لا يعقل وعندكم أنه تعالى إنما يوحي إلى الأنبياء ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك ألهمها هذه الامور وخلق فيها العلم بهذه الأشياء ولم يرد بذلك الوحي الذي يكون بإنزال الملائكة، وكل أمر يلقى إلى الغير على وجه الإخفاء والاستسرار يُوصف بأنه وحي، فلما كان ما ألهم جل وعز النحل على هذا الحد جاز أن يقول أوحى إليها، ونبه بذلك على عجيب أمر النحل فيما تتعاطاه من هذا الطعام الذي هو أشرف الاطعمة وكيف تلتقط ذلك من الشجر المختلف حتى يحصل منه هذا الطعام وكيف تتولى مكان ذلك وكيف ترتبه ومتى تأمل العاقل ذلك عرف به من عجيب نعم الله تعالى ما لا يكاد يوجد في سائر الحيوان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ يَـــرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾(٤) أما يدل ذلك على أنه تعالى يخلق فيها الطيران ؟

وجوابنا : أنه تعالى لما جعل في الجو الهواء المتكاثف الذي يصح من الطير أن يطير فيه ويتوقف عليه جاز أن يضيفه الى نفسه بأنه سخرها لما فعل ما لولاه لم تثبت في الجو لأنه تعالى جعل ذلك الهواء اللطيف بمنزلة الماء الذي يسبح فيه، وهذا هو وجه الكلام .

---

(١) [النحل:٣٧]. (٢) [محمد:١٧].
(٣) [النحل:٦٨]. (٤) [النحل:٧٩].

ثم إنه تعالى بعد ذلك رغب في عبادة الله تعالى بأقوى وجوه الترغيب فقال ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾(١) فنبه بذلك على أن ما عندنا له نهاية وآخر، وان الذي يدوم من النعم هو ما يجازي جل وعز عباده المطيعين به، فرغب بذلك في فعل ما يؤدي الى هذه النعم الباقية ولذلك قال بعده ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٣) كيف يصح ذلك ؟والاستعاذة تتقدم قراءة القرآن لا أنها تتأخر عنه ؟

وجوابنا : أن المراد فاذا عزمت على قراءة القرآن وهممت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وهذا كقوله ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾(٤) والمراد اذا أردتم ذلك، ومثل ذلك يستعمل في اللغة بقول القائل لغيره اذا سافرت فاستعد لسفرك يريد اذا هممت بذلك وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٥) يدل على أن سلطان الشيطان ليس الا بالوسوسة فقط، فمن يقبل منه يوصف بأن له عليه سلطاناً دون من لا يقبل، ولذلك قال ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾(٦).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾(٧) كيف يصح أن يفعل تعالى ما يدعوهم الى تكذيبه وذلك مفسدة ؟

وجوابنا : أنه تعالى ذكر ما يقولون عند إبدال آية مكان آية ولم يذكر أنه السبب في هذا القول، بل كانوا في تكذيب الرسول على طريقتهم، ومثل ذلك جائز عندنا ولا يكون مفسدة وانما يكون مفسدة متى وقعت المعصية عنده ولولاه كانت لا تقع .

---

(١) [النحل:٩٦].
(٢) [النحل:٩٦].
(٣) [النحل:٩٨].
(٤) [المائدة:٦].
(٥) [النحل:٩٩].
(٦) [النحل:١٠٠].
(٧) [النحل:١٠١].

وبيّن تعالى ما به يدفع عنهم هذه الشبهة فقال ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) وانما أحالهم على عملهم برتبة القرآن في الفصاحة ولولا ذلك لقالوا ومن أين روح القدس أنزله فبطل بذلك ما أوردوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾(٢) أليس هذا يدل على أن من لم يؤمن لم يهده الله كما يقوله المخالف ؟

وجوابنا : أن المراد لا يهديهم الى الجنة والثواب من حيث لم يؤمنوا ولذلك أتبعه بقوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾(٤) أليس ظاهرة يقتضي اباحة الكفر والكذب وذلك قبيح لا يجوز على الله تعالى ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ ﴾(٥) استثناء منقطع ومعناه لكن من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فان قال قائل إن السؤال عليكم في ذلك لازم لأنه كأنه قال لكن من أكره على الكفر والكذب والاكراه لا يحسن ذلك . قيل له إنه تعالى لم يبين ما يكره عليه وما يأتيه المكره والذي يكره عليه هو غير الذي يأتيه المكره لان المكره انما يكرهه على الكفر والكذب، والذي ينبغي أن يأتيه المكره هو ما أباحه الله تعالى له من التعريض، فكأنه يقول ان لم تقل ان الله ثالث ثلاثة قتلتك فيقول هو عند الاكراه ذلك على وجه الحكاية أو على وجه دفع الضرر من غير أن يقصد الخبر فيحسن منه ذلك عند الاكراه .

(١) [النحل:١٠٢].
(٢) [النحل:١٠٤].
(٣) [النحل:١٠٤].
(٤) [النحل:١٠٦].
(٥) [النحل:١٠٦].

فأما نفس الكذب فلا يحسن من العاقل على وجه وفي العلماء من يقول اذا كذب فالاثم مرفوع عنه وان كان قبيحاً لمكان الاكراه والذي قدمناه هو الصحيح ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾(١) فمدحه ثم ذمه بقوله ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾(٢) اذا كانوا مختارين والاكراه زائل، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾(٣) يدل على قدرتهم على الطاعة والمعصية فصحّ بذلك أن يؤثروا أحد الامرين على الآخر لان قوله استحبوا الحياة الدنيا المراد به آثروا ما يشتهونه من الباطل، وقوله ﴿ عَلَى الآخِرَةِ ﴾(٤) المراد به على ما يؤدي الى عمارة الآخرة من الحق ثم قال تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾(٥) مع علمنا بأنه قد بين لهم ودلهم على ما يلزمهم ولولا ذلك لما كفروا يدل على أنه أراد بما نفاه الهدى الى الثواب والجنة على ما بيّناه من قبل .

ثم بين تعالى حال الكافرين بأنه طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم والمراد به تشبيه حالهم بحال من هذا صفته ولولا ذلك لم يكن ليذمهم ولذلك قال بعده ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٦) ومن يمنعه الله من هذه الافعال لا يسمى غافلاً ثم حقق ذلك بقوله ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٧) وقوله تعالى من بعد ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٨) يدخل في جملته من أُكره على الكفر بمكة حتى صبر وعرّض ثم تخلص بالهجرة .

وذلك يبين أن كِلاَ الامرين يحسن من المكره وأن الأفضل أن يصبر على ما يخوف به ولا يدخل على طريق الاباحة .

---

(١) [النحل:١٠٦].
(٢) [النحل:١٠٦].
(٣) [النحل:١٠٧].
(٤) [النحل:١٠٧].
(٥) [النحل:١٠٧].
(٦) [النحل:١٠٨].
(٧) [النحل:١٠٩].
(٨) [النحل:١١٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾(١) أليس ذلك يدل على اثبات نفسين لنا وذلك لا يصح عندكم ؟

وجوابنا : أن المراد بالنفس غير المكلف فكأنه قال يوم تأتي كل مكلف تجادل عنه نفسه وهذا أحد ما يدل على صحة القول بالعدل لأنه لو لم يكن له فعل وكان الله تعالى يفعل فيه إن يشاء الكفر وإن يشاء الإيمان لم يكن للمجادلة وجه، ثم قال تعالى بعده ﴿ وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾(٢) والمراد جزاء ما عملت لأن نفس عملها وقد تقضي لا يجوز أن توفاه فليس إلا ما ذكرناه ولذلك قال بعده ﴿ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون ﴾(٣) والظلم انما يصح في المجازاة لا في نفس العمل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾(٤) بعد ذكر كفرهم أليس ذلك يدل على انه تعالى يعاقب في الدنيا الكفار وعندكم ان ما يلحقهم من فقر ومرض لا يكون عقاباً ؟

وجوابنا : أنه يحتمل ان الصلاح عند كفرهم ما يفعله بهم من جوع وخوف لأن ذلك عقوبة كما تأولنا عليه قوله تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَات ﴾(٥).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَة ﴾(٦) أليس الفاعل مع الجهالة معذوراً فيما يأتيه فكيف أوجب الغفران بالتوبة من ذلك ؟

وجوابنا : أنه قد يقال ذلك فيمن دخلته الشبهة فيعمل السوء عندها فلا يكون معذوراً والاصل في الجهالة انه موضع الذم .

---

(١) [النحل:١١١].
(٢) [النحل:١١١].
(٣) [النحل:١١١].
(٤) [النحل:١١٢].
(٥) [النساء:١٦٠].
(٦) [النحل:١١٩].

[مسألة] وربما قيل في قــوله تعــالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾(١) أليس ذلك يوجب انه متعبد بشرائع إبراهيم ﷺ وذلك بخلاف قولكم ؟

وجوابنا : أنه اذا كان يتبع ما يعرفه من شرائعه فذلك جائز عندنا وإنما ننكر كونه ﷺ متعبداً بشرائع من تقدم على معنى أنه عرف ما دعوا اليه فتمسك بذلك من دون أمر مبتدأ من قبله تعالى أوحى به إليه ثم أوجب تعالى بقوله ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٢) على رسوله ﷺ أن يدعو الى توحيد الله وعدله والى سائر ما يكون ديناً وحقاً .

وبين له كيف يدعو وذلك واجب على غير الرسول ﷺ أن يفعله بمن يجهل الدين، كما قال تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾(٣) وبين هذا بقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٤) على أن من أقدم في باب الدين على مالا يحل فهو مؤاخذ على ذلك . ودل به على أن الضلال والاهتداء من قبل العبد، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾(٥) وهو مجاز لأن ما يفعله العبد لا يكون عقاباً في الحقيقة فهو كقوله تعالى ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(٦) ثم بين تعالى أن الصبر على ذلك والأخذ بالعفو خير من الانتقام، وبين أن صبره ﷺ يكون بالله تعالى بقوله ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾(٧) فدل بذلك على أن الصبر وسائر الطاعات انما تقع بألطافه وتيسيره .

وبيّن بقوله تعالى من بعد ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٨) انه تعالى يخص بالغفران والرحمة من يوصف بأنه متق ومحسن، وذلك يدل على قولنا في الوعيد .

---

(١) [النحل:١٢٣].
(٢) [النحل:١٢٥].
(٣) [التحريم:٦].
(٤) [النحل:١٢٥].
(٥) [النحل:١٢٦].
(٦) [البقرة:١٩٤].
(٧) [النحل:١٢٧].
(٨) [النحل:١٢٨].

سورة الإسراء

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(١) كيف يصح قطع هذه المسافة في هذه الاوقات القصيرة وما فائدة ذلك ؟ويصحّ منه تعالى أن يريه الآيات من دون ذلك وان كان المراد أنه عُرِجَ به الى السماء كما رُوِيَ في الخبر فذلك ممكن من المدينة .

وجوابنا : أن ذلك من معجزاته ﷺ ولا ننكر في يسير من الاوقات ذلك، كما جعل الله تعالى معجزة سليمان الريح بقوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾(٢) واذا كان الصلاح أن يريه الآيات التي ببيت المقدس فلا بد من أن يسري به الى هناك . وما رُوِيَ في خبر المعراج ففيه ما يجوز أن يصحّ وفيه ما لا يصحّ كما ذكر فيه أنه تعالى في مكانه وأنه ﷺ كان يذهب اليه ويعود . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وقوله تعالى من بعد في كتاب موسى ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٣) يدل على ان الهدى هو الدلالة والبيان لا نفس الايمان كما يقوله المجبرة . وقوله تعالى من بعد ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾(٤) فالمراد به الاعلام كقوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾(٥) ولذلك أضاف الفساد اليهم بقوله تعالى ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾(٦) وقوله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(٧) يدل على قدرتهم على الامرين وأنهم إذا أساؤوا فمن جهتهم،

(١) [الإسراء:١].
(٢) [سبأ:١٢].
(٣) [الإسراء:٢].
(٤) [الإسراء:٤].
(٥) [الحجر:٦٦].
(٦) [الإسراء:٤].
(٧) [الإسراء:٧].

وبيّن تعالى بقوله ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) ان الواجب على من يتلوه أن يتدبر ذلك فيكون داعية له الى التمسك بما هو اقوم وصارف عن طريقه من لا يؤمن بالآخرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾(٢) كيف يصح ذلك ومعلوم ان كون آية النهار مبصرة دون الليل لا صحة له مع وجود القمر ؟

وجوابنا : أن ذلك يدل على انه تعالى يحرك الشمس في سمائها فاذا كانت بحيث يصحّ أن تُرى كان نهاراً واذا كانت بخلافه كان ليلا، وان ذلك لا يكون بالطبع ولا بغيره على ما ذهب اليه بعض الملحدة، وذلك من عظيم نعم الله تعالى كما قال ﴿ لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾(٤) ان ذلك لا يعرف في اللغة لأنه لا يقال فيمن له الحق أو عليه أنه طائره في عنقه .

وجوابنا : أن كتاب الله تعالى وصف بأنه عربي فما يوجد فيه يجب أن يعلم أنه لغة إما مجاز وإما حقيقة، واذا كنا نقبل ذلك متى ورد به شعر منظوم أو كلام منثور فلأن يلزم ذلك لما ذكرنا أولى، والمراد ألزمناه جزاء عمله وما يستحقه، وذلك من فصيح الكلام، وقد يقال فيما يخرج من سبب وحظ خرج لفلان الطائر بكذا فلا وجه لما قالوه والوجه فيه ظاهر، لان الطائر يلزم المرء لا بحسب اختياره وربما يجتهد في دفعه فلا يصح فجعل تعالى ما يستحقه على ذنوبه بهذه المنزلة، ولذلك قال تعالى ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ﴾(٥) فبين أن المطوي المكتوم الذي يمكن المرء إصلاحه بالتوبة يصير في الآخرة ظاهراً ولذلك قال تعالى بعده ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾(٦) .

---

(١) [الإسراء:٩].
(٢) [الإسراء:١٢].
(٣) [الإسراء:١٢].
(٤) [الإسراء:١٣].
(٥) [الإسراء:١٣].
(٦) [الإسراء:١٤].

قال الحسن البصري لقد عدَل عليك من جعلك حسيب نفسك فكل ذلك زجر عن المعاصي وبين بقوله تعالى ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[١] أن الاهتداء بالايمان والضلال بالكفر من قبل العبد، وحقق ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[٢] وأن أحداً لا يؤاخذ بما يفعله غيره أكدّ ذلك بقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٣] فإذا كان تعالى لا يعذب حتى يقيم الحجة بالرسل وبالبينات فكيف يجوز أن يعذب المرءَ على أمرٍ لم يقدر عليه ؟ وكيف يجوز أن يعذب الطفل بذنب أبيه وهو من لا يقدر ولا يعرف الخير من الشر ؟ وكل ذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[٤] أليس ذلك يدل على أنه أراد منهم ذلك الفسق ؟

وجوابنا : أنه تعالى لم يذكر ما أمرهم به ومعلوم أنه لم يأمرهم بالفسق بل أمرهم بخلافه، فكأنه قال تعالى ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[٥] بالطاعة ﴿ فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾[٦] أي الوعيد والهلاك المعجل، ولذلك قال بعده ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾[٧] وقدُ قريء ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[٨] فتأويله أمرناهم بمنعهم عن المعاصي ففسقوا فيها وقد قيل إن معنى قوله ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾[٩] ارادة الطاعة منهم والعبادة دون الهلاك، فان ذلك قد يستعمل في اللغة على هذا الوجه فقد يقال إذا أراد العليل الهلاك تعاطى التخليط في المأكل لا أنه في الحقيقة يريد الهلاك، وإن أراد التاجر ان تأتيه البضائع من كل جهة فعل كيت وكيت لا أنه يريد ذلك في الحقيقة، وما قدمناه أولاً أقرب الى المراد .

---

(١) [الإسراء:١٥].
(٢) [الإسراء:١٥].
(٣) [الإسراء:١٥].
(٤) [الإسراء:١٧].
(٥) [الإسراء:١٧].
(٦) [الإسراء:١٧].
(٧) [الإسراء:١٧].
(٨) [الإسراء:١٦].
(٩) [الإسراء:١٦].

والذي يحكي من القراءة الثانية وهو قوله تعالى ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[1] فالمراد به يقرب مما قدمناه إذ المراد كثرناهم ليطيعوا ففسقوا فيها ولذلك قال بعده ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾[2] وكل ذلك ترغيب في الطاعة وتخويف من خلافها .

وقوله تعالى من بعد ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾[3] دلالة على أنه يمكن العبد من الطاعة والمعصية فاذا أراد العاجلة وما يتصل بالهوى والشهوة لم يمنعه وإن كان يزجره عن ذلك وقوي هذا الزجر بقوله ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴾[4] ثم قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ﴾[5] يعني الفعل الذي يؤدي إلى الثواب في الآخرة ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾[6] وإذا وصف تعالى سعي العبد بأنه مشكور فقد عظم موقعه .

ثم بيّن أنه لأجل المعصية لا يمنع من الإنعام المعجل فقال ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[7] فإن عطاء المعجل تفضل وقد تكفل تعالى بهذا النفضل للعاصي وللمطيع وإنما يخص المؤمن بالثواب لأنه مما لا يحسن أن يفعل إلا بمن يستحقه كما لا يحسن منا الإعظام إلا لمن يستحق وإن حسن منا الهبات لمن يستحق ولمن لا يستحق .

ثم بين أنه فضل بعضهم على بعض وإن الفضل العظيم هو الفضل في الآخرة فقال تعالى ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾[8] وبين تعالى في قوله ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[9] وقضاؤه لا يكون الا حقاً، وإن المراد بذلك الإلزام، وبين في الآيات جل جلاله جملة مما إذا تمسك بها المرء عظمت منزلته إلى قوله ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيٍّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾[10] فدل بذلك على أنه كاره للسيئات لا كما يقوله كثير من العامة أنه يريد ذلك ويشاؤه كيف يجوز ذلك مع شدة نهيه عنها وزجره وتخويفه ووعيده .

---

(1) [الإسراء:١٦].
(2) [الإسراء:١٧].
(3) [الإسراء:١٨].
(4) [الإسراء:١٨].
(5) [الإسراء:١٩].
(6) [الإسراء:١٩].
(7) [الإسراء:٢٠].
(8) [الإسراء:٢١].
(9) [الإسراء:٢٣].
(10) [الإسراء:٣٨].

وذكر تعالى في هذه الآيات من الآداب والاحكام نحو عشرين خصلة إذا تدبرها القاريء عظم نفعه بها وفي جملتها ما يلزم في حق الابوين وما يجب أن يتعاطاه في تدبير النفقات وما ينبغي أن يستعمله في حق الاولاد واليتامى وبسط ذلك يطول . فان قيل يقول تعالى ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾(١) وذلك مما لا يقع من أحد فكيف نهى عنه قيل له ليس المراد بذلك ما يقتضيه ظاهره بل المراد أن لا يضيق على نفسه وعلى من تلزمه نفقته وهذا من أفصح الكلام في وصف البخل ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(٢) منع بذلك من التبذير ثم نبه على ما يقتضي ذلك من الحسرة فيما بعد فقال ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾(٣) .

ثم بين تكلفه تعالى بالرزق فقال ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾(٤) يعني بحسب المصالح وبعث النبي ﷺ على تدبر هذه الآيات بقوله تعالى من بعد ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾(٥) والمرء يلزمه أن ينظر ويتدبر في وصية الله للصالحين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(٦) كيف يصح ذلك من الجمادات .

وجوابنا : أن من تدبر ذلك عرف المراد فانه تعالى قال من قبل ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيراً ﴾(٧) يعني اتخاذ قوم آلهة سواه، ثم أتبعه بذكر الدلائل على التوحيد فقال ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ﴾(٨) يعني انها تدل على توحيده وتنزيهه عن الاشباه فالمراد بتسبيح السموات والارض ومن فيهن ما ذكرناه لا أن المراد به القول الذي يسمّى تسبيحاً لأن دلالة هذه الامور على توحيد الله تعالى أوكد من دلالة القول فهذا معناه .

---

(١) [الإسراء:٢٩].
(٢) [الإسراء:٢٩].
(٣) [الإسراء:٢٩].
(٤) [الإسراء:٣٠].
(٥) [الإسراء:٣٩].
(٦) [الإسراء:٤٤].
(٧) [الإسراء:٤٣].
(٨) [الإسراء:٤٤].

وكذلك قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[١] يجب أن يحمل على ما ذكرناه لأنه لا شيء إلا وله حظ في الدلالة على توحيد الله، وكذلك قال تعالى ﴿ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٢] لأن ذلك إنما يعرفه من ينظر ويتدبر ومن هذا حاله قليل في الناس .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴾[٣] كيف يصح أن يمنعهم من سماع القرآن الذي فيه الشفاء والبيان ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك من المعلوم انه لا ينتفع بل يظهر منه الاذى للرسول ولذلك قال تعالى ﴿ أَكِنَّةً ﴾[٤] والمراد انهم لشدة انصرافهم عن الانتفاع به صار قلبهم بهذا الوصف وصاروا كالصم ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾[٥] فبين انهم لا ينتفعون ويؤذون ولذلك قال من بعد ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾[٦] ثم قال ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾[٧] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾[٨] أما يدل ذلك على أنهم لا يقدرون على خلاف هذا الضلال ؟

وجوابنا : أنهم لا سبيل لهم بالطعن في نبوّتك إلى تحقيق ما نسبوه إليك من سحر وغيره وليس المراد أنهم لا يقدرون على الطاعة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾[٩] كيف يجوز في تكذيبهم من قبل أن يكون مانعاً ؟

---

(١) [الإسراء:٤٤].
(٢) [الإسراء:٤٤].
(٣) [الإسراء:٤٥].
(٤) [الإسراء:٤٦].
(٥) [الإسراء:٤٦-٤٧].
(٦) [الإسراء:٤٧].
(٧) [الإسراء:٤٨].
(٨) [الإسراء:٤٨].
(٩) [الإسراء:٥٩].

وجوابنا : أن المراد الآيات التي لا ينتفع القوم باظهارها فقد كانوا يطلبون عين المعجزات الظاهرة على الأنبياء كقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾[1] الى غير ذلك فبين تعالى أن جرى العادة بتكذيب الامم بمثل ذلك يمنع من أن يفعله تعالى ويحتمل أن يريد بذلك اهلاك المكذبين الذين لا يؤمنون كما جرت به عادته تعالى فيمن بكذب الأنبياء من الغرق وغيره من ضروب الاهلاك،

ولذلك قال بعده ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾[2] فأما قوله تعالى ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾[3] فالامر فيه ظاهر أنه ليس بأمر وكذلك قوله ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[4] أنه تهديد وزجر، فليس لاحد أن يسأل عن ذلك ولذلك قال بعده ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[5] .

وبيّن من بعده أنه لا سلطان للشيطان إلا من جهة الوسوسة الضعيفة فقال ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[6] ويحتمل أنه يريد تعالى بذلك أهل الايمان والصلاح من حيث لا تؤثر فيهم وسوسة الشيطان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾[7] كيف يصح ذلك مع علمنا بخلافه ؟

وجوابنا : أن المراد من ذهل عن تمييز الخير والشر في الدنيا فهو بأن يذهل عن ذلك في الآخرة أولى وليس المراد إثبات العمى في الحقيقة بل هو ترغيب في التمسك بالطاعة، وبين تعالى بعد ذلك ألطافه التي خص بها الرسول ﷺ بقوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[8] وبقوله ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾[9] وإنما ﷺ بمنع من هذه الامور بما جرت به عادة الله تعالى من صرفه عنها .

---

(١) [الإسراء:٩٠].
(٢) [الإسراء:٥٩].
(٣) [الإسراء:٥٠].
(٤) [الإسراء:٦٤].
(٥) [الإسراء:٦٤].
(٦) [الإسراء:٦٥].
(٧) [الإسراء:٧٢].
(٨) [الإسراء:٧٣].
(٩) [الإسراء:٧٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾(١) كيف يصح منهم إ خراجه مـ الارض ؟

وجوابنا : أ ن المراد الارض المعهودة فهذه الالف واللام دخلتا على معهود فبيّـ تعالى ما كانوا عليه مـ شدة المعاداة حتّى ـمّوا بإخراجه مـ الأرض المعروفة به ﷺ وبين أن ذلك لو تم لما لبثوا إلا قليلا على سنة الله تعالى فيمـ تقدم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ﴾(٢) ما فائدة اضافة الضعف الى الحياة والى الممات ؟

وجوابنا : أن ذلك وعيد بالعذاب المعجل في حال الحياة في الدنيا والمؤخر الى الآخرة فأضاف ذلك العذاب الى الممات لما كان لا يموت الا بعده .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾(٣) ما الفائدة في ذكر الحمد في استجابتهم يوم القيامة ؟

وجوابنا : أن المراد إنكم حامدون لله تعالى على نعمه المتقدمة وأن أمر بكم الى النار والى المحاسبة الشديدة، ويحتمل ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾(٤) استجابة حامد شاكر لا يمكـ مـ جهتكم الامتناع .

[مسألة] وربما قيل في قـوله تعـالى ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾(٥) كيف يصح ان يخصه بأنه مشهود والله تعالى شاـد لكل شيء وكيف يضيف القرآن الى الفجر ؟

---

(١) [الإسراء:٧٦].
(٢) [الإسراء:٧٤-٧٥].
(٣) [الإسراء:٥٢].
(٤) [الإسراء:٥٢].
(٥) [الإسراء:٧٨].

وجوابنا : أن المراد أقم القرآن الفجر فنبه بذلك على وجوب القراءة في الصلاة، وبين ما لهذه الصلاة من الخصوصية بأنه يشهدها ملائكة الليل والنهار، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾(١) يدل على أن موقع هذا التهجد عند الله عظيم وإن كان نفلاً، ومعنى عسى هو وقوع ذلك لا بمعنى الشك وعلى هذا الوجه قال المتقدمون في عسى ولعل انهما من الله واجبان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) أليس يوجب ذلك أن بعضه شفاء ورحمة دون بعض ؟

وجوابنا : أن المراد أنه ينزل ما يدعوهم الى التمسك بالايمان ولا يجب ذلك في كل القرآن، وبعد فان ذكر بعضه بهذا الوصف لا يدل على ان سائره بخلافه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٣) كيف يصح أن يكون هذا جوابه ؟

وجوابنا : أن المراد أنهم سألوه عن الروح ولماذا يحتاج الحيّ منا إليها فبيّن تعالى أن ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يسألوه عن نفس الروح ما هو وقد قيل إنهم سألوه عن جبريل ﷺ في وقت نزوله بالوحي دون آخر وذلك مما لا حاجة بهم الى معرفته، ولذلك قال بعده ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٤) .

ثم بين تعالى عظم شأن القرآن بقوله ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾(٥) فنبه بذلك على أن له من الرتبة في الفصاحة ما لا تدركه العباد انفردوا أو اجتمعوا ولو كانوا عليه وإنما صرفوا عنه لم يكن لهذا القول معنى، وبين تعالى بقوله ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾(٦) أنه تعالى لا يجعل معجزات أنبيائه ما يوافق

---

(١) [الإسراء:٧٩]. (٢) [الإسراء:٨٢].
(٣) [الإسراء:٨٥]. (٤) [الإسراء:٨٥].
(٥) [الإسراء:٨٨]. (٦) [الإسراء:٩٠].

شهوة القوم، وإنما يظهر من ذلك ما يعلمه أصلح، فلذلك قال وقد طلبوا تفجيراً لينبوع وطلبوا البيت من الزخرف، وأن يرقى في السماء وأن ينزّل عليهم الكتب والجنة من النخل والعنب، وإسقاط الكسف من السماء، وأن يأتي بالله والملائكة قبيلا بالكلمة الواحدة ما كان جواباً لهم وهو قوله تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾(١) .

والمراد أن معرفتي بالمصالح مفقودة وأنه تعالى هو العالم بذلك . فبين أن بعثه الملك ليست لصلاح كبعثه البشر بقوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾(٢) فبين أن قبول الشرع للبشر مَ البشر أقرب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً ﴾(٣) كيف يصح ذلك وهم يسمعون في الآخرة ويتكلمون ؟

وجوابنا : أنه تعالى لم يذكر الا أنهم يحشرون كذلك لا أنهم يكونون بهذا الوصف أبداً فلا تناقض في الآيات الواردة في ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٤) كيف يجوز أن يقول لفرعون ذلك مع ادعائه أنه الاله دون الله تعالى ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع أن يجحد ذلك وان كان يعلمه طالباً لثبات ملكه وقد اتفق منه أشياء تدل على ذلك نحو قوله ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾(٥) وغير ذلك وإنما يصح أن يسأل(٦) عَ ذلك على أحد القراءتين فإما إذا قرئ علمت فإنما المراد موسى وقد عنى نفسه بذلك .

(١) [الإسراء:٩٣].
(٢) [الإسراء:٩٥].
(٣) [الإسراء:٩٧].
(٤) [الإسراء:١٠٢].
(٥) [غافر:٣٦-٣٧].
(٦) في الأصل : يسئل وتكتب فيه دائما هكذا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾(١) كيف يصح ذلك والمدعو هو الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد الدعاء بذكر الله تعالى أو بذكر الرحمن فنبه تعالى على أنه متى دعا داع بأي اسم من أسمائه الحسنى جاز ولذلك قال تعالى ﴿ أَياً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾(٢) .

---

(١) [الإسراء: ١١٠].

(٢) [الإسراء: ١١٠].

سورة الكهف

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً * قَيِّماً ﴾(١) كيف يصح أن ينفي عنه أن يكون قيماً كما نفى عنه العوج ؟

وجوابنا : أنه لم يدخل في العوج وصار قوله قيّماً من صفات الكتاب كما أن قوله لِيُنْذِرَ من صفات الكتاب فكأنه قال ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً ﴾(٢) وجعله ﴿ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ ﴾(٣) وقد قيل إنه مؤخر في الذكر وهو مقدم، فكأنه قال الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ قيماً ولم يجعل له عوجاً وذلك في المعنى يؤدي الى ما قدمناه في الفائدة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾(٤) كيف يصح ذلك وعلى الارض ما لا يصح كونه زينة للارض كالحشرات وغيرها ؟

وجوابنا : أن المراد على الأرض من شجر وزرع ونبات دون غيره لان قوله زينة لها يدل على ذلك ولأنه عد ذلك في جملة النعم يدل عليه ولذلك قال بعده ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٥) وبين بعده بقوله ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾(٦) أنه يجعل الأرض عند الحشر بخلاف ما هي عليه الآن .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾(٧) كيف يصح أن يبتديه بذلك وهو لم يعرف شيئاً من أحوالهم ؟

---

(١) [الكهف:١-٢].
(٢) [الكهف:١].
(٣) [الكهف:٢].
(٤) [الكهف:٧].
(٥) [الكهف:٧].
(٦) [الكهف:٨].
(٧) [الكهف:٩].

وجوابنا: أن مثل ذلك قد يقال في اللغة ابتداء لتوكيد ما يورد من الحديث وعلى هذا الوجه قال تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ﴾(١) وقد قيل إنه ﷺ سئل عن ذلك فصح أن يعلمه الله تعالى به على هذا الوجه من القول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾(٢) كيف يصح ذلك ومعلوم أن صفة الراقد خلاف صفة المستيقظ فيما يشاهد . وجوابنا انهم كانوا وهم رقود بصفة المستيقظ في العيون والتبسم وذلك من آيات الله تعالى العجيبة وظاهر ذلك أنهم بقوا تلك المسافة الطويلة رقوداً وذلك من آياته العجيبة وان كان في الناس من تأوّل الآية على أنهم كانوا موتى لاجل قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾(٣) ولا يقال ذلك إلا فيمن أحياه الله تعالى بعد الممات، والاقرب الاول لانه اذا جعلهم راقدين هذه المدة الطويلة صح أن يقول بعده ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾(٤).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٥) أليس ذلك يدل على أنه تعالى يشاء كل أمر واقع قبيح وحسن ؟

وجوابنا : أن ذلك تأديب لرسول الله ﷺ ولأمته في أن لا يقع منهم القطع على ما ذكر أنهم يخبرون به من الافعال لان القاطع على ذلك لا يأمن أن يكون كاذباً فينبغي أن يقيده بالمشيئة لأنها تخرج الخبر من أن يكون مقطوعاً به، ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون ﷺ لا يخبر بأمر المستقبل إلاَّ مع العلم بأن الله تعالى قد شاءه وذلك لا يصح .

وقد كان ﷺ يعزم على المباح كما يعزم على ما هو عبادة والله تعالى لا يشاء إلا الطاعة ولولا صحة ذلك لَحَسُنَ مِنْ أَحَدِنا كما يقول : تقول الصدق غداً إن شاء الله، أو أن يقول أسرق وأزني إن شاء الله وذلك محظور على لسان الأمة، فالمراد إذاً تعليق الكلام بالمشيئة ليخرج من أن يكون خبراً قاطعاً لا أن تعلقه به على وجه الشرط .

---

(١) [الفرقان:٤٤].
(٢) [الكهف:١٨].
(٣) [الكهف:١٩].
(٤) [الكهف:١٩].
(٥) [الكهف:٢٣-٢٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾(١) أليس أضاف جل وعز ذلك الى نفسه ؟

وجوابنا : أن المراد من وجدناه غافلاً ولولا ذلك لما صح أن يقول تعالى من بعد ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾(٢) وأن يذمه على ذلك، وقد قيل إن المراد جعلنا قلبه خالياً عن الكتابة التي ذكر الله تعالى أنه يَسِمُ بها قلوبَ المؤمنين في قوله ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾(٣) فلما أخلى قلبه عن ذلك وصفه بهذا الوصف .

فأما قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٤) فهو تهديد ولذلك قال بعده ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾(٥) وذكر الحسن بن أبي الحسن رحمة الله في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾(٦) ان ذلك يدل على انه تعالى لايشاء إلا الطاعة، فكأنه قال قلت القول الذي يشاؤه اللهُ دون ما أوردته من قـولك ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِه أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾(٧) وبين تعالى بقوله ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾(٨) كيف يتحسر على ما أنفقه وأمل فيه المنافع إذا خاب أمله، وجعله ذلك لطفاً في المحافظة على طاعة الله تعالى على ما يستحقه من ثواب الآخرة .

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فقال ﴿ كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾(٩) وبعث بذلك المكلف على الحرص على عمل الآخرة من حيث يدوم نعيمها، وبين تعالى أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات أولى بتكليف المرء لها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفاً ﴾(١٠) كيف يصح في جميعهم أن يكونوا كذلك في حال المحاسبة ؟

---

(١) [الكهف:٢٨].
(٢) [الكهف:٢٨].
(٣) [المجادلة:٢٢].
(٤) [الكهف:٢٩].
(٥) [الكهف:٢٩].
(٦) [الكهف:٣٩].
(٧) [الكهف:٣٥-٣٦].
(٨) [الكهف:٤٢].
(٧) [الكهف:٤٥].
(١٠) [الكهف:٤٨]

وجوابنا : أنه ليس المراد أنهم يعرضون صفاً واحداً بل المراد أنهم يعرضون من دون اختلال واختلاط فيشاهد بعضهم بعضاً، فمن ظهر أنه من أهل الخير يكون سروره بمعرفة الناس بحاله أعظم لوقوف الخلائق على صورة أمره، ومن هو من أهل النار يعظم غمه وهو معنى قوله ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾(١) وبين تعالى بعده التخويف الشديد من المعاصي بقوله ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾(٢) وذلك يدل على أن المرء يؤاخذ بالصغائر كما يؤاخذ بالكبائر إذا مات على غير توبة، ومعنى ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾(٣) ثواب ما عملوا حاضرا لأن عملهم قد فنى في الحقيقة، وقوله من بعد ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾(٤) يدل على أن المعاقَبَ يستحق العقوبة على ما فعله وعلى أنه تعالى منزه عن الظلم وسائر القبائح وقوله تعالى ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾(٥) يدل على أنه ليس من الملائكة، وقوله ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾(٦) يدل على أن الفسق هو الخروج إلى عداوة الله، وقوله ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾(٧) تحذير شديد عن اتخاذه ولياً والقرب منه، ولذلك قال ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾(٨) وقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾(٩) يدل على أن المضِل لأجل إضلاله لا يعينه تعالى ولو كان الإضلال من قبله كما يقول المجبرة لما صح ذلك، وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾(١٠) يدل على أن الفعل للعبد فلذلك بكّتهم على اتخاذه من دون الله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾(١١) وصفهم بالظن وهم يعملون ذلك في الآخرة .

---

(١) [الطارق:٩].
(٢) [الكهف:٤٩].
(٣) [الكهف:٤٩].
(٤) [الكهف:٤٩].
(٥) [الكهف:٥٠].
(٦) [الكهف:٥٠].
(٧) [الكهف:٥٠].
(٨) [الكهف:٥٠].
(٩) [الكهف:٥١].
(١٠) [الكهف:٥٢].
(١١) [الكهف:٥٣].

وجوابنا:انه أراد بالظن العلم ولذلك قال عقبه﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾[١] وقد يذكر في الامور المستقبلة الظن مع العلم لأنه من باب ما يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع فمن حيث كان هذا شأن الشيء في نفسه وهذا حاله جاز أن يعبّر عنه بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[٢] كيف يصح ذلك وإنما ذَكَرَ تَعَالَى فيه بعض الامثال ؟

وجوابنا : أن ذلك مبالغة كقوله تعالى ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٣] ومذهب العرب في ذلك معروف، والمراد من كل مثل يحتاج العباد اليه في أمر دينهم وما هذا حاله موجود في القرآن من صفات الامور الدنيوية وصفات الآخرة وغيرهما، وقوله تعالى ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾[٤] يدل على أنه الفاعل فيصح أن يجادل عن نفسه ولو كان كل تصرف مخلوقاً فيه لما صح ذلك .

وقوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا ﴾[٥] من أقوى الادلة على ان الايمان فعلهم والامتناع منه كذلك لأنه لا يصح أن يقال للمرء ما منعك أن تكون طويلا صحيحاً أو مريضاً لما كان ذلك من خلق الله فيه، وقوله تعالى من بعد ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى ﴾[٦] يدل على أن الهدى هو البيان والدلالة، ويدل على أن الاهتداء بهذا الهدى من قبله، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٧] يدل على أن العبد يستحق على فعله الطاعة ما يبشر به من الثواب، وعلى المعصية ما ينذر به من العقاب، ولو كان الأمر كما يقوله المجبرة في أنه عز وجل يخلق الافعال فيهم وان له أن يعاقب من أطاعه ويثيب من عصاه لما صح ذلك، وقوله تعالى ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ ﴾[٨] لا يصح لولا أن الكفر من قبلهم، ولو كان الله هو الخالق له فيهم لكان لهم أن يقولوا لا عيب علينا في ذلك وان كان باطلاً لأن الله جل

(١) [الكهف:٥٣].
(٢) [الكهف:٥٤].
(٣) [النمل:٢٣].
(٤) [الكهف:٥٤].
(٥) [الكهف:٥٥].
(٦) [الكهف:٥٥].
(٧) [الكهف:٥٦].
(٨) [الكهف:٥٦].

وعز خلقه فينا، ولما صح أن يقول تعالى ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ﴾[١] وقد منعوا من خلاف ذلك، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[٢] كيف يصح أن يبالغ تعالى في وصفه بظلم نفسه وهذا الإعراض من قبل الله تعالى، ولو شاء خلاف ذلك لما صح .

وبعد ذلك وصفهم بالأكنة والوقر لمّا لم يقبلوا ما أُمروا به على وجه المبالغة، والمراد أن ذلك ما يؤنس منهم أن يختاروه فصاروا بمنزلة ما لا يفقه ولا يسمع ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾[٣] ثم بيّن تعالى رحمته بتأخير العقاب عنهم وهـذه حالتهم، فقال ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾[٤] ولذلك يوصف تعالى بأنه حليم محسن الى من أساء كما أنه محسن الى من أحسن فيمهل ولا يعجل لئلا يكون للعاصي حجة يتعلق بها وليصح أن يقال له ما أوتيت فيما قدمت عليه الا من قبل نفسك، وقوله تعالى ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾[٥] يدل على ان وعيده تعالى حق لا يقع فيه خلف .

[مسألة] وربما قيل كيف قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[٦] فاضاف النسيان اليهما ثم قال تعالى من بعد ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾[٧] ثم قال ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[٨]حاكياً عن فتاة ثم قال تعالى﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[٩] وذلك كالمتناقض ؟

وجوابنا : أنه تعالى أضاف اليهما النسيان لما بلغا مجمع بينهما ثم أضاف ذلك الى الفتى لما جاوزا واذا اختلف الحالان صح، وقد يصح فيما تحمله المسافر ان أن

---

(١) [الكهف:٥٦].
(٢) [الكهف:٥٧].
(٣) [الكهف:٥٧].
(٤) [الكهف:٥٨].
(٥) [الكهف:٥٨].
(٦) [الكهف:٦١].
(٧) [الكهف:٦٢].
(٨) [الكهف:٦٣].
(٩) [الكهف:٦٣].

ينسب الحال فيه اليهما لما كان لا يتم ذلك إلا بهما، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ ﴾[١] دليلنا على أن الفعل للعبد لأنه لو كان خلقاً لله تعالى لكان قوله لو قال وما أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الرحمنُ أولى وأصوب .

ومتى قيل النسيان عندكم من فعل الله تعالى فكيف يصح ذلك ؟

فجوابنا : أن المراد بالنسيان هنا التقاعد والاهمال وذلك من فعل العبد فعلى هذا الوجه حصلت الاضافة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[٢] كيف قطع في ذلك وهو أمر مستقبل لا يعرفه إلا علاّم الغيوب ؟

وجوابنا : أن ذلك من قول صاحب موسى وكان نبيّاً فيجوز انه تعالى عرفه ذلك، ويحتمل أنه لما كان عارفاً بأن الذي يفعله من خرق السفينة وقتل الغلام بالغ في التعجب منه مبلغاً عظيما وان ذلك مما يتعذر الصبر عن معرفة علته ﴿ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[٣] لما قوي ذلك في ظنه، ولذلك قال تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾[٤] وقول موسى ﷺ ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً ﴾[٥] يدل على قوة عزمه على الصبر، ثم قال بعده ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[٦] ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[٧] ان ذلك يثقل عليه، فقد يقال إن فلاناً لا يقدر على سماع كلام فلان وأراد أنه يثقل عليه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[٨] عند خرق السفينة وقتل الغلام أليس ذلك يدل على أن القدرة مع الفعل فنفي استطاعته عن الصبر لما لم يصبر ؟

---

(١) [الكهف:٦٣].
(٢) [الكهف:٦٧].
(٣) [الكهف:٦٧].
(٤) [الكهف:٦٨].
(٥) [الكهف:٦٩].
(٦) [الكهف:٧٠].
(٧) [الكهف:٦٧].
(٨) [الكهف:٧٢].

وجوابنا : أن المراد ليس هو الاستطاعه التي هي القدرة بل المراد ثقل ذلك عليه لما رأى الامر العجيب ولم يعرف تأويله ووجه الحكمة فيه، فلذلك قال تعالى ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾(١) فبين انه انما لم يستطع الصبر لأنه لم يعرف تأويله ولو عرفه كان يستطيع، وهذه الاستطاعة هي بمعنى ما يثقل على المرء ويخفف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾(٢) ثم قال تعالى﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾(٣) فانه اذا كان يأخذ كل سفينة فكيف يصح أن يقول ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً وذلك ما يعقل من الكلام بقوله تعالى ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾(٤) لانه نبه بذلك على ان ذلك الملك كان ينصرف عن أخذ المعيب من السفن إلى أخذ الصحيح، فأما قوله جل وعز ﴿ وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾(٥) فإن من تدبر يعرف به حكمة الله تعالى وعدله وأنه يفعل بالمكلف أقرب الأشياء إلى طاعته، وأنه تعالى ينفي عنه ما يدعوه إلى معصيته، فأمر عز وجل صاحب موسى بقتل الغلام لما كان لو بلغ داعية كفرهما، ويدل أيضاً على أن الكفر من فعلهما لأنه لو كان خلقاً من الله تعالى لم يصح ذلك، وقوله عز وجل ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾(٦) يدل على أن ذلك كان من أمر الله تعالى وإذنه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾(٧) كيف يصح أن يجدها تغرب في شيء من الأرض وهي إنما تغرب في مجاري غروبها ؟

---

(١) [الكهف:٧٨].
(٢) [الكهف:٧٩].
(٣) [الكهف:٧٩].
(٤) [الكهف:٧٩].
(٥) [الكهف:٨٠-٨١].
(٦) [الكهف:٨٢].
(٧) [الكهف:٨٦].

فجوابنا:أنها تغرب على وجه يشاهد كذلك كما توجد الشمس تغرب في البحر اذا كان المرء على طرفه، وكما يقول المرء : إن الشمس تطلع من الأرض وتتحرك في السماء والمراد بذلك ما ذكرناه من تقدير المشاهدة، وقوله تعالى من بعد ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ﴾(١) يدل على أن ذلك الظلم فعل العبد وعلى أن هذا التعذيب فعل ذي القرنين، فلذلك أضاف العذاب المتقدم الى نفسه ثم العذاب المتأخر إلى ربه .

[مسألة] وربما قيل في قصة يأجوج ومأجوج كيف يصح وصفه لهم بأنهم ﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾(٢) ثم وصفهم بأنهم يفسدون وكيف يصح قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾(٣) وكيف يصح أن يبقوا على الزمان لا يستطيعون ذلك حيث يقول تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾(٤) يعني الحشر؟

وجوابنا : أن قوله ﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾(٥) يحتمل مع كمال عقلهم للمباينة في اللغة ويحتمل خلافه فلا يدل على ما ذكروا، وقوله ﴿ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾(٦) يحتمل أن يكون مع كمال العقل ويحتمل مع فقده، كما يقال فيمن لا عقل له انه يفسد الزرع بل يقال ذلك في البهائم، وذلك السد معمول بالصفر وما يجري مجراه فصح ان لا يمكنهم التأثير فيه لفقد الآلات ولقوة السد وإحكامه، ويحتمل أنه تعالى يصرفهم عن الشغل بذلك فيبقى الى يوم القيامة .

واختلفوا في يأجوج ومأجوج فمنهم من قال هم غير مكلفين ومنهم من قال يجوز أن يكون تكليفهم بجميع العقلي والشرعي بأن يسمعوا الأخبار ممن يقرب من السد فتتواتر عندهم، ومنهم من قال بل تكليفهم بالعقلي دون الشرعي الذي لم تبلغ

---

(١) [الكهف:٨٧]. (٢) [الكهف:٩٣].
(٣) [الكهف:٩٧]. (٤) [الكهف:٩٨].
(٥) [الكهف:٩٣]. (٦) [الكهف:٩٤].

دعوته اليهم، ثم ذكر تعالى من بعد ما تعظم الفائدة به لمن تدبره فقال سبحانه ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[١] فبين تعالى أن أعمال من لا يحفظ عمله فيفسدها بالكفر والفسق تكون الى خسار وتبار وتصير كالحسرة في الآخرة، فلذلك قال الذين ضل سعيهم والمراد ذهب هدراً ولذلك قال آخراً ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً ﴾[٢] فنبه على أن كل من حبط عمله يكون حكم سعيه في الخيرات هذا الحكم.

ثم بين أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم يحبطوا ما فعلوه ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[٣] فإن مساكن الدنيا قد يبتغي المرء عنها حولا وليس كذلك الجنة، وفي قوله تعالى عز وجل ﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾[٤] ما إذا تأمله العاقل علم أن كلمات الله تعالى لا تحصر وأنه قادر على ما لا نهاية له، ومن هذا حاله كيف يصح أن يقال محدث أو مخلوق.

---

(١) [الكهف:١٠٣-١٠٤].
(٢) [الكهف:١٠٥].
(٣) [الكهف:١٠٧-١٠٨].
(٤) [الكهف:١٠٩].

سورة مريم

[مسألة وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً ﴾(١) أليس يدل على ان صلاحه من قبل الله تعالى ؟

وجوابنا : أن الرضا قد يكون كذلك بأمور يفعلها الله به من كمال العقل والحزم ومن النبوة وغير ذلك فلا يصح تعلقهم به .

[مسألة] وربما سألوا وقالوا كيف خاف زكريا ﷺ الموالى فرغب الى ربه أن يرزقه ولداً يرثه حق الانبياء وَلِمَ الفكر في أمور الدنيا ؟

وجوابنا : أنه لم يعن وراثة المال بل عنى وراثة العلم والدين والنبوة، فأراد أن يكون ذلك في داره، ولم يذكر أيضاً ما الذي خافه من الموالي وقد يحتمل أن يكون خاف منهم التغير اذا مات فأحب أن يكون هناك من يقوم مقامه في النبوة حتى لا يتغيروا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾(٢) ما الفائدة في ذكر الاسم واللقب والكل في ذلك سواء، وما الفائدة في قوله ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِياً ﴾(٣) ولو جعل له سمياً لم تتغير البشرى ؟

وجوابنا : أن من تمام نعمة الله أن يرزقه المسمى ويتولى إسمه لأن ذلك يكون في الإنعام أزيد، وكذلك اذا لم يكن له من قبل من يساويه في الإسم كان الاحسان أعظم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِياً ﴾(٤) كيف يستبعد ذلك وهو نبيّ وقد بشّره الله تعالى به لأجل ما ذكره ؟

---

(١) [مريم:٦].
(٢) [مريم:٧].
(٣) [مريم:٧].
(٤) [مريم:٨].

وجوابنا : أن ذلك استبعاد من حيث العادة لا من حيث القدرة وذلك يصح في الانبياء كما يصح في غيرهم ولو أن نبيّاً من الأنبياء بشر من بالبادية بنهر جار لجاز أن يقال كيف يصح ذلك في هذا المكان فيكون استبعاداً من حيث العادة لا من حيث القدرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾(١) أليس ذلك يدل على أن المعدوم ليس بشيء ؟

وجوابنا : أن المراد ولم تك شيئاً على الوصف الذي أنت عليه من الفضل والنبوّة فإذا صح أن أخلقك على هذا الوجه صح أن أرزقك ولداً مع كبرك فلا تستبعد ذلك في القدرة وجواز مثله في العادة، وقوله تعالى ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّة ﴾(٢) فيدل على أن القوة قبل الفعل على ما نقول والا كان لا يصح ذلك كما لا يصح ممن لا يَدَ لَهُ أن يقال خُذ بيدك، فأما قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِياً ﴾(٣) فيدل على أن مخالفة الصبي للبالغ هو من حيث العادة لا من حيث القدرة، وقوله ﴿ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا ﴾(٤) أراد الانعام العظيم عليه بأن جعله نبياً وناصحاً وباعثاً على الخيرات، وقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾(٥) لا يدل على أنه لم يكن واثقاً بما بُشِّر به على ما رُوِيَ عن بعضهم أنه شك في البشري، بل مراده بذلك التوكيد لما بشر به إذا لم يجعل له آية تدل على الوقت الذي يرزق فيه الولد وإن كان قد عرف بالبشارة ذلك لكنه جوّز التقديم والتأخير .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً ﴾(٦) أليس ذلك يتناقض لأنه إذا كان تقياً استغنى فيه عن التعوذ وكان الأقرب أن يقول : لإِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن لم تكن تقيا ؟

---

(١) [مريم:٩].
(٢) [مريم:١٢].
(٣) [مريم:١٢].
(٤) [مريم:١٣].
(٥) [مريم:١٠].
(٦) [مريم:١٨].

وجوابنا : أنها قالت هذا القول وهي لا تعرفه فقالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت ممن يتقيه ويخشى عذابه على وجه التخويف كقول القائل ان كنت مؤمناً فلا تظلمني، وقوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياًّ﴾(١) يدل على أن خلقه الملائكة مخالفة لخلقة الناس فتمثل بهذه الخلقة، ويدل على تقارب خلقتهم في البنية لخلقة البشر وان كانت لهم آلات وعظام، ويجوز أن تنفصل وتتصل وانما أنزل اليها جبريل ﷺ وان كان نزوله من المعجزات علماً لزكريا ﷺ فقد كان نبياً في الوقت، وقول مريم ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِياً ﴾(٢) لا يدل على كراهتها لما قضاه الله فيها وفي ولدها، وإنما تمنت ذلك من حيث يعصى الناس في أمرها لخروجه عن العادة ولما يلحقها من الخجل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾(٣) كيف يصح أن يقال لها ذلك وبينها وبين هارون أخي موسى الزمن الطويل ؟

وجوابنا : أنه ليس في الظاهر أنه هارون الذي هو اخو موسى، بل كان لها أخ يسمى بذلك واثبات الاسم واللقب لا يدل على أن المسمى واحد، وقد قيل كانت من ولد هارون كما يقال للرجل من قريش يا أخا قريش .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِياً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً ﴾(٤) فكيف يصح للطفل أول ما يولد أن يتكلم بذلك وأن يكلف بالصلاة والزكاة وأي فرق بين من يجوّز ذلك وبين من يجوّز تكليف الموتى ؟

وجوابنا : أنه تعالى قادر على إكمال عقله وتقوية جسمه في تلك الحال وإن كان كِلاَ الْأَمْرَيْنَ يحصل فينا في العادة في الوقت الطويل بالتدرج، وإذا كان كذلك

---

(١) [مريم:١٧].
(٢) [مريم:٢٣].
(٣) [مريم:٢٨].
(٤) [مريم:٢٩-٣١].

وألهمه الله تعالى هذا القول صح أن يقول ما قال وصح سائر ما وصف به نفسه، أو ليس يوجب قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة أنه في هذا الوقت خاصة لأن الوصية تتقدم وتتأخر، وإنما جعل الله معجزة عيسى ﷺ في حال ولادته لما كان في ذلك من إزالة الريب بذلك عن القلوب وبغير هذه الآية لا يكاد يزول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[١] كيف يصح في أمر محال أن يقال ما كان لله أن يفعله وإنما يصح ذلك فيما يصح ويمكن، ولذلك لا يقال ما كان لزيد وهو شاب أن يلد رجلاً شيخاً لأن ذلك يستحيل ؟

وجوابنا : أن القوم كانوا ينسبونه الى ذلك فنفى عن نفسه على الوجه الذي كانوا يضيفونه اليه، ولذلك قال ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾[٢] فنزه نفسه عن ذلك، وبين أن كل الأولاد من خلقه وأنه قادر على خلقهم فلا يجوز عليه الولادة، وقد يقال ذلك بمعنى البيان والدلالة إذا دلّ وبين أن ذلك لا يجوز عليه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾[٣] كيف جاز من إبراهيم عليه السلام أن يقول ذلك ولم يكن أبوه ممن يعبد الشيطان ؟

وجوابنا : أنه أراد لا تتبعه ولا تطعه كما روي في تفسير قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٤] فقال ﷺ لم يتخذوهم أرباباً بالعبادة لكن أطاعوهم في التحليل والتحريم، ولذلك قال إبراهيم ﷺ ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ ﴾[٥] لأنه كان يعبد الأصنام فلا يجوز أن يريد بقوله ﴿ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾[٦] إلا ما ذكرنا، ولذلك قال من بعد ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياً ﴾[٧] ومعنى قوله من بعد ﴿ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾[٨] انه ان تاب وقبل قول إبراهيم يستغفر له ويرجو له الثواب والنجاة، لأنه لا يستغفر له وهو على إصراره على الكفر .

---

(١) [مريم:٣٥].
(٢) [مريم:٣٥].
(٣) [مريم:٤٤].
(٤) [التوبة:٣١].
(٥) [مريم:٤٢].
(٦) [مريم:٤٤].
(٧) [مريم:٤٥].
(٨) [مريم:٤٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾(١) كيف يصح ذلك وولادة اسحق كانت بعد ذلك بزمان وولادة يعقوب أبعد من ذلك ؟

وجوابنا : أنه تعالى بين أنه لما اعتزلهم لم يدعه فريداً وحيداً بل خلق له الأولاد وليس في ذلك ذكر وقت مخصوص .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِياً ﴾(٢) كيف يصح ذلك وليس في الجنة ليل يتلوه نهار ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك تقدير وقت الأكل فقدّر جل وعز بما جرت به العادة لا أن هناك نهاراً بعده ليل، أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الأوقات على حسب أوقات الليل والنهار بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الاوقات على حسب أوقات الليل والنهار، وقد قيل إن هناك من الحجب وغلق الابوب ثم فتحها ورفع الحجب ما يدل على ذلك، وبيّن تعالى من صفتهم ما تشتد فيه الرغبة فقال تعالى ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً ﴾(٣) وقال ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِياً ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾(٥) ما المراد بذلك ؟

وجوابنا:أنه بيّن به أنه مالك الأفعال في الأوقات الماضي والمستقبل والدائم وأن التقديم والتأخير سواء في أنه عالم به، ولذلك قال بعده ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً ﴾(٦) .

وربما يتعلق بعضهم بقوله ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾(٧) وقال بينهما أفعال العباد فيجب أن يكون ربها، وذلك يدل على أنه يكون خالقها .

---

(١) [مريم:٤٩].
(٢) [مريم:٦٢].
(٣) [مريم:٦٢].
(٤) [مريم:٦٣].
(٥) [مريم:٦٤].
(٦) [مريم:٦٤].
(٧) [مريم:٦٥].

وجوابنا : أن ما بينهما هو الاجسام كالهواء وغيره فلا مدخل لافعال العباد في ذلك، وبعد فقد يقال أنه تعالى ربنا ورب أفعالنا لما صح منه انه يمكن منها ويمنع منها، ولذلك قال بعده ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾(١) وذلك بين خروج العبادة وما جرى مجراها مما ذكر أولاً ومعنى قوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً ﴾(٢) أي مثيلاً ونظيراً فذكر الاسم وأراد المسمى فليس لأحد أن يسأل عن ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً ﴾(٣) بعد ذكر جهنم أليس يدل ذلك على أن كل من يحشر يرد النار فكيف يصح ذلك في أهل الثواب ؟

وجوابنا : أنه بمعنى القرب منها لا بمعنى الوقوع فيها كقوله تعالى في قصة موسى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾(٤) وهذه طريقة العرب في الورود بمعنى القرب، ولذلك قال بعده ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾(٥) لانهم إذا قربوا سلك بأهل الثواب مسلك الجنة وأدخل أهل العقاب النار ولا بد أن يتأول على ما ذكرناه فإنه تعالى بين أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وَمن هذه حالته لا يجوز أن يلقي في النار ويظن به ذلك وبين تعالى بعده بقوله ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٦) أنه عز وجل يخص المهتدي بألطاف من حيث آمن واهتدى وأن ذلك يؤديه الى الباقيات الصالحات .

وذكر قبله ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَداً ﴾(٧) أنه تعالى يبقيهم ليزولوا عن الضلالة ويفعل بالمهتدين الهدى ليثبتوا على الايمان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً ﴾(٨) كيف يصح قولكم أنه تعالى زجرهم عن الكفر بأقوى زجر وعن القبول من الشيطان وهو يقول ذلك ؟

---

(١) [مريم:٦٥].
(٢) [مريم:٦٥].
(٣) [مريم:٧١].
(٤) [القصص:٢٣].
(٥) [مريم:٧٢].
(٦) [مريم:٧٦].
(٧) [مريم:٧٥].
(٨) [مريم:٨٣].

وجوابنا : أن المراد خلينا بين الشيطان وبينهم ولم يمنع من ذلك لما فيه من المصلحة وعلى هذا الوجه يقال فيمن ربط الكلب على باب داره ولم يمنعه من الوثوب على من زاره، قد أرسلت كلبك على الناس، وفي قوله ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾(١) دلالة قوية على ما تأولنا عليه قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَداً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ﴾(٣) كيف يصح أن يعظم ذلك هذا التعظيم ثم يأمرنا بأن نقرهم عليه بأخذ الجزية ؟

وجوابنا : أن الله تعالى ما عظم إلا العظيم من القول والكفر، وقد كان يجوز أن لا يخلق من يكفر لكنه تفضل وكلف لكي يؤمنوا، وكذلك لا يمنع أن يأمرنا بأن نقرهم على وجه أقرب إلى أن يؤمنوا عند المخالطة وسماع التوحيد وعندما ينالهم من الذل بدفع الجزية،

وبين أن كل من في السموات والأرض خلقه وهو قادر على أضعافه فلا يجوز أن يتخذ منهم ولداً مع قدرته على أن يكونوا له عبيداً .

---

(١) [مريم:٨٥-٨٦].
(٢) [مريم:٧١].
(٣) [مريم:٩٠-٩١].

سورة طه

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ العُلَى ﴾(١) ما الوجه في أن يقول بعده ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾(٢) ؟

وجوابنا : أنه تعالى عظم شأن القرآن من حيث كان تنزيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ ثم أتبعه بما هو أعظم من ذلك فقال ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾(٣) والمراد استولى واقتدر عليه لأن العرش من أعظم ما خلق، فنبّه على أنه اذا كان مقتدراً عليه مع عظمه وعلى السموات وعلى الأرضين ويملك ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فاعلموا عظم محل القرآن عمّن هذا وصفه، وتمسكوا بآدابه وأحكامه، فذلك بعث من الله تعالى على تدبر القرآن .

وقد بينا من قبل بطلان قول المشبهة بأنه تعالى استوى على العرش قلنا ان من يصح ذلك عليه يكون حِسّاً ذَا صُورَةٍ ومن هذا حاله يكون محدثاً محتاجاً إلى مصور فالمراد الإستيلاء والقدرة كما ذكرناه(٤) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٥) ما معنى قوله ﴿ وَأَخْفَى ﴾(٦) ولا شيء أخفى من السر ؟

وجوابنا : أن ما يخطر بالقلب ويحدث المرء به النفس أخفى من السر فنبه على عظم شأنه والعلم بذلك ثم قال ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾(٧) فنبه بذلك

(١) [طه:٤]. (٢) [طه:٥].
(٣) [طه:٥].
(٤) سبق أن بينا رأى علماء السلف وغيرهم في موضوع الاستواء على العرش فيرجع إليه في هامش آية ٣ من سورة الرعد .
(٥) [طه:٧]. (٦) [طه:٧].
(٧) [طه:٨].

على ما يجب من ذكر أسمائه التي تفيد عظم شأنه على ما قدمه من قوله ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ ﴾[١] ولا فائدة في ذكر أسماء الله الا بأن ينوي المرء بها ما تفيده مما يقتضى تعظيمه واجلاله .

[مسألة] وربما قيل ما فائدة قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[٢] وإذا جاز أن يكون عليه سائر ثيابه فما المانع من أن يكون لابساً لنعليه مع كونه في الوادى المقدَّس ؟

وجوابنا:أن النعلين تُلبسان لا على حدً ما يُلبس سائر الثياب ولذلك لا يلبسهما المرء في بيته وإنما يلبسهما لدفع الأذى في المواضع التي تُخشي فيها النجاسات وغيرها وعلى هذا الوجه جرت العادة فيمن يعظم المكان أنه يخلع نعله فأراد تعالى تنبيه موسى على عظم محل الوادى المقدس وأحب أن تلحقه بركة ذلك الوادي وهو يباشره برجله، وأحب أن يعرّفه عظم محله بهذا الصنيع، وقد رُوي نعليه أنهما كانا من جلد حمار ميْت فإن كان كذلك فهما أولى ما يخلع وإلا فالذي قدمناه وجه صحيح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعـــالى ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[٣] ما فائدة قوله ﴿ لِذِكْرِي ﴾[٤] والصلاة لا تقام الا لذكره تعالى ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ لِذِكْرِي ﴾[٥] يرجع إلى الصلاة وإلى العبادة جميعاً فكأنه قال فاعبدني لذكري وأقم الصلاة لذكري وهما جميعاً لا يصحَّان إلا إذا كان المرء ذاكرا لِلهِ تعالي وتوحيده لان الغافل عن ذلك لا يعتد بما فعله وعلى هذا الوجه يجتهد المرء في الصلاة أن يتحرز من السهو فيكون ذاكراً لِلهِ قاصداً بما يأتيه الى عبادته وخص تعالى الصلاة بالذكر وإن دخلت في جملة العبادة تفخيماً لشأنها .

---

(١) [طه:٤].
(٢) [طه:١٢].
(٣) [طه:١٤].
(٤) [طه:١٤].
(٥) [طه:١٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[١] ما فائدة قوله تعالى ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[٢] ؟

وجوابنا : أن المراد أخفى ما فيها لما في ذلك من المصلحة فإن أراد تعالى أخفى موت كل أحد ففي ذلك مصلحة لأنه متى علم وقت موته كان ذلك إغراء بالمعاصي أن تطاول وإلجاء الى الطاعة أن تقارب، وإن أراد تعالى ما يظهر من زوال التكليف وحصول أشراط الساعة فقد أخفاها، والمصلحة فيها ظاهرة لما بينا، فلما كان ذلك مصلحة أخفاها تعالى وذكر ذلك بهذا اللفظ معتاد لقرب الأمر، والفائدة فيه أن يظن قربها فيكون المرء الى الطاعة أقرب، ولذلك قال تعالى ﴿ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ ﴾[٤] لحن ظاهر فكيف يجوز ذلك في القرآن ؟

وجوابنا : أن كثيراً من القراء قرأ إن هذين وهي مَروْية عن الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وعاصم وقد حكى عن الزهري وغيره أنه قرأ ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[٥] بتخفيف إن وروي أيضاً ذلك عن عاصم، وبعد فإذا جاز في الحقائق أن يعدل عنها الى المجاز في كتاب الله لم يمتنع مثل ذلك فيما ذكرته فيكون تعالى ذكر إن وأراد غيره، كما قيل إن معناه نعم وأجل وقد قيل إن ذلك لغة بني الحارث بن كعب يقولون رأينا الزيدان وقيل شبهت الالف بقول القائل يفعلان فلم تغير، قال الزجاج فيها اضمار والمعنى إنه هذان لساحران، وقيل لما كان هذا يستعمل في موضع الرفع والنصب والخفض على أمر واحد لم تغير التثنية وأجريت مجرى الواحد .

---

(١) [طه:١٥].
(٢) [طه:١٥].
(٣) [طه:١٥].
(٤) [طه:٦٣].
(٥) [طه:٦٣].

وإذا كان في القرآن يدعى الحذف في مواضع كثيرة ليصح المعنى فما الذي يمنع من أن يدعى في ذلك حذف يخرج معنى الكلام من أن يكون لحناً وإذا صحّ ذلك فالحذف الذي يصحّ فيه كثير لا معنى لعده .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾(١) كيف يصح من موسى عليه السلام أن يأمر بذلك وهذا الفعل منهم قبيح ؟

وجوابنا : أنه أمر بشرط فإنه قال إن كنتم محقّين فيما تدّعون فافعلوا، وهذا كما يقول الحاكم للمُنْكِر احلف على ما أَنْكَرْتَ فيكون مُرادُه مثل ذلك، ولا يمتنع أن يقال إن الالقاءَ اذا انكشف به المعجز من موسى ﷺ جاز أن يحسن من وجه فلا يكون قبيحاً من كل وجه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾(٢) كيف يخاف موسى وهو عالم بما يظهر عليه وانه يكشف عن بطلان ما أتوه ؟

وجوابنا : أنه يجوز أن يكون خائفاً على قوم قد شاهدوا ما فعلته السحرة أن يفسدوا ويثبتوا على فسادهم خصوصاً أن تأخر أمره تعالى بإلقاء العصا، ومن تأمل حال فرعون وقومه مع كثرتهم كيف ذهلوا عن القبول من موسى ﷺ مع ظهور أمره عَلِمَ أن شهوةَ المرءِ وهَواهُ مسلّطان عليه فيجب أن يتحرّز التحرّز الشديد من اتباع الهوى وإيثار الدنيا على الآخرة، ويبذل الجهد في اتباع الحق وإن شق، وأَوْجَبَ مفارقة الإلْف والعادة ومفارقة السلطان والرياسة،

وكذلك القول في السحرة الذين آمنوا بموسى ﷺ لما رأوا أمره الذي بهرهم كيف انقادوا واختاروا الإيمان وحسن العاقبة على القتل والصلب، فالمحكى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أصبحوا من أهل النار وأمسوا من أهل الجنة، كلام هذا

---

(١) [طه:٦٦].

(٢) [طه:٦٧-٦٨].

معناه، وروي انه أكرههم على ذلك السحر لقولهم ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[١] ثم قال سبحانه قالوا ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾[٢] فإن كان هذا من قول السحرة دلّ على استبصار منهم، وإن كان من كلامه تعالى دل على أنَّ دارَ المجرمين غير دار الصالحين المؤمنين وقوله تعالى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٣] يدل على شدة الذم له وعلى أنه تعالى لا يضلّ عن الدين، وانه أراد باضافة الضلال الى نفسه ما تأولناه من أن المراد به العقاب وما يتصل به، ولذلك قال تعالى ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ ﴾[٤] ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾[٥] ثم قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٦] الى غير ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾[٧] ما الوجه في ذلك وقد آمنوا به ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك تشديد المحنة على أمة الرسول لأن في حال حياته تكون المحنة أخف منها بعد وفاته، وكذلك حال حضوره تكون المحنة أخف من حال غيبته، ولذلك قال تعالى ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[٨] بما اتخذه من العجل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[٩] والوصف المتقدم هو الاهتداء .

وجوابنا : أنه لزم هذه الطريقة وحفظها لما كلف من الطاعات لينتفع بذلك .

[مسالة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى حكاية عمّن لم يعبد العجل من بني اسرائيل ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾[١٠]وما الفائدة في ذلك لأن هذا الكلام لا معنى له؟

---

(١) [طه:٧٣].
(٢) [طه:٧٤-٧٦].
(٣) [طه:٧٩].
(٤) [البقرة:٢٦].
(٥) [إبراهيم:٢٧].
(٦) [الزمر:٣].
(٧) [طه:٨٥].
(٨) [طه:٨٥].
(٩) [طه:٨٢].
(١٠) [طه:٨٧].

وجوابنا : أن مرادهم إنا لم نجد السبيل إلى ردّ من عَبَدَ العجلَ ولم نتمكن من ذلك فلم نخلف ما كنا وعدناك من إنكار مثل ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾(١) كيف يجوز ذلك على الأنبياء وقد أدبه الله تعالى بقوله ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِناً ﴾(٢) فأمره بذلك في معاملة فرعون ويفعل بأخيه مثل هذا الفعل ؟

وجوابنا : أن ظاهرَ ذلك لا يدل على أن موسى فعل وإن كان هرونُ جوّز أن يفعل والذي في القرآن أنه أخذ برأسه يجره إليه ليظهر لبني إسرائيل غضبه عليهم، ومثل ذلك يحسن كما يحسن أن يأخذ نفسه، فأحب هرون أن لا يفعل ذلك وإن كان فيه إنكار وإظهار للغضب ويفعل ما يقوم مقامه .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز في نبّيٍ من أنبياء الله أن يقول ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ﴾(٣) فسمى العجل الذي اتخذه إلهاً ؟

وجوابنا : أن مراده ما اتخذته على وجه التوبيخ ولذلك قال بعده ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفاً * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعـالى ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْـراً ﴾(٥) كيف يصحّ أن يخفَى عليهم ذلك مع كثرتهم لأنه تعالى قال ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِـي الصُّـورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾(٦) ؟

وجوابنا : أن المراد لبثهم بعد الممـات فـإن ذلـك يخفـى ولا يعلـم ولم يتفقـوا على ذلك كما قال تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً ﴾(٧) .

---

(١) [طه:٩٤].
(٢) [طه:٤٤].
(٣) [طه:٩٧].
(٤) [طه:٩٧-٩٨].
(٥) [طه:١٠٣].
(٦) [طه:١٠٢].
(٧) [طه:١٠٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾(١) كيف يصحّ هذا الوصف وقد ثبت أنهم في الآخرة يبصرون كما قال تعالى ﴿ وَرَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ ﴾(٢) وكيف يصح أن تكون معيَشتهم ضنكاً وفيهم من ليس هذا وصفه ؟

وجوابنا : أنه تعالى يحشرهم عمياً ثم يُبصرون لأن أحوال الآخرة مختلفة وقد قيل مشبهاً بالأعمى لما ينزل به من الحيرة ومتى قيل كيف يصح ذلك مع قوله تعالى من قبل ﴿ وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾(٣) وهذا صفة للبصر ؟

فجوابنا : أن المراد نحشرهم زُرقاً عمياً ثم يبصرون . وقد قيل شبه الاعمى بالازرق لذهاب السواد عن البصر، وقوله من بعد ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾(٤) يدل على أنهم مع معرفتهم بالآخرة فإنهم آمنون .

---

(١) [طه:١٢٤].

(٢) [الكهف:٥٣].

(٣) [طه:١٠٢].

(٤) [طه:١١٢].

سورة الأنبياء

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ ﴾(١) ما فائدة تكرار هذه الكلمة وكيف ترتبط بما تقدم ولم يتقدم في الكلام جحد فتليق به هذه الكلمة ؟

وجوابنا : أنه تعالى قد ذكر عن الكفار الجحود بقوله ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾(٢) فبين تعالى بعده أنه عالم بجحودهم ثم ذكر ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ ﴾(٣) فبين اختلاف أقاويلهم وأن فيهم من قال : إن الذي يأتينا من المنامات المختلفة وقال بعضهم : افتراه وقال بعضهم : هو سحر وأنهم تحيروا في أمره فذكر تعالى إنكارهم لنبوته وحقق ذلك بما حكاه عنهم بقوله ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾(٤) وبين بقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾(٥) أنه في إزاحة العلة ببعثه الانبياء قد بلغ الغاية فلم يبعث من نسب الى نقص فيكون في بعثته تنفير عن القبول منه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٦) كيف يعرف أنه لم يرسل إلا الرجال فيرجع الى مسألة أهل الذكر ؟

وجوابنا : أن أهل الذكر والعلم يعلمون أن بعثة الانبياء اذا كانت للمصلحة والدعاء إلى الطاعة فلا بد من أن يكون المبعوث لا نقص فيه ولا عيب ينفر عنه، وبيّن تعالى بقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾(٧) لا يحسن أنه خلق ذلك على

---

(١) [الأنبياء:٤-٥].
(٢) [الأنبياء:٣].
(٣) [الأنبياء:٥].
(٤) [الأنبياء:٥].
(٥) [الأنبياء:٧].
(٦) [الأنبياء:٧].
(٧) [الأنبياء:١٦].

وجه الحكمة وعرض للثواب العظيم وخلق ما يكون لعباً وهو معنى قوله تعالى ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾(١) ومعنى قوله ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾(٢) ثم حقق ذلك بقوله تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾(٣) وقال لمن خالف الحق ﴿ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٤) ثم بين تعالى حال عبادة الملائكة له وخضوعهم وأنهم لا يستكبرون عن عبادته وكل ذلك ترغيب لنا في الطاعة ثم قبح تعالى فعلهم فقال ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ﴾(٥) تبكيتاً لهم ثم بين فسادَ ذلك بقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٦) فبين أنه لو كان يدبرهما آلهةً لفسد ما هُما عليه بأن يريد أَحَدُهُما أنْ يكونَ ليلاً والآخَرُ نهاراً أو يريدُ أَحَدُهُما أن يكونَ حَرٌّ والآخر بَرْدٌ فكان التدبير فيهما يفسد، وهذا دليل علماء التوحيد في أنه لا ثاني لله تعالى قد نبّه سبحانه عليه بهذه الكلمات اليسيرة، ونزّه نفسه عن هذا القول بقوله ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٧) ثم بيّن تعالى حكمته في فعله لقوله ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٨) لأن من كل أفعاله حكمة لا يسأل عن فعل وإنما يسأل من في فعله سفه كما أن من في فعله قبح وذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة لأنه لو كان كل ظلم وقبح من فعله كان يجب أن يُسأل عما يفعل تعالى الله ،

وبين بقوله ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾(٩) أنّ من لا حجة معه فيما يأتيه فهو جاهل، وفي ذلك دلالة على فساد التقليد وأن كل قول لا برهان معه لا يصح، ثم قال ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ﴾(١٠) فنبه بذلك على ان الحق هو الأقل ثم نبه على بطلان قول النصارى فقال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾(١١) فبيّن ان

(١) [الدخان:٣٩].
(٢) [الأنبياء:١٧].
(٣) [الأنبياء:١٨].
(٤) [الأنبياء:١٨].
(٥) [الأنبياء:٢١].
(٦) [الأنبياء:٢٢].
(٧) [الأنبياء:٢٢].
(٨) [الأنبياء:٢٣].
(٩) [الأنبياء:٢٤].
(١٠) [الأنبياء:٢٤].
(١١) [الأنبياء:٢٥-٢٦].

منزلة عيسى وسائر الانبياء أنهم مكرمون ومعظمون وأنه منزه عن الولادة، ونزّه نفسه عن ولادة الملائكة كما كانت العرب تقوله من أنهم بنات الله تعالى، فقال ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)] وبين أنهم﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[(٢)] وبيّن بذلك أن الشفاعة لا تكون إلا لِمَنْ ارتضى الطريقةَ، وبيّن أنهم مع عبادتهم العظيمة يشفقون وكل ذلك ترغيب لنا في العبادة وفي العدول عن الاباطيل من المذاهب،

وبين تعالى بقوله ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[(٣)] أن من تكبر وأنزل نفسه عن منزلته فهو معذب عليه وأن كل من قال ذلك فهذا سبيله، ثم بيّن تعالى دلالةَ حدوث الاجسام بقوله ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[(٤)] وهذا هو دليل علماء التوحيد لأنه إذا لم يَخْلُ من الاجتماع والافتراق وهو الرتق والفتق يجب أن يكون محدثا، فلو لم يكن في كتاب الله من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وغيرهما إلا ما ذكرناه في هذه الآية لكفى .

وكيف يذهب عن ذلك من يزعم انه ليس في الكتاب التنبيه على علم الكلام ولا في السنن مع الذي ذكرناه ثم بين تعالى عظم نعمه بقوله ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[(٥)] الآيات وقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾[(٦)] فنبه بذلك على انه خلق هذه النعم للمكلفين وان تكليفهم منقطع وان مراده تعالى أن يهيئهم لدار أخرى وهي دار الخلود دون هذه الدار، فلذلك قال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[(٧)] فبين أنه يُكلِّف ثم يُميت ثم يُجاري .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[(٨)] أليس يدل ذلك على أن الشر كالخير في أنه من قبل الله تعالى ؟

---

(١) [الأنبياء:٢٧].
(٢) [الأنبياء:٢٨].
(٣) [الأنبياء:٢٩].
(٤) [الأنبياء:٣٠].
(٥) [الأنبياء:٣١].
(٦) [الأنبياء:٣٤].
(٧) [الأنبياء:٣٥].
(٨) [الأنبياء:٣٥].

وجوابنا : أن البلوى إنما تقع بالامر والنهي ولا شبهة في أنه جل وعز لا يأمر بالشر فالمراد به في الآية الميثاق والآلام وأنه تعالى يبلو المكلف بذلك كما يبلوه بالخير وينزل به المصائب والامراض كما يعاقبه وبين أن حال الدنيا ليست كحال الآخرة التي لا يتغير ما بأهلها أما عقاب يدوم إما ثواب خالص يتّصل بهم ولو كان الشر من قبل الله تعالى لوجب أن يوصف بأنه شرير إذا أكثر منهم وعندهم لا شر إلا من قبل الله، والله تعالى عن قولهم علواً كبيراً، وقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(١) يدل على أن المراد ما قدمناه وأنه يجازيهم على ما ابتلاهم به عند رجوعهم اليه والمراد بقوله ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(٢) الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه، لأنّ في دار الدنيا قد فوض تعالى هذه الامور الى غيره وفي الآخرة لا حاكم سواه، وهذا كما إذا تنازع الخصمان فإنهما يقولان يرجع أمرنا الى فلان، والمراد هو الذي يفصل في ذلك ويحكم، فلا دلالة للمشبهة في شيء من ذلك .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله جل وعز ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾(٣) ومعلوم أنه ليس بمخلوق من ذلك بل لا يصح ذلك فيه ؟

وجوابنا : أن ذلك من الكلام الفصيح في الانكار والتبكيت فمن يكثر غضبه يقال له كأنك خلقت من الغضب ومن يكثر نسيانه يقال فيه ذلك فنبه تعالى على أن الواجب على المرء التوقف والتثبيت وتأمل ما يلزمه من الادلة وغيرها فلذلك قال بعده ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾(٤) وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٥) يستعجلون لانفسهم العذاب جهلاً منهم كما قال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ ﴾(٦) ولذلك قال تعالى بعده ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾(٧) .

(١) [الأنبياء:٣٥].
(٢) [الأنبياء:٣٥].
(٣) [الأنبياء:٣٧].
(٤) [الأنبياء:٣٧].
(٥) [الأنبياء:٣٨].
(٦) [الشورى:١٨].
(٧) [الأنبياء:٣٩-٤٠].

ثم أنه تعالى عزّى رسوله ﷺ في اختلافهم عليه وفي عنادهم فقال ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(١) فبين أن الواجب فيما يفعل أن ينظر في عواقبه فإذا كانت العاقبة مكروهة لم يحسن أن يغتبط بها فخلافهم عليك يا محمد إذا كان يعقب مثل ذلك فهو وبالٌ ودمارٌ ثمّ بيّن تعالى أنه على اختلال أحوالهم حافظ لهم ودافع للمكاره عنهم فقال ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾(٢) يبعثهم بذلك على طاعته لإدامة النعم عليهم ونبههم بذلك أن لا إله سواه يدفع عنهم المكاره، فلذلك قال ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾(٣) فهجّن بذلك صنيع عبّاد الأوثان وبين تعالى أنه مع ذلك متّعهم بالبقاء لكي يؤمنوا وأطال عمرهم فقال ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾(٤) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾(٥) كيف يصحّ تعلق ذلك بقوله ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ﴾(٦)؟

وجوابنا : أنه بيّن قدرته على إفناء كثير من الخلق وخصّهم بأن متّعهم فقد رُوِي عن بعض المفسرين أن المراد موتُ العلماء ورُوِي عن بعضهم أن المراد به إنزال أسباب الهلاك على قوم منهم وذكر تعالى الأرض وأراد هلاك أهلها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾(٧) كيف يصحّ أن يصفهم بالصمم ثم يذمهم بقوله ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا ﴾(٨) ؟ وجوابنا أن ذلك جرى منه تعالى على مذهب العرب في وصفهم بما هو مبالغة في الإعراض عن سماع الآيات لأن من

---

(١) [الأنبياء:٤١].
(٢) [الأنبياء:٤٢].
(٣) [الأنبياء:٤٢-٤٣].
(٤) [الأنبياء:٤٤].
(٥) [الأنبياء:٤٤].
(٦) [الأنبياء:٤٤].
(٧) [الأنبياء:٤٥].
(٨) [الأنبياء:٤٦].

اشتد اعراضه يوصف بأنه أصم لا يسمع كما قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾[(١)] وكما قال عز وجل في وصف المفار ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[(٢)] وكما يقال حُبُّكَ للشيءِ يُعْمِي ويُصِمُّ .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾[(٣)] وأي مدخل للموازين في أعمال العباد وفي المجازات ؟

وجوابنا : أن المراد بذكر الموازين العدل في باب المجازاة، ولذلك قال تعالى بعده ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[(٤)] فهذا جواب بعض علماء التوحيد وقال بعضهم بل هناك موازين يوزن بها ما تظهر به حال المرء في أنه من أهل الثواب أو من أهل العقاب، ومن قال بذلك يقول توزن الصحف التي فيها ذكر الحسنات والسيئات فيتبين الرجحان وقال بعضهم يجعل تعالى في إِحدى الكفتين علامة من نور فتكون علامة الثواب وفي الأخرى ظلمة فتكون علامة العقاب، والفائدة في ذلك أن يعرف في دار الدنيا ما يخاف في الآخرة عند ذلك من الفضيحة لمن عصاه فيزداد بذلك غماً ويصرفه ذلك عن المعاصي، وما يحصل من السرور لأهل الثواب في ذلك الموقف العظيم فيصير زائداً في المسألة والطاعات .

ونبّه بقوله جل وعز ﴿ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[(٥)] على ما ذكرنا من أنه يتولى عز وجل المحاسبة . ومتى قيل كيف يتولاه فجوابنا : أن يفعل كلاماً في بعض الاجسام فيظهر به حال المكلف واذا جاز ونحن في الدنيا أن يرزقنا وإِن كان لا يرى ولا مكان له جاز أيضاً في الآخرة أن يكلم المكلف وأن يتعالى عن الرؤية والمكان .

---

(١) [النمل:٨٠].
(٢) [البقرة:١٧١].
(٣) [الأنبياء:٤٧].
(٤) [الأنبياء:٤٧].
(٥) [الأنبياء:٤٧].

وبين تعالى بعده أنه آتى موسى وهرون الفرقان وما هو ذكر للمتقين الذين يخشون ويشفقون ثم قال ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾[1] يعني الفرقان أفأنتم له منكرون، وذلك تبكيت لمن أنكره ثم بين تعالى قصة إبراهيم ﷺ ليبعث بذلك على الطاعة وما تحمله من الشدة في مخاطبة أبيه وقومه وصرفهم عن عبادة الأصنام الى عبادة الله تعالى ونبه بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[2] على فساد التقليد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[3] كيف يكون مجيباً لهم بهذا الكلام وبهذه الشهادة ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[4] كافٍ في بيان جوابهم لان معرفة الله تعالى إنما تحصل بأفعاله فلما تم ذلك خصه بقوله تعالى ﴿ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[5] لا أنه جعل الحجة بشهادته بل أورده توكيدًا للدلالة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾[6] أليس ذلك يدل على أن إبراهيم ﷺ كَذَب في هذه الحال وأن الانبياء لا يجوز عليهم الكذب وأنتم تمنعون من ذلك ؟

وجوابنا : أنه ﷺ أورد ذلك على وجه التوبيخ لهم لينبههم على أن الذي تعبده القوم لا يصح منه نفع ولا ضرر ولذلك قال بعده ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[7] قال ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾[8] ثم قال بعده ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَيَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ ﴾[9] وكل ذلك يدل على ما قلناه .

---

(١) [الأنبياء:٥٠].
(٢) [الأنبياء:٥٤].
(٣) [الأنبياء:٥٥-٥٦].
(٤) [الأنبياء:٥٦].
(٥) [الأنبياء:٥٦].
(٦) [الأنبياء:٦٣].
(٧) [الأنبياء:٦٣].
(٨) [الأنبياء:٦٥].
(٩) [الأنبياء:٦٦-٦٧].

[مسألة] وربما تعلق بعض المجبرة بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾(١) وأن ذلك يدل على أنه الخالق للطاعة ؟

وجوابنا : في ذلك أن المراد جعلهم أنبياء بإظهار المعجزات وذلك من قبله جل وعز وان كانوا لا يتأهلون لذلك إلا بعد تقدم عبادات وطاعات من جهتهم، ولذلك قال بعده ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾(٢) فأضاف الخيرات الى فعلهم وقال ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(٣) باضافة العبادة اليهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾(٤) كيف يصح ذلك مع قوله ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾(٥) ؟

وجوابنا : أن الذي حكم به داود كان حقاً وفهم سليمان نسخ ذلك فلا يدل على مناقضة في الكلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾(٦) كيف يصح التسبيح من الجبال والطير وما معنى قوله بعد ذلك ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾(٧) وقد أفهم ذلك بقوله ﴿ وَسَخَّرْنَا ﴾(٨) ؟

وجوابنا : أن تسبيح الجبال هو ما يظهر من دلالتها على أنه تعالى منزه عمّا لا يجوز عليه كما ذكرنا في قوله جل وعز ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٩) الى غير ذلك فلما سخر ذلك لداود على خلاف المعتاد فكان يتصرف فيه كما يريد جاز أن يقول ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾(١٠) بظهور أمر معجز فيها وفي الطير فهذا معنى الكلام، وأما معنى قوله ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾(١١) فهو إخبار عن طريقته جل وعز في فعل مثل ذلك، فلذلك، أتبعه بما أظهره عليه وعلى سليمان ﷺ من العجائب وبما أظهره على أيوب وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم .

---

(١) [الأنبياء:٧٣].
(٢) [الأنبياء:٧٣].
(٣) [الأنبياء:٧٣].
(٤) [الأنبياء:٧٩].
(٥) [الأنبياء:٧٩].
(٦) [الأنبياء:٧٩].
(٧) [الأنبياء:٧٩].
(٨) [الأنبياء:٧٩].
(٩) [الحديد:١].
(١٠) [الأنبياء:٧٩].
(١١) [الأنبياء:٧٩].

وبين تعالى بعد ما اقتصه من أخبارهم وما أظهر من العجائب فيهم عظم منزلتهم فقال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾(١) فبعث بذلك على التمسك بمثل هذه الطريقة ولذلك قال تعـــالى بعده ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(٢) فبعث بكل ما تقدم على إخلاص العبادة له ونبه على عظيم المجازاة في العبادة بقوله ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾(٣) فبين أنه يجازي على سائر ما فعل ثم بين من بعد أشراط الساعة بقوله ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾(٤) وبين كيف ينزل بهم أنواع الخيرات إذا عاينوا العذاب .

فأما قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾(٥) فالمراد به الاصنام والاوثان ولا يدخل في ذلك المسيح كما ظنه من لا يعرف، وذلك محكي عن بعض المتقدمين بيّن ذلك أنه قال تعالى ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾(٦) ولو كان المراد العقلاء لأورده بلفظ من وظاهر ذلك أنه جل وعز يعيد هذه الاصنام كالحطب في النار فيشاهدها من كان يعبدها فيكون حجة أعظم، وبيّن الفضل بين منزلة هؤلاء وبين منزلة الذين سبقت لهم منه الحسنى فقال تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾(٧) وبيّن أنه لا يحزنهم الفزع الاكبر وأن الملائكة تبشرهم بمنزلة الثواب وبيّن بقوله تعـــالى ﴿ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا ﴾(٨) أنه تعالى قد أوجب على نفسه إعادة الخلق وما يصل بهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾(٩) كيف يصح ذلك وهو لا يحكم الا بالحق وما الفائدة في أمره بهذا الدعاء ؟

---

(١) [الأنبياء: ٩٠].
(٢) [الأنبياء:٩٢].
(٣) [الأنبياء:٩٣-٩٤].
(٤) [الأنبياء:٩٧].
(٥) [الأنبياء:٩٨].
(٦) [الأنبياء:٩٨].
(٧) [الأنبياء:١٠١].
(٨) [الأنبياء:١٠٤].
(٩) [الأنبياء:١١٢].

وجوابنا : أن الدعاء بما لا يجوز خلافه قد يحسن، وعلى هذا الوجه ندعو الله للأنبياء والرسل ونقول اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، ونقول اغفر للمؤمنين والمؤمنات، وعلى هذا الوجه قال إبراهيم ﴿ لاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾[1] فكيف ننكر ذلك وكيف نظن أنه يجوز أن يحكم بالباطل تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) [الشعراء:٨٧].

سورة الحج

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[1] كيف يتعلق وصف الساعة بالتقوى ؟

وجوابنا : أنه بيّن أنّ ذلك الأمر العظيم يزول عن المتقين فيأتون ما يخافه المجرم وذلك ترغيب في التقوى وتزهيد في خلافها .

[مسألة] وربما قي في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾[2] كيف يصح ذلك وليس هناك رضاع ولا حمل ؟

وجوابنا : أن ذلك كالمثل في عظم أهوال الآخرة وأنه يبلغ في العظم مبلغ ما يلهي المرء عن ولده في باب الرّضاع والحمل وذلك لأن من أعظم الاشفاق إشفاق المرضعة على ولدها والحامل على حملها هذا وقد يجوز أن يعيد الله المرضعة على الولد والحامل على صفتها، وقد روى عنه ﷺ أن كل أحد يموت يبعث على ما مات عليه فيكون ذلك كالحقيقة .

[مسألة وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى ﴾[3] أليس ذلك متناقضاً ؟

وجوابنا : أن المراد أنهم قد بلغوا في التحيّر إلى حد السكران وإن لم يكن هناك سُكْر، ويُحتمل أنهم سُكارى من الخوف والحيرة، وما هم بسُكارى من الخمر، ومثل ذلك يدخل في نهاية الفصاحة فكيف يُعَدُّ مناقضاً وقد يُقبل المرءُ على من لحقه الدهش والحيرة فيقول مثل ذلك، فلذلك قال بعـــده ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[4]

---

(١) [الحج:١].
(٢) [الحج:٢].
(٣) [الحج:٢].
(٤) [الحج:٢].

فنبه على انه وصفهم بذلك لخوفهم من العذاب وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[١] يدل على أن معرفة الله تعالى مكتسبة وأن من لا علم له لا يحل ان يجادل بل الواجب أن ينظر ويتعلم وفيه دلالة على بطلان التقليد، وقوله ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾[٢] يدل على أن هذا الاتباع فعله ولذلك ذمّه عليه وقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ ﴾[٣] المراد به يصرفه عن طريق الجنَّة، ولذلك قال ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[٤] ونبّه تعالى على قدرته على الاعادة بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[٥] فدل بخلقه الانسان على الترتيب وبقدرته عليه على جواز الاعادة ودلّ أيضاً بقوله ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾[٦] على مثل ذلك ثم حقق ذلك بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٧] ما قدمت من قدرته على الاعادة، ومعنى ذلك أن إلهيته ووحدانيته هي الحق فوصف بذلك نفسه وأراد ما ذكرنا، وذلك مُجاز لأن الحق هو عبارة عن صحة الامور التي يعتدها المحق، ولذلك اتبعه بقوله ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[٨] فبطل بذلك ما كان عليه فرقة من العرب من إنكار الاعادة كما وصفهم بقوله تعالى ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[١٠] ما المفهوم من ذلك ولا يعرف ذلك في اللغة ؟

وجوابنا : أن المنافق يظهر العبادة ويبطن خلافها فشبه تعالى ظاهر أمره بحرف لأن الحرف هو طرف الشيء والمرء يحتاج في العبادة أن يظهر باطناً وظاهراً فلمّا

---

(١) [الحج:٣].
(٢) [الحج:٣].
(٣) [الحج:٤].
(٤) [الحج:٤].
(٥) [الحج:٥].
(٦) [الحج:٥].
(٧) [الحج:٦].
(٨) [الحج:٧].
(٩) [يس:٧٨].
(١٠) [الحج:١١].

أظهر المنافق ذلك من أحد الوجهين وصفه تعالى بذلك، ولذلك قال بعده ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾[1] وهذا الجنس من التشبيه يبلغ من الفصاحة ما لا تبلغه حقائق الكلام، ولذلك قال تعالى ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ ﴾[2] فبين أنه يَعْبُدُ الاصنام وبيّن أن ضرر ذلك أقرب من نفعه وكل ذلك يحقق أن العبادة من فعل العبد .

وقوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾[3] يدل على أن العبد هو الفاعل لأنه إذا خلق فيه كل أفعاله فأيّ فائدة في النصرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾[4] ان ذلك يدل على أنه يهدي قوماً دونَ قومٍ بخلاف قولكم ان الهدى عام .

وجوابنا : أن المراد يكلف من يريد لأن في الناس من لا يبلغه حد التكليف أو يحتمل ان يريد الهداية إلى الثواب لأنها خاصة في المطيعين دون العصاة ورغّب تعالى المؤمن في تحمل المشاق واحتمال ما يناله من المبطلين بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[5] فبيّن حسن عاقبة المؤمن عند الفصل ليكون في الدنيا وإن لحقه الذل صابراً وعلى هذا الوجه قال ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾[6] كيف يصح السجود من هذه الامور وأكثرها جمادات ؟

---

(١) [الحج:١١].
(٢) [الحج:١٢].
(٣) [الحج:١٥].
(٤) [الحج:١٦].
(٥) [الحج:١٧].
(٦) [الحج:١٨].

وجوابنا : أن المراد بهذا السجود الخضوع فالمراد بذلك أنه تعالى يصرفها في الامور ولا مانع ولأجل ذلك لما ذكر الذي للمكلفين خص ولم يعم، فقال تعالى ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾[١] لان فيهم من ينقاد فيطيع وفيهم خلافه ويحتمل أن يراد بالسجود دلالتها على تنزيه الله تعالى، فلما لم يصحّ فيها السجود أُريدَ ذلك ولما صح ذلك في الناس أُرِيدَت الحقيقة فخصه، ولذلك قال ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾[٢] لما لم يفعل السجود والعبادة، وقوله من بعد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[٣] المراد به ما يشاء أن يفعله لا ما يشاء من غيره فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[٤] كيف يصح أن يريدوا ذلك مع اليأس من الخروج وهذه الارادة تكون قبيحة ولا يقع من أهل الآخرة القبيح عندكم ؟

وجوابنا : أن في العلماء من قال ذكر تعالى الارادة وأراد ما في نفوسهم من الميل الى ذلك كما قال تعالى ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾[٥] وقال بعضهم يحسن أن يزيدوا ذلك وان لم ينالوه على وجه الاستغاثة كما يحسن منهم الصياح والصراخ على هذا الوجه فلهم في ذلك غرض يحسن منهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾[٦] ما فائدة ذلك في وصف المؤمنين في الجنة ومعلوم انهم يعرفون الطيب من القول أن يُهدوا إليه ؟

وجوابنا : أن المراد به ما يعرفون من تحية البعض للبعض وذلك مخالف لما يقع في الدنيا لاغراض تتصل بمنافع الدنيا وبالتكليف ويحصل في هذا القول من

(١) [الحج:١٨].
(٢) [الحج:١٨].
(٣) [الحج:١٨].
(٤) [الحج:٢٢].
(٥) [الكهف:٧٧].
(٦) [الحج:٢٤].

السرور بالتعظيم ما لا يوجد مثله في دار الدنيا ومعنى قوله تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ ﴾(١) ما ينالهم من السرور بشكر نعم الله تعالى ويحتمل أن يكون المراد بذلك ما يكون في دار الدنيا وأنهم هُدُوا الاخلاص والى اتباع طريقة الحق .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾(٢) كيف يصح ذلك في الحرم وقد ثبت أنه مملوك ؟

وجوابنا : أن المراد نفس المسجد دون الدور والمنازل وفي ذلك خلاف شائع، وعظم الله تعالى المعاصي في المسجد الحرام بقوله ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٣) وبقوله ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴾(٤) وبقوله ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾(٥) ولذلك قال بعده ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ ﴾(٦) ومعنى قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً ﴾(٧) مواضع النسك لا نَفْس النسك الذي هو فعلها، فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك ونبّه بقوله تعالى ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾(٨) على ان الذي يَنْتَفِعُ به الاخلاص دون صورة العمل ونبه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٩) على ان ذلك من قبل العبد لأنه لو كان من خلقه تعالى لما جاز أن لا يحبه ولا يريده.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ﴾(١٠) كيف يصح هدم الصلوات ؟

وجوابنا : أن المراد أماكن الصلوات في غير المساجد ثم أتبعه بذكر المساجد ومثل ذلك مفهوم كقوله ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾(١١) إلى ما شاكل ذلك ولذلك قال بعده ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ﴾(١٢) .

---

(١) [الحج: ٢٤]. (٢) [الحج: ٢٥].
(٣) [الحج: ٢٥]. (٤) [الحج: ٢٦].
(٥) [الحج: ٣١]. (٦) [الحج: ٣٢].
(٧) [الحج: ٣٤]. (٨) [الحج: ٣٧].
(٩) [الحج: ٣٨]. (١٠) [الحج: ٤٠].
(١١) [الأنبياء: ١١]. (١٢) [الحج: ٤٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[(١)] كيف يصحّ ذلك وفي جملة المؤمنين من يغلب ؟

وجوابنا : أن النصر على وجوه فلا بد فيمن ينصر ربّه بالطاعة والجهاد أن يكون الله تعالى ناصره ببعض الوجوه، هذا والغلبة على المؤمن لا تخرجه عن أنه المنصور لأنه المحمود العاقبة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[(٢)] ما الفائدة في ذلك ولا رسول إلاّ وهو نبيّ عندكم ؟

وجوابنا : أن معنى وصف الرسول بأنه نبي إثبات ما يختص به من الرفعة العظيمة فلما كانت الفائدة في ذلك مخالفة للفائدة في وصفه بأنه رسول جاز أن يذكرهما فإن قيل فما المراد بقوله ﴿ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[(٣)] وكيف يصحّ ذلك على الأنبياء ؟

وجوابنا:أن المراد إذا تلا القرآن يلحقه السهو في قراءته وذلك معروف في اللغة فلذلك قال بعده ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾[(٤)] ولو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك، فامّا ما يرويه الحشوية من أنه ﷺ ذكر في قراءته أصنامهم وقال إن الغرانيق العُلا شفاعتهن ترجى حتى فرح الكفار فلا أَصْلَ لَهُ، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة، فبيّن تعالى بذلك أن السهو في القراءة جائز على النبي ﷺ وأنه من بعد يبيّن الفضل من السهو ويبيّن الصحيح منه، ولذلك قال بعده ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٥)] وقال بعده ﴿ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾[(٦)].

---

(١) [الحج:٤٠].
(٢) [الحج:٥٢].
(٣) [الحج:٥٢].
(٤) [الحج:٥٢].
(٥) [الحج:٥٤].
(٦) [الحج:٥٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾[١] كيف يصح ذلك والملك في كل حال لله عز وجل ؟

وجوابنا : أن المراد أنه في دار الدنيا ملك كثيراً من الناس الامور وفي الآخرة لا حاكم سواه البتة ولذلك يحكم بينهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] كيف يصح هذا الجواب وهو تعالى عالم بكل شيء ؟

وجوابنا : أن ذلك تحذير من مجادلتهم فحذّرهم بذلك بعد البيان ولذلك قال قبله ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] ثم قال ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ ﴾[٤] فاذا تقدم البيان جاز من الرسول ﷺ الاقتصار على هذا الجنس من التحذير ولذلك قال بعده ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٥] وبيّن تعالى أنه عالم بكل شيء فقال ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[٦] .

وبين أيضاً أن ما علمه من الأمور التي تحدث قد كتبه ليستدل بها الملائكة فقال ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٧] وحذر بذلك عبّاد الأصنام فلذلك قال بعده ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾[٨] ثم بيّن بعده ضعف المخلوقين بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾[٩] واكد ذلك بقوله ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[١٠] .

فبين أنه على حقارته يغلب المرء فلا يتمكن الانسان من استنقاذ ما سلبه وقد حكي عن أبي الهذيل رحمه الله تعالى أن بعض الملوك سأله وقال ما الفائدة في خلق الذباب فأجاب بأن في ذلك إذلالُ الجبابرة .

---

(١) [الحج:٥٦].
(٢) [الحج:٦٨].
(٣) [الحج:٦٧].
(٤) [الحج:٦٨].
(٥) [الحج:٦٩].
(٦) [الحج:٧٠].
(٧) [الحج:٧٠].
(٨) [الحج:٧١].
(٩) [الحج:٧٣].
(١٠) [الحج:٧٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾(١) أليس يدل ذلك على نقيض قوله تعالى ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ﴾(٢) فأيها هو الصواب أيكون بعضهم كذلك أَو كلُهم أجمع ؟

وجوابنا : أن بعضاً منهم يكون رُسُلا إلى الانبياء دون الكل، ولئن كان جميعهم من الرسل فلا تناقض في ذلك .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾(٣) كيف يصح ذلك ولغة العرب صادرة عن إسماعيل ؟

وجوابنا : أن المراد المعني دون نفس الإسم فكأنه وصفهم بتمسكهم بالملة وبأنهم من أهل الثواب وهو المفهوم من وصفنا لهم بأنهم مسلمون ومؤمنون .

---

(١) [الحج: ٧٥].

(٢) [فاطر: ١].

(٣) [الحج: ٧٨].

سورة المؤمنون

[مسألة] ومتى قيل ما معتى قوله ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(١) ثم قوله آخراً ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٢) فكرر ذلك وكيف مثله ؟

وجوابنا : أنه في الأول وصفهم بالخشوع في الصلاة، وفي الثاني وصفهم بالمحافظة على أوقاتها وليس ذلك بتكرار .

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ ﴾(٣) ومعلوم أن معنى الميراث لا يصح فيهم ؟

وجوابنا : أنه شبه وصولهم الى الفردوس من دون سبب يأتونه بوصول المرء إلى الاملاك بالميراث عند الموت، وهذا من أحسن ما يجري في الكلام من التشبيه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾(٤) كيف يصح أن يتكرر خلق الشيء الواحد فكيف يصح فيما خلق من طين أن يوصف بأنه مخلوق من نطفة ؟

وجوابنا : أنه تعالى ذكر الانسان وأنه خلق من طين وهو آدم والنطفة لمّا كانت منه جاز أن يقول ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾(٥) يعني الأولاد وأما قوله ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾(٦) فالمراد ما به صارت علقة وهذا كما يقول المرء عملت من الخشب باباً والمراد أنه عمل ما به صار باباً، فالخلق في الشيء الواحد لم يتكرر وإنما يحدث فيه شيئاً بعد شيء .

---

(١) [المؤمنون:٢].
(٢) [المؤمنون:٩].
(٣) [المؤمنون:١٠-١١].
(٤) [المؤمنون:١٢-١٣].
(٥) [المؤمنون:١٣].
(٦) [المؤمنون:١٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾[١] أليس ذلك يقتضي أنه غير ما تقدم ذكره ؟

وجوابنا : أنه لما صار بالحياة التي خلقها الله تعالى فيه على صفة لم يكن عليها جاز أن يقول ذلك مجازاً، وقد يقول الرجل في ولده وقد تأدب وتعلم وتغيرت أحواله أنه غير الذي رأيتموه وذلك ممّا يكثر في الكلام .

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[٢] كيف يصح ذلك ولا خالق سواه ؟

وجوابنا : أن ذلك من حيث اللغة فوصف كل من تدبر فعله وأتى به على وجه الصواب أنه خالق وذلك مشهور في اللغة فعلى هذا الوجه يصح ما ذكره تعالى وانما منع أن يجري هذا الوصف الا على الله تعالى مطلقاً من حيث كل أفعاله لا يكون إلا مقدّرة على وجه الصواب كما لا يقال مطلقاً في أحد سواه أنه ربّ وإن كان قد يقال في زَيْدٍ أنه ربّ دارِهِ وعبده فمن حيث التعارف لا يوصف بذلك سواه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ﴾[٣] كيف يصح ذلك والماء إنما ينزل من السحاب ؟

وجوابنا : أن الصحيح أنه ينزل من السماء ويحمله السحاب ثم ينزل الى الارض وإنما يذكر ذلك بعض الأوائل لقولهم أن الماء يصعد من الارض كالبخار ويحمله السحاب ثم يصفو وينزل يصفو وليس الامر كما قالوه وكتاب الله أصدق من قولهم[٤].

---

(١) [المؤمنون:١٤]. (٢) [المؤمنون:١٤].

(٣) [المؤمنون:١٨].

(٤) كل ما علا الأرض فهو سماء، ولذلك لو قيل أنزلنا من السماء ماء بقدر جاز لأن السحاب يعلو الأرض، والعرب تقول أمطرت السماء ولا تقول أمطرت السحب أو السحاب، وقول العلماء الذي ينكره القاضي عبدالجبار صحيح

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾[1] كيف يصح ذلك في اللغة وهي لا تنبت بالدهن ولا الدهن ينبت ؟

وجوابنا : أن المراد ينبت ما هو أصل الدهن وهو الزيتون الذي منه يخرج الدهن وتنبت أي تخرج وقد يقال في الشجرة إنها تخرج كيت وكيت، ويقال أيضاً انها تخرج بكيت وكيت وقد قال أن الباء كالبدل من اللام لان ذلك من حروف الجر فكأنه قال تنبت الدهن فالكلام صحيح على كل حال .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[2] كيف يصح وقد كان بين الرسل فتراتٍ وكيف يصح قوله تعالى ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً ﴾[3] وذلك تكرار ؟

وجوابنا : أنه تعالى وصف بعض الرسل بذلك ولذلك قال بعده ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى ﴾[4] وتقدم من قبل ذكر الرسل فلا يمتنع من ذلك البعض أنه أرسلها على اتصال ولا يمتنع اذا تقارب بعثة بعضهم بعد بعض أن يقال ذلك، فأما قوله فاتبعنا بعضهم بعضاً فانه يعني في الهلاك، ولذلك قال بعده ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾[5] فالمراد بذلك الامم التي كان الله تعالى تعجل إهلاكها وقوله من بعد ﴿ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[6] دلالة على أن الذين ينجون من العذاب هم المؤمنون ومعنى قوله من بعد ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾[7] أي دلالةً وعجزةً فإنه تعالى نقض العادات فيها وفي ابنها، وقوله تعالى من بعد ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾[8] يدل على أنه أباح الطيبات، وأنه لا يدخل في جملة الورع اجتنابها أكل ذلك .

---

(١) [المؤمنون: ٢٠].
(٢) [المؤمنون: ٤٤].
(٣) [المؤمنون: ٤٤].
(٤) [المؤمنون: ٤٥].
(٥) [المؤمنون: ٤٤].
(٦) [المؤمنون: ٤٤].
(٧) [المؤمنون: ٥٠].
(٨) [المؤمنون: ٥١].

وقوله من بعد ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[١] المراد به التخلية كأنه تعالى يعزي الانبياء فقد كانوا يتشددون في الدعاء إلى الله تعالى ويغتمون بترك القبول، وقال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾[٢] أي في حَيْرتهم التي أوتوا فيها من قبل أنفسهم حتى حين وذلك كالتهديد لانّ قوله تعالى ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾[٣] تنبيه على عذاب الآخرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾[٤] كيف يتعلق فساد السموات والارض باتباعهم أهواءهم ؟

وجوابنا : أن المراد من كذب بالرسل وبالله تعالى وأثبت آلهة سواه ولو صح مع الله تعالى آلهة إلا الله لفسد التدبير وهذا هو المراد بالآية، كما نقوله في دلالة التمانع في قوله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٥] ولذلك قال بعده ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[٦] ثم قال منزهاً لنفسه ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٧] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[٨] فحكى جل وعز عنه ذلك ثم قال ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾[٩] ما الفائدة في ذلك وهو معلوم من قبل ؟

وجوابنا : أن المراد هذه طريقة في هذه الكلمة أنه يكررها ويتمنى عوده من حيث لا يتلافى ويقتصر على التمنى .

---

(١) [المؤمنون:٥٤].
(٢) [المؤمنون:٥٤].
(٣) [المؤمنون:٥٤].
(٤) [المؤمنون:٧١].
(٥) [الأنبياء:٢٢].
(٦) [المؤمنون:٩١].
(٧) [المؤمنون:٩١-٩٢].
(٨) [المؤمنون:٩٩-١٠٠].
(٩) [المؤمنون:١٠٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾(١) كيف يصح نفي الانساب وهي ثابتة في الآخرة كما قال تعالى ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴾(٢) وقد يدعي الرجل في الآخرة بالآباء ؟

وجوابنا : أن المراد انقطاع النفع بعد نفخ الصور بالانساب وقد كان ينتفع بها في الدنيا وإلا فالنسب الذي قد ثبت وتقضي لا يزول، ولذلك قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾(٣) وانما سينتفع بذلك أهل الصلاح فلذلك قال تعالى في سورة الرعد ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾(٤) فوصفهم ثم قال في آخره ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾(٥) فعند ذلك يعظم السرور بالاجتماع وبعد ذلك قال تعالى حاكياً عمن خفت موازينه ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾(٦) وبيّن تعالى عظم ما أقدموا عليه بقوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِياً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾(٧) فدل بذلك على عظم هذا الجرم ثم بين ما لهم من المنزلة بقوله ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٨) .

[مسألة] وربما قيل كيف يجوز أن يقولوا ﴿ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾(٩) وذلك كذب منهم لأنه جواب لقوله ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾(١٠) ؟

(١)[المؤمنون:١٠١].
(٢)[المعارج:١١-١٢].
(٣)[عبس:٣٤-٣٥].
(٤)[الرعد:٢٠].
(٥)[الرعد:٢٢-٢٣].
(٦)[المؤمنون:١٠٦-١٠٧].
(٧)[المؤمنون:١٠٩-١١٠].
(٨)[المؤمنون:١١١].
(٩)[المؤمنون:١١٣]
(١٠)[المؤمنون:١١٢].

وجوابنا : أنهم لم يريدوا بذلك أحوال حياتهم بل أرادوا حال الوفاة ولم يريدوا بقولهم ﴿ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[1] التحقيق لأنهم لو أرادوا الخبر لكان هذا القول متناقضاً وكأنهم أرادوا أنهم وان كثر لبثهم فهو قليل في حكم يوم أو بعض يوم في أنهم لم ينتفعوا بالتلافي والاستدراك، ولذلك قال بعده ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] وقال بعده ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾[3] فنبه على تقصيرهم حيث أمكنهم التلافي وأنهم فيما بعد فاتهم ذلك، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾[4] دلالة على أن كل قول لا حجة فيه فهو محرم ولذلك قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾[5] .

---

(١) [المؤمنون:١١٣].

(٢) [المؤمنون:١١٤].

(٣) [المؤمنون:١١٥].

(٤) [المؤمنون:١١٧].

(٥) [المؤمنون:١١٧].

سورة النور

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سورة أنزلْنَاهَا ﴾[١] كيف يصح انزال السورة وذلك يستحيل فيها ؟

وجوابنا : عن ذلك وعن سائر ما في القرآن نحو قوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[٢] وقوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾[٣] إلى غير ذلك هو أن المراد به إنزال السورة بإنزال من يحملها، وعلى هذا الوجه نصف القرآن بأن الله أنزله، وهذا كما يقال أنزلنا الماء ويراد بذلك الظرف، ونزحنا الماء من البئر إلى غير ذلك، وكما يقال إن فلانا أظهر علمه والمراد أودعه الكتب، فمن هذا الوجه يستدل بهذه الآيات على حدوث القرآن لأن ما هو قديم لا يجوز فيه إنزاله بنفسه ولا بغيره .

وفي قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[٤] والآيات هي الأدلة أيضاً على حدوثه وفي قوله ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥] دلالة على أن الله تعالى أراد من جمبعهم التذكر[٦] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾[٧] كيف يصح هذا الخبر ونحن نعلم أن الزاني قد يطأ وقد يعقد على غير الزانية ؟

---

(١) [النور:١]. (٢) [القدر:١].
(٣) [الدخان:٣]. (٤) [النور:١].
(٥) [النور:١].
(٦) أهل السنة والسلف الصالح أجمعوا على أن القرآن كلام الله وليس مخلوقات وهو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى، وكانت هذه الفتنة التى وقعت بين علماء وفقهاء الأمة، وسجن وعذب من أجلها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله ، (راجع هامش سورة العلق) .
(٧) [النور:٣].

وجوابنا:أنه وان كان في صورة الخبر فالمراد به الأمر. واختلف العلماء في ذلك: فمنهم من قال هو منسوخ، ومنهم من قال بل هو ثابت وأن المراد أن الزاني لا يحل له التزويج بالعفيفة حتى أنهم يقولون اذا حدث الزنا منه بطل النكاح ومع ان ظاهره انما يقتضى أنه في حال زناه لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً لان الزني هو الوطء بغير شبهة وبغير نكاح ومُلْك ومن هذا سبيله فهو غير ناكح إلا الزانية ومن يقدر فيها هذا التقدير .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(١) كيف يصح في افكهم أن يكون خيراً مع قبحه وعظم الاثم فيه ؟

وجوابنا : أن المراد به خير لهم من حيث نالهم به من الغم ما صبروا عليه وان كان كاذباً قبيحاً، فالمراد هو ما قد ذكرناه ولذلك قال تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾(٢) فذمهم وبين أن الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ومعلوم أن هذا الصنيع منهم كان كالسبب في تعظيم الرسول ﷺ والمتصلين بعائشة فصار الصبر عليه عظيم الثواب، ولذلك يقال الآن فيمن زنى بأهل له : إنه اذا صبر فله ثواب، واذا ظلم المرء فلم يخرج الى المقاتلة على ذلك بل صبر فله ثواب .

وهذه القصة أنما ضمت إلى هذه السورة لتعلقها بالقذف والرمي اللذين بين الله تعالى حكمهما في الأجنبي وفي الزوجات، وهي تشتمل على أحكام وأدب يمكن أن يقال : إن جميع ذلك من الخيرات، فبين تعالى أن من يتولى كبر الشيء أعظم إثما مّمن هو كالتابع، وبيّن أن الواجب على من يسمع مثل ذلك أن لا يظن صحته بمن عرف عفته، ويؤيده قوله ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ﴾(٣) فيه أن الواجب في مثله الإعتماد على الشهادة، فاذا انتفت وجب الكف، وهو معنى قوله ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾(٤) لأن المراد هَلاَّ فَعَلوا ذلك ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾(٥) .

(١) [النور:١١].
(٢) [النور:١١].
(٣) [النور:١٢].
(٤) [النور:١٣].
(٥) [النور:١٣].

[مسألة] ومتى قيل أليس من لم يأت بالشهود قد يكون صادقاً، فكيف يصح ما ذكره تعالى ؟

وجوابنا : قولهم في القصة خاصة بأنه كذب وما يذكر في كتب الفقهاء من أن الملاعن يكذب نفسه، وان ذلك منه كالتوبة يجب أن يكون كالمجاز، لان الزوج إذا رمى امرأته فقد يكون صادقاً ويكذب نفسه، فان كذب نفسه على الحقيقة فلذلك ذنب ثانٍ لأن تكذيب الصادق كذب، وبين أنه لولا فضل الله عليهم لمسهم في ذلك عذاب عظيم وما يمسهم فيه العذاب لا يكون خيراً، ونبّه بقوله تعالى ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[1] على أن الخبر بلا علم يقبح وبين أن الذنب قد يعظم عند الله وإن حَسِبَهُ المذنب هيِّناً .

وبينا أن الخبر في مثل ذلك يسمى بُهتاناً فدل بذلك على عظمه لأن في تلك الأخبار ما لا يسمى بذلك وان كان كذباً، وبين قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾[2] أن محبة القلب بانفراده قد تكون ذنباً عظيما فيبطل بذلك ما يظنه كثيرٌ من الناس من أنه لا يؤاخذ بما يقع فيقلبه إذا لم يعمل ولولا خوف التطويل لذكرنا سائر ما في هذه القصة من الفوائد .

فأما ما قاله آخراً من قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾[3] فالمراد به اظهار الفضل والمدح، وذلك يصح من الله تعالى وليس المراد نفس الطاعة فليس للمخالفين التعلق بذلك، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[4] يدل على أن ذلك من الكبائر العظام ويدل على أنه ملعون في الآخرة إذا لم يتب والملعون في الآخرة لا يصح أن يكون من أهل الجنة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾[5] كيف تصح الشهادة من اللسان ؟

---

(١) [النور:١٥].
(٢) [النور:١٩].
(٣) [النور:٢١].
(٤) [النور:٢٣].
(٥) [النور:٢٤].

وجوابنا : بأن ينطقه الله وكذلك الكلام في أيديهم وفي أرجلهم وفي ذلك زجر عظيم لأن المُقدِم على الذنب إذا تصوّر أنه يجزي عليه في الآخرة بهذه الشهادة كان ذلك من أعظم زواجره . فان قيل فاللسان واليد والرجل هي المتكلمة بهذه الشهادة . قيل له هذا هو الظاهر والله عز وجل قادر على أن يحييها مفردة لتتكلم بهذه الشهادة، كما يُروي عنه ﷺ في الذراع أنها كَلَّمَته وقالت لا تأْكُلْني يا رسول الله فإني مسمومة وفي العلماء من يقول هذه الشهادة من فعل الله تعالى فإن وجدت في الاعصاب فيكون الله تعالى المتكلم، وأضيفت الشهادة إليها على وجه من المجاز .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(١) أليس يدل على ذلك أنه جسم وعلى أنه أحسن الاجسام كما قاله بعضهم ؟

وجوابنا : أن المراد أنهُ منوِّرُ السموات والارض بين ذلك أنه قال تعالى ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾(٢) فأضاف النور إليه وقال آخراً ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾(٣) ويحتمل أن يكون المراد نفس النور، ويحتمل أن تكون الأدلة وفي الوجهين من يفعل ذلك يوصف أنه منور، وإنما وصف نفسه بذلك مبالغةً من حيث أن كل الانوار من قبله، كما يوصف بأنه رجاء وغياث الى مَا شَاكَلَ ذلك، ولذلك قال تعالى بعد ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾(٤) .

[مسألة] ومتى قيل كيف يصح قوله عز وجل ﴿زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾(٥) ولا ثالث لهذين ؟

وجوابنا : أن المراد أن مكانها ليس مما تطلع عليه الشمس فقط ولا تغرب أي تظهر عليه الشمس عند الغروب فقط بل مكانها المكان الذي لا تنقطع منه الشمس وذلك بيِّن في وجه المنفعة للأشجار .

---

(١) [النور:٣٥].
(٢) [النور:٣٥].
(٣) [النور:٣٥].
(٤) [النور: ٤٠].
(٥) [النور:٣٥].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[١] بعد أن وصف الظلمات العظيمة كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن بعضهم قال لا يراها أصلاً وقال بعضُهم بل الظلمات وإن عظمت مما تقرب المرء من تحريك أعضائه وقد يجوز أن يراها فليس في ذلك مناقضة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾[٢] كيف يصح الاقتصار على هذه القيمة وفي الحيوان ما يمشي على أكثر من أربع ؟

وجوابنا : أن تبيان هذه الاوصاف لا يمنع فوق أربع لو صح ما قاله فكيف وما يظهر له من الأرجل أكثر من أربع انما يمشي من جملتها على أربع فالكلام تام .

---

(١) [النور: ٤٠].

(٢) [النور: ٤٥].

سورة الفرقان

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[(١)] أو ما يدل ذلك على أنه الخالق لأفعال العباد ؟

وجوابنا : أن المراد به الأجسام التي ننتفع بها لأنه تعالى ذكر ذلك عقيب قوله ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ﴾[(٢)] وقد بينا من قبل أن الله لا يجوز أن يمتدح بفعل القبائح فالمراد ما ذكرناه وقوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[(٣)] يدل على أن مراده بهذه الآيات ما يكون حسناً وحكمة، فالله تعالى استفتح هذه السورة بما يدل على قولنا وهو قوله تعالى ﴿الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[(٤)] فبين أنه لينذر ويخوف كل واحد من العالمين، والتخويف انما يراد منه الانصراف عن الكفر والمعاصي، فكيف يصح أن يبعثه ليصرفهم عما هو الخالق له فيهم، ولا يمكنهم وهو الخالق فيهم الانصراف عن ذلك ولو اجتهدوا كل الاجتهاد .

وقوله تعالى من بعد ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾[(٥)] أراد تعالى أنهم لا يستطيعون السبيل الى القدح في نبوّته فلا يصح للمخالفين أن يسألوا عن ذلك في أن القدرة مع الفعل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾[(٦)] كيف يصح ذلك في النار حتى توصف بأنها تراهم وهي جماد وحتى توصف بأن لها تغيظاً وزفيراً وذلك لا يصح إلا في الحي الذي يغتاظ مما يرى ؟

---

(١) [الفرقان:٢].
(٢) [الفرقان:٢].
(٣) [السجدة:٧].
(٤) [الفرقان:١].
(٥) [الفرقان:٩].
(٦) [الفرقان:١٢].

وجوابنا : أن المراد بذلك التمثيل دون التحقيق فمن يقرب من الشيء يقال يراه وقد يشبه صوت النار عند التلهف بالزفير الذي يظهر من المغتاظ، ويحتمل أنه تعالى ذكر إذا رأتهم وأراد خزنتها فإنهم يغتاظون فيكون لهم من الزفير بعد علمهم بما يقتضي ظهور ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾(١) كيف يصح ذلك ولا خير في النار أصلاً ؟

وجوابنا : أن المراد أيهما أولى بأن يكون خيراً وقد يقول الحكيم لغيره من العصاة ان التمسك بالطاعة خير لك من المعصية والمراد ما قد ذكرنا .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ ﴾(٢) وذلك خلاف قولكم .

وجوابنا : أن المراد أنه متعهم فاختاروا عند ذلك نسيان الذكر، والمراد بهذا النسيان ترك الواجب لأن النسيان في الحقيقة من فعل الله تعالى فلا يجوز أن يذمهم عليه، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُواً كَبِيراً ﴾(٤) أحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يرى وإلا لم يصح أن يستعظم هذا القول منهم، كما لا يجوز أن ينزل الملائكة بدلا من البشر لكن انزال الملائكة مقدور والحكمة تمنع منه والرؤية ليست مما يصح أصلا .

وفي قوله عز وجل ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾(٥) دلالة على أن المضل عن الدين ليس هو الله تعالى كما يقوله المجبرة .

---

(١) [الفرقان:١٥].
(٢) [الفرقان:١٨].
(٣) [الفرقان:١٨].
(٤) [الفرقان:٢١].
(٥) [الفرقان:٢٨-٢٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾(١) كيف يصح أن يكون تعالى جعلهم أعداء للانبياء ؟

وجوابنا : أنه تعالى إذا عظم الانبياء واصطفاهم وخصّهم بالمعجزات وكان ذلك من قبله، ولأجل ذلك عادوا الانبياء، جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه من هذا الوجه بأنه يفعل فيهم العداوة مع زجره ونهيه عن ذلك، ومع ايجابه عليهم أن يتركوها إلى الولاية وإلى التصديق والانقياد، وحكى تعالى عن الكفار أنهم قالوا ﴿ لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾(٢) كالذي فعله تعالى في كتب الأنبياء وجعلوا ذلك كالطعن، فقال جل وعز ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾(٣) .

فبيّن أن إنزاله على تصرف الاوقات وتجديد ذلك على قلبه ما يوجب الثبات والصبر وذلك معلوم من حال ما يرد على السمع في الاوقات المتباينة وبعد فإنه ﷺ لم يكن يكتب ويقرأ، فلو أنزل عليه جملة واحدة لكان مخالفاً للحكمة، وبعد فإن إنزاله في وقته أحسن موقعاً من إنزاله قبله فعند الحوادث إنزال الله تعالى ما يتصل بها.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾(٤) كيف يصح حشرهم على وجوههم ؟

وجوابنا : أنه تعالى قادر على ذلك ويكون أدخل في الذل والإهانة ويحتمل أن يكون المراد أنهم يساقون وجهاً واحداً إلى جهنم من دون ميل وتوقف، كما يقول القائل جئتك اليوم وجهاً واحداً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾(٥) كيف يصح وصفه بأنه مدّ ولا يتأتّى فيه ذلك ؟ وجوابنا أن المراد به أنه مد ذلك أي أدامه كما قال تعالى في صفة الجنة ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾(٦) لما لم يكن هناك شمس ومعنى

---

(١) [الفرقان: ٣١].
(٢) [الفرقان: ٣٢].
(٣) [الفرقان: ٣٢].
(٤) [الفرقان: ٣٤].
(٥) [الفرقان: ٤٥].
(٦) [الواقعة: ٣٠].

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾[1] أي دائماً لا ينقطع، لكنه جعل الشمس عليه دليلاً وذلك أحد ما تظهر به نعمه لأنه بالشمس وطلوعها يعرفون كيفية الظل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً ﴾[2] كيف يصح وإنما خلق آدم من طين ؟

وجوابنا : أن ذلك الطين إذا كان بالماء حصل على تلك الصفة فجاز أن يقول ذلك، ويحتمل أن يريد سائر أولاده لأنه من النطفة خلقهم فسمّاها ماءً، ثم ذكر تعالى ما يبعث المرء على التمسك به من الآداب والأحكام في صفة عباد الرحمن فقال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾[3] فَذَكَر من صفاتهم ثلاثة عشر خصلة إذا تأملها المرءُ وتمسك بها عظُمت منزلته في الدين ولولا خوف التطويل لشرحناهم ثم قال تعالى آخراً ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً ﴾[4] .

فان قيل ذكر تعالى في جملته ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[5] كيف يصح ذلك ومحال في السيئة الماضية أن تصير حسنة ؟

وجوابنا : أن المراد بالسيئات عقابها وبالحسنات الثواب فقال تعالى فيهم : إنهم إذا تابوا صار لهم بدلاً من العقاب الثواب وفي قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ ﴾[6] بعد ذلك الكفر والقتل والزنا دلالة على أن التوبة مقبولة في كل ذنب لا كما يَظُنُّهُ قَوْمٌ في أنها لا تقبل في القتل .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾[7] وهل المراد بذلك المؤمن أو الكافر ؟

---

(١) [الفرقان:٤٥].
(٢) [الفرقان:٥٤].
(٣) [الفرقان:٦٣].
(٤) [الفرقان:٧٥-٧٦].
(٥) [الفرقان:٧٠].
(٦) [الفرقان:٧٠].
(٧) [الفرقان:٧٧].

وجوابنا : أنه تعالى قال ذلك عقيب وصف المؤمن فالمراد به لولا دعاؤهم الذي هو التوحيد والعدل لم يعبأ تعالى بهم حتى يرقيهم في منزلة الثواب على ما وصف، ويكون قوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾[1] يرجع الى من خالف حاله حال هؤلاء المؤمنين .

ويحتمل أن يكون المراد الكفار فإنه عز وجل لا يدخلهم في إنزال العقاب بهم لولا دعاؤهم وعبادتهم لغير الله، ومعنى قوله ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾[2] أي بالله ورسوله ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾[3] .

---

(١) [الفرقان:٧٧].
(٢) [الفرقان:٧٧].
(٣) [الفرقان:٧٧]

سورة الشعراء

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[١] كيف يصح هذا الجمع في الأعناق وإنما الصحيح أن يقال خاضعة ؟

وجوابنا : أن قوله أعناقهم يشتمل على ذكرهم وذكر أعناقهم فقوله ﴿ خَاضِعِينَ ﴾[٢] يرجع اليهم وقد كان ﷺ يغتم بأن لا يؤمنوا فبيّن تعالى أن ذلك موقوف على اختيارهم وأنه تعالى لو شاء لا نزل آية كانوا يخضعون لها فيؤمنون لا محالة قهراً، لكن لا ينفع إذ المراد أن يؤمنوا على وجه يستحقون الثواب معه .

وقد قيل إن المراد بالأعناق جملتهم كما يقال جاءنا عنق من الناس والأول أبْيَنَ وبين بعده أنه وإن لم ينزل هذه الآية القاهرة فقد أنزل القرآن، فقال تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ ﴾[٣] فبيّن أنه معقول كما نقوله وأنهم مع قيام الحجة به يعرضون عنه فلا عليك يا محمد أن تغتم بكفرهم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾[٤] وبيّن بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٥] أي عزيز ان ذلك من الادلة العظام التي لو نظروا فيها لعلموا أنّ ما هم عليه باطل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[٦] وقد ناداه ربه ﴿ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٧] كيف يصح من ذلك أن يعتل بهذه العلة ؟

وجوابنا : أنه لم يرد الخوف على نفسه فإن الانبياء لا يجوز أن يبعثهم الله تعالى إلاّ وقد وطّنوا أنفسهم على احتمال المكاره، وإنما أراد أنه يخاف منهم أن لا يقبلوا،

---

(١) [الشعراء:٤].
(٢) [الشعراء:٤].
(٣) [الشعراء:٥].
(٤) [الأنعام:٥].
(٥) [الشعراء:٧].
(٦) [الشعراء:١٢].
(٧) [الشعراء:١٠].

وسأل ربه المعونة التي تكون أقرب الى قبولهم فأعانه الله عز وجل بأخيه هارون، وقال ﴿ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[1] والاستماع وإن لم يَجُزْ على الله تعالى لأنه كالاصغاء فالمراد نفس السماع والله تعالى يوصف بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[2] كيف يصح أن يعتدّ لفرعون بمثل ذلك ؟

وجوابنا : أن ذلك بمنزلة إنكار كونه نعمة لا بمنزلة الإقرار لأن الذي فعله ببني إسرائيل يجري مجرى الظلم العظيم، ويحتمل أن يكون المراد عبدت بني إسرائيل وخيبتني مع الذي كان منك من تربيتي وغير ذلك، فيكون في الكلام حذف فعند ذلك قال له ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] فأجابه رب السموات والأرض وما بينهما، لأنه تعالى إنما يعرف بأفعاله التي تختص به ولا تجوز عليه المشاهدة، فكان الذي أجابه به هو الجواب الحقيقي ولم يزل يكرر مثل ذلك حتى قال إنه لمجنون، ثم قال ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[4] وليس ذلك بطعن في أدلته والله تعالى مسخره لما علم من عاقبته أمر موسى ﷺ عند ظهور الآيات وما ينزل بهم آخراً من الهلاك وعلى هذا ما فصله تعالى في القصة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[5] كيف يصح ان يقول فانهم، وإنما يقال في الأصنام فانها، وكيف يصح ان يصفها بأنها عدو وهي جماد، وكيف يصح أن يقول إلا رب العالمين، فيستثني من الاصنام رب العالمين ؟

وجوابنا : أن إبراهيم صلى الله عليه أجرى كلامه على طريقة اعتقادهم، وكانوا يعتقدون في الاصنام أنها تنفع وتضر كالناس بل أزيَدْ، فلهذا جَمَعَهَا هذا الجمع

---

(١) [الشعراء:١٥]
(٢) [الشعراء:٢٢].
(٣) [الشعراء:٢٣].
(٤) [الشعراء:٢٩].
(٥) [الشعراء:٧٥-٧٧].

ووصفها بهذا الوصف، وإلا فهو عالم بأن الأمر بخلاف ذلك، فنبأهم على أن كل ذلك يضرهم، وانما ينتفعون بعبادة الله الذي خلق ويهدي ويطعم ويسقي الى سائر ما ذكره من نعمه .

فإن قيل كيف قال في جملة كلامه ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾(١) مع اصراره على الشرك ؟

فجوابنا : أنه دعا له على شرط التوبة والإنابة على ما تقدم قبل ذلك بيانه .

فإن قيل فكيف قال ﴿ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾(٢) وذلك ممتنع في الانبياء .

فجوابنا : أن الداعي قد يدعو بما يعلم أنه لا يقع على وجه الانقطاع إلى الله والتمسك بالخضوع وبيّن أنه في الآخرة لا ينفع مالٌ ولا بنون وإنما تنفع الاعمال الصالحة الخالصة مما يفسدها، وهو معنى قوله ﴿ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٣) وبيّن ما يقال لعابد الصنم في الآخرة بقوله ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾(٤) وما يقولون بقوله ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾(٥) وبيّن بقوله تعالى ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ المُجْرِمُونَ ﴾(٦) بطلان قول من يقول إن الله يضلهم، فالقرآن يكذب قولهم، ثم ذكر تعالى بعد قصة موسى وهارون، وقصة إبراهيم وقصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ما نزل بهم من الامور، وأنزل الله تعالى بأممهم من العذاب وكل ذلك ليتأمل القاريء في كتاب الله تعالى فيعرف بذلك قدرته وحكمته ويكون ذلك داعية طاعته والانصراف عن معصيته .

فإن قال ففي جملة كلام موسى ﷺ ﴿ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾(٧) كيف يصح أن يصف نفسه مع نبوّته بهذا ؟

---

(١) [الشعراء:٨٦].
(٢) [الشعراء:٨٧].
(٣) [الشعراء:٨٩-٩٠].
(٤) [الشعراء:٩٢-٩٣].
(٥) [الشعراء:٩٧-٩٨].
(٦) [الشعراء:٩٩].
(٧) [الشعراء:٢٠].

وجوابنا : أن المراد بالضالين الذّاهلون عن التمسك بالطاعة فيما أقدموا عليه لأن ذلك وإن لم يكن من الكبائر فهو من الصغائر .

فإن قيل ففي جملته ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾(١) وقال في موضع آخر ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾(٢) وذلك كالمتناقض .

وجوابنا : أن المراد أنها كالثعبان في العظم وكالجان في سرعة حركتها من حيث خلقت من نار السموم .

فإن قال ففي القصة أن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون فأقر بأنه رسول كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه أراد أنه كذلك في زعمه .

فان قيل ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾(٣) كيف يعرفون ذلك ؟

وجوابنا : أنه أراد بالقائه العداوة بينكم أنه ينحاز بعضكم الى بعض . فان قال فكيف قال ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾(٤) وهم في تلك الحال مؤمنون ؟ وجوابنا الذين كانوا سحرة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾(٥) أليس ذلك يدل على أنه نفسه في زبر الأنبياء والمعلوم خلاف ذلك ؟

وجوابنا : أن ذكره ووصفه في زبر الاوّلين بين ذلك أنه عربي وسائر كتب الأنبياء بخلافه، ومعنى قوله من بعد ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(٦) يعني القرآن أي جعلناه بحيث يعلم ويقرأ فلم يقع منهم الانتفاع بذلك .

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ ﴾(٧) كيف يصح أن يصير ذلك سبب هلاكهم وهو بأن يكون سبباً لنجاتهم أقرب ؟

---

(١) [الشعراء:٣٢].
(٢) [الشعراء:٣١].
(٣) [الأعراف:١١٠].
(٤) [الشعراء:٤٦].
(٥) [الشعراء:١٩٦].
(٦) [الشعراء:٢٠٠].
(٧) [الشعراء:٢٠٨].

وجوابنا : أن المراد ما أهلكنا أهل قرية إلا بعد إزاحة العلة بالمنذرين الذين هم الانبياء وبعد كفرهم بهم ونصبهم العداوة لهم، فلذلك قال بعده ﴿ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾(١) وفي قوله من بعد ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾(٢) دلالة على اعجاز القرآن لانه لو جاز أن يقدر العباد عليه لجاز مثل ذلك في الشياطين الذين لمخالطتهم بنا يعرفون هذه اللغات، وأدّبه الله تعالى بقوله ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) بعد قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(٤) وقبل قوله تعالى ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٥) فلم يأمره من هذا القول في الكفار وأمره في المؤمنين بما ذكره، ومن تأمل ذلك وتمسك بمثله في العدو والوليّ فله الحظ الكثير في استعمال الأخلاق الحسنة .

ثم قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ﴾(٦) فان المرء اذا تصوّر فيما يأتيه أنه جل وعز يراه ويعلم كان أقرب إلى أن لا يفعل إلا ما يحسن منه، والتوكل على الله هو أن يلتمس الخير ويبتعد عن الشر فيما عهد الله تعالى اليه، ولا يفارق هذه الطريقة إلى ما يكرهه، وليس التوكل ما يدعيه قوم من أعمال الخير وترك التكسب والاشتغال بطلب ما يحتاج إليه من الناس، فان ذلك محرم في أكثر الآيات .

---

(١) [الشعراء:٢٠٩].
(٢) [الشعراء: ٢١٠-٢١١].
(٣) [الشعراء:٢١٥].
(٤) [الشعراء:٢١٤].
(٥) [الشعراء:٢١٦].
(٦) [الشعراء:٢١٧-٢١٩].

سورة النمل

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾(١) كيف يصح انه تعالى يكون مزيناً لأعمال الكفار ؟

وجوابنا : أن المراد زيّنا لهم ما ينبغي أن يعملوه وما يجب عليهم السعي فيه، وقد يقال لم يوجد مع ذلك أن عملهم على هذا الوجه، ولذلك قال بعده ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٢) وذكر تعالى ذلك بعد قوله في القرآن ﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٣) ثم قال عُقيب ذلك إن من لم يؤمن قد زينا له ما يجب أن يأتيه لكنه يعمى عن ذلك، وقد قيل زينا بمعنى موافقتها الشهوة والهوى للعلم بأنه تعالى يفعل الشهوة لكنه يصرف عنها والوجه الأول أولى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾(٤) ما معنى هذه البركة وما المراد بمن حولها وهل يتصل ذلك بموسى ﷺ ؟

وجوابنا : أن البركة هي بمعنى الثبات والبقاء فبين تعالى ثبات تلك النار لموسى ومن حولها لأن موسى كان قد جاءها وصار هو وأصحابه حولها كما يتفق في العادة حال الناس مع النار، وقيل أراد تعالى بقوله بورك من في النار موسى عليه الصلاة والسلام، وأراد بمن حولها الملائكة عليهم السلام لأنهم حصروها، ويُحتمل في هذه البركة أنها لمكان البقعة التي أصابتها النار، ولذلك قال تعالى في سورة القصص ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ﴾(٥) وقد قيل في من حولها أنهم لم يكونوا مؤمنين فأثبت الله تعالى البركة في النار لما جاءها موسى لما لَهُ من الفائدة في حضورها .

---

(١) [النمل:٤].
(٢) [النمل:٤].
(٣) [النمل:٢-٣].
(٤) [النمل:٨].
(٥) [القصص:٣٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلاَّ مَن ظَلَمَ ﴾(١) كيف يصح هذا الاستثناء من المرسلين ولا يجوز أن يكون فيهم ظالم خائف ؟

وجوابنا : أنه قد قيل الا من ظلم بالإقدام على صغيرة ثم تلافاه بالتوبة فانه غفور رحيم، وقد قيل : إن المراد لكن من ظلم فإنه يخاف إلا أن يتوب فيكون كلاماً مستأنفاً في غير الرسل لئلا يَتوهم أن الخوف لا يزول عن الرسل وقوله تعالى من بعد ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾(٢) لا تناقض فيه لأنّ الحجة بعد البيان واليقين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا ﴾(٣) كيف يصح من سليمان ان يسمع قول النمل وكيف صح من النمل هذا القول ؟

وجوابنا : أنها لما قرُبت من موضع مسيره ﷺ وأنطقها الله تعالى بذلك صح ان يعلم ومثل ذلك وان كان معجزاً فانه يصح في ايام الانبياء صلوات الله عليهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) كيف يصح هذا القول من سليمان ﷺ في طير ليسْ بمكلف حتى يعذبه وكيف يذكر ذلك في جملة الزجر وكيف يزيد ذلك بأن يأتيه بسلطان، مبين وكيف يعرف الهدهد ذلك من مراده حتى يأتيه بخبر سبأ ؟

وجوابنا : أن الله تعالى كان سخَّر له الطير وفي جملتها ما يكون أقرب الى الفهم ولو كان ممنوعاً من النطق، ويجوز في تلك الأيام ان يكون تعالى قد زاد في عملها بالهام، وأن يكون سليمان قد تقدم من قبل بأمور عرفها الطير أو الهدهد خاصة،

(١) [النمل:١٠-١١].
(٢) [النمل:١٣-١٤].
(٣) [النمل:١٨-١٩].
(٤) [النمل:٢٠-٢١].

فلذلك قال ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١) فأما قوله تعالى عز وجل ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ ﴾(٢) فالمراد به التأديب فكما يؤدب المرء من قارب البلوغ، فكذلك قال للهدهد، فأما الذبح فقد يجوز أن يكون جائزاً في شريعته، كما ثبت في شريعتنا مثله فيما يؤكل فلا مطعن على ذلك بما ذكروه .

وقوله من بعد في صفة المرأة وأنها تملكهم وأنهم يسجدون للشمس من دون الله فقد يصحّ وقوع مثله ممن لم يبلغ حد التكليف فلا يصح أن يعترض به على ما ذكرنا، وقوله تعالى من بعد ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(٣) يصح في الهدهد وإن كان لا يعرف التوحيد إذا أجرى الكلام على الحد الذي ذكرنا، فإن مثله يصح من المراهق لأنه يعرف الفصل بين من يظهر التوحيد ويعبد ربه بأفعاله وبيْن من يسجد لغير الله تعالى وإن لم يكن مكلفاً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾(٤) كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد في هذا القدر من الأوقات وأن ذلك معلومة استحالته ؟

وجوابنا : أن سرعة الحركة والتحريك لا يعلم منتهى حده، فلا سريع إلا ويجوز أسرع منه فلا يمتنع صحة ذلك إذا كان الله تعالى مقويا له عليه، ومعنى قبل أن يرتد إليك طرفك المبالغة في الإسراع لأن ذلك قد يقال في الأمر السريع الشديد السرعة، ويحتمل أن طرفه لا يرتد إلا بعد أوقات ويكون ذلك كالمعلوم من حاله لأن من نظر إلى جهة ربما أطال النظر إليها ثم يرتد طرفه .

ومعنى قوله من بعد في قصة لوط ﷺ ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾(٥) الفائدة فيه إعظام ما فعلوه لأنه إذا كان جهرة فهو أعظم من أن يكون خفية، ورُبَّ شيءٍ يحسن خلوة ويقبح كونه بحيث يشاهد، وما ذكره تعالى من بعد من قوله ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ﴾(٦) فيه تنبيه على عظم نعمة الله جل وعز لتُدبَّر فيقام

---

(١) [النمل:٢١].
(٢) [النمل:٢١].
(٣) [النمل:٢٧].
(٤) [النمل:٤٠].
(٥) [النمل:٥٤].
(٦) [النمل:٥٩].

بحق شكره، فذكر ما يقارب عشرين خصلة من النعم التي لا يقدر عليها غيره منبهاً على توحيده، ثم قال في آخره ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] مُوبخاً لهم على جحد ذلك، ثم على قول الكفار ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا ﴾[2] فانه يقبح منهم هذا القول مع تقدم تلك الدلائل، ومع قوله بعد ذلك ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[3] وقوله ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[4] يدل على أن الحوادث كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ليستدل بذلك الملائكة على قدرة الله وعلمه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾[5] كيف يصح أن يحسبها من يشاهدها جامدة ساكنة مع شدة الحركة وسرعتها ؟

وجوابنا : أن الجمود في العادة الاتصال، ولا يكون إلاّ مع السكون، وعند سرعة الحركة لا يحتمل التفرق، فقال تعالى (إِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) وهي على حالها التي يظن أنها لا تكون إلا مع السكون، وقد قيل أنها تبلغ في سرعة الحركة ما لا يكاد يظن أنها متحركة خصوصاً إذا كان المرء يتحرك مع حركتها، فيكون كراكب السفينة فإنه يظن مع سائر الركاب أنهم ساكنون وإن كانوا يتحركون أسرع حركة .

وقوله تعالى ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[6] أحد ما يدل على ان الكفر والفساد ليس من فعله والا لكان يصح وصفه بانه محكم متقن، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[7] يدل على أن الأهتداء والضلال من فعل العبد وقوله تعالى من بعد ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[8] لكي يتصور المرء نفسه فيما يأتي ويذر أنه يبصر ويسمع .

---

(١) [النمل:٦٤].
(٢) [النمل:٦٧].
(٣) [النمل:٦٩].
(٤) [النمل:٧٥].
(٥) [النمل:٨٨].
(٦) [النمل:٨٨].
(٧) [النمل:٩٢].
(٨) [النمل:٩٣].

سورة القصص

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾(١) أليس جعل الله تعالى لهم أئمة يدل على أنه خلقهم كذلك فاذا كانوا أئمة بأفعال فيجب ان تكون تلك الافعال خلقاً لله ؟

وجوابنا : أنهم إنما يكونون أئمة بالعقل والخوف والتمكن وبالألطاف من قبل الله تعالى وكل ذلك من خلقه وهو الذي أراد تعالى وقيل : إن المراد حكمنا بذلك كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾(٢) فالمراد عند الجميع قضينا وحكمنا وبيّن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾(٣) فأراد بذلك نحو ما ذكرنا . لأن البركة لا تكون باختيار الوارث وكذلك قال : ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾(٤) واذا كان موسى ﷺ وقومه إنما تم لهم ما تم بما أنزل الله تعالى بفرعون وبما خصه به من المعجزات وكل ذلك من فعله . صحّ أن يقول : « وجعلناهم أئمةً » وليس المراد خلق فيهم صلاتهم وعبادتهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٥) كيف يصح أن يُوحِى اليها وقد بيّن في غير آية أنه ما أرسل إلا رجالاً . وكيف يصح وهي لم تكن نبية فيوحى اليها بما لا يعلم إلا من قبله تعالى ؟

---

(١) [القصص:٥].
(٢) [القصص:٤١].
(٣) [القصص:٥].
(٤) [القصص:٦].
(٥) [القصص:٧].

وجوابنا : أنه يجوز ان يعرفها ذلك على لسان نبي الزمان فلا يلزم ما قلتم ويحتمل انه ألهمها ذلك فقوى في ظنها كل ذلك الى حصول العلم لها به .

وقد قيل : أراها تعالى ذلك في المنام بعلامات مخصوصة فعلمت بها والأقرب ما قدمناه من أن رسولا كان في الزمان فعرّفها أو نزل جبريل فعرفها على أن ذلك من معجزات ذلك الرسول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾[1] وكيف يصح ذلك مع قول امرأة فرعون : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾[2] ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾[3] العاقبة والمراد بقوله تعالى : قرة عين ما دعاهم الى التقاطه وذلك لا تنافي فيه .

وقد ثبت أنّ هذه اللفظة قد يُراد بها المآل وما يقصد إليه كقول القائل في المرضعة والوالدة أنها تُربّي والدها لكي تنتفع به ويبقى لها .

وقد يُقال: مرضعة للموت إذا كان هذا هو العاقبة وعلى هذا الوجه قال الشاعر:

وأم سماك فلا تجزعي فللموت ما علمت الوالدة

فأما قوله تعالى من بعد : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾[4] فالمراد فراغ قلبها من سائر أمور الدنيا سوى أمر ولدها فلذلك قال تعالى : ﴿ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] أي تصدق بما أوحينا إليها .

---

(١) [القصص:٨].
(٢) [القصص:٩].
(٣) [القصص:٨].
(٤) [القصص:١٠].
(٥) [القصص:١٠].

وقوله تعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾[1] المراد به : الصرف والمنع لا التحريم في الحقيقة وذلك كقوله تعالى في أهل النار : ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] فليس لأحد أن يطعن بذلك وكقوله : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾[4] يدل على أن ذلك الوحي كان مقطوعاً به على ما ذكرناه .

[مسألة] ومتى قيل في قوله تعالى : ﴿ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[5] كيف يصح ذلك وإنما يقال هذا من أعدائه فيستقيم الكلام ؟

فجوابنا : أن المراد ما ذكرته والعدو قد يقع على الجمع وعلى الواحد على طريقة العرب في المصادر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾[6] كيف يصح من النبي أن يقع منه قتل من لا يحل دمه ؟

وجوابنا : أن وكزه كان على وجه الدفع لمّا أراد مخاصمته ولم يظن أنه يؤدي إلى قتله وذلك كالمرء يؤدب ولده استصلاحاً له فيؤديه إلى الموت وهذا من الصغائر التي نجوزها على الأنبياء ولذلك قال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾[7] .

وذلك يدل على أن أفعال العباد ليست من خلق الله تعالى وإلا كان الأشبه به أن يقول هذا من عمل الرحمن ولذلك قال بعده : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[9] أحد ما يدل أيضاً على ما قلناه لأن فعل المجرمين إن خلق جرمهم فلا فائدة في أن يكون ظهيراً وإن لم يخلق هو أيضاً فلا فائدة في ذلك .

---

(١) [القصص:١٢].
(٢) [الأعراف:٥٠].
(٣) [الأنبياء:٩٥].
(٤) [القصص:١٣].
(٥) [القصص:١٥].
(٦) [القصص:١٥].
(٧) [القصص:١٥].
(٨) [القصص:١٦].
(٩) [القصص:١٧].

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[١] يحتمل أنه ظهر منه ما يوجب أن لا يعنيه ويحتمل أنه خاف إن أعانه على نفسه منهم فلا مطعن في ذلك وقوله من بعد : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾[٢] يدل على التأويل الثاني وأنه خاف من ذلك فلهذا امتنع من نصرته وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[٣] أحد ما يدل على وجوب العمل بالخبر فيما يجري مجرى الخوف ولذلك خرج خائفاً إلى مدين وسأل الله تعالى أن ينجيه من القوم الظالمين ولو كان ظلمهم من خلق الله لكان ينجيه من نفسه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وقوله تعالى من بعد ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[٤] مع شدة حاجته عجيب في اقتصاره على هذا القدر حتى دعاه شعيب وأمّنه وكفاه أُنكحه ابنته وقضى له موسى بعد ذلك أحسن الأجلين.

فالمروي عن المفسرين أنه قضى الأجل الأكمل وقوله بعد ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] أحد ما يدل على حدوث كلام الله تعالى وإلا كان يجب أن يكون أبداً قائلاً لموسى هذا القول .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾[٦] كيف يصح على فرعون أن يظن هذا الظن مع كمال عقله ومعرفته بأن القصور وإن بُنيت أطول منها فلا يصح فيها ذلك ؟ وكيف يصح أن يقول هذا القول مع قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[٧] فان كان عالماً بذلك فكيف يصح أن يظن الاطلاع إلى إله موسى ؟

---

(١) [القصص:١٨].
(٢) [القصص:١٩].
(٣) [القصص:٢٠].
(٤) [القصص:٢٤].
(٥) [القصص:٣٠].
(٦) [القصص:٣٨].
(٧) [الإسراء١٠٢].

وجوابنا : أن فرعون لما ادعى الألهية وصدقه قومه لجهلهم كان يظهر القدرة ويدعيها وإن كان في الباطن يعلم خلاف ذلك وعلى هذا الوجه قال : «ما علمت لكم من إله غيري» مع علمه باحتياجه إلى الأكل والشرب ودفع المضار وعلى هذا الوجه أيضاً قال لهامان . وذلك لا يمنع من أن يكون في الحقيقة عالماً بالله تعالى على ما يدل عليه قوله : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ ﴾(١) فليس بين الآيتين اختلاف .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ ﴾(٢) أليس يدل على شك منه في النبوة ؟

وجوابنا : أنه تعالى قال ذلك على وجه الحجاج ولذلك قال بعده : ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾(٣) فأما قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾(٤) فالمراد لا تثيبه وليس المراد لا تدله ولا تبين وكيف يصح ذلك . وقد قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٥) أو يقال أنه ظهر منه ﷺ شدة المحبة لإيمان أبي طالب عمه وأن يكون من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذلك مُنبهاً به على أن الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح ولذلك قال : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٦).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾(٧) كيف يصح أن يصف نفسه بأنه يختار ما اختاروه أو يختار ما لم يختاروه وأي فائدة في ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد ما كان لهم الخيرة في ترك عبادة الله واتخاذ الأصنام آلهة ولذلك قال بعده : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٨) فبين أنه الخالق لما يشاء

---

(١) [الإسراء:١٠٢].
(٢) [القصص:٤٩].
(٣) [القصص:٤٩-٥٠].
(٤) [القصص:٥٦].
(٥) [الشورى:٥٢].
(٦) [القصص:٥٦].
(٧) [القصص:٦٨].
(٨) [القصص:٦٨].

وأنه يختار لهم التوبة لأن هذه الآية عُقَيب قوله : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾[1] فبين أنه تعالى يختار للمكلفين ما هو أصلح وأنه ليس لهم الخيرة فيما يختارونه بإرادتهم وشهوتهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾[2] كيف يصح أن يبلغ في الغنى هذا الحد ومثل ذلك متعذر في العادة ؟

وجوابنا : أن العصبة قد يقل عددها ويكثر فلا يمتنع أن يكون الله تعالى قد آتاه من الأموال ما فرقه في الظروف الكثيرة وبلغت مفاتيح غلقها ما ذكره الله تعالى ولسنا نعلم أن الغلق في ذلك الزمان كيف كان فإنه قد يعظم فتعظم لذلك مفاتيحه وقد يصغر ومعلوم أن كثيراً من الملوك يجتمع في خزانته مثل ذلك وأكثر فلا حاجة لاستبعاد ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ ﴾[3] لا بد من حذف في الكلام وهو لا تفرح بما حصل فرح من يظن أنه يدوم ويبقى وقوله : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾[4] يدل على ما قلناه فكأنهم أشاروا عليه بأن ينفقه في سبيل الله وينصرف عن الجمع الكثير وقوله : ﴿ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[5] المراد به التمتع بالقدر الذي يخرج في العرف .

وقد قيل : إن المراد أن يأتي في الدنيا ما يفوز لأجله بالآخرة إذ الدنيا إنما تراد لمثل ذلك إذا وسّع الله على المرء ولذلك قال تعالى آخراً ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾[6] حاكياً عن أولي العلم منهم ونبه تعالى بقوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾[7] على أن الاعتداد بالدنيا وإن كثرت من أعظم الخطأ وأن

---

(١) [القصص:٦٧].
(٢) [القصص:٧٦].
(٣) [القصص:٧٦].
(٤) [القصص:٧٧].
(٥) [القصص:٧٧].
(٦) [القصص:٨٠].
(٧) [القصص:٨١].

الواجب تفريق ذلك في مصالح الدين والدنيا وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] فإن من تكون بغيته جمع الأموال وعمارة الدنيا ويلهو عن الآخرة فمراده العلو في الأرض والفساد فإن أضاف إلى ذلك التسلط على الناس لما فضله الله به فهو أعظم ولمن يعنى بذلك أرادة العلو في باب الدين فإن بلغ الأنبياء هذه الرتبة العالية فيجوز أن يريدوا انقياد الناس لهم ودخولهم تحت طوعهم.

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] أحد ما يدل على أنه لا يزيد في العقاب البتة وإن كان يزيد على الثواب التفضل الكثير وقوله تعالى من بعد: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[3] فالمراد به أنه يفني جميع الأشياء ثم يعيد ما يجب إعادته وقوله إلا وجهه المراد به إلا هو فليس للمشبهة تعلق بذلك ويلزمهم أن أثبتوا لله وجهاً ويداً أن يقولوا إن سائره يفنى ويبقى وجهه وليس ذلك مما يعتقده مسلم وعلى هذا السبيل يقال هذا وجه الأمر وهذا وجه الصواب فقد يذكر الوجه ويراد نفس الشيء فعلى هذا الوجه نتأول الآية.

---

(١) [القصص:٨٣].

(٢) [القصص:٨٤].

(٣) [القصص:٨٨].

سورة العنكبوت

بيّن تعالى في هذه السورة ما إذا وطّن المكلف نفسه عليه كان باعثاً له على العبادة وصارفاً له عن المعاصي فقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾(١) فبيّن أن المؤمن لا يخلو من فِتن ومِحن وشدائدِ وأن الواجب أن يعتبر بذلك ويصبر وصبره على ذلك يدعوه الى الصبر على العبادة وعن المعاصي، ثم بيّن أن هذه عادة الله تعالى فيمن تقدم أيضاً فقال جل وعز: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾(٢) وذكر العلم وأراد المعلوم لأنه تعالى عالم لم يزل ولا يزال ولا يعلم الشيء عند كونه فقط.

ومثل ذلك يجري مجري الوعيد كقول القائل لغيره: أنا عالم بتقصيرك إذا قصرت وبوفائك اذا وفيت ثم بيّن من بعد بقوله: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾(٣) أن من تمسك بعبادته فإلى نفسه أحسن وأنه تعالى ما أراد بتكليفه إلاّ أن يعرضه للمنزلة العالية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾(٤) وبيّن أنه وصّى المرء ببرّ الوالدين إيجاباً لحقهما وأنه يجب أن لا يمتنع من برهما وإن دعواه إلى الشرك لكنه لا يطيعها في باب الدين ويصاحبهما بالمعروف.

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾(٥) وأيّ فائدة في هذا الإدخال وقد آمنوا وعملوا الصالحات ولم صاروا هم بأن يدخلوا في الصالحين أولى من أن يدخل الصالحين في جملتهم؟ وجوابنا: أنه تعالى قد بين ما للصالحين من المنزلة في الآخرة وما يفعله بهم من معونة ونصرة في الدنيا ثم بين أن كل من آمن وعمل صالحاً فهو داخل في هذا الوعيد ياعثاً لهم على التمسك بالإيمان.

---

(١) [العنكبوت:٢].
(٢) [العنكبوت:٣].
(٣) [العنكبوت:٦].
(٤) [العنكبوت:٦].
(٥) [العنكبوت:٩].

وبيّن من بعد أن المعتبر بالإخلاص لا بالقول فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾(١) .

وبين أن النفاق يمنع من دخول المنافق وإن أظهر الإيمان فيما وعد به الصالحين فقال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾(٢).

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾(٣).

فجوابنا : أن الله تعالى أنكر ذلك عليهم بقوله : ﴿ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ﴾(٤) وإنما قالوا ذلك إيهاماً للمؤمنين بأنهم ينصرونهم في الدنيا وينفعونهم لا بأنهم يحملون خطاياهم في الحقيقة .

ثم بيّن تعالى أن الأمر بالضد من ذلك وأن هؤلاء الكفار يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم لأنهم إذا دَعوا غيرهم إلى الكفر والمعاصي كانت هذه منزلتهم .

[مسألة] ومتى قيل في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾(٥) كيف يصح أن يعيش المرء هذا القدر وهذا بخلاف العادة ؟

فجوابنا : أن من ينكر ذلك فمراده دعاء إلى التعطيل والإلحَادِ والله تعالى قادرٌ على ذلك وعلى هذا الوجه بيّن أمر الجنة وأنه يبقيهم .

ومن تأول ذلك على أن المراد أن دعوته إلى الشريعة بقيت هذه المدة فقد أخطأ وكان ﷺ يدعو حالاً بعد حال ويصبر عليهم كما ذكره الله تعالى في نبوّة نوح ثم دعا عليهم آخراً بقوله : ﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾(٦) لما علم

---

(١) [العنكبوت:١٠].
(٢) [العنكبوت:١١].
(٣) [العنكبوت:١٢].
(٤) [العنكبوت:١٢].
(٥) [العنكبوت:١٢].
(٦) [نوح:٢٦].

بأنهم لا يؤمنون وأنزل الله تعالى بهم من بعد العذاب وقوله عز وجل : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾(١) يدل على أنه بقي هذه المدة وأنه بقي بعدها أيضاً ولذلك قال ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾(٢) يعني السفينة ﴿ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤) ما فائدة قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٥) ؟ والمعلوم أن ذلك خير لهم على كل حال .

وجوابنا : أن ذلك يقال على وجه التهـديد لا لأن علمهم يدخل ذلك في أن يكون خيراً ثم بين لهم أن الذين يعبدونهم لا يملكون لهم رزقاً ولا نفعاً، وأن الواجب عبادة من يبتغى من جهته الرزق ومن إليه المرجـع في الإثابة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾(٦) كيف يصح وقوع الكفر في الآخرة ؟

وجوابنا : أن المراد بهذا الكفر الجحد والإنكار فإن المودة بين المبطلين تكون في الدنيا دون الآخرة كما قال تعالى :﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾(٧).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾(٨) كيف خفي على إبراهيم انهم لم يريدوا بالإهلاك لوطا ومن آمن معه حتى قال ما قال، فأجابوه بما أجابوا ؟

وجوابنا : أنه يجوز في الدنيا أن يلحق العذاب بالعصاة ويكون فيهم غيرهم فيكون ذلك محنة فلما كان ذلك مجوزاً جاز أن يقول إبراهيم ﷺ ما قال ولا يمنع أن

---

(١) [العنكبوت:١٤-١٥].
(٢) [العنكبوت:١٥].
(٣) [العنكبوت:١٥].
(٤) [العنكبوت:١٦].
(٥) [العنكبوت:١٦].
(٦) [العنكبوت:٢٥].
(٧) [الزخرف:٦٧].
(٨) [العنكبوت:٣١-٣٢].

يكون في ظنه أن القوم لا يعرفون أن لوطاً فيها فعرّفهم ذلك وقوله تعالى من بعـد : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾(١) لذكر ما أنزله بأمم الأنبياء من العذاب وقوله بعد ذلك ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٢) يدل على ان هذه الأفعال أفعال العباد ليصح أن يؤاخذوا بها وأن ينسب الظلم الى أنفسهم كما نقوله في هذا الباب وقوله من بعد : ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾(٣) أيدل على ما نقوله من أنه لا يفعل إلا الحكمة والصواب وفي قوله بعد:﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٤) ربما يقال إنا نرى من يصلي ولا ينتهي عن ذلك فكيف يصح هذا الظاهر ؟

وجوابنا : عنه أن الذي تنهى الصلاة عنه هو الذي لا يقع والمصلي وإن فعل منهما الكثير فمعلوم من حاله أنه غير فاعل لشيء من ذلك في بعض الأوقات فبيّن الله تعالى أنه أوجبها لأن عندها ما هو أزيد منه ومعلوم أيضاً أنه غير فاعل المصلى لا يختار الفحشاء والمنكر وإلا فالصلاة محال أن تنهى .

فالمراد ما ذكرناه وهذا أحد ما يعتمد عليه في أنه تعالى لا يعبد بهذه الشرائع إلا لهذا الوجه وقوله من بعد : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾(٥) ربما قيل فيه أن ظاهره يقتضي فيمن ظلم منهم أنه يجادل بما ليس أحسن وذلك لا يصح ؟ وجوابنا : أن من ظلم منهم نفسه وتمرد لا يكون ما يلزمنا أن نرد به عليه مثل الذي نخاطب به غيره وإن كان الجميع حسناً أنّا نفعل مع بعضهم ما غيره أحسن منه وإن كان كل ذلك من باب الحسن .وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(٦) يدل على ما نقوله من أنه تعالى ينزه الأنبياء عن كل أمر ينفر عنهم وقوله تعالى من بعد : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾(٧) ربما يتعلق به الخوارج في أن كل فسق كفر وربما يتعلق به من يقول : إنه مع الإيمان لا يضر شيء .

---

(١) [العنكبوت:٤٠].
(٢) [العنكبوت:٤٠].
(٣) [العنكبوت:٤٤].
(٤) [العنكبوت:٤٥].
(٥) [العنكبوت:٤٦].
(٦) [العنكبوت:٤٨].
(٧) [العنكبوت:٥٤].

وجوابنا : أن ذلك لا يمنع من أن يحيط بغيرهم فلا يدل على ما قالوه وفي قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١) دلالة على أنهم يعاقبون ويعرفون أن ذلك العقاب عدل من حيث عملوا وأذنبوا ولو كان ذلك منخلق الله تعالى فيهم لما صح ذلك .

وقوله تعالى من بعد : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾(٢) ربما يقال ما الفائدة في ذلك وهو معلوم للمخاطب ؟

وجوابنا : أن المراد فاياي فاعبدون ولا يصدنكم عن العبادة عدم الاستقرار في مكان واحد بل يجب أن ....(٣) يكون الوفاء بعبادة الله تعالى ولو مع التحول إن تحوّل فأرض الله واسعة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ ﴾(٤) كيف يصح ذلك في وصف الدار التي هي جماد ؟

وجوابنا : أنه تعالى بيّن بهذا المجاز ما لا يفهم بالحقيقة إذ المراد أن هذه الدار من حق الحياة فيها أن تدوم ولا تنقطع ومن حقها أن يدون نعيمها بلا بؤس وأن يتصل ولا مشقة .

(١) [العنكبوت:٥٥].
(٢) [العنكبوت:٥٦].
(٣) كلمة في الأصل غير واضحة .
(٤) [العنكبوت:٦٤].

سورة الروم

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾[(١)] كيف يصح أن يفرحوا بغلبة بعض الكفار لبعض ؟

وجوابنا : أنه تعالى لما بشر المؤمنين بأنهم سيغلبونهم ذكر ذلك فلو لم يكن إلا ما يظهر من صدق هذا الوعد لكفى . فكيف وقد ينصر المؤمن مما يجري من الذل على الكفار من قبل الكفار أيضاً ولذلك قال تعالى بعده : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾[(٢)] وبيّن أن الأكثر من الناس لا يعلم إلا ظاهر الحياة الدنيا دون ما يتعلق بالدين بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[(٣)] ومتى قيل في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ ﴾[(٤)] لماذا كرر وما الفائدة فيه وهل يحمل على التأكيد أو فيه مزيد فائدة .

فجوابنا[(٥)] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾[(٦)] كيف أن يسمى ما يفعله بهم تعالى سوءاً وذلك لا يكون إلا قبيحاً ؟

وجوابنا : أنه أجرى هذا اللفظ على ما هو جزاء عليه كقوله ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[(٧)] وذكره كثير في اللغة وإلا فما يفعله تعالى لا يكون إلا عدلاً وحكمة وذلك لا يوصف بهذا الوصف ولذلك لا يحسن وصف الله تعالى بأنه مسيء .

---

(١) [الروم:٤-٥].
(٢) [الروم:٦].
(٣) [الروم:٦-٧].
(٤) [الروم:٧].
(٥) الجواب ساقط من الأصل .
(٦) [الروم:١٠].
(٧) [الشورى:٤٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[١] ثم قال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾[٢] .

فبين أنهم عند قيام الساعة يتفرقون إلى هذين القسمين كافر ومؤمن فقولك أن الفاسق له منزلة بينهما يبطل .

وجوابنا : أنه تعالى قال يتفرقون ثم ابتدأ بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٤] فذكرهما ولم ينف ثالثاً لهما وقد ثبت حكم ذلك الثالث بسائر الآيات .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾[٥] أليس يدل ذلك على أن كلامهم من خلق الله تعالى ؟

وجوابنا : أن اختلاف خلقة الألسنة من قبله تعالى ولأجل هذا الاختلاف يدرك كلامهم مختلفاً فمن كان في لسانه رقة لا يكون كلامه بمنزلة كلام من في لسانه غلظ وكذلك اختلاف منافذ الرياح والنفس فبيّن تعالى أن في ذلك آية وعبرة .

وهذا الجواب أولى من قول من يقول : أن المراد به اختلاف اللغات وأنها من باب التوقيف وتضاف إلى الله تعالى لأن الوجه الذي به يقع الاعتبار في اختلاف الألسنة هو في كيفية ادراكنا لأن الكلام في اللغات هل هي توقيف أو اصطلاح فيه الخلاف الكثير .

ومعنى قوله تعالى من بعد : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[٦] أنهما تقومان بفعله وإرادته وذكر الأمر على وجه التفخيم لشأنه كأن هناك أمراً هو

---

(١) [الروم:١٤].
(٢) [الروم:١٥-١٦].
(٣) [الروم:١٥].
(٤) [الروم:١٦].
(٥) [الروم:٢٢].
(٦) [الروم:٢٥].

قول وهذا كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[١] وقوله تعالى من بعد : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[٢] يجري هذا المجرى لأنه تعالى لا يدعوهم في الحقيقة لكنه يجيبهم ويكمل عقولهم ويمكنهم فيخرجون ويرجعون إلى الله تعالى بمعنى إلى حيث لا حاكم سواه وقوله تعالى من بعد : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[٣] ربما قالوا فيه أن ذلك يدل على جواز الضعف عليه .

وجوابنا : أنه بمعنى هيّن كما اذا قلنا في الله أنه أكبر وأعظم فالمراد به كبير عظيم وكما قال الشاعر :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

والمعنى أنه عزيز طويل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[٤] كيف يصح ظهور الفساد لأجل كسبهم ؟

وجوابنا : أنهم إذا أفسدوا في الأرض وظلموا ومنعوا الحقوق يظهر بذلك الفساد في الموضعين واذا قلت النعم من جهة الله تعالى لأجل ذلك كان ردعاً لهم عن أمثال ما فعلوا وبذلك قال تعالى ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٥] ولا يمتنع أن يكون الصلاح عند كسبهم أن يقع من الله تعالى التضييق في المعيشة على وجه الاعتبار كما فعله تعالى بأمم الأنبياء من إنزال العقاب بهم ولذلك قال تعالى بعده ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾[٦] فبيَّن ما نالهم لأجل شركهم وقوله من بعد : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ ﴾[٧] هو خطاب للكل ما إن كان لفظه خاصاً والمراد بالوجه نفس

---

(١) [النحل:٤٠].
(٢) [الروم:٢٥].
(٣) [الروم:٢٧].
(٤) [الروم:٤١].
(٥) [الروم:٤١].
(٦) [الروم:٤٢].
(٧) [الروم:٤٣].

الإنسان فكأنه قال : فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه ولا تزول فلا تأمن في كل وقت من الاخترام فإذا ثبتّ على الاستقامة كنت من الفائزين ولذلك قال تعالى بعده : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾(١) وقوله تعالى من بعد ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾(٢) يدل على أنه من فعله وإلا كانت إضافته إلى خالقه أولى وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾(٣) يوجب أن ذلك من فعلهم أيضاً وقوله تعالى من بعد : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ﴾(٤) يدل أيضاً على ذلك لأن المجازاة من الله تعالى على نفس ما خلق لا تصح وقوله تعالى من بعد : ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ ﴾(٥) يدل أيضاً على ذلك لأن الكفر إن كان من خلقه فقد أراده وأحبه وإذا أراده فقد أحب الكافر إذ محبة الكافر هي محبة كفره وقوله تعالى من بعد : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾(٦) يدل على أن الجرم من قبلهم وقوله تعالى من بعد ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٧) يدل على أن إيمانهم من قبلهم إذ لو كان خلقاً من الله لكان ناصراً لنفسه وذلك محال وقوله تعال من بعد : ﴿ فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾(٨) هو على وجه المبالغة لتركهم القبول والتفكر وكذلك قوله : ﴿ وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾(٩) ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾(١٠).

ولو أراد حقيقة الصم لكان حالهم في الإقبال كحالهم في الإدبار ولذلك قال تعالى بعده : ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾(١١) فأما قوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾(١٢) والضعف عرض لا يصح أن يخلق الجسم منه فالمراد المبالغة

---

(١) [الروم:٤٣].
(٢) [الروم:٤٤].
(٣) [الروم:٤٤].
(٤) [الروم:٤٥].
(٥) [الروم:٤٥].
(٦) [الروم:٤٧].
(٧) [الروم:٤٧].
(٨) [الروم:٥٢].
(٩) [الروم:٥٢].
(١٠) [الروم:٥٢].
(١١) [الروم:٥٣].
(١٢) [الروم:٥٤]

في ضعفه وهو على ما هو عليه وبيّن لا يصح أن أمره أن لا ينتظر له قوة بعد ضعف وبقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[1] وكل ذلك تحريك لهم على التدارك إلى التوبة خصوصاً وقد أدرك حال الشيبة.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[2] كيف يصح أن يخبروا بذلك ويقسموا عليه وهو كذب وعندكم أنهم في الآخرة هم ملجؤون إلى أن يفعلوا القبيح ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك إخبارهم عن أنهم ما لبثوا غير ساعة عند أنفسهم لأنّ ما بين الموت والإعادة وإن طالت مدته فهو كالقصير من الأوقات في أن المعاد لا يتبين له ذلك وقوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[3] يدل على ما نقول لأنه إن كان ظلمهم من خلق الله فهم مستغنون عن المعذرة .

---

(١) [الروم:٥٤].

(٢) [الروم:٥٥].

(٣) [الروم:٥٧].

سورة لقمان

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[١] كيف يصح مع ثقلها وعظمها أن تقف لا على عمد ؟

وجوابنا : أنه تعالى، اذ أسكنها حالاً بعد حال وقفت وإن كانت ثقيلة كما أن أحدنا يمسك يده وقد بسطها فمن حيث يفعل فيها السكون حالا بعد حال تثبت ولذلك متى لم يسكنها سقطت لأنّ أحدنا يغفل ويلهو والله سبحانه يتعالى عن ذلك .

واختلف المفسرون في ذلك فقال بعضهم الفائدة فيه نفي نفس العمد أصلاً على ما ذكرنا .

وقال بعضهم الفائدة فيه إنا لا نرى العمد والأول هو أقوى وهو داخل في الأعجوبة وقوله تعالى من قبل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٢] يدل على أن المضل هو الإنسان وأنه مذموم ويدل على أن كل قول قيل بلا علم في الأديان فهو مذموم وقوله تعالى المتصلة من بعد : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[٣] يدل على أن العشرة بأحوال الدنيا قد تحسن مع المباينة في الدين ثم بين أن من أناب إلى الله يجب أن يتبع فقال ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾[٤] إلى قوله تعالى من بعد حاكياً عن لقمان ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾[٥] القصد فيه أن يتأمله المرء فيعمل به فان هذه الوصية جامعة للانقطاع الى الله تعالى بعد المعرفة بعلمه وقدرته لأن قوله تعالى ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٦] يؤذن بأن ما أقدم المرء عليه دق أم جل فهو

---

(١) [لقمان: ١٠].
(٢) [لقمان:٦].
(٣) [لقمان:١٥].
(٤) [لقمان:١٥].
(٥) [لقمان:١٦].
(٦) [لقمان:١٦].

معلوم لله وتكون المجازاة بحسبه وذلك ردع عظيم وهي جامعة القيام بالعبادات وهو بقوله ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾[1] وهي أيضاً جامعة للآداب وما ينبغي أن يتمسك به المرء من الاخلاق والتواضع وهو بقوله ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾[2] الى آخر الكلام وقوله من بعد ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3] يدل على أن التمسك بالمذاهب إنما يحسن إذا كان عن علم وقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[4] مما لا مزيد عليه في بطلان .

التقليد لأنه تعالى بيّن أنهم إذا جاز أن يتركوا الدليل إتباعاً لآبائهم من دون دلالة فقد جاز أن يرجعوا إلى اتباع الشيطان فيما يدعوهم إليه لأن ما في كلا الموضعين هو اعتماد على القول من دون دلالة وهذا هو الذي نعتمد عليه في بطلان التقليد ونقول إنه إذا جاز تقليد الآباء في الإسلام فيجوز تقليد أولاد النصارى لآبائهم لأن كل ذلك اعتماد على قبول القول من غير دلالة وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾[5] يدل على أن كلام الله مقدور له يحدث حالا بعد حال لا كما قاله قومٌ من أنه متكلم بذات أو بكلام قديم لا يصح فيه زيادة ولا نقصان .

[مسألة] وربما تعلقوا بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ﴾[6] وقالوا يدل ذلك على أن جريه من فعل الله تعالى ليكون مضافاً إلى الله تعالى ولولا ذلك لوجب أن يكون مضافاً إلى الملاح ولما صح أن يكون آية وقد قال تعالى ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ﴾[7] .

---

(١) [لقمان:١٧].
(٢) [لقمان:١٨].
(٣) [لقمان:٢٠].
(٤) [لقمان:٢١].
(٥) [لقمان:٢٧].
(٦) [لقمان:٣١].
(٧) [لقمان:٣١].

وجوابنا : أن وجه الاعتبار في ذلك خلقه تعالى للماء في البحر على الصفة التي معها تجري السفن وخلقه الرياح على هذا الوجه ولولا ذلك لما صح جريها بفعل العباد وفي ذلك آيات الله تعالى ونعمه لأنه لولا ذلك لما صحّ التوصل إلى قطع البلاد وجلب النعم وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾(١) يدل على أن الجحد لا يكون من خلق الله تعالى إذ لو كان من خلقه لما صح أن يذمه هذا الذم العظيم وقوله تعالى من بعد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾(٢) أي عقاب ربكم بالتحرز من المعاصي وقوله تعالى ﴿ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾(٣) من أقوى دلالة ما يدل على أن وعده ووعيده لا يجوز أن يقع فيهما خلف ومن أقوى ما زجر الله به عباده عن المعاصي .

فإذا تدبر المرء عند قراءته ما ذكرنا عظم انتفاعه بذلك؛ ولذلك قال بعده ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾(٤) يعني بذلك متاعها ﴿ وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(٥) زجر بذلك عن قبول كل قول يغر المرء ويصرفه عن التمسك بطاعة الله ثم بين تعالى ما يختص به عز وجل من العلم ولم يطلع العباد عليه بالأدلة وإن جاز أن يطلع أنبيائه على بعضه ليكون معزاً لهم فقال جل من قائل ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾(٦) وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يحكم أن أحكام المنجمين صحيحة فيما جرى هذا المجرى .

---

(١) [لقمان:٣٢].
(٢) [لقمان:٣٣].
(٣) [لقمان:٣٣].
(٤) [لقمان:٣٣].
(٥) [لقمان:٣٣].
(٦) [لقمان:٣٤].

سورة السجدة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴾(١) أليس ذلك صريحاً في أنه تعالى في السماء ؟

وجوابنا : أنه جعل جل وعز السماء مكاناً للملائكة وللأرزاق التي بها يحيي الناس ولذلك قال تعالى ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(٢) فلأجل ذلك قال ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾(٣) ومعنى قوله : ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾(٤) أي إلى المكان الذي لا حكم فيه إلا حكمه لأنّ الملائكة طوع الله ولا يفعلون إلا بأمره .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(٥).

وجوابنا : أن المراد بهذه الآية نزول الملائكة بالوحي وغيره من الماء إلى الأرض ورجوعها إلى مكانها فلا يكون ألف سنة بل بين السماء والأرض مسير خمسمائة عام وأما الآية الثانية فالمراد بها يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾(٦) فبين أنه يطول ذلك الزمن على الكفار لشدته فيساوي لأجل تلك الشدائد خمسين ألف سنة وقوله من بعد ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٧) يبين أنه لا قبيح في قوله ولا أسمائه فان قيل ففي جملة ما خلق ما يقبح في الصورة .

فجوابنا : أن المراد نفي ما يقبح في العقل من فعله لا ما يستقبح في الصورة بين ذلك إن هيئة الإنسان في صلاته وقضاء حاجته والنهي عن المنكر قد يستقبح في

---

(١) [السجدة:٥].
(٢) [الذاريات:٢٢].
(٣) [السجدة:٥].
(٤) [السجدة:٥].
(٥) [المعارج:٤].
(٦) [المعارج:٦-٧].
(٧) [السجدة:٧].

المنظر وتوصف مع ذلك بأنها حسنة وحكمة وقوله تعالى ﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾(١) يدل على بطلان تعلقهم في باب الرؤية بذكر اللقاء لأنّ الله عز وجل بين أنهم كافرون بلقاء ربهم وأراد كفرهم بالإعادة وبالثواب والعقاب وقوله عز وجل من بعد ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾(٢) المراد به يقولون ربنا وحذف مثل ذلك يحسن في الكلام إذا كان فيه ما يدل عليه ولا يجوز أن يتمنوا ذلك ويسألوه إلا والعقاب من جهتهم يقع وباختيارهم يكون وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾(٣) فالمراد به على وجه الإلجاء الذي وقع لم ينتفعوا به لأنهم إنما ينتفعون بما يفعلونه طوعاً ليستحقوا ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(٤) وقوله ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾(٥) يدل على أن اللقاء ليس بمعنى الرؤية وأراد تركتم النظر والعلم بالإعادة وقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾(٦) والنسيان على الله تعالى لا يجوز والمراد به عاقبناكم على ترككم على مثال قوله تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٧) وقوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾(٨) يدل على أن الفاسق ليس بمؤمن لأنه تعالى ميز بينهما فجعل للمؤمنين جنات المأوى وللفاسقين النار .

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٩).

وجوابنا : أن المراد ما عجله من الآلام لكي يصلحوا فسماه عذاباً مجازاً ويجوز أن يريد بذلك عذاب القبر أو الحدود التي تقام على بعضهم فمن يعلم ذلك يكون

---

(١) [السجدة:١٠].
(٢) [السجدة:١٢].
(٣) [السجدة:١٣].
(٤) [السجدة:١٣].
(٥) [السجدة:١٤].
(٦) [السجدة:١٤].
(٧) [الشورى:٤٠].
(٨) [السجدة:١٨].
(٩) [السجدة:٢١].

أقرب إلى أن يرجع عن معاصية وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[١] أحد ما يدل على أن العبد مختار لفعله وإلا فالاعراض ممن لا يقدر على الشيء وتركه محال لأنه لا يقال في أحدنا أنه أعرض عما يعجز عنه وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[٢] والمراد به العقاب يدل على أن كل مجرم وان كان من أهل الصلاة فالله تعالى ينتقم منه إلاَّ أن يكون تائباً أو جرمه صغيراً وقوله تعالى من بعد ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٣] المراد به جعلناهم أنبياء وعلماء يُقتدى بهم لأجل صبرهم فدل بذلك على أن الانبياء لولا صبرهم عن معاصي الله لما جعلوا أنبياء فيبطل بذلك قول من يجوز عليهم الكفر والكبائر قبل البعثة وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٤] يحمل على أنه تعالى يفصل بينهم بالعلم فينقاد المبطل ويعرف المحق حاله في ذلك فإن كان الفصل يقيي نقل الأعراض فسيفعله تعالى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[٥] وكيف يصح والقوم يكذبون بذلك كما قال تعالى بعده ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٦] ومن لا يؤمن بيوم القيامة كيف ينتظر ذلك ؟

وجوابنا : أن موتهم لما كان مقدمة الإعادة جاز أن يقول ذلك ويحتمل أنهم على غير يقين مما قالوا فهم على شك وتجويز فحكمهم حكم المنتظر .

(١) [السجدة:٢٢].
(٢) [السجدة:٢٢].
(٣) [السجدة:٢٣-٢٤].
(٤) [السجدة:٢٥].
(٥) [السجدة:٣٠].
(٦) [سبأ:٢٩].

سورة الأحزاب

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾(١) ما معنى ذلك فان كان تعريفاً لنا فهو معلوم ؟

وجوابنا : ما جعل لاحد ما يتسع به في النظر في الامور وفي الاجتهاد وفي الرأي حتى لا يشغله بعض ذلك عن بعض بين ذلك أن المراد مقصور على ما جرت به العادة على النظر في لدين والدنيا وقد قيل إنه كان في الصحابة من يلقب بذلك ويعتقد فيه الاتساع في الرأي والمعرفة فأنزل الله تعالى ذلك لأن المنافقين زعموا أنه له قلبين .

[مسألة] ومتى قيل ما المراد بقوله ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(٢) كيف يصح أن يكون أولى بهم من أنفسهم وكيف يصح في أزواجه أن يكُنَّ أماتهم ؟

وجوابنا : أنه أولى بهم فيما تقتضي الانقياد في الشرع وأولى بهم فيما يتصل بالإشفاق أو المراد أنه أولى بهم من بعضهم لبعض كقوله تعالى ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾(٣) وإما أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين وتبرئة رسول الله عن أن يخلفه في أزواجه غيره ولذلك روي عن عائشة في امرأة قالت إنك أمي أنها أنكرت ذلك وقالت إنما أنا أم رجالكم لأن التزويج في الرجال يصح فأكد ذلك بأن شبههن بالأمهات وربما حذف التشبيه اللفظ ليكون على وجه التحقيق كما يقال للرجل البليد هو حمار ولمن لا يصغي ولا يفهم أنه ميت قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾(٤).

---

(١) [الأحزاب:٤]. (٢) [الأحزاب:٦].
(٣) [النور:٦١]. (٤) [النمل:٨٠].

[مسألة] ومتى قيل ما معنى قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾[١] وقوله ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾[٢] ما هذا الميثاق المأخوذ من أمم الأنبياء ؟

وجوابنا : أنه تعالى لما أعلمهم بوجوب طاعته وطاعة الرسول ودلهم على ذلك ببعثة الرسل وغيرهم وألزمهم القيام بذلك كان ذلك أو كد من المواثيق بالإيمان المغلظة وأعظم في وجوب الحجة عليهم في الآخرة ولذلك قال تعالى بعده ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[٣] .

[مسالة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[٤] كيف يجوز أن يزيد في عقابهن وذلك ظلم يتعالى الله عنه ؟

وجوابنا : أن مكان اتصالهن برسول الله ﷺ وعظم نعمة الله عليهن بذلك وبغيره يوجب أن ما يقع منهن من المعصية يكون أعظم عقاباً لأن المعصية تعظم بعظم نعمة المُعْصي كما أن معصية الولد لوالده وله عليه الحقوق العظيمة أعظم فبيّن الله تعالى أن عقاب معصيتهن لو وقعت منهن يكون أعظم لأن ذلك عين المستحق فإن قيل قد قال تعالى ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾[٥] فانه كان عظم المعصية لعظم النعمة فيجب في الطاعة أن يكون موقعها منهن أخف لأن عظم النعمة كما يعظم المعصية يخفف أمر الطاعة . وجوابنا : عن ذلك أن الطاعة لله تعالى تعظم لوجه آخر وهو أن الناس يقتدون بهن لعظم منزلتهن في القلوب كما قال ﷺ مثل ذلك في من سن سنة حسنة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[٦] أليس ذلك يدل على أنه تعالى يفعل فيهم الصرف عن المعاصي ؟

---

(١) [الأحزاب:٧].
(٢) [الأحزاب:٧].
(٣) [الأحزاب:٨].
(٤) [الأحزاب:٣٠].
(٥) [الأحزاب:٣١].
(٦) [الأحزاب:٣٣].

وجوابنا : أن المراد بهذا انه تعالى يلطف لهم زيادات الإلطاف فلا يختارون إلا الطاعة فهذا معنى الإذهاب بالرجس ولذلك قال بعده ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(١).

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله في قصة زيد ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾(٢).

وجوابنا : أنه تعالى أحب فيما أراده من تزوج النبي ﷺ بامرأة زيد أن يكون مظهراً لذلك لأنه من باب ما قد أحله الله تعالى له وأن لا يكون في قلبه من الناس ما يتكلف لأجله إبطان ذلك ولذلك قال ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾(٤) مع أنه مقدم في الإنزال على قوله تعالى ﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾(٥) وهي التاسعة لأن المعتبر في الناسخ أن يكون متأخراً في التعريف والإنزال لا في التلاوة وقوله تعالى ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾(٦) فيها اختلاف فبعض المفسرين يزعم أن ذلك مقدار ثابت بيّن به تعالى أنه يحل له التزوج فلا يدل على أنه ﷺ مخصوص بذلك كما خص بإباحة الزيادة على أربع ومنهم من يثبت الموهبة ولذلك قال تعالى ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٧).

[مسألة] ومتى قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ ﴾(٨) بعبارة واحدة ذلك عندكم ممنوع منه وكيف يصح الصلاة من الله تعالى ومن الملائكة على الرسول ؟

فجوابنا : أن قوله تعالى ﴿ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾(٩) يرجع إلى الملائكة فقط لأنه تعالى يعظم أن يذكر مع غيره ولكنه يعقل بذلك أنه جل وعز أيضاً يصلي على الرسول وصلاته جل وعز معناها الرحمة العظيمة والإنعام الجسم وصلاة الملائكة الدعاء وقد قال تعالى قبل ذلك ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ ﴾(١٠) وذكر ذلك

---

(١) [الأحزاب:٣٣].
(٢) [الأحزاب:٣٧].
(٣) [الأحزاب:٣٧].
(٤) [الأحزاب:٥٠].
(٥) [الأحزاب:٥٢].
(٦) [الأحزاب:٥٠].
(٧) [الأحزاب:٥٠].
(٨) [الأحزاب:٥٦].
(٩) [الأحزاب:٥٦].
(١٠) [الأحزاب:٤٣].

في عباده والمراد أنه يرحمكم بالهداية لتصلوا إلى الثواب وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾[١] المراد الدعاء له بالمغفرة والرحمة العظيمة .

وفي الفقهاء من استدل بذلك على وجوب الصلاة عليه وعلى وجبها في التشهد ومن حيث قال ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٢] فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ قد عرفنا معنى السلام عليك فكيف الصلاة عليك فعلمهم كيف يصلون عليه فيوردون ذلك في الصلاة كما علمهم التشهد من قبل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ ﴾[٣] كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أنه تعالى يفعل ذلك في الحقيقة لأنه قادر على ذلك فيكون أزيد في غمهم وقوله تعالى من بعد ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ ﴾[٤] في السادة الذين اتبعوهم صحيح لأن من سن سنة سيئة يزاد في أعقابه فأما قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾[٥] ففي المفسرين من قال دخل ليغتسل فلما خرج وثيابه على حجر عدا الحجر حتى رؤي مكشوفاً فبرّأه الله مما كانوا يضيفونه إليه من أنه عليه السلام آدر وهذا مما أنكره مشايخنا وقالوا إن ذلك لا يجوز على الأنبياء وأن المراد بالآية أنهم اتهموه بأنه قتل هارون أخاه لأنه مات قبله وكان في هارون ضرب من اللين وفي موسى ﷺ خشونة فلميلهم إليه قالوا هذا القول فبرّأه الله إعادة حتى برىء موسى من هذه التهمة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾[٦] كيف يصح ذلك فيها وهي من جملة الجمادات التي لا يصح أن تعرف وتعلم ؟

---

(١) [الأحزاب:٥٦].
(٢) [الأحزاب:٥٦].
(٣) [الأحزاب:٦٦].
(٤) [الأحزاب:٦٨].
(٥) [الأحزاب:٦٩].
(٦) [الأحزاب:٧٢].

وجوابنا : أن المراد عرضنا الأمانة أي تضييع الأمانة وخيانتها على أهل السموات والأرض وهمم الملائكة ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾[1] والإشفاق لا يصح إلا في الحي الذي يعرف العواقب ثم قال تعالى ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[2] ولو حمل نفس الأمانة لم يصح ذلك فيه .

---

(١) [الأحزاب:٧٢].

(٢) [الأحزاب:٧٢].

سورة سبأ

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾[1] كيف يصح ذلك وقد زال التكليف ؟

وجوابنا : أنه وإن زال فالشكر والحمد لله في الآخرة يكثر لأنهم يسرون بذلك فيشكرون نعم الوقت حالا بعد حال ويشكرون النعم المتقدمة وما يفعله المرء لربه لا يكون داخلا في التكليف .

[مسألة] ومتى قيل كيف يصح في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[2] وما تعلق به قوله تعالى ﴿ عَالِمِ الغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾[3] مما تقدم .

وجوابنا : أن من أقيمت له الدلالة على بطلان ما هو عليه مجوز إذا ذكر مذهبه أن يكون هذا جوابه لينبه على تقصيره فبيّن الله تعالى بأنه عالم الغيب وأنه يجازي كل أحد يوم القيامة بما استحقه على ما ذكره من بعد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ ﴾[4] كيف يصح أن يأمر الله تعالى الجبال والطير وكيف يُلين الحديد وفي تليينه إبطال كونه حديداً ؟

وجوابنا : أن ذلك بمنزلة قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[5] وليس ذلك بأمر فالمراد بيان أن الجبال والطيور لا تمتنع عليه فيما يريده فأما تليين الحديد فمعلوم أنه يلين بالنار ولا يخرج من أن يكون حديداً فجعله الله

---

(١) [سبأ:١].
(٢) [سبأ:٣].
(٣) [سبأ:٣].
(٤) [سبأ:١٠].
(٥) [النحل:٤٠].

عز وجل لداود ﷺ بهذه الصفة أو جعله من حيث القوة بحيث يصرف فيه كتصرف أحدنا في الطين وكل ذلك صحيح ولما بيَّن عظم نعمه على داود وسليمان بالأمور التي سخرها لهما قال تعالى من بعد ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[١] وذلك يدل على أن النعم توجب مزيد الشكر والقيام بالطاعة على وجه الشكر وبيّن تعالى بقوله ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٢] ان التكليف وان عم الكثير فقليل منهم يقوم بحق شكره وذكر تعالى ذلك ليجتهد كل أحد أن يكون من جملة هذا القليل فيفوز بالثواب فاما قوله تعالى من بعد ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُورَ ﴾[٣] فلا يصح للخوارج الذين يقولون إن كل ذنب كفر ان يتعلقوا به لأن المراد وهل نجازي بما تقدم ذكره إلا الكفور وقد أجرى الله تعالى العادة بأنه لا بعذاب الاستئصال في الدنيا إلا من كفر وقوله تعالى ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾[٤] ربما يتعلق به المجبرة انه تعالى يفعل السير وذلك بعيد لأن المقدر للشيء لا يجب أن يكون فاعلاً له لأن من بين الشيء كيف يفعل يوصف بأنه قدره وان كان الفعل من غيره ولذلك قال بعده على وجه الأمر ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[٥]،

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[٦] كيف يصح من العقلاء أن يسألوا ربهم أن يباعد بين أسفارهم وهي قريبة ؟

وجوابنا : أن ذلك منهم جاء على وجه الجهل كقوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾[٧] هذا إذا قُرِىء على هذا الوجه وقد قُرِىء : ربنا باعد بين أسفارنا وذلك على وجه الجبر لأنه غير أحوالهم فنالهم من المشاق في أسفارهم خلاف ما كانوا عليه وقد يقول الضعيف بعد عليّ الطريق لمزية مشقته وإن كان حال الطريق لم يتغير .

---

(١) [سبأ:١٣].
(٢) [سبأ:١٣].
(٣) [سبأ:١٧].
(٤) [سبأ:١٨].
(٥) [سبأ:١٨].
(٦) [سبأ:١٩].
(٧) [الحج:٤٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ ﴾(١) كيف يصح أن يوصف نفسه بانه يعلم بانه لم يكن له عليهم سلطان وهو عالم بنفسه ؟

وجوابنا : أنه تعالى يذكر العلم ويريد المعلوم كما ذكرنا من قبل فالمراد به أنه لا يقع من إبليس إلا الوسوسة والترغيب في المعاصي وعند ذلك يتميز من يؤمن ممن يشك ويجهل ولذلك قال بعده ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(٢) أي هو أنه عالم بهذه الأمور قبل أن تقع .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾(٣) من المراد بذلك وما معنى قوله لمن بعد ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ ﴾(٤) وما الفائدة في هذا الجواب ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك الملائكة . بيَّن تعالى أنهم لا يشفعون إلاَّ بإذنه وأنهم بخلاف الشياطين فلا يقع منهم إلا ما هو طاعة الله تعالى .

وفي الخبر عن ابن مسعود أنه تعالى : إذا أراد أن يكلم ملائكته بما لا يريد ظهوره لغيرهم يحدث في السماء صوتاً عظيماً يفزع منه سائر الملائكة فإذا انجلى يقولون للملائكة الذين كلمهم الله ماذا قال ربكم فيجيبون بقولهم قالوا الحق أي قال ربنا الحق فيعلمون أن ذلك من الباب الذي يجب أن لا يظهر فهذا معناه .

وقد قيل إن الملائكة الذين ينزلون لكتب أعمال العباد إذا نزلوا فزع من هو دونهم من ذلك وتوهموا أن ذلك لقيام القيامة فيسألون ويجابون بما تقدم فأما قوله من بعد ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾(٥) فالمراد بيان الحق وتمييزه من الضلال كما يقوله أحدنا لمن يستدعيه

---

(١) [سبا:٢١].
(٢) [سبا:٢١].
(٣) [سبا:٢٣].
(٤) [سبا:٢٣].
(٥) [سبا:٢٤].

لأنه ﷺ كان يعلم أنه على هدى وأن المشركين على ضلال وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] دليل قوي على أن العبد هو القادر عليه لأنه تعالى لو كان هو الخالق فيهم الإيمان لما صح أن يقولوا لولا أنتم لكنا مؤمنين بل الصحيح أن يقولوا لولا خلق الله تعالى الكفر فينا لكنا مؤمنين فذلك يدل على قدرتهم على الإيمان واعترافهم يوم القيامة بأن الذي صرفهم عن الإيمان دعاء هؤلاء الرؤساء وأنه لولا دعاؤهم لكانوا يختارون الإيمان .

وقوله تعالى من بعد ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾[2] يدل أيضاً على ما ذكرنا لأنهم بينوا أن الذي وقع منهم لم يكن صداً لهم عن الهدى وقد ظهر لهم وتجلى أن ما وقع منهم إنما وقع باختيارهم ولو كان تعالى يخلق فيهم لكان أقوى حجة لهم أن يقولوا أنحن صددناكم بل الله خلق فيكم ذلك وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾[3] بيان من الله تعالى بأن الأموال والأولاد لا تنفع في الآخرة وأن الذي ينفعهم إيمانهم وعملهم الصالح وبيّن من بعد بقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾[4] ما يقوى قلب المرء على الانفاق في طاعة الله فإن قيل فنحن نرى من ينفق ولا يخلف الله عليه شيئاً .

وجوابنا : أن المراد فهو يخلفه متى كان صلاحاً ولم يكن فساداً ولم يوقت ذلك بوقت وذلك يبطل السؤال .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾[5] كيف يصح ذلك وفيهم من لم يكن يعبد الملائكة بل أكثرهم ليس بهذه الصفة ؟

---

(١) [سبأ:٣١]. (٢) [سبأ:٣٢].
(٣) [سبأ:٣٧]. (٤) [سبأ:٣٩].
(٥) [سبأ:٤٠].

وجوابنا : أن الغرض إبطال عبادة الله دون بيان لمن كانوا يعبدون من مَلك أو جِنّ أو ولذلك قال تعالى بعده ﴿ فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلاَ ضَرًّا ﴾[١].

فإذا أقبل على الملائكة جلّ وعزّ ونبّه على أن من عبدهم فقد عبد من لا يملك له ضراً ولا نفعاً فقد نبَّه بذلك على أن عبادة الجن والصنم بهذا التوبيخ أولى وقوله تعالى من بعد ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾[٢] فيما يدل على الضلال من قِبَل العبد ولا يضاف إليه من حيث زجر الله تعالى عن فعله والاهتداء والإيمان وإن كان من فعله فإنه يضاف إلى الله تعالى من حيث أمر به ورغب في فعله ولطف فيه وأعان وذلك صريح قولنا فيما يضاف إلى الله تعالى وما لا يضاف .

---

(١) [سبا:٤٢].

(٢) [سبا:٥٠].

سورة فاطر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾(١) وذلك متناقض .

وجوابنا : أنه لا يمتنع أن يكون بعضهم رُسُلاً إلى بعض ويكون ذلك توكيداً في ألطافهم فأما قوله تعالى ﴿ أُوْلِي أَجْنِحَةٍ ﴾(٢) فالمراد أنهم بهذا الوصف فبعضهم له مثنى وبعضهم له رباع . ويُحتمل أن يكون الملك متمكناً من أجنحة هي ثلاث ومن أجنحة هي مثنى ومن أجنحة هي رُباع لأن الجناح لا حياة فيه وهو آلة الطيران فقد يجوز فيه الزيادة والنقصان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾(٣) أليس ذلك يدل على أن كل محدث مخلوق فالله خالقه لا خالق سواه وذلك بخلاف قولكم لأنكم تقولون أنه من فعل الشيء مقدراً فهو خالقه وتستدلون بقوله ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٤) .

وجوابنا : أنه تعالى إنما نفى خالقاً سواه ورازقاً لنا لأنه قال : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾(٥) ولا خالق بهذه الصفة إلا هو وقد بيّنّا من قبل أن إطلاق هذه اللفظة لا يصح إلا في الله تعالى فلا وجه لاعادته .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً ﴾(٦) كيف يصح أن يرى القبيح حسناً ؟

---

(١) [فاطر:١].
(٢) [فاطر:١].
(٣) [فاطر:٣].
(٤) [المؤمنون:١٤].
(٥) [فاطر:٣].
(٦) [فاطر:٨].

وجوابنا : أن الداعي له الى القبيح زينة في عينه اعتقده بهذه الصفة وهذه طريقة اتباع من يضل ويفسد وبيّن تعالى بعده أنه الذي يضل عن الثواب فقال ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾(١).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾(٢) كيف يصح ومن ليس بعالم قد يخشى عقاب الله ؟

وجوابنا : أن المراد الخشية الصحيحة فإنها لا تقع إلا مِنَ عَالِمٍ بالله تعالى على حقه ومن عالم بثوابه وعقابه ومن عالم بما تؤدي هذه الخشية من العبادات وبما معه يثبت ما يخشاه فهذا معنى الكلام ثم إنه تعالى رغّب في طاعته نهاية الترغيب بأفصح قول فقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** ﴾(٤) كيف يصح في الأنبياء أن يكون بعضهم ظالمين وبعضهم مقتصدين وبعضهم سابقين بالخيرات والواجب أن يكون جميعهم من السابقين ؟

وجوابنا : أن المراد أنه تعالى أورث الكتاب الأنبياء الذين بعثهم من جملة عباده والأقسام المذكورة لم ترجع إليهم بل ترجع إلى عبادنا فكأنه قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من جملة عبادنا، وعبادنا منهم ظالم لنفسه وهم الذين يعصون ربهم بكفر أو فسق، ومنهم مقتصد وهو المؤمن التائب الذي لم يرتفع منزلته في باب الثواب، ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين علت من منزلتهم . فهذا معنى الكلام وفيه وجوه من الأقاويل لكن الذي ذكرنا أَبْيَنَ وهذه طريقتنا في اقتصار الأجوبة رغبة منا في أن لا يطول وقوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾(٥) وقوله تعالى لهم ﴿ **أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾(٦) من أقوى ما يدل على أنهم كانوا يقتدون على الإيمان وأنهم قصدوا أن لا يختاروا ذلك .

(١) [فاطر:٨]. (٢) [فاطر:٢٨].
(٣) [فاطر:٢٩-٣٠]. (٤) [فاطر:٣٢].
(٥) [فاطر:٣٧]. (٦) [فاطر:٣٧].

سورة يس

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾[١] كيف يصح إثبات مكلفين لم ينذروا ؟

وجوابنا : أن ذلك يصح إذا كان المعلوم من حالهم أنهم يَعْصُون في كل شيءٍ على كل حال فجاز أن يقتصر بهم على التكليف دون الإنذار الواقع من الأنبياء وعلى هذا الوجه تأخر القرآن في الزمن فإن قيل فإن كان كذلك فَلِمَ ذمَّهم تعالى بقوله ﴿ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾[٢]؟

فجوابنا : لأنهم عصَوْا من حيث لم ينفع فيهم الإنذار ولذلك قال تعالى ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] ثم ذمهم بأن شبّه حالهم بالمغلول وبمن سدت عليه الطريق وقد مضى الكلام في أن مثل ذلك يقع منه تعالى على طريقة التشبيه والتمثيل لحالهم بحال من هذا وصفه .

وقد قيل إن المراد لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم على هذا الحد من الشرع والأول أقرب إلى الظاهر وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾[٤] ربما تعلقوا به في أنه تعالى لم يهد إلا من كان قد اهتدى وقد تقدم القول في تأويل مثل ذلك في قوله ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٥] في سورة البقرة وبيّنا أن من لم يقبل شبه بمن يتعذر عليه القبول لما تعلمه من حال الرسول وأنه أنذر الكفار كما أنذر المؤمنين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾[٦] ما الفائدة في إرسالها إذا كان لابد من ثالث ؟

---

(١) [يس:٦].
(٢) [يس:٦].
(٣) [يس:٧].
(٤) [يس:١١].
(٥) [البقرة:٢].
(٦) [يس:١٤].

وجوابنا : أن المصلحة ربما تكون في الاقتصار على اثنين في الإرسال في وقت ثم فيما بعده تكون المصلحة في ضم ثالث إليهما لأن المصالح تختلف بالأوقات ومتى قيل كيف يصح بعثه الرسل في حالة واحدة والشرع واحد وما الفضل بين الجماعة في ذلك وبين الواحد ؟

وجوابنا : أنه إذا قُدِّر إرسال بعض دون بعض فلاختلاف المصالح في الأوقات وإذا جمع بينهم في الإرسال فلأن المصلحة في جماعتهم ولا بد في المعجز من أن يظهر على كل واحد أو على جماعتهم وقوله من بعد ﴿ **وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾[١] يدل على أنه لا نبي إلا وقد بلّغ ما جاء به قبل أم رد وقوله عز وجل ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** ﴾[٢] المراد به من جاء من أقصى المدينة يسعى وظاهر ذلك يقتضى أن دخوله الجنة واقع وأنها ليست جنة الخلد ولا يمتنع في بعض من يحبه الله تعالى أن يدخله بعض جنان السماء كما ذكرناه في الأنبياء والشهداء فلا يصح أن يجعل حجة في أن جنة الخلد مخلوقة ويدل ذلك على سرور المرء بوقوف قومه على عظم منزلته واجتماعه معهم لا يكاد يعدله غيره من السرور .

وربما قيل في قوله تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾[٣] أليس يدل ذلك على أنه تعالى جعل ما عملته أيديهم كما جعل الجنات وذلك يدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ **وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ** ﴾[٤] يرجع إلى قومه ﴿ **لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ** ﴾[٥] فكأنه قال ليأكلوا من ثمره وليأكلوا ما عملته أيديهم بالمكاسب وغيرها فبين أنه جل وعز خلق لهم النعيم ومكنهم أيضاً من اكتساب النعيم فيبطل ما قالوه وقوله تعالى من بعد ﴿ **وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾[٦] أحد ما يدل على وجوب النظر في الآيات وفساد التقليد .

---

(١) [يس:١٧].
(٢) [يس:٢٦].
(٣) [يس:٣٤-٣٥].
(٤) [يس:٣٥].
(٥) [يس:٣٥].
(٦) [يس:٤٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾(١) ما معنى ذلك وهل يصح وقوعه من عاقل ؟

وجوابنا : أن الجاحد لربه والمنكر للقول بأن هذه النعم من جهة فاعل حكيم قد يجوز أن يقول لمن يعتقد ربه وأن النعم من قبله هذا القول لظنه أنه كالشبهة فيما ذهب إليه القول إذا كان الإطعام والإرزاق من قبله تعالى فما الفائدة في أن يحوج العبد إلى غيره وهلا كفاه بنفسه فعلى هذا الوجه يقع مثل هذا الكلام من العاقل ولو علموا أن الإحسان من الله على العبيد لا بد أن يكون بحسب المصالح وأنه قد يجعل حاجته إلى غيره ويحمله الكلفة في ذلك لكي ينتفع فكون له مصلحة في الطاعة التي يلتمس بها الثواب وإزالة العقاب لعلموا أن ذلك هو الحكمة والصواب وقوله تعالى ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾(٢) أحد البواعث على المبادرة إلى الطاعات والى الثواب من حيث لا يأمن المرء الاحترام في كل وقت ولذلك قال تعالى ﴿ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى من بعد ﴿ فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤) يدل على ان العبد يفعل ويستحق على فعله الثواب أو العقاب وأنه لا يجوز أن يؤاخذ بعمل غيره وأنه لا يجوز منه تعالى أن يعذب الأطفال بذنوب الآباء .

وقوله تعالى من بعد ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾(٥) المراد به القبول من الشيطان على ما تأولنا عليه قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(٦) قال ﷺ لما أحلوا وحرموا بقولهم وصفهم بذلك وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً ﴾(٧) يدل على أن الإضلال في

---

(١) [يس:٤٧].
(٢) [يس:٤٩-٥٠].
(٣) [يس:٥٠].
(٤) [يس:٥٤].
(٥) [يس:٦٠].
(٦) [التوبة:٣١].
(٧) [يس:٦٢].

الدين لا يكون من قبله تعالى كما يقوله القوم وإلا كانت الإضافة إلى الشيطان لا وجه لها وقوله من بعد ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١) أحد ما إذا تصوره المرء يكون زاجراً له عن المعاصي لئلا تشهد عليه جوارحه بها يوم القيامة فتكون الفضيحة الكبرى .

وقد بينا من قبل ان هذا الكلام يفعله تعالى فيصير بصورة أن يكون الكلام كلام اليد والرجل وأن هذا أقرب من قول من يقول هو كلامهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ ﴾(٢) كيف يصح ذلك والمعلوم من حال كثير ممن يعمر أنه لا ينكس في الخلق ؟

وجوابنا : أنه لا بد من تقدير شرط في الكلام فإن التعمير هو تطويل العمر وإطالة العمر قد تختلف فذا بلغ حداً مخصوصاً فلا بد من أن ينكسه في الخلق فتغير أحواله فيجب أن يكون هذا هو المراد .

[مسألة] وربما تعلقوا بقوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾(٣) كيف يصح ذلك هو ﷺ أفصح العرب ؟

وجوابنا : أن المراد أن ما علمناه إنشاء الشعر فيكون حاله كحال من اتسع في معرفة اللغة فما هو منهم ولا يجوز حمله على أنه لم يكن يعرف أوزان الشعر أو لم يكن يحفظ الشعر فإنه كان يحفظه ولا ينطق به فإذا صار ذلك عادة له معروفة أبعد من التهمة فيما جعله الله معجزة له ولذلك قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾(٤)

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً ﴾(٥) أليس ذلك يدل على أن لله تعالى يدين ؟

---

(١) [يس:٦٥].
(٢) [يس:٦٨].
(٣) [يس:٦٩].
(٤) [يس:٦٩].
(٥) [يس:٧٠].

وجوابنا : إن دل فيجب أن يدل على أيدي ولا يقول بذلك أحد وإذا وجب أن يتأول ذلك فكذلك سائر الآيات وذكر تعالى الأيدي على طريق توكيد إضافة العمل إليه كما قال تعالى ﴿ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[1] وكما يقال في كلام وقع من المرء هذا ما عملت يداك وإنما تذكر اليد من حيث أنها أقوى آلات الأفعال وختم ـ جل وعز ـ السورة بالرد على من أنكر الإعادة والذي أورده من أقوى ما يورد في ذلك وهو أنه إذا ابتدأ الحي وصح منه ذلك وهو عالم لذاته صح أن يعيده إذا أفناه لان حال المعاد في صحة وجوده لا تغير حال القديم تعالى في صحة إيجاد ما يقدر عليه .

(١) [النمل:٦٣].

سورة الصافات

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ ﴾[١] كيف يصح ذلك والكواكب لا اتصال لها بسماء الدنيا لأنها جارية في أفلاكها ؟

وجوابنا : أنها في المنظر كذلك فصحّ أن يصفها تعالى بهذا الوصف وكل ما علا يوصف بأنه سماء .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[٢] وأنه قد قريء بالضم وذلك يوجب جواز التعجب على الله تعالى .

وجوابنا : أن المراد قل يا محمد بل عجبتَ ويسخرون فيكون فيه هذا الحذف ويحتمل أن يكون المراد استكثاره تعالى لذلك الأمر فأجرى هذا اللفظ عليه مجازاً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾[٣] كيف يصح ذلك على الأنبياء وعندكم أن أحكام النجوم باطلة ؟

وجوابنا : أنه ليس في الظاهر أنه أراد أحكام النجوم فيحتمل أنه نظر في نفس النجوم ويحتمل أنه أراه نجوماً كان تعالى قد جعلها علامة له فيما يريد معرفته أو كانت علامة لهم فيما كانوا ينظرون فيه .

[مسألة] وربما قيل في قوله جل وعز ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[٤] كيف يصح على الأنبياء الكذب ؟

---

(١) [الصافات:٦].
(٢) [الصافات:١٢].
(٣) [الصافات:٨٨].
(٤) [الصافات:٨٩].

وجوابنا : أنه يجوز في حال ما قال هذا القول أنه أصابه ببعض العلل . فقال ذلك ويحتمل أنه يريد سأسقم كقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾[(١)] أي ستموت وكقـوله ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾[(٢)].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد ؟

وجوابنا : أن المراد والله خلقكم وما تعملون من الأصنام فالأصنام من خلق الله وإنما عملهم نحتها وتسويتها ولم يكن الكلام في ذلك فإنه ﷺ أنكر عبادتهم فقال أتعبدون ما تنحتون وذلك الذي تنحتون، الله خلقه ولا يصح لما أورده عليهم معنى إلا على هذا الوجه وذلك في اللغة ظاهر لأنه يقال في النّجَّار عَمِلَ السرير وإن كان عمله قد تقضى وعمل الباب ونظير ذلك قوله تعالى في عصا موسى ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[(٤)] المراد ما وقع أفكهم فيه فعلى هذا الوجه نتأول هذه الآية ومعنى قوله من بعد ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[(٥)].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾[(٦)] وقوله من بعد ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[(٧)] وقوله من بعد ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[(٨)] سؤالات منها ما رآه في المنام كيف يلزمه والأنبياء إنما تعمل على الوحي .

ومنها : أنه كان يجعل ذلك كالأمر وكيف يصح أن يأمره بذبحه ثم يزول ذلك وهل هذا إلا كالبداء .

ومنها : أنه كان الفداء بذبح فكيف يصح من غير جنس ما جعل فدية له ؟

---

(١) [الزمر:٣٠].
(٢) [يوسف:٣٦].
(٣) [الصافات:٩٥-٩٦].
(٤) [الأعراف:١١٧].
(٥) [الصافات:٩٩-١٠٠].
(٦) [الصافات:١٠٢].
(٧) [الصافات:١٠٣-١٠٥].
(٨) [الصافات:١٠٧].

وجوابنا : أن رؤيا إبراهيم في المنام يجب أن تكون قد تقررت بما يعلم به أن ذلك بالوحي ولولاه لما قال ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾[(١)] ولما أخذ في ذبحه فإنه إن يفعل فقد مات الذبيح مع شدة إشفاقه على ولده ولذلك قال ولده ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[(٢)] فلولا علمهما أن هذا أمر من الله لم يصح فأما هذا عندنا فهو أمر بمقدمات الذبح وعظم ذلك عليه لظنه أنه سيؤمر باتمام الذبح لأن العادة جارية بأن الإضجاع وأخذ الآلة لا غرض فيه إلا الذبح فعلى هذا الوجه فعل ما أمر وما ظنه لم يؤمر به فلا يؤدي إلى البداء .

وقد قيل : إنه فعل الذبح لكنه عز وجل كان صرفه عن موضع الذبح وكان تعالى يلهمه فعل ما يفعله الذابح وبقي الذبيح حياً لما فعله الله تعالى وقيل غير ذلك فأما الذبح الذي أمره الله بأن يفدي به فذلك صحيح وإن لم يؤمر بالذبح ويكون فداء عما لو أمر به لفعله ولا يجب في الفداء أن يكون من جنس ما يجعل فداء منه ولذلك يصح في الشاة أن يكون ذبحها فداء عن حلق الشعر في المحرم إلى غير ذلك وقوله عز وجل من بعده ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِياً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[(٣)] بعد ذكر الأمر بالذبح يدل على أن الذبيح هو إسماعيل على ما روي عنه ﷺ أنه قال : «أنا ابن الذبيحين» .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً ﴾[(٤)] كيف يصح ذلك ولا أحد يجعل بين الله وبين الجنة نسباً ؟

وجوابنا : أنه يحتمل ان يريد الملاكة وقد تقدم ذكرهم لأنهم لا يرون كالجن وقد كانوا يقولون في الملائكة إنها بنات الله . تعالى الله عن ذلك ويحتمل أنهم عبدوا الجن كما عبدوا الله بأن اطاعوهم ويبين ذلك قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[(٥)] أي في العقاب .

---

(١) [الصافات:١٠٢].
(٢) [الصافات:١٠٢].
(٣) [الصافات:١١٢].
(٤) [الصافات:١٥٨].
(٥) [الصافات:١٥٨].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾(١) كيف يصح ذلك ومنهم من غلب وقتل ؟

وجوابنا : أن النصرة ربما تعتبر فيها العاقبة فمن عاقبته محمودة فهو منصور على من غلبه وعاقبته ذميمة فالنصرة أبداً تكون للمطيعين خصوصاً ولهم نصرة بالحجة والأدلة وغيرهما .

[مسألة] وربما قيل تقدم من قصة يونس ﷺ ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾(٢) كيف يصح ذلك وظاهرة الشك في هذا العدد وفي الزيادة ؟

وجوابنا : أن المراد به ويزيدون أو بل يزيدون على ما روى عن المفسرين وقد يجوز أن يزيد في منظر عيون من يشاهدهم من دونه ما الله تعالى عددهم مفصلاً .

---

(١) [الصافات: ١٧١-١٧٢].

(٢) [الصافات: ١٤٧].

سورة ص

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾[١] إن في هذه الآيات مطاعن .

منها تسورهم عليه وهم خصمان كيف يصح ومنها أنه جمع بقوله : تسوروا وثنّى بقوله : خصمان وبقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي ﴾[٢] وبقوله ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾[٣].

ومنها : أن في الخبر أن ذلك ورد في قصة أوريا ورغبة داود في امرأة أوريا وأنه عليه السلام عرضه للقتل رغبة فيها إلى غير ذلك مما يذكره الجهَّال .

وجوابنا : أن الصحيح إن كانت تلك المرأة التي رغب فيها قد صارت أيِّماً بلا زوج فخطبها وكان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت إليه ولم يفتش عن ذلك فصار ذلك ذنباً صغيراً وعلى هذا الوجه نهى ﷺ أن يخطب المرء على خطبة أخيه ويدل على ذلك قوله ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[٤] فنبه بذلك على ما ذكرناه والذي يرويه من لا معرفة له بأحوال الأنبياء صلى الله عليهم وسلم لا معتبر به .

فالله تعالى لا يبعث إلا من هو مُنزَّهٌ عن هذه المعاصي حتى أنهم لا يقدمون لا على كبيرة ولا على صغيرة يعرفونها قبيحةً وإنما عاتبه الله تعالى ونبهه من حيث صار غافلاً عن خطبة متقدمة كان يمكنه أن يفتش عنها فلا يقدم على الخطبة بعد تلك الخطبة .

فأما التَّسوّر فإنه غير قبيح من الملائكة في زمن الأنبياء ليكون ما يؤدونه أقرب إلى التحريك والتنبيه وأما التثنية والجمع فيجوز في اللغة في هذا المكان فإن قوله :

---

(١) [ص:٢١-٢٢].
(٢) [ص:٢٣].
(٣) [ص:٢٤].
(٤) [ص:٢٣].

خصمان يدل على اثنين وقد يذكر ذلك ويراد أكثر بأن يكون مع المتداعيين غيرهما وإنما وُصفا بذلك من حيث تصورا بصورة الخصمين كيما ينبها داود عليه السلام .

فان قيل كيف قال ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾(١) ولم يعلم صحة ما ادَّعَى .

وجوابنا : أنه لا بد من أن يكون في الكلام حذف فكأنه قال إن كنت صادقاً فقد ظلمك وإلا فالمعلوم أنه لا ظالم هناك وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾(٢) يدل على أن ذنب داود ليس إلا ما قلناه من أنه رغب في ضم هذه المخطوبة إلى نسائه على الوجه الذي ذكرناه وقوله تعالى ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾(٣) من بعد يدل على أن الذي فعله كان في تلك الشريعة محرماً ولولا ذلك لجوزناه حلالاً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾(٤) أن ذلك على أن تصرفه من خلق الله .

وجوابنا : أنه إنما يدل على فوض إليه هذه الأمور فأما ما يأتيه من تصرفه فهو فعله ولذلك صار مؤاخذاً بذلك الصغير الذي فعله على غفلة ولذلك صح قوله ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى ﴾(٥) لأنه إن كان ما يحكم به من خلق الله فكيف يضاف ذلك إلى الهوى وكيف يقول تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(٦) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾(٧) كيف يصح أن يعزل عن النبوة ويصير على كرسيه بعض الشياطين على ما يُروى في ذلك ؟

---

(١) [ص:٢٤].
(٢) [ص:٢٤].
(٣) [ص:٢٥].
(٤) [ص:٢٦].
(٥) [ص:٢٦].
(٦) [ص:٢٦].
(٧) [ص:٣٤].

وجوابنا : إن الذي يُروى في ذلك كذب عظيم والصحيح ما روُى من أنه تفكر في كثرة نسائه ومماليكه فقال وقد آتاه الله من القوة إني لأطأهن في ليلة واحدة فيحملن ويحصل لي من الأولاد العدد الكثير ففعل ولم تحبل إلا واحدة وألقت جسداً غير كامل الخلقة فحمِل ذلك الجسد إلى كرسيه فنبهه عنده[1] على أن الذي فعله من التمني كالذنب وأنه قد كان من حقه أن ينقطع إلى الله تعالى فيما يرزق من الأولاد قَلَّ أو كَثُرَ فأناب عند ذلك وتاب مما كان منه فأما أن يعزل ويؤخذ خاتم ملكه ويصير إلى بعض الشياطين ويطأ ذلك الشيطان نساءه فذلك مما لا يجوز على الأنبياء وقد رفع الله قدرهم عن ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَد مِّنْ بَعْدِي ﴾[2] كيف يصح من الأنبياء أن يَسْأَلُوا ذلك مع دلالته على الرغبة في الدنيا وعلى ما يجري مجرى المنافسة والحسد ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع وهو نبي أن يرغب إلى الله عز وجل فيما يظهر به فضله وكرامته عند الله وليس في ذلك ما يشبه الحسد المذموم لأنه إنما يكون حاسداً إذا أراد انتقال نعيم غيره إليه . فأما إذا أراد لنفسه أعظم المنازل من الله تعالى ابتدأ مع إرادته بقاء سائر النعم على أهلها فلا وجه ينكر في ذلك ولذلك قال تعالى ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾[3] إلى سائر ما ذكر مما يدل على أنه أجابه وأظهر فضله بهذه الأمور التي اختص بها .

ثم ذكر تعالى من بعد قصة أيوب ﷺ وانه سأل الله عز وجل كشف الضر عنه فأجابه الله إلى ذلك وزاده فالذي يرويه الجهال في قصته من كيفية البلاء إلى غير ذلك لا يصح والذي يصح أنه تعالى أنزل به الأمراض والعلل والفقر والحاجة لما علم من المصلحة ثم أزال ذلك عنه بالنعم التي أفاضها عليه على ما نطق به الكتاب فأما قوله تعالى في قصة أيوب ﷺ ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ ﴾[4] يدل على أنه يحسن الاحتيال في التخلص من الإيمان وغيرها وقد ذكر ذلك الفقهاء في كتبهم .

---

(١) قد تكون هذه الرواية غير صحيحة لأنها تخالف المعقول .
(٢) [ص:٣٥].
(٣) [ص:٣٦].
(٤) [ص:٤٤].

سورة الزمر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾[١] أليس قد نفى أنه يهدي الكافر وأنتم تقولون قد هداه كما هَدَا المؤمنَ ؟

وجوابنا : أن المراد لا يهديه إلى الثواب في الآخرة وقد تقدم ذكر ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾[٢] أليس ظاهر ذلك أنه خلق زوجها بعد أن خلقنا فكيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن ثُمَّ قد تدخل في خبر مستأنف فلا يوجب الترتيب في نفس المخبر عنه كقوله الرجل لغيره قد عجبت مما فعلت اليوم ثمَ ما صنعته أمس أعجب وقوله من بعد ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾[٣] والمراد به من كل جنس زوجين ذكراً وأنثى فهي وإن كانت أربَعَة أجناس إذا قدر فيها ما ذكرنا صارت ثمانية وقوله تعالى من بعد ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾[٤] يدل على أنه إنما يكلفنا لمنافعنا وحاجتنا ويدل على أنه تعالى لا يريد المعاصي لأن الرضا يرجع في المعنى إلى الإرادة فلو كان مُريداً للكفر كما قاله القوم لوجب إذا وقع أن يكون راضياً به لأن المريد لا يصح أن يريد من غيره أمراً فيقع ذلك الأمر على ما أراده إلا ويجب أن يكون راضياً به وقوله تعالى من قبل ﴿ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾[٥] ذكره تعالى لا على وجه أن ذلك مما يصح أن يراد لكن على وجه الإحالة بين به أن القادر على أن يخلق ما يشاء لا يجوز أن يتخذ ولداً فعلى هذا الوجه ذكر ذلك وقوله تعالى ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ** ﴾[٦] ربما سألوا فيه وقالوا كيف أنزلها ؟

---

(١) [الزمر:٣].
(٢) [الزمر:٦].
(٣) [الزمر:٦].
(٤) [الزمر:٧].
(٥) [الزمر:٤].
(٦) [الزمر:٦].

وجوابنا : أنه تعالى خلقها في السماء ثم انزلها إلى الأرض كما خلق آدم في السماء ثم أهبطه إلى الأرض .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾(١) والمعلوم أنه خلق واحد .

وجوابنا : أن المراد خلق ما تتغير به النطفة فتكون علقة إلى أن يستقر الخلق التام فهذا هو المراد وقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾(٢) يدل على أن أحداً لا يؤخذ بذنب غيره فيبطل بذلك قولهم أن الطفل يعذب بكفر ابيه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣) كيف يصح أن يكون أول المسلمين وقد تقدمه من المسلمين ما لا يحصى عدده ؟

وجوابنا : أن المراد وأمرت أن أكون أو المسلمين من قومي وذلك معقول من الكلام وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً ﴾(٤) دلالة على أن الأعمال لا يستحق بها الثواب الا على هذا الوجه وقوله ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(٥) يدل على أن النبوة لا تمنع من هذا الخوف فكيف يمنع منه أن يكون المرء من أولاد الأنبياء كما يقوله بعض العامة من الإمامية حتى يزعمون أَنَّ مَنْ وُلِدَ من فاطمة عليه السلام قد حرَّم الله تعالى النار عليه وقوله تعالى من بعد ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِه ﴾(٦) وهو على وجه الزجر والتهديد لا أنه أمر في الحقيقة وقوله تعالى من بعد ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾(٧) يدل على أن الوعيد الوارد عن الله تعالى واجب لا يجوز خلافه وإذا لم يجز أن ينقذ الرسول من النار فكيف يصح ما يقوله القوم من انه ﷺ بشفاعته يخرج الكثير من أهل النار ؟

---

(١) [الزمر:٦].
(٢) [الزمر:٧].
(٣) [الزمر:١١-١٢].
(٤) [الزمر:١١].
(٥) [الزمر:١٣].
(٦) [الزمر:١٥].
(٧) [الزمر:١٩].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾[(١)] انه يدل على أن الإسلام من قبله تعالى .

وجوابنا : أن شرح الصدر بالإسلام غير الإسلام فلا يدل على ما قالوه وإنما المراد بذلك أنه تعالى يورد عليه من الطاقة ما يدعوه إلى الثبات على الإسلام كما ذكرنا في قوله ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾[(٢)] وقوله ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ ﴾[(٣)] وهو القرآن فيدل على انه محدث من حيث أنزله ومن حيث سماه حديثاً ومن حيث وصفه بأنه متشابه وما هو قديم لا يصح ذلك فيه وقوله ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[(٤)] يدل أيضاً على حدوثه وقوله ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[(٥)] يدل أيضاً على ذلك وقوله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[(٦)] المراد من يضلل الله عن طريق الجنة إلى النار كما قدمناه من قبل وقوله ﴿ قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[(٧)] يدل على حدوثه وعلى انه حدث بعد لغة العرب ليصح أن يوصف بانه عربي وقوله ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُضِلٍّ ﴾[(٨)] لا يدل على ما قالوه لأن المراد ومن يضلل عن طريق الجنة إلى النار فما له من هاد إليها ومن يهده إلى الجنة فما له مضل على ما تقدم ذكره وقوله من بعد ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[(٩)] يدل على ما قدمناه ذكره من أن الاهتداء يضاف إلى الله تعالى دون الضلال وان كانا جميعاً من فعل العبد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾[(١٠)] إنه يدل على أنه لا مؤمن إلا ويغفر له الله تعالى وإن ارتكب الكبائر .

---

(١) [الزمر:٢٢].
(٢) [الأنعام:١٢٥].
(٣) [الزمر:٢٣].
(٤) [الزمر:٢٣].
(٥) [الزمر:٢٣].
(٦) [الزمر:٢٣].
(٧) [الزمر:٢٨].
(٨) [الزمر:٣٧].
(٩) [الزمر:٤١].
(١٠) [الزمر:٥٣].

وجوابنا : أن المراد أنه يغفر ذلك بالتوبة بدلالة قوله ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ﴾(١) والآية في الكفار وردت فلا شبهة في أنهم من أهل النار ويدل على ذلك قوله ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾(٢) وقوله من بعد ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾(٣) وقوله تعالى من بعد ﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾(٤) مما روى فيه عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : ما ورد ذلك الا فيمن كذب على الله بأن أضاف الكفر إليه وزعم أن خلقه وأراده وكذلك سائر المعاصي وقوله من بعد ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٥) يدل على أن المتقين في الآخرة لا ينالهم من أهوالها كما يظنه بعض من خالفنا في ذلك وقوله من بعد ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٦) قد تقدم معنى الإضافة وأن المراد به الأجسام التي قدرها الله تعالى إلى سائر ما يتصل بها دون أفعال العباد وإذا كان الله تعالى تمدّح بأنه خالق كل شيء فكيف يدخل فيه الكفر والكذب والفواحش مع أن خلق ذلك إلى الذم أقرب وقوله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾(٧) أحد ما يدل على قولنا لأنه تعالى لو كان خالقنا للكفر فيهم لكانت الحجة لهم بأن يقولوا وماذا ينفع مجيء الرسل إلينا مع أن الله تعالى خلق الكفر فينا وأراده وقضاه وقدره .

---

(١) [الزمر: ٥٤].
(٢) [الزمر: ٥٤].
(٣) [الزمر: ٥٩].
(٤) [الزمر: ٦٠].
(٥) [الزمر: ٦١].
(٦) [الزمر: ٦٢].
(٧) [الزمر: ٧١].

سورة غافر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(١) كيف يصح ذلك وقد يجادل فيها المؤمنون ؟

وجوابنا : أن المراد المجادلة الباطلة في آيات الله ولذلك ذمهم بذلك فهو كقوله ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(٣) كيف يصح مع عظم العرش وانه لا خلق أعظم منه أن يكونوا حاملين له ولئن جاز ذلك فما الذي يمكن في نفس الأرض أن تحمله الملائكة ؟

وجوابنا : أن العرش في السماء في أنه مكان لعبادة الملائكة كالبيت الحرام في الأرض ولذلك قال تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(٤) حواليه ولا يمتنع مع ذلك أن يكونوا حاملين له إذا كان الله تعالى قد عظم خلقتهم وقواهم على ذلك . إما في كل حال وإما في بعض الأحوال .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾(٥) أن ذلك يدل على أن السيئات ليست من فعلهم .

وجوابنا : أن هذه المسألة من الملائكة لأهل الآخرة فالمراد بذلك أن يقيهم جزاء السيئات وهو العقاب وإلا فنفس السيئات من فعلهم في دار الدنيا وليست الآخرة مما يقع تكليف فتقع هذه المسألة من الملائكة للمؤمنين ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾(٦) ولو لم يصح عذاب القبر لكانت

(١) [غافر:٤].
(٢) [غافر:٥].
(٣) [غافر:٧].
(٤) [غافر:٧].
(٥) [غافر:٩].
(٦) [غافر:١٠-١١].

الإماتة مرة واحدة وقولهم ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾(١) يدل على أن الذنوب من قبلهم ولو كانت من خلق الله تعالى فيهم لكانوا بدلاً من اعترافهم يقولون ما ذنبنا إذا خلقت فينا ولم يمكننا أن ننفك منه وقوله تعالى من بعد ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾(٢) فالمراد به ما يرفعه من درجات غيره فليس للشبهة بذلك تعلق .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(٣) كيف يصح أن يقول ذلك وقد أفنى الخلق على ما يروى في الأخبار ولا يكون فيه فائدة وإن كان يقوله تعالى وقد أعاد الخلق فما الفائدة فيه وقد عرفوا في الآخرة أن الملك لله الواحد القهار ؟

وجوابنا : أنه تعالى يقوله وقد أعاد منبهاً بذلك على أنه لا حكم في الآخرة إلا له ولا ملك إلا له وإن الآخرة مخالفة للدنيا فإنها وإن كان الملك فيها لله لكنه قد فوّض إلى الغير النظر في ذلك وما يرى من أنه تعالى بقوله ولا أحد ولا يصح بل القرآن يشهد بخلافه وهو قوله تعالى ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ﴾(٤) ثم قال تعالى ﴿ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(٥) فإنما يقول ذلك في ذلك اليوم ولذلك قال تعالى بعده ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾(٦) والمعروف للمكلفين من أهل الثواب والعقاب أن الواقع بهم هو المستحق وأنه لا ظلم هناك وأنه بخلاف أيام الدنيا التي يجري فيها الظلم وغيره وقوله تعالى ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾(٧) يدل على أن العبد هو الذي يفعل المعصية ولو كان تعالى يخلقها فيه يعذبه أبد الآبدين لكان ذلك ظلماً .

ويدل أيضاً على أن أطفال المشركين لا يعذبون لأنهم لو عذبوا ولا ذنب لهم لكان العقاب من أعظم الظلم وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٨) يدل على أنه

---

(١) [غافر: ١١].
(٢) [غافر: ١٥].
(٣) [غافر: ١٦].
(٤) [غافر: ١٥-١٦].
(٥) [غافر: ١٦].
(٦) [غافر: ١٧].
(٧) [غافر: ١٧].
(٨) [غافر: ١٧].

تعالى ليس بجسم وإلا كان يجب في محاسبة الخلق أن تطول كما يطول ذلك منا فإنما يكون سريع الحساب بأن يفعل المحاسبة في أجسام وأن يكون الكل في حال واحد وقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ ﴾(١) ثم قال تعالى من بعد ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾(٢) يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين فتزيدهم منزلة على وجه التفضل ولو كانت الشفاعة لأهل الكبائر المصرّين لم يصح هذا الظاهر وقوله تعالى من بعد ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴾(٣) يدل على أن الذي لأجله حسُن منه أن يعاقبهم أن الرسل جاءتهم بالبينات ومع ذلك اختاروا الكفر ولو كان تعالى خلق ذلك فيهم لكان مجيء مرسل إليهم وأن يجيئوا إليهم سواء .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ﴾(٤) كيف يصح أن يكون كاتماً لإيمانه مع أنه حكى عنه ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾(٥) ثم قال ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(٦) ولو كان مُظهراً لإيمانه لم يزد على ذلك .

وجوابنا : أنه يُحتمل في الأول أن يكون كاتماً لإيمانه ثم من بعد لما جربهم وسلم منهم أظهره وذلك لا يستحيل ويحتمل أن يكون معرضاً بتلك اللغة وحكى الله عنه على حسب مراده فيكون بالعربية تصريحاً وإن كان بتلك اللغة تعريضاً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ ﴾(٧) كيف يصح ذلك منهم مع علمهم بأنه لا يخفف البتة ؟

---

(١) [غافر:١٨].
(٢) [غافر:١٨].
(٣) [غافر:٢٢].
(٤) [غافر:٢٨].
(٥) [غافر:٣٠].
(٦) [غافر:٣٨].
(٧) [غافر:٤٩].

وجوابنا : أن مثل ذلك لا يقع من الممتحن على وجه الاستعانة بالغير والاسترواح إلى هذا القول وإن علم أن ذلك لا يتم . وقد قيل أن ذلك يحسن في الآخرة لقوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[(١)].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾[(٢)] كيف يصح ذلك وإنما كان هذا القتل في حال ولادة موسى لا في هذه الحال ؟

وجوابنا : أنه في تلك الحال كان يأمر بقتل الأولاد لمّا ظهر في الاخبار أنه سيكون هناك من يغلبه من الأنبياء وفي هذه الحال أمر أيضاً بهذا القتل لئلا يكثر أتباع موسى فهما حالان مختلفان .

فأما قوله تعالى من بعد ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[(٣)] وقوله تعالى ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[(٤)] يدل على أن الإيمان فعل للعبد وأنه إذا فعله طوعاً ينتفع به وإذا فعله على وجه الإلجاء لا ينتفع به ولو كان خلقا لله لم يصح ذلك .

---

(١) [المائدة:٣٧].
(٢) [غافر:٢٥].
(٣) [غافر:٨٤].
(٤) [غافر:٨٥].

سورة فصلت

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾(١) كيف يصح ذلك مع التكليف ؟

وجوابنا : أن ذلك حكاية تشددهم في الامتناع من القبول لا أنهم بهذا الوصف ولذلك ذمهم وزجرهم بقوله تعالى ﴿ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾(٢) وقوله تعالى من بعد ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٣) يدل على أن القرآن محدث من جهات وقوله تعالى ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٤) يدل على أن كفرهم لا يمنع من وجوب الصلاة والزكاة عليهم وإن كان فعلهم إنما يصح بأن يقدموا الإيمان .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٥) ثم قال ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾(٦) فتلك ستة ثم قال : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٧) فصارت ثمانية كيف يصح ذلك مع قوله تعالى في غير موضع : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(٨) وتلك مناقضة ظاهرة ؟

وجوابنا : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾(٩) المراد به مع اليومين المتقدمين فلا يكون ذلك مخالفاً للآيات الأخر . وقد يقول المرء لولده أليس علمتك القرآن في سَنَة وَفَقَّهْتُكَ في الدِّينِ في سنتين يعني مع التي تقدمت فأما قوله تعالى من بعد ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾(١٠)

---

(١) [فصلت:٥].
(٢) [فصلت:٥].
(٣) [فصلت:٣-٤].
(٤) [فصلت:٦-٧].
(٥) [فصلت:٩].
(٦) [فصلت:١٠].
(٧) [فصلت:١٢].
(٨) [الحديد:٤].
(٩) [فصلت:١٠].
(١٠) [فصلت:١١].

فالمراد به قصد خلق السماء فالاستواء في الحقيقة لا يصح على الله تعالى وقوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(١) فالمراد أنه أراد منهما الانقياد لما يريده فاستجابا وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) والمراد أن تكون .

وقد يقول القائل : أردت كذا وكذا فقالت نفسي لا تفعل وقد يقال أنت السحاب فأمطرت قال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني .

وذلك كقوله تعالى ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾(٣) وكل ذلك ظاهر في اللغة وإنما يلتبس على من يقل تأمله وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾(٤) يدل على أنه تعالى قد هداهم بأن دلهم وبين لهم وأنهم لما لم يقبلوا لم يهتدوا فالاهتداء فعلهم الهدى من قبل الله تعالى لا كما يقول من خالفنا في ذلك وزعم أن الهدى هو الإيمان وقوله تعالى ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾(٥) فالمراد به الردع عن المعاصي لأنه إذا فعلها بهذه الجوارح شهدت عليه في الآخرة .

وقد ذكرنا من قبل أن هذه الشهادة من فعل الله تعالى فيها وقوله تعالى ﴿ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٦) فالمراد به ما ذكرنا من أنه فعل فيها ما صورته صورة الشهادة وقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ﴾(٧) فالمراد به ما كنتم تظنون ذلك ولذلك قال تعالى ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٨) وقوله تعالى من بعد ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾(٩) فالمراد به التخلية فلما لم

(١) [فصلت:١١].
(٢) [النحل:٤٠].
(٣) [الكهف:٧٧].
(٤) [فصلت:١٧].
(٥) [فصلت:٢٠].
(٦) [فصلت:٢١].
(٧) [فصلت:٢٢].
(٨) [فصلت:٢٢].
(٩) [فصلت:٢٥].

يمنعهم من ذلك جاز أن ينسبه الى نفسه وذلك كقوله تعالى ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً ﴾[1] وكقول القائل لغيره : قد أرسلتَ كلبك على الناس إذا لم يطرده عن بابه وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ ﴾[2] يدل على أنه لا بد مع التوحيد من الاستقامة في الأفعال والأحوال حتى يصير المرءُ من أهل الثواب وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾[3] يدل على أن من أعظم الأعمال الدعاء ويدل على أنه إذا لم يقترن به العمل الصالح لم ينتفع به .

فان قيل فقد قال ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾[4] وأنتم تمنعونَ ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد من المنقادين للحق وذلك أوجب عندنا وقوله من بعد ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً ﴾[5] يدل على أنه تعالى فعله فجعله عربياً وكان يجوز أن تجعله أعجمياً .

---

(١) [مريم:٨٣].

(٢) [فصلت:٣٠].

(٣) [فصلت:٣٣].

(٤) [فصلت:٣٣].

(٥) [فصلت:٤٤].

سورة الشورى

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾[١] كيف يصح ذلك مع قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢] ؟

وجوابنا : أن المراد ويستغفرون لأهل الأرض الذين هم المؤمنون لا لأهل السماء لأن أهل الأرض هم المحتاجون إلى الاستغفار ويحتمل أن يكون المراد ويستغفرون لأهل الأرض لإزالة عذاب الاستئصال عنهم والأول أقوى لأن إحدى الآيتين يجب أن تنبنى على الأخرى كما يبنى المجمل على المفسر .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾[٣] وهو يوم القيامة كيف يصح أن ينذر يوم القيامة والتكليف منقطع ؟

وجوابنا : أن المراد ينذرهم ما يلقون يوم الجمع وهم يخافون فحال الانذار هو حال التكليف ولذلك قال تعالى ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[٤] فبين وجه التخويف في ذلك وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[٥] المراد أن يلجئهم إلى الإيمان لكنه لم يشأ إلا على وجه الاختيار تعريضاً للمثوبة وقوله تعالى من بعد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٦] ربما قالوا فيه إن ظاهره يتناقض لأنه يقتضى أن لمثله مثلا ولو كان كذلك لما صح النفي لأنه يقتضى الإثبات .

وجوابنا : أن ذلك وإن كان مجازاً فهو مؤكد للحقيقة على ما جرت به عادة العرب وهو أَوْ كد من قول القائل : ليس مثله شيء وقوله تعالى من بعد ﴿ شَرَعَ لَكُم

---

(١) [الشورى:٥].
(٢) [غافر:٧].
(٣) [الشورى:٧].
(٤) [الشورى:٧].
(٥) [الشورى:٨].
(٦) [الشورى:١١].

مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾(١) فالمراد به أنه شرع لكل الأنبياء أن يقيموا الدين فيما يتصل بالاعتقاد والتوحيد لأن ذلك مما لا يقع بينهم فيه خلاف فأما الشرائع المختلفة فلكل منهم دين وما هو دين أحدهم بمنزلة ما هو دين غيره لأنه دين لهم مضاف إليهم ولذلك قال بعده ﴿وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾(٢) فنبه بذلك على ما ذكرناه وقوله ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٣) المراد به ويهدي إلى رضوانه وثوابه من ينيب فلا تعلقْ للمخالفين بذلك وقوله تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾(٤) ربما سألوا فيه وقالوا كيف يؤدي علمهم إلى التفرق ؟

وجوابنا : أنه تعالى أراد بالعلم البيان وأنهم تفرقوا بعد البيان وبعد قيام الحجة ويحتمل أن يكون المراد تفرقوا بعد العلم على وجه البغي كما ذكره تعالى والمراد المبطلون دون المحقّون .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾(٥) كيف يصح أن لا يكون لهُ عليهم حجة ؟

وجوابنا : أن المراد إنا قد بالغنا في إقامة الحجة حتى لم تبق باقية فلا حجة بيننا وبينكم وهذا على وجه التوبيخ وإلا فمعلوم من دين الرسول ﷺ أنه كان لا يعذر القوم بل له الحجة العظيمة عليهم ولذلك قال بعده ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(٦) وقال تعالى بعده فيمن يُحاج في الله من المبطلين ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٧) ولا يجوز ذلك إلا وحجة المحقين ثابتة .

[مسألة] وربمـا قيـل فـي قـوله تعـالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾(٨) كيف يصح القول بأنه أنزل الميزان وهو أمر يتولى فعله الناس ؟

---

(١) [الشورى:١٣].
(٢) [الشورى:١٣].
(٣) [الشورى:١٣].
(٤) [الشورى:١٤].
(٥) [الشورى:١٥].
(٦) [الشورى:١٥].
(٧) [الشورى:١٦].
(٨) [الشورى:١٧].

وجوابنا : أن المراد أنه انزل الكتاب بالحق وأنزل التمسك بالميزان في باب المعاملات وقد قيل انه في الابتداء أنزله الله تعالى وعرفهم كيف يتعاملون وقد قيل إن المراد بالميزان العدل نفسه وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾(١) أحد ما يرغب في التوبة ويخوف من تركها وذلك لطف عظيم للمكلفين .

[مسألة] وربما قيل كيف يصح قوله ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(٢) ومعلوم أن فيمن يريد حرث الدنيا من له نصيب في الآخرة .

وجوابنا : أن المراد من كانت إرادته مقصورة على حرث الدنيا لأن من هذا سبيله لا نصيب له في الآخرة وبين تعالى أنه لا يبخل عليه بما أراده من أمر الدنيا وإن كانت هذه حاله وقوله من بعد ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾(٣) أحد ما يدل على أن من لم يتب من الظلمة سيعاقب لا محالة . ثم ذكر تعالى من بعد رحمته فقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٤) وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ﴾(٥) يدل على أنه لا يفعل إلا ما يبعث على الطاعة والعبادة فلذلك قال ﴿ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾(٦) وقوله تعالى من بعد ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٧) فالمراد به الجزاء على السيئة وذلك مجاز مشهور في اللغة ولذلك قال تعالى بعده ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(٨) والمراد بذلك من عفا عن السيئة ولم يقابل بمثلها ولا كافأ عليه ولذلك قال بعده ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾(٩) فبيّن أنه إذا انتصر وقد ظلم فلا سبيل عليه ولو كان ما فعله سيئة لما صح ذلك ولذلك قال بعده ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(١٠) وبعث تعالى

---

(١) [الشورى:١٧].
(٢) [الشورى:٢٠].
(٣) [الشورى:٢٢].
(٤) [الشورى:٢٥].
(٥) [الشورى:٢٧].
(٦) [الشورى:٢٧].
(٧) [الشورى:٤٠].
(٨) [الشورى:٤٠].
(٩) [الشورى:٤١].
(١٠) [الشورى:٤٢].

على الصبر فقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[١] وقوله تعالى ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٢] المراد من يضلله بالعقوبة وبالصرف عن الثواب فلا ولي له لأنه لا ناصر له وهذه حاله ولذلك قال بعده ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾[٣] فيتمنَّون الرجعة لكي يؤمنوا وعند ذلك بين الله عز وجل أن المؤمنين يقولون ﴿ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[٤] إذا عاينوا ما أنزل بهؤلاء الظالمين ولذلك قال بعده ﴿ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٥] وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾[٦] أحد ما يذكر في ان الرؤية على الله تعالى لا تجوز وإلا فقد كان أصح انه يكلم البشر على غير هذه الوجوه وربما قالوا في ذلك ما معنى قوله ﴿ إِلاَّ وَحْياً ﴾[٧] وهل معناه غير ما ذكر في قوله ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[٨] وما معنى ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[٩] والحجاب على الله تعالى لا يجوز . وجوابنا عن الأول أن المراد على وجه الخاطر والإلهام وقد يوصف ذلك بأنه وحي من الله .

وعن الثاني بأن الحجاب في نفس الكلام يصح وإن كان على الله تعالى لا يصح وقوله تعالى من بعد ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾[١٠] أحد ما يدل على انه من قبل النبوة لم يكن مكلفاً بشريعة إبراهيم ولا غيره ولا كان يعرف الإيمان وقوله تعالى من بعد ﴿ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[١١] المراد به من يكلفهم دون غيرهم فلا يدل على انه تعالى هدى بعض المكلفين دون بعض ولذلك قال بعده ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١٢] ومعلوم أنه هدى كل المكلفين .

---

(١) [الشورى:٤٣].
(٢) [الشورى:٤٤].
(٣) [الشورى:٤٤].
(٤) [الشورى:٤٥].
(٥) [الشورى:٤٥-٤٦].
(٦) [الشورى:٥١].
(٧) [الشورى:٥١].
(٨) [الشورى:٥١].
(٩) [الشورى:٥١].
(١٠) [الشورى:٥٢].
(١١) [الأنعام:٨٨].
(١٢) [الشورى:٥٢].

سورة الزخرف

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا ﴾[١] كيف يصح في القرآن ذلك وإنما أنزله على الرسول ﷺ ؟

وجوابنا : أن المراد أنه كتبه في اللوح المحفوظ على الوجه الذي تعرفه الملائكه ثم حصل الإنزال إلى السماء الدنيا في ليلة مباركة كما ذكره تعالى ثم حصل الإنزال حالاً بعد حالٍ بحسب الحاجة إلى الأحكام والقصص وفي كل دلك مصلحة فأما في الأول فالملائكة يعرفون به ما يدعوهم إلى طاعته ويعرفون به أنه من عالم الغيب لأنه تعالى ذكر عند إثبات القرآن في اللوح المحفوظ ما سيكون من حاله وحال الرسول ﷺ من المصالح المعروفة فلا تناقض في ذلك، وقوله تعالى من قبل ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾[٢] أحد ما يدل على حدوثه من وجوه وقد بيناها من قبل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[٣] كيف يصح ذلك وفي الأنبياء من قبلوا منه وعظموه ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك من دخل تحت قوله ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾[٤] وذلك لا يعم جميع المرسلين ولذلك قال بعده ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾[٥] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[٦] كيف يصح بعد ذكر الانعام أن يقول على ظهوره ولا يقول على ظهورها ؟

---

(١) [الزخرف:٤].
(٢) [الزخرف:٣].
(٣) [الزخرف:٧].
(٤) [الزخرف:٦].
(٥) [الزخرف:٨].
(٦) [الزخرف:١٢-١٣].

وجوابنا : أن ذلك يرجع إلى لفظة ما فقد يصح أن يفرد ما يرجع إليه كما يصح أن يجمع، وهذاكما نقوله في لفظة من أنها تارة يجمع ما يرجع إليها وتارة يوحد، وفي قوله ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾(١) دلالة على ما يلزم العبد من الشكر عند كل نعمة دقت أو جلت .

ثم قبح تعالى ما قاله بعض العرب من أن الملائكة بنات الله تعالى وبيّن أن ضربهم المثل لله تعالى بما يعدونه نقصاً من عجائب كفرهم فقال ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٢) وبين بقوله ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ ﴾(٣) أن كل قول لا علم معه بصحته يصير وبالاً وقوله من بعد ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾(٤) يدل على أنه تعالى لا يشاء عبادة غيره ولولا ذلك لما قال ﴿ مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾(٥) .

وقبح التقليد بقوله ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(٦) ثم قال ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(٧) وقال بعد ذلك ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾(٨) وهذا هو الذي يبطل التقليد ويعلم أن الواجب إتباع الهدى والدلالة وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ ﴾(٩) أحد ما يدل على أنه تعالى لا يخلق الكفر ولا يدعو إليه لأنه إن كان هو الخالق له فلا فائدة في هذا، وإنما يكون له فائدة إذا كان الكلام مع المختار للكفر فعند هذا الضرب من النعم يختار ما لَولاَها كان لا يختاره ثم بين تعالى أن كل ذلك متاع الدنيا وأن الآخرة عند الله للمتقين والاتقاء معناه أن لا يتخذوا زخرفاً في الدنيا من المعصية فيترك المعصية ويتقي النار وذلك لا يصح إلا وهم المختارون لذلك .

---

(١) [الزخرف:١٣].
(٢) [الزخرف:١٧].
(٣) [الزخرف:١٩].
(٤) [الزخرف:٢٠].
(٥) [الزخرف:٢٠].
(٦) [الزخرف:٢٢].
(٧) [الزخرف:٢٣].
(٨) [الزخرف:٢٤].
(٩) [الزخرف:٣٣].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾[1] كيف يصح أن يكون تعالى يمنع من إتباع الشيطان ويقبضه للعبد ؟

وجوابنا : أن المراد من يعشُ عن ذكر الرحمن في الدنيا نقيض له شيطاناً في الآخرة فيصير قرينه كما ذكره الله تعالى في غير موضع ولولا هذا التأويل لحملناه على معنى التخلية كما تأولنا عليه قوله تعالى ﴿ **أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً** ﴾[2] ولذلك قال بعد ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾[3] ولذلك قال بعده ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ** ﴾[4] وكل ذلك يبين صحة ما تأولنا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾[5] ما فائدة هذا الكلام وكيف ينتفعون بالاشتراك في العقاب ؟

وجوابنا : أن المراد أن كل ممتحن في دار الدنيا إذا انفرد بالمحنة تكون محنته أثقل وأعظم وأغلظ منها إذا كان له شركاء فيها فبين الله تعالى أن هذا القدر من الروح والخفة لا يحصل في الآخرة لأهل العذاب إذا اشتركوا فيه وقوله تعالى من بعد ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ** ﴾[6] أحد ما يدل على أنه تعالى يذكر مثل هذا الوصف فيمن يمتنع من الإصغاء والقبول على ما تأولناه من قبل .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ** ﴾[7] كيف يصح أن يصفوه بأنه ساحر ويسألوه أن يدعو ربه وذلك متناقض ؟

---

(١) [الزخرف:٣٦].
(٢) [مريم:٨٣].
(٣) [الزخرف:٣٨].
(٤) [الزخرف:٣٩].
(٥) [الزخرف:٣٩].
(٦) [الزخرف:٤٠].
(٧) [الزخرف:٤٩].

وجوابنا : أن المراد أنهم قالوا بحسب اعتقادهم وقالوا إن لم تكن كذلك على ما نعتقده فادع لنا ربك، وقد قيل إن هذه اللفظة تستعمل في اللغة فيمن يعتقد فيه التقدم معرفة الأمور فعلى هذا الوجه قالوا، ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[1] أغضبونا فالأسف في الحقيقة لا يجوز إلا على من يجوز عليه الحزن والغم وقد قيل إن المراد آسفوا رُسُلَنَا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[2] كيف يصح أن يجعل من الناس ملائكة ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله ﴿ مِنكُم ﴾[3] ليس ما ذكرته بل المراد أن ينزل الملائكة بحيث يرون في جملتهم فيكونون منهم، بين الله تعالى بذلك أن عيسى وإن فارق حاله ـ فى كونه لا من أب ـ حالهم فليس ذلك ببعيد عند الله تعالى، كما لا يبعد أن يجعل مع الناس ملائكة والله تعالى أنشأهم بلا ولادة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾[4] ما المراد بذلك ؟

وجوابنا : أنه قد ظهر في الأخبار نزول عيسى عليه السلام عند الساعة وأن الله تعالى جعله دلالة للساعة فلذلك قال تعالى ﴿ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾[5] لأن العلم والدلالة تمنعان من المرية وقوله تعالى من بعد ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[6] يدل على أنهم في الآخرة بخلاف ما هم في الدنيا ففي الدنيا يُحِبُّ بعضهم بَعضاً وفي الآخرة يُغَلِّظ الله قلبَ بعضهم على بعض ويكون ذلك زائداً في غمومهم، وقوله تعالى من بعد ﴿ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[7] يدل على أن المتقين لا تلحقهم أهوال الآخرة وتعلق بعضهم في أن الله تعالى يرى لجهله بقوله

---

(١) [الزخرف:٥٥].
(٢) [الزخرف:٦٠].
(٣) [الزخرف:٦٠].
(٤) [الزخرف:٦١].
(٥) [الزخرف:٦١].
(٦) [الزخرف:٦٧].
(٧) [الزخرف:٦٨].

تعالى ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾(١) وزعم أن من أعظم لذات العين رؤية الله تعالى وهذا جهل عظيم لأن الواجب أن يثبت أولاً أنه يرى ثم يقول ذلك كما لو قال قائل إنه داخل تحت قوله تعالى ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ ﴾(٢) بالمعانقة والملامسة لكان إنما يبطل بأن يقال يجب أن تثبت أولا أنه جسم يصح ذلك عليه ثم تقول هذا القول، وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾(٣) يدل على أن غير الكفار من المجرمين هذا وصفهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾(٤) كيف يصح أن يكتبوا السر وهم لا يعلمونه ؟

وجوابنا : أنه تعالى يعرف الحفظة ما يفعله العبد بأمور من قبله فتكتبه إذا كان ذلك مما لا يشاهد فهذا الوجه وجه الكلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾(٥) كيف يصح أن يكون أوّل عابد لمن له ولد ؟

وجوابنا : أن المراد فأنا أول الآنفين مِنْ عبادة مَنْ هَذا حَالهُ وقد ذكر عن الفرز دق أنه قال :

وأعبد أن يهجي كليب بدارهم . وأراد به الانفة ويحتمل أن يريد بذلك تبعيد أن يكون له وَلد لأن عبادته له تمنع من ذلك، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾(٦) يدل على أنه يجوز عليه المكان وأنه يدبر الأماكن ولو كان على العرش كما قالوا لم يصح ذلك .

---

(١) [الزخرف:٧١].
(٢) [الزخرف:٧١].
(٣) [الزخرف:٧٤].
(٤) [الزخرف:٨٠].
(٥) [الزخرف:٨١].
(٦) [الزخرف:٨٤].

سورة الدخان

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(١) كيف يصح ذلك وإنما أنزله في المدة الطويلة حالا بعد حال ؟

وجوابنا : أنه أنزله إلى السماء الدنيا في ليلةُ مباركة على ما تقدم ذكره ولذلك قال ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾(٢) لأنه تعالى أمر في تلك الليلة بأن الملائكة ينزلون القرآن حالا بعد حال بحسب الحاجة إليه والمصلحة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٣) ما المراد بذلك وكيف يرتقب ما لا يوجد في الدنيا ؟

وجوابنا : أنه يحتمل أن يريد فارتقب ذلك للكفار والعصاة على وجه الردع لهم ويحتمل أن يكون هذا الدخان أحد المعجزات كما رُوي عن ابن مسعود في انشقاق القمر، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾(٤) المراد به امتحانهم وكلفناهم وليس المراد أنا خلقنا الكفر فيهم كما يزعمه بعضهم ولذلك قال تعالى ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾(٥).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾(٦) كيف يصح أن يخوف تعالى بشجرة الزقوم وهي لا تعرف ؟

---

(١) [الدخان:٣].
(٢) [الدخان:٤].
(٣) [الدخان:١٠].
(٤) [الدخان:١٧].
(٥) [الدخان:١٧].
(٦) [الدخان:٤٣-٤٤].

وجوابنا : أنه إذا وصف حالها صح التخويف بها ولذلك قال تعالى ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾(١) وقوله تعالى من بعد ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾(٢) المراد به ذق العذاب إنك أنت الموصوف بذلك في الدنيا، ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾(٣).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾(٤) كيف يصح استثناء الموتة الأولى من حالهم في الجنة ؟

وجوابنا : أن المراد توكيد نفي الموت عنهم بذكر ما عرفوه من الموتة الأولى فالمراد سوى الموتة الأولى التي عرفوها .

(١) [الدخان:٤٥-٤٦].

(٢) [الدخان:٤٩].

(٣) [الدخان:٥٠].

(٤) [الدخان:٥٦].

سورة الجاثية

[مسألة] إن الله جل وعز جمع بقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[١] بين كل الأدلة على الله تعالى لأنها إما بالنظر في الاجسام فيعلم أنها محدثة من حيث لا تنفك عن المحدثات ويعلم أن فاعلها مخالف لها، وإما بالنظر في أنفسنا بتجدد أحوالها على من برأها، وإما بالنظر في سائر الدواب والحيوان فيعلم بتغير أحوالها المدبر لها، ولا دليل على الله تعالى إلا وقد دخل تحت ما ذكرناه، ولكنه تعالى أراد ذلك أيضاً بذكر اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق وتصريف الرياح ثم قال في آخره ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢] فبيَّن أن العدول عنها الى سائر الأحاديث ترك لما يجب من النظر ثم قال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[٣] وتوعد على ترك هذه الطريقة فقال تعالى ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٤] وكل ذلك بعث من الله تعالى على النظر والتذكر في هذه الأدلة وفي هذه النعم ليقوم بشكرها ثم قال من بعد محققاً لما ذكرنا ﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[٥] فأشار إلى ما تقدم من الأدلة، وبيَّن أنها هدى ولولا أنها هدى للكافرين لما توعدهم بالعذاب إذا عدلوا عنها ثم أتبعه بقوله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾[٦] نبَّه بذلك على أن الغفران يكون من قبلهم إذا تمسكوا من

---

(١) [الجاثية:٣-٤].
(٢) [الجاثية:٦].
(٣) [الجاثية:٧].
(٤) [الجاثية:٨].
(٥) [الجاثية:١١].
(٦) [الجاثية:١٤].

طاعة الله بما يوجب الغفران ثم قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(١) فنبه بذلك على أن أمر الآخر موقوف على هذين فمن عمل صالحاً فله الجنة ومن أساء فهو من أهل النار .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٢) كيف يصح أن ينهاه عما تمنع النبوّة منه ؟

وجوابنا : أن النبوة لا تمنع من القدرة على ذلك والتمكن منه وإنما لا يختاره فالنهي عن ذلك يصح ويكون أحد ما يدعو النبي إلى ترك ذلك، وقوله تعالى من بعد ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً ﴾(٣) يدل على أن الوعيد لا حِقٌ بهم وأنهم من أهل العذاب لأنهم لو صاروا من أهل الجنة لكان تعالى قد سوى بينهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾(٤) كيف يصح اتخاذ الهوى إلهاً ؟

وجوابنا : أنه يطيع الهوى ويعدل عن طريق العقل وذلك تشبيه يحسن في اللغة، ومعنى قوله تعالى ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾(٥) أنه أضله عن الثواب إلى العقاب ومعنى قوله تعالى ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾(٦) ما قدمناه من العلامة التي يفعلها الله تعالى وقد تقدم القول في ذلك، وقوله من بعد ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٧) من أقوى الصوارف عن المعاصي فإنها إذا تفرقت على الأوقات ثم جمعت في الصحيفة عظمت على من عرضت عليه، وقوله تعالى من بعد ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٨) يدل على أن الإعراض عن الآيات من أعظم الذنوب وكذلك الاغترار بالدنيا.

(١) [الجاثية:١٥].
(٢) [الجاثية:١٨].
(٣) [الجاثية:٢١].
(٤) [الجاثية:٢٣].
(٥) [الجاثية:٢٣].
(٦) [الجاثية:٢٣].
(٧) [الجاثية:٢٩].
(٨) [الجاثية:٣٥].

سورة الأحقاف

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾(١) كيف يصح أن يقول ﷺ ذلك وهو كلام شاك في أمره وأمرهم؟

وجوابنا : أن المراه ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم فيما يوحى إليّ، فبيّن أن الوحي يأتي في المستقبل بما لا يعلمه في الوقت، وقال تعالى بعده ﴿ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) فبيَّن أنه بعد نزول الوحي ينذر ويحذر، وقوله تعالى من بعد ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾(٣) يعني القرآن يدل على حدوثه لأن ما تقدمه غيره لا يكون إلا محدثاً وكذلك قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِياً ﴾(٤) يدل على ذلك وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٥) يدل على أن من هذا حاله لا تؤثر فيه أهوال الآخرة، وقوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾(٦) يعني من جزاء ما عملوا لأنهم يتفاضلون في ذلك وكذلك قوله ﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٧) أي جزاء أعمالهم، وقوله في الكفار ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾(٨) يدل على أنهم استحقوا العذاب لاستكبارهم وفسقهم على ما نقوله في ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾(٩) أليس ذلك يدل على أنه خلق حضورهم ؟

---

(١) [الأحقاف:٩].
(٢) [الأحقاف:٩].
(٣) [الأحقاف:١٢].
(٤) [الأحقاف:١٢].
(٥) [الأحقاف:١٣].
(٦) [الأحقاف:١٩].
(٧) [الأحقاف:١٩].
(٨) [الأحقاف:٢٠].
(٩) [الأحقاف:٢٩].

وجوابنا : أن قول القائل صرفت إلى فلانا فلان يريد أنه فعل ما عنده حضر من الأسباب وليس المراد أنه فعل نفس حضوره، ولذلك قال تعالى ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾[(١)] فأضاف الحضور إليهم .

وفي الآية دلالة على أن في الجن من آمن بالرسول وعلى أنهم مكلفون وفيهم مؤمنٌ وكافرٌ وعلى أنهم من أمة محمد ﷺ وأنه ﷺ دعاهم كما دعا الإنس، فلذلك قالوا في وصف القرآن ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[(٢)] .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[(٣)] أن ذلك يدل على أن في الرسل من هو أولي العزم وفيهم من ليس كذلك وأنتم تنكرون هذا القول ؟

وجوابنا : أن مثل ذلك قد يذكر ويُراد به الكل فالمراد بقوله ﴿ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[(٤)] تمييز أولي العزم من غيرهم دون التبعيض فلا يدل على ما ذكروه .

---

(١) [الأحقاف:٢٩].
(٢) [الأحقاف:٣٠-٣١].
(٣) [الأحقاف:٣٥].
(٤) [الأحقاف:٣٥].

سورة محمد

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١) ومعلوم أنهم في بعض حروبهم نصروا الله بأن جاهدوا ومع ذلك فلم ينصرهم ولم يثبّت أقدامهم ؟

وجوابنا : أنه لم يُرد بقوله إن تنصروا الله بالاستقامة على الطاعة ينصركم في الدنيا إذ يُحتمل أنه يُريد أن يَنْصركم في الآخرة ويثبت أقدامكم على الثواب لان ذلك نصرة لهم فيجري مجرى قوله ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٢) فكأنه قال إن تنصروا الله يجازيكم على النصرة، ويحتمل أنه يريد أن الغلبة لكم على كل حال وإن غلبتم في الظاهر لأن المغلوب إذا كان مستحقاً للثواب فهو المنصور، والغالب إذا كان من أهل العقاب فهو مخذول غير منصور، فان قيل فقد قال تعالى بعده ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنهُمْ ﴾(٣) وكيف يصح ذلك مع الوعد لهم بالنصرة ؟

وجوابنا : أن المراد لانتصر منهم بالإهلاك لكنه تعالى يمهلهم .

وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾(٤) كيف يجوز أن ينفى كونه مولى الكافرين وهو مولاهم وخالقهم ورازِقُهم ؟

وجوابنا : أن المراد بأنه مولى المؤمنين أنه المتولي لحفظهم ونصرتهم في باب الدين وذلك منفي عن الكافرين .

[مسألة] وربما قيل إن قوله ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ ﴾(٥) الى قوله ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾(٦) كيف يصح اتصال هذا الكلام بما تقدمه وإنما يحسن ذلك إذا قِيل أفمن هو في الجنة كمن هو في النار ؟

---

(١) [محمد:١٧].
(٢) [الشورى:٤٠].
(٣) [محمد:٤].
(٤) [محمد:١١].
(٥) [محمد:١٥].
(٦) [محمد:١٥].

وجوابنا : أن معناه أفمن كان في الجنة التي مثلها هذا المثل ووصفها هذا الوصف كمن هو في النار، وفي الكلام حذف لما فيه الدلالة على ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١) كيف يصح أن يقول ذلك لنبيه ﷺ وعِلمه به متقدم مستقر ؟

وجوابنا : أن المراد الثبات على هذا العلم فى المستقبل، فإن قيل فكيف قال ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾(٢) وهو مغور له . وجوابنا : أن يجتهد في التوبة من ذنبه لعظم منزلته لأن حال الأنبياء فيما يقدمون عليه أعظم من حال غيرهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾(٣) كيف يصح أن يُملي لهم والإملاء هو الإبقاء ولا يصح أن يكون إبقاؤهم من قبله بل هو من قبله تعالى ؟

وجوابنا : أن ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾(٤) المراد به زين لهم المعاصي والمراد بقوله ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾(٥) أنه غرّهم بأن بسط لهم في الآمال وغلب في قلبهم أنهم يبقون فيتلافون، وفي السورة أدلة على مذهبنا منها قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾(٦) فان ذلك يدل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب لأنه بعد القتل لا يصح سواه، وهو معنى قوله ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾(٧) أي طيبها لهم، وقوله ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٨) يدل على أن الضلال قد يكون الإهلاك ولذلك قال ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٩) ومنها قوله ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾(١٠) فانه يدل على أن الألطاف والأدلة والخواطر التي

---

(١) [محمد:١٩].
(٢) [محمد:١٩].
(٣) [محمد:٢٥].
(٤) [محمد:٢٥].
(٥) [محمد:٢٥].
(٦) [محمد:٤-٥].
(٧) [محمد:٦].
(٨) [محمد:٤].
(٩) [محمد:٨].
(١٠) [محمد:١٧].

ترد على المؤمن توصف بأنها هدى وأن للمؤمنين من الحظ في ذلك ما ليس لغيرهم ومنها قوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾(١) فإنه يدل على وجوب النظر وعلى أن التدبر فعلهم، فأما قوله ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾(٢) فالمراد بالمرض ليس هو الكفر بل هو ما لحقهم بظهور أمر الرسول ﷺ من الغموم ؟ ومنها قوله ﴿ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾(٣) فذلك يدل على أن المكلف قد يبطل ثواب ما تقدم من عمله بالكبائر والكفر لأن إبطال نفس العمل لا يصح فالمراد به جزاء العمل، فأما قوله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ ﴾(٤) فالمراد به حتى يقع الجهاد وقد ذكر العلم وأراد المعلوم لأن علم الله تعالى لا يتجدد . تعالى عن ذلك .

---

(١) [محمد:٢٤].

(٢) [محمد:٢٩].

(٣) [محمد:٣٣].

(٤) [محمد:٣١].

سورة الفتح

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾(١) كيف يصح أن يستثنى في خبر بشر الرسول به وما فائدة ذلك ؟

وجوابنا : كان مع الرسول ﷺ من المعلوم أنه يموت فلا يقع منه الدخول فلذلك استثنى وقد قيل إن الاستثناء متعلق بالأمن فكأنه قال لتدخلن المسجد الحرام وأنتم آمنون إن شاء الله لأن الأمن في داخل المسجد الحرام قد يتغير وقد قيل الفائدة أنه علمّنا كيف نخبر عن الأمور وأن نستثني في ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله من قبل ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٢) كيف يجوز فيما لم يقع من الذنب المتأخر أن يغفره ؟

وجوابنا : أن المراد ما تقدم من ذنبك قبل النبوة وما تأخر عنها وكلاهما مما يقع فيصح فيه الغفران، فإن قيل فما تعلق الغفران بالفتح حتى يقول تعالى فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ؟ وجوابنا أنه لا يمتنع في الفتح أن يكون سبباً في طاعات عظيمة مستقبلة تؤثر في غفران الذنب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(٣) ما الفائدة في هذا الكلام ؟

وجوابنا : أن المراد أنه أقوى منهم وأقدر وفي ذلك زجر لهم عن نكث البيعة فأما من يزعم أن لله تعالى يداً تبعاً لهذا الظاهر فقد أبعد لأنه يلزمه إثبات يد فوق أيدي الناس، وفوق لا يستعمل إلا على وجه لم يجوزه أحد .

---

(١) [الفتح:٢٧].

(٢) [الفتح:٢].

(٣) [الفتح:١٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ﴾(١) أن ذلك توجب أنه لا حرج عليه في شيء .

وجوابنا : أنه لا حرج عليه ولا على المريض والأعرج في بعض العبادات كالجهاد وغيره وهذا معقول من الكلام .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾(٢) أليس ذلك يدل على أنه تعالى خلق فيهم ذلك الكف ؟

وجوابنا : أنه لا يقال إن فلاناً كفّ فلاناً عن كيت وكيت إلا بأن يبعثه على الكف ويسبب له ذلك فهذا هو المراد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾(٣) ما المراد بهذه الرؤيا ؟

وجوابنا : أنه ﷺ رأى كأن قائلا يقول له ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾(٤) فحكاها الله تعالى كما رآها فهذا معنى الكلام نبه بذلك على أن في الرؤيا ما يصدق وما يكون خاطرا من قبل الله تعالى .

(١) [الفتح:١٧].
(٢) [الفتح:٢٤].
(٣) [الفتح:٢٧].
(٤) [الفتح:٢٧].

سورة الحجرات

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(١) كيف يصح أن تنسب إلى أحدنا محبة ذلك مع كونه كارهاً وكيف يجوز تشبيه ذلك بأكل لحم أخيه ميتاً ؟

وجوابنا : أن قوله تعالى ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ ﴾(٢) نفي للمحبة لا إثبات لها فكأنه قال كما لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكذلك حال الغيبة يجب أن يكرهها ككراهة أكل لحم الميت فأما هذا التشبيه فمن أحسن ما يضرب به المثل وذلك لأن المرء نافر النفس عن أكل لحم أخيه الميت لقبحه فبين الله تعالى أن غيبته تجري في القبح وفي أنه يجب أن ينفر عنها هذا المجرى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾(٣) أفليس قد ميّز بَيْنَ الإيمان والإسلام ؟

وجوابنا : أن الإسلام في اللغة هو الاستسلام والانقياد وذلك ليس بإسلام في الدين على الحقيقة ولذلك قال ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾(٤) ومن يكون مسلما في الحقيقة فقد دخل الإيمان قلبه ولذلك قال بعده : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٥) فبيَّن تعالى أنّ الاعراب لم يكونوا كذلك بل كذبوا في قولهم آمنا .

وفي السورة أدلة على ما نقول منها قوله ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾(٦) فبين به أن رَفْعَ الصوتِ بحضور الرسول يُحبط سائر طاعتهم حتى يصيروا كأنهم لم يفعلوا .

---

(١) [الحجرات:١٢]. (٢) [الحجرات:١٢].
(٣) [الحجرات:١٤]. (٤) [الحجرات:١٤].
(٥) [الحجرات:١٥]. (٦) [الحجرات:٢].

ومنها قوله : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ ﴾[(١)] فدل بذلك على أن الفعل لا يحسن إلا مع المعرفة دون أن يتبع في ذلك الفعل قول قائل مع الشك .

ومنها قوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾[(٢)] فدل بذلك على أن في الفسوق ما ليس بكفر وفي العصيان ما ليس بفسق ولو لم نميز بين الثلاثة .

ومنها : ما نجعله أصلا في النهي عن المنكر وهو قوله ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾[(٣)] فأمر بالإصلاح أولاً ثم قال ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[(٤)] فأمر بالقتال ثانياً ونبه بالطرفين الذين هما الإصلاح والقتال على ما بينهما من الوسائط فإن قيل فقد سمى الطائفتين مؤمنين وعندكم أنهما إذا اقتتلا لم يصح ذلك فيهما ؟

فجوابنا : أنه أثبتهما مؤمنين قبل البغي والقتال لأن قوله ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾[(٥)] معناه اختاروا المقاتلة في المستقبل .

ومنها قوله : ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾[(٦)] فدل بذلك على أن الفسق يخرج فاعله من أن يكون مؤمناً .

ومنها قوله : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾[(٧)] لأن ذلك يدل على أن الإيمان من نعمة الله تعالى من حيث ألطف لنا وسهل سبيلنا إلى فعله .

---

(١) [الحجرات:٦].
(٢) [الحجرات:٧].
(٣) [الحجرات:٩].
(٤) [الحجرات:٩].
(٥) [الحجرات:٩].
(٦) [الحجرات:١١].
(٧) [الحجرات:١٧].

سورة ق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ﴾[(١)] أن قوله ﴿وَالْقُرْآنِ﴾[(٢)] قسم فكيف يصح أن يقسم بالقرآن وليس هناك شيء مقسم عليه ؟

وجوابنا : أن المقسم عليه قوله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنهُمْ وَعِندَنَا﴾[(٣)] وما بعده فأكد هذا الخبر بالقسم على عادة العرب ونبه بذلك على ما يكون ردعاً عن المعاصي من حيث لا يعرفون طريق الاحتراز ومن حيث يعلم ما يأتون ويذرون وحكي عن الحسن أن المراد تأخير القسم فكأنه قال ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنهُمْ﴾[(٤)] والقرآن يؤكد بذلك ما تعجبوا منه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾[(٥)] كيف ثنّى ذلك والامر هو لواحد ؟

وجوابنا : أن في النار خزنة ولهم عدد فلا يمتنع أن يكون خطابا للإثنين وأن يكون كما جعل على المكلف في الدنيا رقيبين فكذلك في الآخرة يُوكل به ملكين من الخزنة .

وقد قيل إن الواحد قد يعبر عنه بالتثنية ويكون ذلك كالتوكيد كأنه قال أَلقِ أَلقِ كما يؤكد المرء أمر غيره بأن يقول إضراب إضراب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾[(٦)] كيف يقول ذلك وقد أطغاه والكذب في الآخرة لا يقع ؟

---

(١) [ق:١]. (٢) [ق:١].
(٣) [ق:٤]. (٤) [ق:٢].
(٥) [ق:٢٣-٢٤]. (٦) [ق:٢٧].

وجوابنا : أن المراد ما أكرهته على الطغيان ولا ألجأته إليه لكنه اختار ذلك كقوله تعالى ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ﴾(١) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾(٢) كيف يصح مخاطبتها وهي جماد ؟

وجوابنا : في ذلك ان المراد نقول لخزنة جهنم وهذا كقوله وأسأل القرية ويحتمل أن يكون المراد استجابة جهنم لما يريده الله من حصول أهلها فيها كقوله تعالى ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٣) والله تعالى قد أخبرنا فقال ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(٤) فبيَّن الحال إلى أن يملأها بع المحاسبة .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾(٥) وكل المكلفين لهم قلب ؟

وجوابنا : أن المراد لمن كان مستعملاً قلبه في التفكر والتدبر فإن فيهم من ليس هذا سبيله .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٦) ما معنى ذلك؟

وجوابنا : أن المراد المعرفة وأنها قوية في الآخرة فالشبهة زائلة فشبهت في القوة بالحديد لأن معرفتهم في الآخرة ضرورية وإلا فالقوم ينظرون من طرف خفي وفي السورة أدلة على ما نقول منها قوله تعالى ﴿ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾(٧) ولو كان الكافر ممن لم يعط قدرة الايمان وخلق الكفر فيه لكانت الحجة له فكان لا يجوز أن يقال له ذلك ومنها قوله ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾(٨) لان ذلك

---

(١) [سبأ:٣٢].
(٢) [ق:٣٠].
(٣) [فصلت::١١].
(٤) [هود:١١٩].
(٥) [ق:٣٧].
(٦) [ق:٢٢].
(٧) [ق:٢٨].
(٨) [ق:٢٨-٢٩].

يدل على أن ما توعد الله به لا يتخلف ومنها قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[١] لأنه يدل على أنهم قد فعلوا ما استوجبوا به العقاب ولولا ذلك لكان كل العقاب من باب الظلم والعبث من حيث خلق فيهم ما عاقبهم لأجله ومن حيث خلقهم للكفر ومن حيث خلقهم للنار فلوا ابتدأهم بها لكان أقرب من أن يستدرجهم إليها ومنها قوله تعالى ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٢] فذلك إنما يصح إذا كانت الخشية تصرفه عن الفعل ولو كان مخلوقاً فيه لما صح ذلك وقوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٣] يدل على انه تعالى يضم الى ثوابهم التفضل ولا نمنع من أن يكون ذلك عند شفاعة الرسول ﷺ فليس لمن خالفنا في الشفاعة أن يتعلق بذلك وقوله في آخر السورة ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[٤] يحقق ما نقوله في الوعيد وبين أن ذلك يصرف عن المعاصي فلذلك أمر الله جل وعز نبيه ﷺ أن يذكرهم به ولو كان ذلك خلقا فيهم من جهة الله تعالى لما صح ذلك .

---

(١) [ق:٢٩].

(٢) [ق:٣٣].

(٣) [ق:٣٥].

(٤) [ق:٤٥].

سورة الذاريات

[مسألة] وربما قالوا كيف أقسم بالذاريات التي هي الرياح وبغيرها ؟

وجوابنا : أنه تعالى قد بيَّن مراده بقوله تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾[1] وبقوله تعالى ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾[2] وبين الرسول حيث قال من كان حالفاً فليحلف بالله فيجب إذاً أن يكون المراد بكل ذلك ورب الذاريات ورب الطور ورب القرآن .

وهذا أحد ما يدل على ان القرآن من جملة أفعاله وأن الله تعالى ربه ومعنى رب الذاريات أنه المالك ولا يجوز ان يملك إلا ما يفعله ويقدر عليه فجميع ما أقسم الله تعالى به في أوائل السور يجب أن يحمل على هذا الوجه لكن مع ذلك فيه فائدة وهي تعريف العباد إنعامه بما ذكر كقوله تعالى ﴿والفجر﴾[3] وكقوله ﴿والضحى﴾[4] وكقوله تعالى ﴿ والتين والزيتون ﴾[5] الى غير ذلك .

[مسألة] وربما قيل لماذا قال تعالى ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾[6] ومعلوم من رزقنا أنه في الأرض .

وجوابنا : أن المراد ما هو الاصل لأرزاقنا وهو الماء النازل من السماء ولولاه لما حصل ما نأكل ونشرب ونلبس الى غير ذلك وقوله تعالى ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[7] يدل على ان الإيمان والإسلام واحد وإلا كان لا يكون لمن نفى من المسلمين تعلق بمن أخرج من المؤمنين .

---

(١) [الحجر:٩٢].
(٢) [الذاريات:٢٣].
(٣) [الفجر:١].
(٤) [الضحى:١].
(٥) [التين:١].
(٦) [الذاريات:٢٢].
(٧) [الذاريات:٣٥-٣٦].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾(١) أليس ذلك يدل على جواز الجوارح على الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد به القوّة والقدرة ولولا ذلك لوجب إثبات أيدي كثيرة له تعالى عن ذلك .

[مسألة] وربما قيا ما معنى قوله تعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾(٢) وفي الأشياء ما لا زوج له كالجمادات وغيرها .

وجوابنا : أنه لا شيء الا وقد خلق الله تعالى ما يخالقه بعض المخالفة ليدل بذلك على قدرته ولتتكامل به نعمته وهذا كالذَّكَرِ وَالأُنثى وكما نعلمه في الثمار والفواكه وكالليل والنهار وكالحجر الصلب والرخو من الاشياء وذلك تنبيه من الله تعالى على عظم قدرته وانعامه فلذلك قال تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) فأما قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾(٤) فلا يدل على أنه تعالى في مكان بل المراد الفرار إلى طاعته وعبادته والتخلص من عقابه فلذلك قال تعالى ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٥) فأما قوله جل وعز ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٦) فدلالة على أنه تعالى أراد من جميعهم عبادته وأنه خلقهم لذلك لا كما يقوله المخالف من أنه أراد من المؤمنين الإيمان ومن الكافرين الكفر وأنه خلق بعضهم للنار وبعضهم للجنة .

وقد بينا أن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ﴾(٧) لا يعارض ذلك لان المراد ذرأناهم للعبادة لكن مصيرهم إلى جهنم من حيث لم يختاروه فهذه اللام لام العاقبة كقوله عز وجل ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾(٨) وقوله من بعد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾(٩) فالمراد به وصفه بالاقتدار على الأمور لا أن المراد إثبات قوة له تعالى الله عن الحاجة علوًّا كبيرا ولو كان المراد ظاهره لوجب مع قوته أن يوصف بالمتانة التي هي الصلابة وذلك من صفات الأجسام.

(١) [الذاريات:٤٧].
(٢) [الذاريات:٤٩].
(٣) [الذاريات:٤٩].
(٤) [الذاريات:٥٠].
(٥) [الذاريات:٥٠].
(٦) [الذاريات:٥٦].
(٧) [الأعراف:٧٩].
(٨) [القصص:٨].
(٩) [الذاريات:٥٨].

سورة الطور

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(١) [الطور:٤٨] أن ذلك يدل على ان الله عيناً كما يقوله بعض المشبهة .

وجوابنا : أنه إن دل على ذلك دل على عيون وليس أقلة بأن يدل أولى من أكثره وليس ذلك قولاً لاحد فالمراد به أنك بمرأى منا ومسمع وإنا نعلم تعيين أحوالك وذكرها تعالى ليبعثه على التشدد في الابلاغ والصبر على كل عارض دونه .

[مسألة] وربما تعلق بعض المجبرة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(٢) [الطور:٢١] وزعموا أن ذلك يدل غلى أن الايمان من فعل الله .

وجوابنا : أن المراد من يبلغ من الذرية ويؤمن فبين تعالى أنه لأجل مشاركتهم لهم في الايمان ألحقهم بهم وبين ذلك قوله ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾(٣) [الطور:٢١] والعامل لا يكون الا مكلفاً وقوله تعالى من بعد ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(٤) [الطور:٢١] يدل على أن أحداً لا يؤخذ بكسب غيره فيبطل قول من خالفنا وزعم أن أطفال المشركين يؤخذون بذنب آبائهم .

---

(١) [الطور:٤٨].
(٢) [الطور:٢١].
(٣) [الطور:٢١].
(٤) [الطور:٢١].

سورة النجم

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[(١)] أن ذلك يدل على انه ﷺ رأى ربه مرة بعد أخرى .

وجوابنا : أن المراد بذلك جبرائيل عليه اللام لأنه المذكور من قبل بقوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾[(٢)] ثم قال بعد ذلك ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[(٣)] فأثبته رائياً له ثم قال ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[(٤)] فأثبته رائياً له ثانياً وأراد رؤيته له على صورته التي هو عليها فقد كان يَنزل على غير صورته في سائر الحلات وبينما قلناه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[(٥)] وذلك لا يليق إلا بجبرائيل عليه السلام وقوله تعالى من بعد ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[(٦)] يدل على أنه يغفر إلمام الانسان بصغائر المعاصي إذا اجْتُنِبَت الكبائر وقوله تعالى ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾[(٧)] فيه دلالة على أن أحداً لا يؤخذ بذنب غيره .

[مسألة] وربما قالوا ان قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾[(٨)] يدل على أن أفعالنا مخلوقة لله تعالى .

وجوابنا : أن ذلك إن دل فإنما يدل على أنه فعل الضحك والبكاء ولا عموم فيهما فان فعلهما تعالى باثنين ثم الظاهر فمن أين أن كل ضحك وبكاء من فعل الله تعالى . فإن قيل فما قولكم في الضحك أهو من فعل العبد أو من فعل الله وقد يتعذر

---

(١) [النجم:١٣].
(٢) [النجم:٥-٦].
(٣) [النجم:١١].
(٤) [النجم:١٣].
(٥) [النجم:٨-٩].
(٦) [النجم:٣٢].
(٧) [النجم:٣٧-٤٠].
(٨) [النجم:٤٣].

على المرء ترك الضحك فكيف يكون من فعله . وجوابنا أن الضحك هو التفتح المخصوص الذي يظهر في الوجه وذلك يكون من فعل العبد ولا حال يضحك فيها إلا ويجوز أن يتركه لأنه لو خُوِّفَ من الضحك لتركه فأما الابكاء فهو من فعله تعالى لأنه إنزال ما يدفع صفة الوجه فحقيقته أنه تعالى هو الذي يُبكي العبد وإن كان العبد قد يتسبب في ذلك وقد قيل ان المراد بقوله ﴿ أَضْحَكَ ﴾(١) انه أنعم على أهل الثواب بالجنة والثواب ﴿ وَأَبْكَى ﴾(٢) انه عاقب أهل النار واستدلوا على ذلك بقـوله تعـالى ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾(٣) وذلك لا يليق الا بأمر الآخر فشبه ما ينالهم من النعيم والسرور بالضحك وما ينالهم من العقاب بالبكاء .

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾(٤) كيف يصح ذلك ونحن نعلم ما لا يخلق من النطفة من الذكر والانثى ؟

وجوابنا : أن جميع ما فعله من الذكر والأنثى أصل الخلقة فيه النطفة وإن كانت ربما تكون بواسطة وربما لا تكون وما يوجد على غير هذا الوجه لا نعلم فيه الذكر من الأنثى وقوله عز وجل ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى ﴾(٥) يدل على وجوب الإعادة لأجل الإثابة لأن في قوله ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ﴾(٦) دلالة الوجوب . وقوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى ﴾(٧) ظاهرة أن بعد عاد عاداً ثانية فيكون هو الأول وقد روى ذلك في الاخبار . ومن قال أنه واحد تأول على ما قاله الحسن لأنه قال هم الأول لنا من حيث كانوا قبلنا ونحن كالآخر لهم .

---

(١) [النجم:٤٣].
(٢) [النجم:٤٣].
(٣) [النجم:٤١-٤٣].
(٤) [النجم:٤٥-٤٦].
(٥) [النجم:٤٧].
(٦) [النجم:٤٧].
(٧) [النجم:٥٠].
(٨) [النجم:١١١].

سورة القمر

[مسألة] وربما قيل كيف يصح قوله ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ ﴾(١) ولو كان قد انشق القمر على الحقيقة لنقل ذلك نقلاً ظاهراً ؟

وجوابنا : أن في العلماء من يقول المراد به وانشق القمر في الساعة لأنه عند السابق ينشق القمر إلى غير ذلك من الشرائط لكن الصحيح ما قاله مشايخنا من أنه في أيام رسول الله ﷺ انشق القمر وهو ظاهر القرآن فإذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة وفي سائر الأماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك وكان أهل ذلك البلد في غفلة عنه إلا طبقة مخصوصة فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر بل يجوز أن ينقله الآحاد وقد نقل ابن مسعود وغيره هذا كما نقل رد الشمس في أيام الرسول ﷺ فلم يجب في الظهور لأن ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين .

وقوله ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾(٢) على وجه الذم يدل على أن ذلك قد كان . وقوله من بعد ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(٣) الجواب فيه ما قدمنا من قبل . وما كرره الله من قوله ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٤) يدل على أنه تعالى يكرر هذه الأمور لكي يعتبر الناس بها وأنه تعالى أراد من جميعهم الادِّكار لا تركه على ما يقوله من خالفنا وقوله تعالى من بعد ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٥) لا يدل على ما يقوله مخالفنا وذلك لأنه تعالى قال ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٦)

---

(١) [القمر:١].
(٢) [القمر:٢].
(٣) [القمر:١٤].
(٤) [القمر:١٥].
(٥) [القمر:٤٩].
(٦) [القمر:٤٨-٤٩].

يعني في الآخرة في معاقبة أهل النار لأنه تعالى يعاقب كل أحد بقدر استحقاقه ولذلك قال بعده ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[1] وذلك لا يليق إلا بالآخرة التي لا يقع فيها من احد مخالفة لله تعالى . وقوله ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾[2] يدل على أن كل ذلك يكتبه الحفظة ثم يقع التمييز عند المحاسبة ويُحتمل أن يريد أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ كما كتب تعالى الآجال والأرزاق .

(١) [القمر: ٥٠].

(٢) [القمر: ٥٣].

سورة الرحمن

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(١) أن ذلك يدل على أن علمه بالقرآن والبيان من فعل الله تعالى وذلك مما لا نخالف فيه وإنما القول في العلم بالله وتوحيده وعدله وأنه اكتساب من العبد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾(٢) أن ذلك تكراراً لا معنى له .

وجوابنا : أن وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين وقوله تعالى ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾(٣) المراد به كيفية استعماله في المعاملات فأحد الأمرين مخالف للآخر .

[مسألة] وربما قيل إنه تعالى ذكر في أول السورة ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(٤) فكيف قال من بعد ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٥).

وجوابنا : أنه بعد ذلك ذكر مع الانس الجن فقال ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾(٦) ثم عطف على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٧) لأنه كلف تعالى في الأرض الانس والجن وإنما كرَّر تعالى في هذه الآيات الكثيرة ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٨) لأنه ذكر نعمة بعد نعمة فاتبعه وهذا مما يحسن مما يذكر نعمه وأياديه فان قال ففي جملة الآيات ما ليس فيه نعمة كقوله ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾(٩) إلى غير ذلك . وجوابنا أن ذلك من النعم اذا تدبره المرء وخاف منه فصار زاجراً له عن المعاصي .

---

(١) [الرحمن:١-٤].
(٢) [الرحمن:٧-٨].
(٣) [الرحمن:٨].
(٤) [الرحمن:٣-٤].
(٥) [الرحمن:١٣].
(٦) [الرحمن:١٤-١٥].
(٧) [الرحمن:١٦].
(٨) [الرحمن:١٨].
(٩) [الرحمن:٤٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[(١)] كيف يصح ذلك وإنما يخرج من أحد البحرين ؟

وجوابنا : أنه إذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما والمراد من هذا المجموع وقد قيل إنه لا يخرج من البحر الذي ليس بعذب إلا إذا مَازَجَهُ الماء العذب .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾[(٢)] كيف يصح ذلك مع أنه تعالى قد ذكر أنه يسألهم أجمعين في غير آية ؟

وجوابنا : أن المراد انهم لا يسئلون على وجه التعرف لان ذلك مكتوب معلوم وان كانوا قد يسئلون على غير ذلك وقد تقدم كلامنا في مثل هذه الآية .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴾[(٣)] كيف يصح ذلك ولا يجوز على الله تعالى الشغل والفراغ ؟

وجوابنا : أن ذلك مما يستعمل في الوعيد لأنه اقوى في الزجر والتهديد فالقائل يقول لمن يخوفه سأفرغ لك إنْ خَالفتَ فلاجْل هذه المبالغة تعالى وإلاَّ فالفراغ لا يصح إلا على من يشغله فعل عن فعل من حيث يفعل ولا يصح أن يضيف إلى السكون حركة ولا إلى القيام قعوداً .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[(٤)] كيف يصح وصف البطائن التي هي دون الظهائر التي هي الارفع ؟

وجوابنا : أنه بذكر البطائن قد دلّ على الظهائر فإن كانت الظهائر ارفع فقد دلّ بذلك انها أرفع من الإستبرق وقوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[(٥)] لا يدل

---

(١) [الرحمن:٢٢].
(٢) [الرحمن:٣٩].
(٣) [الرحمن:٣١].
(٤) [الرحمن:٥٤].
(٥) [الرحمن:٤٦].

على جواز المكان على الله تعالى لأنه تعالى خوّف بذلك والتخويف لا يكون بالمكان فالمراد ولمن خاف مقامه للمسائلة والمحاسبة فأضاف المقام إليه وإن كان مقاماً للعبد لأنه معد من قبله لمقام العبد ولوقوفه فيه وقوله تعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾[1] احد ما يدل على قولنا لأنه عز وجل بيّن أن من أحسن جازاه الله تعالى بالإحسان وعلى قولهم قد يؤمن ثم يخلق الله تعالى الكفر فيه فلا يصح ذلك على مذهبهم .

(١) [الرحمن: ٦٠].

سورة الواقعة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ ﴾(١) كيف زاد السابقين على اصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، وفي سائر القرآن لم يذكر سواهما ؟

وجوابنا : أنه تعالى أراد أن يبيّن أن في العباد من له تقدم في عظم الثواب كالأنبياء وغيرهم فخصهم بالذكر وإن كانوا من أصحاب اليمين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾(٢) كيف يصح في الآخرة ذبح الطيور وأكل لحمها وعنكم ان الآخرة ليست بدار تكليف للمرء ؟

وجوابنا : أن المراد بهذه الأطعمة أنها على هيئة لحم الطير وصورته لا أنّ هناك طيوراً تذبح .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾(٣) كيف يصح التوعد بما لا يعرف من جملة الأشجار ؟

وجوابنا : أن لفظة الزَّقُّومِ معروفة بأنها تستعمل في الكريه من الأشياء . فَجَازَ أن يتوعّد الله تعالى بذكرها .

[مسألة] وربما في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾(٥) أليس ذلك يدل على أن فعل العباد مخلوق لله تعالى ؟

---

(١) [الواقعة:٨-١٠].

(٢) [الواقعة:٢١].

(٣) [الواقعة:٥١-٥٢].

(٤) [الواقعة:٥٨-٥٩].

وجوابنا : أن إنزال النطفة ليس من فعل العبد عندنا ولذلك يختلف الحال فيه فَمِنَ النَّاس مَنْ يُمنِي أسرعِ مِمَّا يُمني غيره كثُر أَو نقُص وإذا كان ذلك من فعل الله وكذلك استقراره في الرحم فلا سؤال علينا في ذلك .

فإن قيل فما قولكم في قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[1] أليس ذلك على أنَّ الزّرع من فعل الله تعالى ؟

وجوابنا : أن الزرع إسم للنبات الظاهر وذلك من خلقه تعالى وإنما يفعل العبد مقدمته وبين ذلك أنه اضاف الحرث إليهم ثم أضاف الزرع إلى نفسه وبين ذلك انه عدّه في نعمِهِ وطرح البذر ليس بنعمة وإنما النعمة النبات فأما قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾[2] فلا دليل للمشبهة فيه لأن الكلام فيمن حضره الموت فالمراد إذاً إحاطة علمه بذلك فأما قوله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[3] فقد يقال فيه إن الكذب لا يجوز عندكم في الآخرة فما معنى ذلك؟ فجوابنا أن المراد وصفهم بذلك في الدنيا فإن قيل فما تعلق بالكذب بالرزق . فجوابنا انهم كانوا يكذبون على المطر والغيم ويقولون إنا سُقِينا بنَوْءِ كذا فأنكر الله ذلك عليهم فأما قوله تعالى من بعد ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾[4] فالمراد به الملائكة الموكّلة بقبض الأرواح وهو كقوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[5] والمراد ملائكة ربك .

---

(١) [الواقعة:٦٣-٦٤].
(٢) [الواقعة:٨٥].
(٣) [الواقعة:٨٢].
(٤) [الواقعة:٨٥].
(٥) [الفجر:٢٢].

سورة الحديد

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾(١) كيف يصح هذا الوصف لله تعالى مع تضاده ؟

وجوابنا : أن المراد هو الأول لأنه لا مَوْجُد إلا موجود بعده وهو الآخر لأنه لا موجود إلا ويفنيه فيبقى بعده وكلاهما في وصف الله تعالى صحيح . ومعنى قوله والظاهر أنه المقتدر القاهر من ظهور القوم على الفعل كقوله ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾(٢) ومعنى الباطن انه عالم بالسرائر وكل ذلك صحيح في أوصاف الله عز وجل ويدل قوله ﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾(٣) على بطلان قول من يثبت لله تعالى علماً وقدرة وحياة وقِدَمًا لأنه لو ثبت ذلك لم يصح كونه أولا ويدل على أنه تعالى يفني الخلق ليصح ان يكون آخراً إذ الأدِلة قد دلت على ان الجنة لا يفنى ثوابُها .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٤) ثمَّ قال في آخر الآية الثانية ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٥) كيف يصح ان يقول آمنوا ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٦) وجوابنا أن قوله ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٧) جعله تعالى شرطاً في اخذ الميثاق لأنه ﷺ كان يأخذه بشرط الإيمان ويحتمل ان يريد به إن رغبتم في الايمان وتمسكتم به وقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(٨) أحد ما يدل على أن مراده بإنزال القرآن إلى الرسول ﷺ وبعثته من بين الجميع أن يخرجوا من الكفر إلى الإيمان . فإن قيل فقد

---

(١) [الحديد:٣].
(٢) [الصف:١٤].
(٣) [الحديد:٣].
(٤) [الحديد:٧].
(٥) [الحديد:٨].
(٦) [الحديد:٨].
(٧) [الحديد:٨].
(٨) [الحديد:٩].

قال تعالى ﴿ لِّيُخْرِجَكُم ﴾[(١)] فيجب أن يكون الإيمان من خلقه . وجوابنا انه بيّن يُخرِجهم بهذا السبب ولو كان الإخراج والإيمان من خلقه لم يصحّ ذلك لأنه سواء أنزل القرآن أو لم ينزل فالحال واحدة وقوله تعالى ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾[(٢)] أحد ما يدل على فضل أكابر الصحابة ومن تقدم إسلامه كالعشرة وغيرهم وإنما كان كذلك لأن موقع الانفاق من قبل كان اعظم من موقعه من بعد ثم قال تعالى ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾[(٣)] مُنَبِّهاً بذلك على أن الثواب يَعُمُّ الْكُلَّ .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[(٤)] أليس ذلك يدل على أن الَّذِينَ آمنوا لم يكونوا خاشعين وأنه كان فيهم مَنْ هُوَ قاسي القلب وذلك بخلاف قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[(٥)].

وجوابنا : أن المؤمن لا يكون في الجملة إلا خاشعاً لله وإنما أَمرَ تعالى أن يخشعوا لِذكر الله وَعنْدَ سماع القرآن لان فيهم من يسمع غافلاً لاهياً فهو كقوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[(٦)] فأما قوله تعالى ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[(٧)] فهو من وصف الكفار من قبل وقوله تعالى ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[(٨)] إنما قاله فيمن أُوتِي الكتاب ثم آمن فيما بعد .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾[(٩)] كيف يصح ذلك وفي جملتهم الفساق وأصحاب الكبائر ؟

---

(١) [الحديد:٩].
(٢) [الحديد:١٠].
(٣) [الحديد:١٠].
(٤) [الحديد:١٦].
(٥) [المؤمنون:١-٢].
(٦) [النساء:٨٢].
(٧) [الحديد:١٦].
(٨) [الحديد:١٦].
(٩) [الحديد:١٩].

وجوابنا : أن المراد بذلك من آمن بالرسول في أيامه وكذلك كانوا ولو صح فيه العموم لحملناه على التخصيص لان المجاهر بالفسوق والفجور لا يُسَمَّى من الصدّيقين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾(١) أتقولون ان الميزان أنوله الله ؟ وجوابنا : أنه قد قيل ذلك على ما تقدم ذكره . وقيل إن المراد العدل وبيان صحة المعاملات بالميزان والظاهر هو الأول وكذلك قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾(٢) يتأول على ما قدمناه وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾(٣) والمراد به وقوع النصرة التي هي حادثة دون العلم فانه تعالى عالم بكل شيء لم يزل .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾(٤) أليس يدل على أن الرأفة والرحمة من خلق الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك ما لا ينكر أنه من قبله وهو لين القلب وما به يفارق الرحيم غيره فلا يدل على ما قالوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾(٥) كيف يصح وقوع المشي بالنور ؟

وجوابنا : أن المراد بهذا المشي التصرف أجمع . لأن ذلك لا يصحّ إلا بالنور الذي ينفصل من الشمس وبالعقل الذي يوصف بذلك مجازاً وبعد فإن حمِل على الظاهر جاز لأن المشي يحتاج صحيحه ومقصوره إلى ضياء ليقع على الوجه الصحيح وقوله جل وعز ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾(٦) لا يدل على أن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وذلك لأن المراد بهذا الفضل النعم التي هي الأجسام فيدخل فيه الأكل والشرب واللباس وغيرها .

---

(١) [الحديد:٢٥].
(٢) [الحديد:٢٥].
(٣) [الحديد:٢٥].
(٤) [الحديد:٢٧].
(٥) [الحديد:٢٨].
(٦) [الحديد:٢٩].

سورة المجادلة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾[١] أليس ذلك كله يدل على جواز المكان على الله تعالى ؟

وجوابنا : بل يدلّ ذلك على خلافه لأنه قال تعالى ﴿ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ ﴾[٢] فالمراد به العلم والتَّبيُّن لا أنه كائن معهم ولذلك خصّ تعالى النَّجْوَى التي تَسْتَتَسْرِ لِيُبَيِّن أنه عالمٌ بكل ما يخفي على سواه ولذلك قال تعالى بعده ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[٣] ولولا صحّة ذلك لوجب أن يكون تعالى مع كل واحد منّا حتى يكون في الاماكن كلهّا وحتى إذا انتقل أحدُنا من مكان إلى مكان يجب أن يكون تعالى منتقلا ليكون معه وذلك يوجب فيه انه محدث تعالى الله عزّ وجلّ وقوله تعالى من قبل في صيام الظِّهار ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ﴾[٤] يدل على قولنا لأن عندهم أن الصحيح القوي لم يدخل في الصوم ولو يستطيع الصيام فلا يكون لهذا الشرط فائدة بل يلزم الكل الاطعام والقول في الاطعام كالقول في الصيام وقوله تعالى من بعد ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾[٥] ولم يقل من الرحمن يدل على أنه فعل العباد لا خلق الله تعالى وقوله ﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٦] يعني أن كل ضَرَرٍ من غَمّ وغيره يحصل عند الوسوسة فليس من فعل الشيطان بل هو من قبل الله تعالى وهذا خلاف قولهم إن الشيطان يُحبِطُ الأعمال .

---

(١) [المجادلة:٧]. (٢) [المجادلة:٧].
(٣) [المجادلة:٦]. (٤) [المجادلة:٤].
(٥) [المجادلة:١٠]. (٦) [المجادلة:١٠].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١] كيف يصح أن يحلفوا على الكذب في الآخرة وقوله تعالى بعده ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾[٢] ؟

وجوابنا : أن الرماد بذلك أنهم يحلفون أنهم كانوا مُؤمنين عند أنفسهم لا كفاراً فلا يكون ذلك كذباً منهم وقوله تعالى ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾[٣] يعني في الدنيا فلا سؤال علينا فيه وقوله تعالى ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾[٤] المراد به فعل ما عنده فسقوا وأطاعوه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾[٥] أليس ذلك يدل على أنه خلق الإيمان ؟

وجوابنا : أن المراد أنه كتب ما يعلم به الملائكة إيمانهم فنحن نحمله على الحقيقة وأن كان الإيمان من فعل العبد .

---

(١) [المجادلة:١٤].
(٢) [المجادلة:١٨].
(٣) [المجادلة:١٨].
(٤) [المجادلة:١٩].
(٥) [المجادلة:٢٢].

سورة الحشر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ ﴾(١) أنه يدل على أن اخراجهم من خلق الله . وربما قيل أيضاً ما معنى ﴿ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾(٢) فسمى خروجهم حشراً ؟

وجوابنا : أنه تعالى لما فعل سبب إخراجهم أُضيف ذلك إليه ولما أمر بإخراجهم أُضيف إليه أيضاً ولذلك قال تعالى ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾(٣) وذلك لا يصح إلا والخروج من قبلهم وإنما سمَّاه حشراً من حيث وقع خروجهم على وجه الجمع والسوق كقوله تعالى ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾(٤) وقوله تعالى من بعد ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(٥) يدل على قولنا لأن مشاقّة العبد لله ورسوله بأن الله تعالى يخلق ذلك فيه لا تصح وقوله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾(٦) قد قيل فيه ان المراد بالاذن العلم وقد قيل بل المراد فبأمر الله ولذلك قال تعالى من بعد ﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾(٧) .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٨) أليس ذلك كالمتناقض ؟

وجوابنا : أنه بين بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٩) أنه لا نصرة يجدونها بعد هذه النصرة وعلى ذلك صح .

---

(١) [الحشر:٢].
(٢) [الحشر:٢].
(٣) [الحشر:٢].
(٤) [ص:١٩].
(٥) [الحشر:٤].
(٦) [الحشر:٥].
(٧) [الحشر:٥].
(٨) [الحشر:١٢].
(٩) [الحشر:١٢].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[١] ما فائدة هذا التكرار ؟

وجوابنا : أن المراد بالأول أن يتقوا الله في حفظ ما فعلوا من الطاعات والمراد بالثاني أن يتقوا في جميع ما كلِّفوا ولذلك قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٢] وأما معنى قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[٣] المراد أنه بتركهم طاعة الله خلاهم وخذلانهم ولذلك قال ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[٥] كيف يصح ذلك في الجبل وهو جماد ؟

وجوابنا : أن ذلك مثلٌ ضربه الله تعالى لمن لا يتفكر في القرآن ولا يخشع عنده ولذلك قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾[٦] ويمكن أن يقال إن المراد به أن الجيل لو كان حياً يصح أن يسمع ويتدبر لكان هذا حاله .

---

(١) [الحشر:١٨].
(٢) [الحشر:١٨].
(٣) [الحشر:١٩].
(٤) [الحشر:١٩].
(٥) [الحشر:٢١].
(٦) [الحشر:٢١].

سورة الممتحنة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾(١) كيف يصحّ أن يستغفر له مع كفره ؟ وجوابنا أنّ ذلك وعد منه وقد قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّه تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾(٢) وذلك يقتضي أنَّ استغفاره كان بشرط وعلى وجه يحسن عليه ولو كان استغفاره مطلقاً لما قال ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣) فإن قيل فما معنى قوله تعالى من بعد ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٤) قيل له أنهم سألُوا ربهم أن يزيل عنهم الأمور التي عندها يشمت الكفار بهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾(٥) كيف وصفهن بالمؤمنات قبل الهجرة وقبل القبول من الرسول ﷺ لأنه قال ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾(٦) ؟

وجوابنا : أن الرماد بذلك المُظْهِرَات للإيمان الراغبات في ذلك فلا تناقض في هذا الكلام لأنهّن يُظهرنه ويَرْغَبْنَ فيه ثم يدّعين ويختبرن فتعرف حالهن .

---

(١) [الممتحنة:٤].
(٢) [التوبة:١١٤].
(٣) [الممتحنة:٤].
(٤) [الممتحنة:٥].
(٥) [الممتحنة:١٠].
(٦) [الممتحنة:١٠].

سورة الصف

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ ﴾(١) أنه جعلهم مع الكبيرة مؤمنين وذلك بخلاف قولكم .

وجوابنا : أنه قد يكون مؤمناً وإن وعد بما لا يفعل إذا كان وعده خبراً عن عزمه فلا يكون كاذباً ولكنه إذا أطلق الوعد ولم يستثن ثم لم يفعل يقبح منه وقد حكي عن الحسن أنه قال المراد المنافقون أظهروا الإيمان وحالهم هذه والأول أقرب وقوله تعالى من بعد ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(٢) فالمراد به عاقبهم على زيغهم على نحو قوله تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٣) .

---

(١) [الصف ٢-٣].

(٢) [الصف ٥]

(٣) [الشورى ٤٠]

سورة الجمعة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[١] كيف يصح أن يزكّيهم قبل أن يظهر قبل أن يظهر منهم القبول والطاعة ؟

وجوابنا : أن المراد ويزكيهم على الوجه الذي يحسن كما يتلو عليهم آيّاته على هذا الوجه ويجوز أن يُراد به التزكية التي معها يجوز التكليف من عقل وتمييز وغيرهما ويجوز أن يريد ويدعوهم الى ما يتزكون به ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾[٣] لا يدل إلاّ على أن النبوّة والكتاب من فضله فليس لأحد أن يتعلق بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[٤] لمَ لَمْ يَقُلْ إليها ؟

وجوابنا : أن الكلام إذا دلّ على ذلك جاز مثله وقد قيل إن المراد التجارة لأنها المقصودة من اللهو الذي هو تابع لها فكأنه نبّه بذلك على ما ينفضون أجمع لاجله دون ما يختص به بعضهم دون بعض .

---

(١) [الجمعة:٢].

(٢) [الجمعة:٢].

(٣) [الجمعة:٤].

(٤) [الجمعة:١١].

سورة المنافقون

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(١) كيف يكونون كاذبين في هذه الشهادة التي هي حق ؟

وجوابنا : أن شهادتهم كالإخبار عن اعتقادهم ولم يكونوا معتقدين لذلك فصاروا كاذبين وقوله تعالى من بعد ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾(٢) يدل على ذلك وأنهم أظهروا ما لا حقيقة له وقوله تعالى ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٣) يدل على أن الافعال من قبلهم لأن الله تعالى إن كان خلق ذلك فيهم فكيف يصح كونهم صادّين أو ليس ذلك يوجب أنهم يصدّون الخالق الفاعل وذلك محال .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾(٤) كيف يصح في النبي ﷺ يكون استغفاره إذا وقع لا ينفع ولا يُجاب إلى ملتَمسه ؟

وجوابنا : أن المراد ما لم يقع وما لم يقع لو وقع فكيف يكون حاله فليس في ذلك أنه لا يجاب إلى ما يلتمس وبعد فانه يُحتمل أن يستغفر لهم بشرط معلوم من حالهم خلاف ذلك لأن ذلك وَرَدَ في المنافقين فيجوز أن يريد استغفاره لهم على الظاهر فإذا علم الله تعالى نفاقهم عَلِمَ أنه لا يغفر لهم ولا يكون في ذلك تركاً لإجابته لأن طلب الغفران لهم إن كانوا على صفة ليس هم عليها .

---

(١) [المنافقون: ١].

(٢) [المنافقون: ٢].

(٣) [المنافقون: ١].

(٤) [المنافقون: ٦].

سورة التغابن

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1] أما يدل ذلك على انه خلق الكافر كافراً وخلق المؤمن مؤمناً ؟ وجوابنا انه ليس فيه إلا انه خلقهم ثم من بعد قسمهم فلا يدل إلا على أن فيهم كافراً ومؤمناً ثم الكلام في أنّ ذلك الايمان والكفر مِمَّن ليس في الظاهر؛ وقال أُوَيْس عليه رحمة الله لو كان كما ذكروا لما قال فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ وقوله تعالى من بعد ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾[2] يدل على ما نقوله من أنه خلقه لمنفعة العباد ولكي يُطيعوا ووصفه تعالى ذلك اليوم بالتغابن يدل على أن المُقَصِّر بالكفر والمعصية يعلم أنه كان يمكنه أن لا يقصر وقوله تعالى ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[3] يدل على ما نقوله من علامات يفعلها ليميز الملائكة المؤمنين من غيرهم .

---

(١) [التغابن: ٢].

(٢) [التغابن: ٣].

(٣) [التغابن: ١١].

سورة الطلاق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾[١] أن ذلك يدل على ان الرجعة هو الذي يحدثها ؟

وجوابنا : أنه تعالىٰ لم يفسر الأمر والمراد عندنا الشهوة وحبة القلب اللذان يدعُوانه الى الرجعة ويغتم لأجلهما بما فعل من الطلاق وقوله تعالى من بعد ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[٢] قد تقدم ذكر المعنى وأن المراد حكمه في هذه الامور وقوله تعالى ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾[٣] المراد به من ضُيِّقَ عليه رزقه أَمَرَهُ بأن لا يَبْسُط يَدَه إلى ما لا يَحِلَّ له بل ينفق مما آتاه من الخيرات .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾[٤] كيف يصح ذلك وفي الناس من لا يجد اليسر بعد العسر ؟

وجوابنا : أنه لا أحد ممَّن ضَيَّق عليه الله تعالى إلا ويؤتيه يُسراً بعد عُسْرٍ من جهة أرزاق الدنيا أو من جهة ثواب الآخرة اذا صبر واحتسب .

(١) [الطلاق:١].
(٢) [الطلاق:٣].
(٣) [الطلاق:٧].
(٤) [الطلاق:٧].

سورة التحريم

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[١] أليس ذلك يدل على ان الله تعالى يأمُرهُم ويكلّفهم وعندكم ان الآخرة ليست بدار تكليف ؟

وجوابنا : أنه في الآخرة يجوز أن يأمر تعالى ولا يكون أَمْرُه تكليفاً كما نقوله في قوله تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً ﴾[٢] وإنما نمنع من ثُبُوت الأمر في حال التكليف ولا يكون تكليفاً والله تعالى يأمُر الملائكة الموكّلة بعذاب أهل النار بما يتلذذون به من عذاب أعداء الله فلا يعصون كما ذكره الله تعالى ولا يجوز في الأمر إذا كان بِشَيْءٍ يُلْتَذُّ به أن يكون تكليفاً وفي السورة أدلّة على قولنا منها قوله تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٣] فلو لم يكن تصرف العبد من فعله لما صح أن يقي نفسه وغيره ومنها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾[٤] لأنه لا يجوز أن يقول لا تعتذروا ولهم عذر .

لأن ذلك سفه فالمراد لا تعتذروا فما عُذْرَ لَكُمْ ولو كان تعالى خلق الكفر في الكافر وأراده وأوجده فيه بالقدرة والإرادة لَكَانَ ذلك مِنْ أَوْكَد مِمَّا يعتذرون به ولكان لهم أن يقولوا لو أَقْدَرْتَنَا على الطاعة لفعلنا وإنما أوتينا من جهة أنك لم تقدِّرنا ولم تخلق فينا الإيمان بل خَلَقْتَ فينا ضِدَّه ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥] فانه يدل على ان العمل من العبد والجزاء من الله تعالى .

---

(١) [التحريم:٦].

(٢) [الحاقة:٢٤].

(٣) [التحريم:٦].

(٤) [التحريم:٧].

(٥) [التحريم:٧].

سورة الملك

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ ﴾(١) كيف يصح في النجوم ان يجعلها رُجوماً للشّياطين وهي ثابتة أبداً في مكانها ؟

وجوابنا:أن المراد ما ينفصل منها ممّا يُشاكِلُها فيصح بذلك إضافة الرجوم إليها.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(٢) أليس ذلك يدل على أنه الخالق لقوهم وسرهم ؟ وجوابنا ان المراد ألا يعلم من خلق الصدر ما يودعون فيه من سر وجهر فكأنه بين انه عليم بذات الصدور ومقتدر عليها ومن هذا حاله لا تخفى عليه خافية وقوله من بعد ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾(٣) لا يدل على أن السماء مكانه لأن المراد من في السماء ملكه وقدرته على الخسف والكسف وكذلك قال بعده ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾(٤) وقوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾(٥) ربما تعلقوا به في انه الخالق فيهم الوقوف في الهواء. وجوابنا أن المراد أنه الفاعل في الهواء ما عنده يصح منها الطيران والوقوف.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾(٦) كيف يصح ذلك ومعلوم أن الماء المعين يخرجه من معه الآلة ؟ وجوابنا أن المراد ان يصبحوا والماء قد غار ويبس وذلك يدل على انقطاع الماء في ذلك المكان ولا يعمل بالفأس إذا انتهى مكان الماء إلى هذا الحد وبعد فلولا أنه تعالى يمد بالماء لمكان الفأس لم تؤثر في ذلك .

---

(١) [الملك:٥].
(٢) [الملك:١٣-١٤].
(٣) [الملك:١٦].
(٤) [الملك:١٧].
(٥) [الملك:١٩].
(٦) [الملك:٣٠].

سورة القلم

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾(١) كيف يصح أن يكلف في الآخرة بالسجود من لا ستطيعه ؟

وجوابنا : أن ذلك ليس بدعاء على وجه الأمر بل هو توبيخ وتبكيت لهم من حيث تركوا السجود وهم متمكنون ولذلك قال بعده ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾(٢) ولو كان الأمر كما يقوله المجبرة لكان الدعاء في الدنيا والآخرة سواء في أنه إن خلق فيهم السجود صاروا ساجدين وإن لم يخلق كانوا تاركين وفي قوله تعالى من بعد ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾(٣) دلالة على أنه تعالى يكتب في اللوح المحفوظ الكثير من الغيوب وأما ذكر السّاق فالمراد به شدّة الامر كقوله تعالى ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾(٤) يعني الشدة بالشدة يوم القيامة .

[مسألة] وربما تعلق بعضهم بقوله ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾(٥) فقالوا إن العين حق .

وجوابنا : أن المراد النظر المكروه منهم عند قراءة القرآن عليهم يبين ذلك أن العين لو كانت حقاً كما يقولون لكانت تؤثر فيما يعجب به ويعظم لا في خلافه .

---

(١) [القلم:٤٢].

(٢) [القلم:٤٣].

(٣) [القلم:٤٧].

(٤) [القيامة:٢٩].

(٥) [القلم:٥١].

سورة الحاقة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾[١] كيف يصح ذلك ومن خوطبوا بذلك لم يُحْملوا في سفينة نوح ؟

وجوابنا : أن المراد حملنا من أنتم من نسله فهو بمنزلة قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[٢] والمراد من أنتم منهم ونجاتكم بنجاتهم .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[٣] أليس ذلك خلاف قوله ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾[٤]؟ وجوابنا انه لا يمتنع في قوم أن لاطعام لهم إلا من ضريع ويجوز أن يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع ولا شراب إلا من غِسلين وهو ما يسيل من صديدهم فسمّاه طعاماً من حيث يستطعم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٥] كيف جعله قول جبريل وهو كلام الله تعالى ؟ وجوابنا أنه إذا سمع منه جازت هذه الاضافة لانه منه علم ولولاه لم يعلم فلما قوله عـز وجـل ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[٦] فلا يصح المشبهة لأن العرش في السماء مكان لعبادة الملائكة فيحملونه ويطوفون حوله ويضاف إلى الله تعالى من حيث خلقه كما يضاف العبد الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾[٧] لا يصحّ تعلقهم به لإثبات اليمين له تعالى لأن المراد القدرة على ما بيناه في غير موضع وعلى هذا الوجه يُقال إن فلاناً يملك فلاناً ملك يمين إذا أمكنه التصرف فيه وإن لم يكن له يمين وعلى هذا الوجه قال الشاعر :

إذا ما راية رُفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

يعني ببأس وقوة .

---

(١) [الحاقة:١١].
(٢) [البقرة:٤٩].
(٣) [الحاقة:٣٥-٣٦].
(٤) [الغاشية:٦].
(٥) [الحاقة:٤٠].
(٦) [الحاقة:١٧].
(٧) [الحاقة:٤٤-٤٥].

سورة المعارج

[مسالة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي المَعَارِجِ ﴾[(١)] أليس ذلك يدل على جواز الصعود والنزول عليه ؟

وجوابنا : أن إضافة الشيء لغيره بهذا اللفظ قد تكون بأن يفعله وقد تكون بخلافه ولله تعالى معارج خلقها للملائكة ولذلك قال ﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[(٢)] فلا تعلق للقوم بذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾[(٣)] كيف يصح وهو متناقض وكيف يصح القرب على الله تعالى ؟ وجوابنا أن المراد يوم القيامة وقوله تعالى ﴿ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾[(٤)] بمعنى الظن ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾[(٥)] بمعنى العلم وذلك لا يتناقض ولا يجوز أن تراه به الرؤية وذلك اليوم معدوم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾[(٦)] أليس يدل على أن هلعه من خلق الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد انه خلق وهو على حد من الضعف يصيبه الهلع به عند الحوادث ولذلك قال تعالى بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً ﴾[(٧)].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[(٨)] ما فائدة ذلك وهل هو تعلق بما وصفه من طمعهم وكيف يعلمون مِمَّاذا خُلقوا ؟

---

(١) [المعارج:٣].
(٢) [المعارج:٤].
(٣) [المعارج:٦-٧].
(٤) [المعارج:٦].
(٥) [المعارج:٧].
(٦) [المعارج:١٩].
(٧) [المعارج:٢٠-٢١].
(٨) [المعارج:٣٨-٣٩].

وجوابنا : أن ذلك ورد في الكفار الذين قال تعالى فيهم ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾(١) ولا يمتنع فيهم أنهم كانوا يعرفون مع كفرهم انهم خلقوا من نطفة وان ذلك الخلق من فعله تعالى فيصح قوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) في الجملة وفائدته أنه بين أنّ من خُلِق من ماءٍ مهين لا يجوز أن يستوجب الجنة وإنما يستوجبها لعمله إذ الفضل يقتضي ذلك ويحتمل أن يريد خلقناهم مما يعملون من التكليف فكيف يصح أن يطعموا فيما طعموا فيه ولا أثر لهم فيه ولا عين .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾(٣) كيف يصح ذلك وقد ذكر في موضع ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(٤) وفي موضع ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾(٥) ؟

وجوابنا : أن المراد بالمشرق والمغرب جنس ذلك أو واحده في كل يوم والمراد بالمشرفين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما والمراد بالمشارق ما نعلمه من اختلاف المطالع في كل يوم فلا تناقض في ذلك .

---

(١) [المعارج:٣٦-٣٧].
(٢) [المعارج:٣٩].
(٣) [المعارج:٤٠].
(٤) [الرحمن:١٧].
(٥) [الشعراء:٢٨].

سورة نوح

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١] ثم قال بعده ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ ﴾[٢] وهذا متناقض ؟

وجوابنا : أنه لا تناقض في ذلك، لأن ذلك الأجل المقدّر الذي ضمنه إذا عُبد الله تعالى وأطيع لا يتأخر وهذا الأجل عندنا مُقَدّر غير محقق لأنهم إذا لم يعبدوه فأجلهم هو المكتوب ولا تأثير يقع فيه . فان قيل فكيف قال تعالى ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[٣] ومن عبد الله واتقاه استحق غُفْرَان كلّ ذُنوبه ؟ وجوابنا أن من قد تدخل زائدة كما تدخل للتبعيض وهي ههنا زائدة ويحتمل أنه يريدان الغُفران يكون في هذا الجنس كما يقال باب من حديد وقوله تعالى من بعد ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً ﴾[٤] المراد به تشدد القوم في الإنكار والجحود والنفور من قبول الحق ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾[٥] .

[مسألة] وربما تعلقت المشبهة بقوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[٦] ؟

وجوابنا : في ذلك أن المراد ما لكم لا تعظمونه حق عظمته إذ الوقار الذي يظهر في الأجسام يستحيل عليه تعالى ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾[٧] فالمراد ما يتعلق بخلقه من شكر عباده .

---

(١) [نوح:٤].
(٢) [نوح:٤].
(٣) [نوح:٣-٤].
(٤) [نوح:٥-٦].
(٥) [نوح:٧].
(٦) [نوح:١٣].
(٧) [نوح:١٤].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾[١] كيف يصح ذلك ونور القمر يكون على الأرض لا فيما بين السموات ؟

وجوابنا : أن المراد وجعل القمر بينهن وبين الأرض نوراً أو لما جمع السماء أجمع بلفظة واحدة جاز في نور القمر وهو ينالها أيضاً كما ينال الأرض ان يقول ذلك .

[مسألة] وربما سألوا في قوله تعالى ﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾[٢] كيف يصح ذلك وأكثر أهل الأرض من الكفار وكيف يصح أن يظهر خلاف ما قدره الله تعالى من بقاء هؤلاء الكفار وكيف قال تعالى بعده ﴿ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[٣] والمولود لا يكون بهذا الوصف ؟

وجوابنا : أن مراد نوح عليه السلام الكفار الذين كانوا في زمنه ومن أعلمه الله أنه لو أبقاهم أبداً لم يؤمنوا فدعا الله تعالى عليهم بهذا الدعاء وأجاب الله دعوته بأن أغرقهم فأما قوله تعالى ﴿ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً ﴾[٤].

فالمراد من سيفجر ويكفر نبَّه بذلك على أنه كما أن المعلوم أنهم لا يؤمنون فمن المعلوم أيضا أنه لا يكون في نسلهم مؤمنون .

---

(١) [نوح:١٥-١٦].
(٢) [نوح:٢٦].
(٣) [نوح:٢٧].
(٤) [نوح:٢٧].

سورة الجن

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ ﴾[١] كيف يصح ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد ميلهم اليهم وإلى القبول منهم ومن أطاع غيره وعظمه يوصف بذلك كما قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٢] بأن أطاعوهم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ﴾[٣] كيف يصح ذلك مع انقضاض الكواكب والشُّهُب عليهم ومنعهم من ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد طلبنا لمس السماء والقرب منها لتعرف الاخبار فلذلك قال بعده ﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾[٤] وذلك بيان منهم انهم منعوا من ذلك .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[٥] كيف يتعلق ما أمر به من ترك عبادة غير الله بأنّ المساجد لله ؟

وجوابنا : أنها مكان العبادة ومبنية لذلك فقال فلا تعبدوا فيها سوى الله .

---

(١) [الجن:٦].
(٢) [التوبة:٣١].
(٣) [الجن:٨].
(٤) [الجن:٨].
(٥) [الجن:١٨].

سورة المزمل

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[(١)] ما معنى وصف الوحي بالثقل ؟

وجوابنا : أن المراد ثقل العمل بما فيه وتدبره والمعرفة بمراد الله تعالى ؟ ويحتمل أنه كان يثقل عليه أن يحفظه وأن يبلغه وكان يحتاج في ذلك إلى تكليف وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً ﴾[(٢)] كيف يصح وصف اليوم بذلك وكيف يضاف إليه ؟ وجوابنا أن المراد ما يحصل في ذلك اليوم من الأهوال فضرب له هذا المثل كما يقال مثله في المخاطبات عند ذكر الامور الهائلة .

---

(١) [المزمل:٥].

(٢) [المزمل:١٧].

سورة المدّثر

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾(١) وكيف يتعلق أحدهما بالآخر ؟

وجوابنا : أن المراد لا تستكثر ما تنعم به على غيرك بعثاً له على الزيادة في الانعام ويحتمل أن يكون المراد لا تستكثره على وجه الامتنان.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائكَةً ﴾(٢) كيف يصح مع فضلهم أن يجعلهم أصحاب النار وكيف يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٣) وأي تعلق لعدتهم بافتتان الكفار ؟ وجوابنا أن المراد الموكلون بعذاب أهل النار لأنهم يضافون إلى النار بأنهم أصحابها بل إضافتهم إلى ذلك أحق لأنهم يتصرفون في التعذيب بها ومعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً ﴾(٤) أن المعلوم من كثرة عددهم أنه اقرب إلى غمهم وحسرتهم وكل ذلك بعثٌ من الله سبحانه على الطاعة وزَجْرٌ عن المعصية فلذلك قال تعالى ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً ﴾(٥) وقوله تعالى من بعد ﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٦) قالوا فيه كيف يصح أن يجعل تعالى لهم عدة لهذا الوجه الذي يقبح منهم فعله ؟

وجوابنا : أن هذه اللام لام العاقبة ؟ فأما الكلام في الضلال والهدى فقد تقدم وقوله تعالى من بعد ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٧) فالمراد به الذكر الذي هو الطاعة لأنه من قبيل ما لا يصح من العبد أن يشاءه إلا والله قد شاءه منه وكلفه إياه .

---

(١) [المدثر: ٦].
(٢) [المدثر: ٣١].
(٣) [المدثر: ٣١].
(٤) [المدثر: ٣١].
(٥) [المدثر: ٣١].
(٦) [المدثر: ٣١].
(٧) [المدثر: ٥٥-٥٦].

سورة القيامة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١) أنه اقوى دليل على أن الله تعالى يُرى في الآخرة ؟

وجوابنا : أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله تعالى جسم فإنا لا ننازعه في أنه يرى بل في أنه يُصافح ويعانق ويلمس تعالى الله عن ذلك وإنما نكلمه في انه ليس بجسم وان كان ممن ينفي التشبيه على الله فلا بد من أن يعترف بأن النظر إلى الله تعالى لا يصح لان النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً لرؤيته وذلك لا يصح إلا في الاجسام فيجب أن يتأوّل على ما يصح النظر إليه وهو الثواب كقوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾(٢) فإنا تأولناه على أهل القرية لصحة المسألة منهم وبين ذلك ان الله ذكر ذلك ترغيباً في الثواب كما ذكر قوله ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(٣) زجراً عن العقاب فيجب حمله على ما ذكرناه وقوله من قبل ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾(٤) يدل على أنه لا عذر للعبد إن هو عصى ربه ولو كان الكفر مخلوقاً فيه لكان له أو كد العذر على ما قدمناه من قبل ؟ وقوله تعالى من بعد ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾(٥) هو الذي يورده العلماء على جواز الإعادة وصحتها فانه تعالى إذا قدر على الإحياء أولاً على هذا الحد الذي نجد الإحياء عليه فيجب أن يقدر على إعادة ذلك .

---

(١) [القيامة:٢٢-٢٣].

(٢) [يوسف:٨٢].

(٣) [القيامة:٢٤-٢٥].

(٤) [القيامة:١٤-١٥].

(٥) [القيامة:٣٨-٤٠].

سورة الإنسان

[مسألة] وربما قيل في قوله ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾(١) كيف يصح وقد وصفه بأنه إنسان وأتى عليه حين من الدهر أن لا يكون مذكوراً ولا شيئاً ؟

وجوابنا : أن المراد لم يكن له عند هذا الوصف من البنية والحياة والعقل ما أخبر به الله تعالى في خلق آدم ﷺ ثم قال تعالى بعد خلق آدم ﷺ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾(٢).

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾(٣) أما يدل ذلك على أنه ليس في المكلفين إلا كافر أوْ مُؤمن ؟

وجوابنا : أن الشاكر قد يكون شاكراً وإن لم يكن مؤمناً برًّا تقياً لأن الفاسق بغصب أو غيره قد يكون شاكراً فلا يدل على ما قالوا بل في الآية دلالة على ما نقول من أن الكافر والمؤمن هما سواء في أَن الله تعالى قد هداهما لا كما قالت المجبرة أنه تعالى إِنما هدى المؤمنين والمراد بِهِ أنه دَلّ الجميع وأزال علتهم فمن عصى فمن جهة نفسه أتى .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾(٤) كيف يصح الترغيب في ذلك وليس هو بمستطاب في الدنيا ؟

وجوابنا : أن رائحة الكافور لا شُبهة في أنها مستطابة واليسير منها مستطاب فرغَّب تعالى في ذلك على الجملة كما رغَّب في الخمر، وإن كان طعمه في الدنيا لا

---

(١) [الإنسان: ١].
(٢) [الإنسان ٢].
(٣) [الإنسان: ٣].
(٤) [الإنسان ٥].

يستطاب وقد قيل أن المراد يشربون من نهر تربته الكافور وكـذلك إذا ألوا عن قـوله ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾[١] إذاً المراد التنبيه على الجملة وإن كان شراب أهل الجنة في نهاية اللذة .

[مسألة] وربما قالوا في قوله تعالى ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[٢] وهذا متناقض فلا يكون من فضة ويكون قوارير؟

وجوابنا أن المراد أنها من فضة وقد بلغت في الصفاء والحسن بحيث يرى ما فيها حتى لا تكون حاجزاً ولا حائلا كالقوارير وهذا نهاية ما يقع به الترغيب فأما قوله ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[٣] فالمراد به ما تشاؤون من اتخاذ السبيل إلى الرب إلا والله شاءه والمراد أنه شاء العبادات ولذا أنكرنا على القوم أنهم يصرحون بأنه تعالى قد شاء الفواحش والله يتعالى عن ذلك .

---

(١) [الإنسان:١٧].

(٢) [الإنسان:١٥-١٦].

(٣) [الإنسان:٣٠].

سورة المرسلات

[مسألة] وربما طعنوا على تكرير قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾(١) .

وجوابنا : أن القصص إذا كانت مختلفة رجع الكلام إلى كل واحد منها فيحسن كما ذكرناه في سورة الرحمن .

[مسألة] وربما قالوا في قصص الأنبياء لِمَ كرّرَه الله تعالى ؟

وجوابنا : أنه تعالى أنزل ذلك تسلية للرسول ﷺ فيما كان المشركون يأتون به فكان ينزل مرة بعد مرة ليسليه في حال بعد حال ولأن التالي يعتبر بذلك اعتباراً بعد اعتبار وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(٢) وربما تعلق به بعض المجبرة على أن افعال العباد مخلوقة من جهته تعالى وذلك بعيدٌ لأن كون ذلك الماء في الرحم من فعل الله تعالى وقد بيّنّاهُ من قبل . وقوله تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾(٣) من أقوى ما يدل على قولنا في العدل لأنهم إذا لم يعتذروا ولهم عذر فذلك لا يصح وقد نزل بهم من العقوبة ما لا دليل عليه فالصحيح أن لا عذر لهم وذلك لا يصح مع القول بأنه تعالى هو الذي خلق فيهم الكفر وقُدرة الكفر وإرادة الكفر .

---

(١) [المراسلات:١٥].

(٢) [المرسلات:٢٠-٢١].

(٣) [المرسلات:٣٥-٣٦].

سورة النبأ

[مسألة] وربما قيل لماذا قال تعالى ﴿ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ﴾(١) كيف يصح مع القول بخلودهم في النار أن يقدر كونهم فيها بالأحقاب ؟

وجوابنا : أن المراد أحقاب لا آخر لها كما يقال أوقاتاً وساعاتٍ لانهاية لها أن المراد أحقاب منقطعة والآية وردت في الذين لا يرجون حساباً وهم الكفار فلا يمكن أن يتأول على فساق أهل الصلاة .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً ﴾(٢) كيف يُذاق البرد وإنما خلقت هذه الحاسة ليذاق بها الطعم ؟

وجوابنا : أن البرد قد يُذاق بحاسة الطعم لا من حيث كانت حاسة لكن لأن محل الذوق يدرك به البرد ومعلوم من حال المشرب أنه يكون بارداً يبلغ في اللذة ما لا يبلغه ما ليس كذلك فهذا معنى الكلام . وربما قالوا في قوله تعالى من قبل ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾(٣) كيف يصح ذلك والسبات والنوم واحد فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً ؟

والجواب: أن السُّبات هو نوم مخصوص يجد الإنسان فيه من الراحة ما لا يجده في غيره ولذلك يوصف ذو النوم عند التعب بأنه في سبات ولا يوصف بذلك إلا وقد غرق في النوم فبين تعالى نعمته بهذا النوع وقوله تعالى ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾(٤)

(١) [النبأ:٢٣].

(٢) [النبأ:٢٤].

(٣) [النبأ:٩].

(٤) [النبأ:٢١].

فالمراد به أنها طريق الكل ثم بالقرب منها يتميز المثاب من غيره كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾(١) وأما قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً ﴾(٢) فقد قيل إن المراد به جبريل عليه السلام وقد قيل هو ملك في صورة آدم ﷺ وقد قيل بل المراد من له الروح وهم بنو آدم فذكر تعالى أنهم يقومون والملائكة بهذا الوصف وأن جميعهم لا يتكلمون إلا بإذن الرحمن وأنهم لا يتكلمون في الآخرة إلا بالصواب نبّه تعالى بذلك على الفصل بين الآخرة والدنيا .

---

(١) [مريم:٧٢].

(٢) [النبأ:٣٨].

سورة النازعات

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ﴾(١) أن ذلك قسم فعلى ماذا وقع القسم ؟

وجوابنا : أن القسم قد يحذف جوابه إذا كان في الكلام دليل عليه فكأنه قال لتحرشن ولتعبثن أو لترون يوم ترجف الراجفة تعظيما لحال ذلك اليوم وبعثاً على الخلاص من أهواله .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾(٢) كيف يصح والسماء لا ليل فيها لأن الليل إنما يثبت بحركات الشمس فإذا ظهرت فهو نهار وإذا غابت فهو ليل وذلك متعذر في السماء ؟

وجوابنا : أن اضافة الليل إلى السماء كاضافة الشمس والقمر والنجوم إلى السماء لما كان لولاها، ولولا حركات الشمس غي الأفلاك لم يكن ليل ولا نهار .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾(٣) أن ذلك مخالف لقوله ﴿ خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٤).

وجوابنا : أن المراد بهذه الآية خلق نفس الأرض وأنه قبل السماء والمراد بقوله ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾(٥) إنها وإن كانت مخلوقة فإن دَحْوَها وبسْطَها متأخر فلا اختلاف في ذلك فأما قوله تعالى من بعد ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾(٦) فهو تشبيه

(١) [النازعات:١].

(٢) [النازعات:٢٧-٢٩].

(٣) [النازعات:٣٠].

(٤) [فصلت:٩].

(٥) [النازعات:٣٠].

(٦) [النازعات:٣٢].

بإرساء السفن إذا استقرت فالمراد أنه وقفها في أماكنها لا تزول ولا تحول وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(١) من أقوى ما يدل على أن العبد هو الفاعل لأنه لا يقال طغى في فعل شيء إلا مع التمكن من فعله، ولا يقال آثر شيئاً على شيءٍ إلا وهو قادر على فعله وقوله تعالى ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾(٢) يدل أيضاً على تمكنه لأنه لا يوصف بذلك إذا كان الفعل مخلوقاً فيه وفي قوله ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾(٣) مع أنه منذر للكل فائدة وهي أن من يخشى هو القابل للانذار والمنتفع به .

---

(١) [النازعات:٣٧-٣٩].

(٢) [النازعات:٤٠].

(٣) [النازعات:٤٥].

سورة عبس

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾(١) كيف يصح وصفه للرسول بالتلهّي ؟

وجوابنا : أن العادل عن غيره لتشاغله بسواه يُقال لُهي عنه فليس ذلك من اللهو الذي هو اللعب والتشاغل بما لا يفعله العاقل، وعظم الله قدر القرآن بقوله ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾(٢) ثم إنه تعالى وصف الإنسان بما يكون بعثاً له على الطاعة فقال ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾(٣) . فجمع هذه الكلمات ما يقتضي الخضوع للمعبود فقد خلقه كاملاً ثم درجه إلى أحوال الآخرة من الحشر والنشر ثم بيّن كيف قدر له الطعام مع ذلك بإنزال الماء والإنبات وكيف قدر له أنعاماً أيضا للطعام ثم بيّن مع ذلك أن يوم القيامة ﴿ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾(٤) فان قيل كيف يفرّق في الآخرة ولا مفر ؟

فجوابنا : أن المراد عدوله عنهم لعلمه بأنه لا ينتفع بهم ولا ينتفعون به فيزول عن قلبه تلك الرقة والشفقة إلى غير ذلك من الأحوال ولذلك قال تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٥) .

---

(١) [عبس:٨-١٠].

(٢) [عبس:١١-١٦].

(٣) [عبس:١٧-٢٢].

(٤) [عبس:٣٤-٣٦].

(٥) [عبس:٣٧].

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ ﴾[١] أما يدل ذلك على أنه ليس مع أهل الجنة إلا الكفار ؟

وجوابنا : أن إثبات وصف الأمرين لا يدل على نفي ثالث إذا دل الدليل عليه فيجوز أن يكون بينهما مَنْ على وجهه غبرة ولا تلحقه القترة وهم الفساق الذين ليسوا بكفار بين ذلك قوله ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ ﴾[٢] وفي الكفار من لا يوصف بأنه فاجر فلو قيل للخوارج هل يجب في كل كافر أن يكون فاجراً لم تجد في ذلك من الجواب إلا ما ذكرنا .

(١) [عبس:٣٨-٤٢].

(٢) [عبس:٤٢].

سورة التكوير

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾(١) يعني جبريل عليه السلام، كيف يصح إضافة القرآن إليه وهو كلام الله ؟

وجوابنا: أنه المظهر لذلك حتى لولاه لما عرف فصحّت إضافته إليه وقد يضاف كلام الغير إلى من تحمله وذلك كثير في اللغة . فأما من قبل ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾(٢) وقوله ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(٣) فيدل على أنه تعالى يُعِيد ك هؤلاء يوم القيامة ويدل على أن من لا ذنب له لا يجوز أن يؤلم فيبطل بذلك قول من يزعم في أطفال المشركين أنهم يعذبون بذنوب آبائهم ويدل على بطلان القول بأن المعاصي مخلوقة من الله في الانسان لأنه يجب أن يكون تعالى يعذّبهُ ولا ذنب له وقد نفى الله تعالى ذلك وأبطله وقوله تعالى ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٤) المراد به الاستقامة فأما غير ذلك فموقوف على الدليل .

---

(١) [التكوير: ١٩].

(٢) [التكوير: ٨-٩].

(٣) [التكوير: ٥].

(٤) [التكوير: ٢٨-٢٩].

سورة الانفطار

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ﴾(١) كيف ينكر ذلك عليه مع وصفه نفسه بالكرم ؟

وجوابنا : أن المراد ما غرَّك بذلك في ارتكاب المعاصي العظيمة ولذلك قال تعالى بعد ذكر نعمه ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾(٢) وهذا أحد ما يدل على قدرة العبد على أن يعصي ولولا ذلك لم يصح أن ينسب إلى الاغترار وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ ﴾(٣) هو بعث للمرء على الطاعة لأنه إذا تحقق في كل ما يأتيه أنه مُحْصًى مكتوب في صحيفته محاسب عليه زجره ذلك عن فعله وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾(٤) يدل على أن الفاجر من أهل الصلاة مخلد في النار لأنه إذا لم يغب عن النار ولم يمت فهو كائن فيها، ويدل على أن الشفاعة لا تكون منه ﷺ لهم وإلا لم يكن ليعم كل فاجر بهذا الحكم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾(٥) أن ذلك تكرار لا فائدة فيه ؟

وجوابنا : أنه لما ذَكَرَ الأبْرار وما ينالونه من النعم والفجار وما يَنْزِل بهم من العذاب جاز أن يقول ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾(٦) فيما يظهر فيه للأبرار ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾(٧) فيما يحصل فيه للفجار وذلك يفيد تعظيم شأن ذلك اليوم .

---

(١) [الانفطار:٦].
(٢) [الانفطار:٩].
(٣) [الانفطار:١٠-١١].
(٤) [الانفطار:١٤-١٦].
(٥) [الانفطار:١٧-١٨].
(٦) [الانفطار:١٧].
(٧) [الانفطار:١٨].

سورة المطففين

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[١] كيف يصح والمطفف قد يطفف اليسير وذلك من الصغائر ؟

وجوابنا : أن المراد ويلٌ له بشرط أن لا يكون معه من ثواب طاعاته ما هو أعظم وبشرط أن لا يكون معه توبة فلا يلزم ما ذكروه؛ وبيّن تعالى أنهم إذا اكتالوا لأنفسهم يستوفون وإذا كالوا غَيرهم يخسرون وينقصون ثم زجر عن ذلك بقوله تعالى ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢] فإذا كانت هذه حالة مطفِّف فكيف حال من يأخذ أموال الناس بغير حساب وقـواه تعـالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣] لا يدل على قول المشبهة لان المراد تعظيم شأن ذلك اليوم في العقاب والثواب ولا يعظم بأن يكون تعالى قائماً فيه تعالى الله عن ذلك فالمراد إنزاله بأهل الثواب والعقاب ما يستحقون ولذلك ذكر بعده الفجار والأبرار لبيان حال كل واحد منهم وعظم شأن الابرار بتعظيم كتابهم وحقر شأن الفجار بتحقير الكتاب، ثم بيَّن تعالى ما ينال المؤمن في الدنيا عن المجرمين وأنهم يضحكون منهم وما يؤول أمرُ المؤمنين إليه في الآخرة من النعيم العظيم فقال ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٤] فنبه بذلك على أن صنيع الفجَّار وَبَالٌ عليهم وأنه منقطع كأن لم يكن، وصنع المؤمنين بالفجار ما ذكره تعالى مع كونهم في نعيمهم يكونون أبداً .

---

(١) [المطففين:١].

(٢) [المطففين:٤-٥].

(٣) [المطففين:٦].

(٤) [المطففين:٣٤-٣٥].

سورة الانشقاق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾(١) أين الجواب لهذا الكلام ؟

وجوابنا : أن المراد واذكر إذا السماء انشقت وتدبر إذا السماء انشقت فهو تنبيه على حال ذلك اليوم وترغيب في الطاعة فلذلك قال تعالى بعده ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾(٢) وذكر تعالى من أُوتي كتابه بيمينه وكيف يكون حسابه وانقلابه إلى أهله مسروراً وكيف حال من أوتي كتابه وراء ظهره وأنه الآن يدعو ثُبوراً ويَصْلَى سَعيراً وقد كان من قبل في أهله مَسروراً، وإذا ميّز التالي لهذه السورة بيّن هذين الامرين اللذين أحدهما يدوم ولا يبيد والآخر ينقطع ويصير وبالاً رغبة ذلك في الطاعة وعمارة أمر الآخر وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾(٣) وقد دخل تحته المؤمن والكافر يدل على أن المراد بكل لقاء ذكره تعالى في كتابه لقاء ما وعد وتوعد لا كما يتعلق به من يقول إن الله يرى فيظن أن اللقاء إذا أُضيف الى الله تعالى دلّ على الرؤية.

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً ﴾(٤) كيف يصح ذلك وقد ذكر تعالى في عدة مواضع اليمين والشمال وذلك مختلف ؟

وجوابنا : أنه لا يمتنع فيمن أُوتي كتابه بشماله أن يكون فيهم من أُوتِي كتابه بشماله فقط، وفيهم من يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره فلا يعد ذلك مختلفاً ويحتمل أن في كل من يؤتى كتابه بشماله أن يؤتى على هذا الوجه فلا يتناقض ذلك أيضاً . وربما يقال في جواب ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾(٥) انه في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ ﴾(٦) فكأنه قال انك كادح ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾(٧).

(١) [الانشقاق:١].
(٢) [الانشقاق:٦].
(٣) [الانشقاق:٦].
(٤) [الانشقاق:٧-١٢].
(٥) [الانشقاق:١].
(٦) [الانشقاق:٦].
(٧) [الانشقاق:١].

سورة البروج

[مسألة] وربما يقال أين جواب القسم في قوله ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾(١) ؟

وجوابنا : أنه قوله ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾(٢) وقد قيل إنه محذوف ويحتمل أن يكون قوله ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾(٣) وقد قيل إنه محذوف ويحتمل أن يكون قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٤) جوابه وقوله ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾(٥) لا يدل على قول المشبهة في أن العرش مكانه لأن هذه الاضافة تصح في فعله كما تصح في المكان وقوله ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(٦) إنما يدل على أن ما يريده يفعله ولا يدل على أن كل فعل يقع هو مراده .

---

(١) [البروج:١].

(٢) [البروج:١٢].

(٣) [البروج:١٢].

(٤) [البروج:١٠].

(٥) [البروج:١٥].

(٦) [البروج:١٦].

سورة الطارق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ ﴾(١) كيف يصح أن لا تكون له قوة وإن كان يصح أن لا تكون له نُصرة ؟

وجوابنا : أن المراد لا قوة له على دفاع ما ينزل به كما لا ناصر له وذلك من الله تعالى زجر وتخويف وفيه دلالة على ما نقوله وذلك لأنه لو كان لا قدرة له في الدنيا على الإيمان لم يكن ليصح أن يُهَدَّد بذلك ويُبَكَّت ويدل على أنه لا شفاعة لأهل العقاب لأنه لو كان لهم شفيع لكان لهم أقوى ناصر وقوله ﴿ وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾(٢) فالمراد به إنزال العقاب بهم من حيث لا يشعرون في الآخرة ويحتمل أن يريد إنزاله الخذلان بهم في الدنيا من حيث لا يشعرون وذلك تشبيه لا تحقيق .

---

(١) [الطارق:٩-١٠].

(٢) [الطارق:١٦].

سورة الأعلى

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾(١) كيف يصح والتسبيح هو التنزيه أن ينزه الإسم وإنما يصح تنزيه المسمى الذي هو الله تعالى؛ وهلا دلّ ذلك على أن الإسم عين المسمى ؟

وجوابنا أن الاسم غير المسمى لأنه حروف مؤلفة تُسْمَع وتُكْتَب وليس كذلك المسمى لكن المراد تنزيهه تعالى فذكر الإسم وأريد المسمَّى تعظيماً وتفخيماً، وربما يقول القائل في نبينا ﷺ صلوات الله على ذكره ويريده نفسه فيكون ذلك أدخل في الإجلال ولذلك قال تعالى بعده ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾(٢) وذلك من صفاته لا من صفات الإسم .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾(٣) كيف يصح ذلك والنسيان من فعل الله تعالى لا من فعل العبد ؟

وجوابنا : أن المراد سنقرئك فلا تترك تعهد ما أنزلنا عليك ولا تدع التمسك بالعمل به ويكون معنى قوله تعالى ﴿ فَلاَ تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾(٤) بطريقة النسخ فإنه إذا نسخ تلاوة شيءٍ كان متروكاً ولا يجب أيضاً العمل به إذا نسخ معناه وحكمه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾(٥) كيف يصح أن يأمره بأن يذكر من تنفعه الذكرى وقد علمنا أنه يلزمه أن يذكر من هذا حاله ومن لم تنفعه الذكرى بأن لا يقبل ويتمرد ؟

---

(١) [الأعلى:١].
(٢) [الأعلى:٢].
(٣) [الأعلى:٦-٧].
(٤) [الأعلى: ٦-٧].
(٥) [الأعلى:٩].

وجوابنا : أن المراد تجديد الذكرى على من هذا حاله وإن كان البيان من جهته قد حصل بكل ومن المعلوم أن من حاله أن تنفعه الذكرى يكون في جملة ألطافه تكرير الذكرى عليه ويحتمل أن يُريد الكل سواء قبلوا أم لم يقبلوا لأنهم إن لا يقبلوا لا يخرجوا من أن تكون الذكرى قد نفعتهم كما ينتفع الجائع بتقديم الطعام إليه وإن لم يختر الأكل .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّـذِي يَصْـلَى النَّارَ الكُبْرَى * ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى** ﴾[1] كيف يصح أن يكون في النار لا حيّاً ولا ميّتاً ؟

وجوابنا : أن المراد أنه لا يموت فيستريح من ذلك العقاب ولا يحيى حياة ينتفع بها .

---

(١) [الأعلى: ١١-١٣].

سورة الغاشية

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾(١) كيف يصح ذلك في الوجوه وذلك من صفات الحي الذي الوجه بعضه ؟

وجوابنا : أن المراد جملة المرء دون العضو وقد يذكر الوجه ويراد به نفس الشيء كما يقال هذا وجه الأمر وعلى هذا الوجه تأول العلماء قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾(٢) ولذلك قال تعالى بعده ﴿ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾(٣) وذلك منه تعالى زجر عن المعاصي التي تؤدي إلى هذا الوصف وقوله تعالى ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾(٤) تدل على قدرتها على خلاف ذلك لأن من خلق فيه الشيء لا يوصف بهذا الوصف ثم بيَّن تعالى الفضل بينهم وبين أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾(٥) فرغب بذلك في الطاعة ثم عطف على الجميع فقال تعالى ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾(٦) بعث بذلك على النظر في أدلّة الله تعالى ونعمه ثم قال ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾(٧) فبيَّن أن الذي إليه هذا القدر قُبلوا أو لم يُقبلوا . ودل بذلك على أنهم ممكنون لأن الأمر من الله تعالى لرسوله بأن يذكر لا يصح المرء قد خلق فيه ما يمنعه من الكفر وقدرة الكفر .

---

(١) [الغاشية:٢].
(٢) [القصص:٨٨].
(٣) [الغاشية:٤-٦].
(٤) [الغاشية:٣].
(٥) [الغاشية:٨-١٠].
(٦) [الغاشية:١٧].
(٧) [الغاشية:٢١-٢٢].

سورة الفجر

[مسألة] ربما تعلقت المشبهة بقوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً﴾(١).

وجوابنا : أن المراد أمر ربك فلو جاز المجيء عليه لجاز عليه المشي والانتقال ومن هذا حاله لو جاز أن يكون قديماً لم نثق بأنَّ العلم محدث وهذا كقوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾(٢) فإذا لم يكن توجه السؤال إليها حملناه على من يصح أن يسأل وكذلك قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾(٤) دليلنا على أن العبد في الدنيا قادر على الإيمان وان كان كافراً وإلا ما كان يصح أن يتمنى ما لا يقدر عليه ولا كان يصح أن يوصف بأنه يتذكر وأنى له الذكرى لأنه على قولهم في الدنيا أيضاً كان لا تمكنه الذكرى .

---

(١) [الفجر:٢٢].

(٢) [يوسف:٨٢].

(٣) [الفجر:٢٢].

(٤) [الفجر:٢٣-٢٤].

سورة البلد

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾(١) ما معنى ذلك وإنما خلق الإنسان في بطن أمه ؟

وجوابنا : أن المراد أحد الأمرين أما ما ذكر عن الحسن أنه خلق يكابد السّرّاء والضّرّاء وشدائد الدنيا، أو يكون المراد مكابدته في الوضع فإنه تلحقه الشدة في ذلك وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾(٢) يدل على أنه قد هدى الكل من كافر ومؤمن .

---

(١) [البلد:٤].

(٢) [البلد:٨-١٠].

سورة الشمس

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[1] بعد قوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[2] أليس يدل ذلك على أن الفجور والتقوى من خلق الله تعالى ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله تعالى ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾[3] أعلمها وبيّن لها الفجور لتجتنب ذلك والتقوى لتقدم عليها فلا يصح ما قالوه وقوله تعالى من بعد ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[4] لا يدل على أنه تعالى يخلق في العبد ما به يتزكى لأن المراد قد افلح من زكّى نفسه بأن يفعل ما به يصير زكيًا أو يكون المراد من وصف نفسه بالإيمان والطاعة لا على وجه التفاخر لكنه على وجه دفع التهمة عن نفسه فلا يدل على ما قالوه .

---

(١) [الشمس:٨].

(٢) [الشمس:٧].

(٣) [الشمس:٨].

(٤) [الشمس:٩].

سورة الليل

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾[1] أليس قد خص مَن هذه صفته بأنه يسّره للإيمان فيجب أن يكون مخلوقاً من قبله فيهم وكذلك قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[2] ؟

وجوابنا : أن المراد أن باليُسرى الثواب العاجل والآجل وبالعسرى العقاب العاجل الآجل فلا يصح ما قالوه ويحتمل أن يكون المراد فيمن صدّق بالحسنى تيسيره للالطاف التي لأجلها يثبت على الإيمان وفيمن كذّب بالحسنى تيسيره لأمور لأجلها يفضل الثبات على ما هو عليه فيكون كقوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾[4] يدل على أن الهدى هو البيان فانه تعالى بالتكليف قد أوجبه على نفسه .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾[5] أليس يدل ذلك على أن من لم يكذب ويتولى لا يصلى النار وهذا يدل على أن فساق أهل الصلاة آمنون من النار ؟

وجوابنا : أن المراد به نار مخصوصة لا يصلاها إلا هؤلاء الكفار لأن هناك نيراناً ولها مراتب فلا يدل على ما قالوه وبيَّن ذلك ان في الكفار من لا يوصف بأنه يكذب ويتولى فلو سُئلوا عنهم لم يكن جوابهم إلاَّ هذا الذي ذكرنا فلا يمتنع في الفساق أن يكونوا في غير هذه النار وبين في الفساق ذلك بقوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي ﴾[6] فمعلوم أن غير الأتقى يجنبها أيضاً كمن ليس بمكلف من المجانين والأطفال .

---

(١) [الليل:٥-٧].
(٢) [الليل:٨-١٠].
(٣) [الأنعام:١٢٥].
(٤) [الليل:١٢].
(٥) [الليل:١٤-١٦].
(٦) [الليل:١٧-١٨].

سورة الضحى

[مسألة]وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[١] أليس ذلك يدل على جواز الضلال على نبينا ﷺ وعلى سائر الأنبياء ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك ضالاً عن النبوّة والرسالة وسائر ما خص الله تعالى به نبينا ﷺ من التعظيم وغيره فهداك الله إليها لأنه في اللغة قد يقال ضلّ عن كيت وكيت إذا كان ذلك طريق منافعه ولم يقل الله تعالى ووجدك ضالا عن الدين حتى يصح تعلقهم وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٢] يدل على وجوب الشكر لله تعالى على نعمة ظاهرة لا خَفِيَّة ويدل قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ﴾[٣] على وجوب الاحسان إلى السائل إما بالعطية وإما بالبشْر والطلاقة كما روي عنه ﷺ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» .

---

(١) [الضحى:٧].

(٢) [الضحى:١١].

(٣) [الضحى:١٠].

سورة الشرح

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[١] أن ذلك يدل على ان إِيمانه من الله تعالى لأن شرح صدره إِنما يقع بالإيمان .

وجوابنا : أن شرح الصدر ليس من الإيمان بسبيل وإن كان قد يتقدم الإيمان ويتبعه والمراد بذلك تكرير الأدلة والمعجزات عليه على ما بيَّنه الله تعالى في كتابه في غير موضع وأما قوله تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[٢] فلا يدل على جواز الكبائر عليه وقد يقال إِنه تعالى امتن عليه بأمر كان يجوز أن يفعله ولو كان ذلك من الصغائر لم يصح ذلك فيه ؟ وجوابنا أن الكبائر لا تجوز على الأنبياء والمراد بذلك ما يتفق على وجه السهو من الصغائر؛ والصغائر يضعها الله تعالى ويرفعها وقد يكون ذلك مما لا يجوز في الحكمة أن لا يفعله وقوله تعالى من بعد ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[٣] في وصف ما وضعه من الوِزْرِ لا يدل على أنه من الكبائر إِذْ المراد أنه انزل به الشدائد من حيث يلزمه من التوبة والندامة ما فيه كلفة فأما قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٤] فمن جملة ما امتن به من النعم لأن ذلك مما يقتضي سروراً عظيما وقد ذكر في الخبر أنى لا أذكر إِلا ذكرت معي كما في الآذان وغيره .

---

(١) [الشرح:١].

(٢) [الشرح:٢].

(٣) [الشرح:٣].

(٤) [الشرح:٤].

سورة التين

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(١) كيف يصح ذلك ونحن نعلم أن في الصورة المقدور عليها ما هو أحسن من خلق الإنسان ؟

وجوابنا : أن المراد بذلك البنية التي خصّ الله تعالى بها الإنسان فهي أحسن من سائر البني التي خلق عليها سائر الحيوانات وإن كانت صورة الإنسان تتفاوت وتتفاضل .

[مسألة] وربما قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾(٢) أما يدل ذلك على انه رده من الإيمان إلى الكفر ؟

وجوابنا : أن المراد رَدَدْنَاه إلى العقاب الذي هو على الوصف إذا تمرد وعصى زجر بذلك العبد عن المعاصي ولذلك قال بعده ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾(٣) وهذا الاستثناء لا يليق إلا بما قُلْنَا .

---

(١) [التين: ٤].

(٢) [التين: ٥].

(٣) [التين: ٦].

سورة العلق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾(١) أليس ذلك يدل على أنه أغناه وإن ادى ذلك إلى الطغيان وهذا هو المفسدة التي تنزهون الله تعالى عن فعلها ؟

وجوابنا : أنه ليس في الظاهر أنه تعالى فعل ذلك حتى ذلك السؤال وقد يجوز أن يقول ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾(٢) ويغنيه مع ذلك ويجوز أن يقول ولا يغنيه لأجل ذلك ومع ذلك فليس فيه دلالة على أنه لو لم يستغن كان لا يطغى بل يجوز أن يطغى على كل حال عند ذلك وعند عدمه فلا يدل على ما قالوه ويجوز أن يكون المراد يطغى بما يتمكن منه عند الاستغناء،

ولولا ذلك كان لا يتمكن كالإنفاق في وجوه المعاصي فيكون ذلك تمكيناً لا مفسدة وهذه الآية تدل على أن العبد يتمكن من الطاعة إذا عصى لأنه لا يجوز في الاستغناء أن يدعوه إلى المعصية إلاَّ وهو متمكن من الأمرين ولو كان ما فيه من الكفر خلقاً لله كان لا يصح ذلك وقوله تعالى من قبل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٣) أحد ما استدل به العلماء على أن القرآن مخلوق(٤) لأنه تعالى ذكر اسم ربه ثم وصفه بأنه خلق فيترجح أن يكون هذا الوصف راجعاً إليه وإن جاز أن يرجع إلى غيره .

---

(١) [العلق: ٦-٧].

(٢) [العلق: ٦-٧].

(٣) [العلق: ١].

(٤) يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (ويستخلص من هذا كله أن أحمد بن حنبل، ومن سلك مسلكه يقولون : إن القرآن غير مخلوق، ولا يقولون إنه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنـزل على النبى ﷺ كلامـه بالـروح الأمين جـبريل) .
(ابن حنبل ـ حياته وعصره ـ ص ١٦١) وراجع هامش من سورة النور .

سورة القدر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(١) كيف يصح أن يراد به القرآن ولم يتقدم له ذكر ؟

وجوابنا : انه قد تقدم ذكره في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(٢) وغير ذلك، وإذا صار الامر معروفاً جاز أن يحذف ذكره لعلم التالي به .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾(٣) كيف يصح ذلك وهل المراد به خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ونفس الليلة كيف يصح أن تكون خيراً ؟

وجوابنا : أن المراد العمل فيها خير من العمل في ألف شهر تخلو عن ليلة القدر وليس في الآية تفصيل ذلك وأن هذا الخير في كل المكلفين أو بعضهم في كل الاعمال أو في بعضها فيحتمل أن يريد انها خير على الجملة للعباد ويحتمل لكل مكلف ويحتمل أن تكون خيراً من ألف شهر لما يفيضه الله فيها من الأرزاق والنعم فلا يصح ما سألوا عنه ولذلك أتبعه تعالى بقوله ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾(٤) فنبه على ما ذكرناه .

---

(١) [القدر:١].

(٢) [الدخان:٣].

(٣) [القدر:٣].

(٤) [القدر:٤].

سورة البينة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ﴾(١) ما الفائدة في قوله تعالى ﴿ حُنَفَاءَ ﴾(٢) وإذا عبدوا الله واخلصوا كفى ذلك ؟

وجوابنا : أن المراد مستقيمي الطريقة لأنهم أُمروا بأن يعبدوا الله مُخلصين له الدين على هذا الوجه وقد قيل في الاخلاص أن المراد به تخليص الطاعات من الكبائر فيشهد لما ذكرناه ويجوز أن يُراد به وما أُمروا إلا بذلك على هذا الوجه السهل كما قال ﷺ بُعِثْتُ بالحنيفِيَّة السَّمْحَاء .

وهذه الآية دالة على أن كل عبادة من الدين وعلى ان ما بعبد الله به يجب أن يفعل على هذا الوجه وفعله على هذا الوجه دون غيره لا يتم إلا والعبد متمكّن من فعله على غير هذا الوجه وقوله تعالى ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٣) [البينة:٥] يدل أيضاً على ما ذكرنا .

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾(٤) [البينة:٦] أليس يدل ذلك على ان في الكفار من ليس بمشرك وكذلك قوله تعالى في أول السورة يدل على ذلك ؟

وجوابنا : أنه في أصل اللغة المشرك هو الكافر المخصوص الذي يتخذ مع الله شريكاً لكن من جهة عرف الشرع أطلق ذلك على كل كافر كما عقل من قوله تعالى

---

(١) [البينة:٥].

(٢) [البينة:٥].

(٣) [البينة:٥].

(٤) [البينة:٦].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[١] ومن قوله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٢] فلا يمتنع أن يفضل بينهما في بعض المواضع وهذا كما يقال مثله في المسكين والفقير وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[٣] الى قوله الله ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[٤] يدل على ان العلماء خير البرية لقوله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٥] وانت إذا جمعت بين الآيتين تثبت ما ذكرناه .

---

(١) [النساء:٤٨].

(٢) [التوبة:٥].

(٣) [البينة:٧].

(٤) [البينة:٨].

(٥) [فاطر:٢٨].

سورة الزلزلة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾[1] أليس ذلك يوجب ان الكافر والفاسق إذا فعلا طاعات يريان ثوابها وذلك خلاف قولكم ؟

وجوابنا : أن الخير المستحق على الطاعة هو الثواب وإنما يستحقه فاعل الخير إذا لم يكن معه معصية أعظم من الطاعة فأما إذا كانت معاصية من باب الكفر والفسق فلن يرى ذلك لأن الوعد والوعيد مشروط بما ذكرنا في الثواب والعقاب وبعد فإن من يفعل الخير إذا كانت أحواله سليمة يرى ثوابه وإذا كانت غير سليمة باقدامه على المعصية يرى أيضاً التحقيق بذلك من عقابه فيستقيم الكلام على هذا الوجه .

---

(١) [الزلزلة:٧-٨].

سورة العاديات

[مسألة] وربما قيل كيف يصح ان يقول تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾[1] وليست هذه حال كل انسان ؟

وجوابنا : أنه تعالى أتى بوصف لهذا الانسان يدل على المراد به الخصوص وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2] ويحتمل أن يراد ان الجميع كذلك لكن بعضهم يصرف نفسه عمّا جِيل عليه من الهوى والشهوة وبعضهم على خلاف ذلك فيكون الكل داخلين فيه ويكون المراد هذه طريقة من انصرف عن هذا الامر أو أقدم عليه وذلك زجرٌ من الله تعالى عن المعاصي ولـذلك قال بعـده ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[3] وإذا تصور المرءُ في كل ما يأتي ويذر أنه تعالى عالم خبير كان ذلك زاجراً له عن المعاصي .

(١) [العاديات:٦].

(٢) [العاديات:٧-٨].

(٣) [العاديات:٩-١١].

سورة القارعة

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[1] أليس ذلك يدل على موازين لكل أحد وما معنى قوله ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[2] وكيف تكون جهنم أُمًّا للبشر ؟

وجوابنا : أنه ليس هناك ثقل في الحقيقة لان اعمال المكلف قد تقضَّت وهي مع ذلك عرض لا ثقل فيه وإنما أراد بذلك رجحان طاعته على معاصيه فشبه بما يوزن من الاشياء الثقيلة ولا ينكر مع ذلك أن يكون هناك موازين يوزن بها صحائفُ أعمال العباد فيبين حال من رجح في باب الطاعة وإنما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[3] تنبيهاً بذلك على لزوم العقاب له كلزوم الأم للشيء وذلك ممّا إذا تبيّنه التالي عرف كثرة وجوه الفائدة في هذا الكلام القليل وعرف به مَزِيَّة القرآن في الفصاحة .

---

(١) [القارعة:٦-٩].

(٢) [القارعة:٩].

(٣) [القارعة:٨-٩].

سورة التكاثر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[١] كيف يحسن هذا التكرار ؟

وجوابنا : أن المراد بهما مختلف فالمراد بالأول ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] ما ينزل بكم في الدنيا في حال الحياة والممات، والمراد بالثاني ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] ما يكون لكم في الآخرة من ثواب وعقاب وهذا بعث من الله تعالى على التمسك بطاعته وقوله تعالى من بعد ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤] المراد به التنبيه على تقصيرهم في المعرفة وذلك خاص ببعضهم وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[٥] يدل على ان الواجب الشكر لله تعالى على نعمه وان من لم يفعل يُسئل عن ذلك وهذا يدل على قدرته على القيام بحق الشكر وإلا لم يكن يسأل عنه بل كان يجب إن كان يخلق فيه كفر النعمة أن يكون سائلاً نفسه ومحاسباً لنفسه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

(١) [التكاثر:٣-٤].

(٢) [التكاثر:٣].

(٣) [التكاثر:٤].

(٤) [التكاثر:٥].

(٥) [التكاثر:٨].

سورة العصر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾(١) [العصر:٢] كيف يصح ذلك والله تعالى خلقه لينتفع ؟

وجوابنا ان المراد المكلف دون غيره فبين أنه لفي خسر إلا الذين آمنوا ثم بيَّن صفتهم فقال تعالى ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(٢) [العصر:٣] ولم يقتصر على ذلك حتى وصفهم بالنظر في أمر غيرهم لأن المكلف كما يلزمه ما يخصه من ايمان وعبادة كذلك يلزمه ما يتعلق بغيره من أمر بمعروف ونهي عن منكر وتعليم للدين وصرف عن الباطل فلذلك قال تعالى ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٣) [العصر:٣] وهاتان الكلمتان قد دخل فيهما كل امر يلزم المرء في غيره وان فسرناه طال القول فيه (٤).

---

(١) [العصر:٢].

(٢) [العصر:٣].

(٣) [العصر:٣].

(٤) حاشية وجدت بخط اليشكري من أصحاب أبي رشيد قاضي القضاة الامر الذي يلزم المرء في غيره ما هو ؟ قال : هو كثير من جملته ما يدخل في قوله تعالى ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ [العصر:٣] والدعاء إلى الدين والتوحيد والعدل والإنصاف في المعاملات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين، ويدخل في قوله ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر:٣] وهو الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر على ما يلحق المرء من المحن والشدائد والمصائب من جهة الله تعالى ومن جهة عباده الظلمة بأن لا يجزع ولا يهلع ولا ينتصف من ظالمه بأكثر من حقه ولا يريده بأكثر مما حده الله فيه ولا يحمله الغضب والجزع على أن يتعدى فيه إلى حد ذم فان من الناس من إذا لحقته محنة من ظالم يريد أن يلحق سائر الناس مثل ما لحقه ولو تمكن منه ومن التشفي به لفعل، وربما سعى به الى السلطان وكل هذا مما نهى الله عنه، والواجب على المؤمنين ان يوصى بعضهم بعضاً بذلك كما ندب الله اليه . وفقنا الله للعمل بما يرضيه ويزلفنا اليه والسلام أ هـ .

سورة الهمزة

[مسألة] وربما قيل هل يدخل في قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[1] غير الكافر او لا يدخل فيه الا الكفار ؟

وجوابنا ان ذلك محتمل لاجل قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾[2] وذلك مما لا يليق إلا بالكفار الذين لا يعتقدون في أموالهم انها من قبل الله تعالى فلذلك رجحنا قول من صرف ذلك إلى الكفار .

---

(١) [الهمزة:١].

(٢) [الهمزة:٣].

سورة الفيل

[مسألة] وربما قيل فيه كيف يصح في الطير الصغير أن يرسل الحجر فيؤثر في الناس التأثير الذي ذكره الله تعالى في هذه السورة ؟

وجوابنا ان ذلك يصح من احد وجهين إما بأن يزيد الله تعالى في قوة الطُّيور فلزيادة قوتهم يؤثر ذلك الحجر التأثير العظيم، فقد روى ان ذلك الحجر كان ينفذ في الراكب وفي فرسه حتى يخرقها جميعاً والثاني ان يكون الله تعالى عند رمي الطير كيف يفعل فيه من الانحدار الشديد ما يؤثر هذا التأثير .

فان قيل كيف يصح ذلك ولم يكن في الزمان نبي وهذا من المعجزات العظام ؟

وجوابنا أنه لا بد من نبي في الزمان يكون هذا الامر معجزة له وقد كان قبل نبينا أنبياءُ بُعِثوا الى قوم مخصوصين فلا يمتنع أن يكون هذا الأمر ظهر على بعضهم كما روى انه ﷺ قال في خالد بن سنان ذلك نبي ضيعه قومه، وكما قال في قس بن ساعدة أنه يبعث يوم القيامة امة واحدة لقلة من قبل عنه فهذه طريقة الكلام في هذا الباب .

سورة قريش

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾(١) كيف يصح ذلك ومعلوم أن فيهم من لم يطعمه الله من جوع كالذين يقطعون الطريق ويُفسدون في الأرض وفيهم من لم يُؤَمِنه من خوف كالذين يخافون الفتن وغيرها في تلك البقعة وغيرها ؟

وجوابنا : أن قوله تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾(٢) مخصوص لأنه راجعٌ إلى قوله تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾(٣) فإنما ورد في هؤلاء التجار وهؤلاء لا يمتنع أن يكون ما ذكره الله تعالى واقعاً فيهم فأطعمهم الله جميعهم من جوعٍ وآمنهم من خوف،

فإن قيل كان الله تعالى أطعمهم فيجب أن يكون هو الخالق للأكل فيهم كما يقوله أهل الاجبار ؟

وجوابنا : أنه من جهة العادة يقال ان فلاناً أطعم القوم إذا مكنهم من الأكل وأباح ذلك لهم فلما كان تعالى أباح لهم التصرف في التجارات وغيرها ورزقهم من ارباحها ما يكون طعاماً لهم جاز أن يصف نفسه بأنه اطعمهم من الجوع وآمنهم من الخوف ومعلوم أنه قد خص الله تعالى هذه البقعة من الأمن بما باينت به غيرها من البقاع ولم يقل تعالى وآمنهم من كل خوف فورود بعض أسباب الخوف عليهم لا يخرجهم من أن يكونوا قد آمنوا من بعض آخر .

---

(١) [قريش:٣-٤].

(٢) [قريش:٣].

(٣) [قريش:١-٢].

سورة الماعون

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(١) كيف يصح مع السهو؛ والسهو من قبل الله تعالى والساهي معذور فيما سها عنه فكيف يكون له الويل ؟

وجوابنا : أن المراد بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٢) ليس هو السهو الذي يفعله تعالى فيهم بل هو ما ينالهم من الغفلة لقلة توفرهم على الصلاة وقد أوجب الله تعالى على المكلف أن يتوفر بقلبه وبدنه ولسانه على الصلاة فاذا قصر في ذلك مع التمكن جاز ان يوصف بأنه سها عن صلاته فهذا هو المراد ولذلك قال تعالى بعده ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾(٣) والمرئي بما يفعله لا يجوز ان يكون ساهياً على الوجه الذي يكون معذوراً معه في تلك العبادة .

---

(١) [الماعون: ٤-٥].

(٢) [الماعون: ٥].

(٣) [الماعون: ٦-٧].

سورة الكوثر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[1] ما وجه تعلق النحر بالصلاة حتى يعطف عليها وما وجه تعلق هذا الامر بانعام الله تعالى عليه بالكوثر ؟

وجوابنا : أنه قد رُوِيَ عن أمير المؤمنين أن المراد به وضع إحدى اليدين على الأخرى عند الصدر ولذلك تعلق بالصلاة لأنه أحد ما سن فيها على ما رُوى عنه ﷺ أنه قال ثلاث من سنن المرسلين أحدهما وضع اليمني على اليسرى في الصلاة وقد قيل إن المراد بهذا النحر ما له تعلق بالصلاة يوم الأضحى وفي المناسك

وقيل إِنه تعالى ذكر في العبادات ما هو الأشق من الصلاة وأتبعه بما هو الأشق في نفار الطبع .

---

(١) [الكوثر: ٢].

سورة الكافرون

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[١] كيف يحسن ذلك في الحكمة مع التكرار الذي فيه ؟

وجوابنا : أنه لا تكرار في ذلك لان قوله تعالى ﴿ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[٢] المراد به في المستقبل وقوله تعالى ﴿ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[٣] المراد به في الحال ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾[٤] المراد به في المستقبل وفي الحال أي لا أعبد ما تقدمت عبادتكم له، ومن يعد ذلك تكراراً فمن قلة معرفته وتدبره لأنه ينظر إلى اللفظ ويعدل عن تأمل المعنى .

---

(١) [الكافرون:١-٢].

(٢) [الكافرون:٢].

(٣) [الكافرون:٣].

(٤) [الكافرون:٤].

سورة النصر

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾[1] ما وجه تعلق الأمر بأن سبح بما تقدم ذكره ومعلوم أنه مأمور بذلك في كل حال ؟

وجوابنا : أن المراد ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[2] لأجل هذه النعمة العظيمة وهي النصر والفتح وتوفر الناس على الدخول في الدين لأن كل ذلك من النعم الزائدةُ على محمد ﷺ وعند كل نعمة متجددة يجب الشكر المتجدد فأمر الله تعالى بذلك وبالتوبة والانابة لأنه ما من حال يجب فيها شكره وتنزيهه إلا ويجب معها التوبة وقد قيل ان السورة نزلت آخراً وقد نعى الى رسول الله ﷺ نفسه فنبه بهذا الكلام على ما ينبغي أن يتسدد فيه عند مفارقة الدنيا .

---

(١) [النصر: ١-٣].

(٢) [النصر: ٣].

سورة المسد

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] كيف يصح أن يعرّفه الله تعالى بأنه سيصلى النار وأنه لا يؤمن ومثل ذلك إذا عرفه المرء صار كالصَّارف عن الإيمان والإغراء بالكفر ؟

وجوابنا : أن في العلماء من قال إن هذا الخبر مشروط كما شرط الله تعالى في الوعد الثبات على الطاعة واجتناب الكبائر وشروط الله تعالى في الوعيد أن لا يتوب ولا يأتي بطاعة أعظم من معاصيه .

وإذا كان مشروطاً فيجوز أن يؤمن فيخرج عن أن يكون خاسراً وأن يكون ممن يَصْلى النار قطعاً ومن العلماء من قال يجوز أن يكون مقطوعاً به وإعلامه بذلك لعلم الله تعالى فيه أنه لا يؤمن ولا يمنع ذلك من حسن التكليف لانه في أن لا يؤمن إنما يُؤْتَى من قبل نفسه وعلى هذا اختلفوا أيضاً في تعريف الله له هل هو بأنه لا يؤمن أو بأنه يبقى إلى حين .

(١) [المسد: ١].

سورة الإخلاص

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[(١)] أليس في الرواية أنه المصمت الذي لا جوف له وذلك يدل على ما تقوله المشبهة ؟

وجوابنا : أن المروى عن ابن عباس أن الصمد السيد والمروى عن الحسن وغيره أنه الذي يصمد إليه في الحوائج ويفزع إليه في الطلبات وكلاهما من أوصاف الله تعالى التي تمنع من أن يكون جسما، لأن السيد الذي لا يتقدمه غيره في السؤدد وغيره لا يجوز أن يكون جسماً ولأن من يفزع في الأمور على كل حال لا يجوز أن يكون جسماً . وفي الخبر أن بعض أهل الكتاب قالوا للنبي ﷺ أنعت لنا ربك أمِن ذَهَبٍ أم فضة فأنزل الله تعالى هذه السورة وبين لهم فيها فساد ما اعتقدوه لأن قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[(٢)] يتضمن أنه الذي تَحِقُّ له العبادة وذلك لا يصح إلا للقدرة على خلق من يستحق أن يعبده والإنعام عليه بالعقل وغيره ثم قال في وصفه إنه أحد ولا يكون واحداً لا عديل له إلا وهو قديم لا يشبه الاجسام ولا مثل له ولا نظير في الآلهية والقدم .

ثم قال تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[(٣)] فأعاد ذكر الإلهية عند وصفه بالفزع إليه في الأمور ثم قال تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[(٤)] فبيّن أن ذلك مستحيل عليه ولو كان جسماً لم يستحل عليه ذلك ثم قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[(٥)] ليعلم أنه لا

---

(١) [الإخلاص:٢].

(٢) [الإخلاص:١].

(٣) [الإخلاص:٢].

(٤) [الإخلاص:٣].

(٥) [الإخلاص:٤].

نظير له ينازعه في الملك وهذا إذا تأمله المرء عرف دخول كل أوصاف الله تعالى من الوحدة والعدل في جملته لأن الآلهية تقتضي القدرة على الأجسام والفعل والحياة وغيرهما وتقتضي العلم بأن المكلف كيف يعبد وكيف يصل إلى الثواب ويقتضي ذلك أنه حَيّ لأن القادر العالم يجب أن يكون حيًّا؛ والحي إذا انتفعت عنه الآفات يجب أن يكون سميعاً بصيراً مدركاً للمدركات ولا بد من أن يكون موجوداً ليصح أن يكون قديماً موصوفاً بهذه الأوصاف والإلهية تفيد الحكمة، والحكمة تقتضي أن لا يفعل القبيح فليس لاحد أن يقول كيف يصح في هذه السورة أن تكون جواباً لقولهم الذي قالوا .

سورة الفلق

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(١) إن ذلك يدل على أن الشر من قبله كما أن الخير من قبله ؟

وجوابنا أنه لو كان كما قالوا لوجب أن يكون شِرِّيراً لكثرة الشر الذي يقع منه وأن يوصف بأنه من الأشرار فالمراد من شر خلقه، فالشر يضاف الى خلقه لا إليه . تعالى الله عن ذلك .

وفي جملة ما خلق ما يكون الشر منه كالحيّات والعقارب وغيرهما، وعلى هذا الوجه أمر الله تعالى بأن يتعوذ من شرّ حاسد إذا حسد، ومعلوم أنه ليس يقع منه عند الحسد إلا ما يجري مجرى الحيل، ونبه تعالى بذلك على أن الواجب التحذر مما يضر في الدنيا بالقول كما ينبغي أن يتحرز بالفعل وجعل ذلك كالسبب في التحرز من المعاصي، لأنه اذا شدّد في التحرز من هذه الامور التي تقل مضارها كان التحرز من عقاب الآخرة أقرب .

(١) [الفلق:٢].

سورة الناس

[مسألة] وربما قيل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ ﴾[1] أليس ذلك يدل على أن الشيطان يؤثر في الإنسان حتى أمرَنا بأن نتعوذ من شرّه وأنتم تقولون إنه لا على شيء من ذلك ؟

وجوابنا : أنه تعالى بيَّن أن هذا الوسواس من الجِنَّةِ والناس، ومعلوم أن من يوسوس من الناس لا يخبط ولا يحدث فيمن يوسوس له تغيير عقل وجسم فكذلك حال الشيطان، ومع ذلك فلا بد في وسوستهم من أن يكون ضرر يصح أن يتعوذ بالله تعالى منه، وهذا يدل إذا تأمله المرء على قولنا بأن العبد مختار لفعله وذلك لأنه تعالى لو كان يخلق كل هذه الأمور فيه لم يكن لهذا التعوذ معنى، لأنه إن اراد خلق ما يضره فيه وخلق المعاصي فيه فهذا التعوذ وجوده كعدمه وإنما ينفع ذلك متى كان العبد مختاراً .

فاذا أتى بهذا التعوذ كان أقرب الى أن لا يناله من قبل الجنة والناس ما كان يناله لولا ذلك . وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب أن التالي للقرآن يجب أن يتأمل أسماءَ الله تعالى وأوصافه ويعرف معانيها على الجملة لينتفع بالدعاء والثناء، ونحن الآن نذكرها على اختصار فإنا إن بسطنا القول فيها كان كتاباً مجرداً .

فاعلم أن في أم الكتاب خمسة أسماء منها قوله الله ومعناه أن العبادة لا تحق إلاَّ لهُ من حيث انعم علينا بما لا يصح إلاَّ مِنْه . من الخلق والقدرة والآلة والعقل حتى صرنا ممن يصح أن يعبدوه ويقوم بشكره . ومنها الرب ومعناه المالك لوجوه التصرف فيما هو ربه .

---

(١) [الناس: ١-٤].

ومنها الرحمن ومعناه المتناهى في الإنعام الى الحد الذي لا يصح إلا منه .

ومنها الرحيم ومعناه المكثر من عمل النعم .

ومنها الملك والمالك ومعناه القادر على التصرف في الأجساد إذا كانت معدومة وبالتقليب من حال إلى حال إذا كانت موجودة .

وعلى هذا الوجه قال تعالى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1] ويوم الدين هو يوم القيامة وهو معدوم الآن .

فأما في سورة البقرة فأسماء كثيرة :

منها المحيط وهذا الاسم حقيقة إنما يصح في الأجسام التي تحتوي على الشيء كاحتواء الظرف على ما فيه ويقال ذلك في الله من حيث يعلم أحوال العباد من كل وجه، فيجب أن يريد الداعي بهذه اللفظة ما ذكرنا، وإنما قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[2] ليكون رَدْعاً لهم عن الإقدام على المعاصي .

ومنها القدير وذلك حقيقة في الله يفيد المبالغة في القدرة .

ومنها العليم وهو للمبالغة في كونه عالماً ومنها الحكيم ويقال ذلك على وجهين أحدهما بمعنى عالم والآخر بمعنى أنه فاعل لحكمة وكل ذلك صحيح .

ومنها التوّاب ومعناه المبالغة في قبول التوبة من العباد وذلك كالمجاز الذي قد صار بالعرف كالحقيقة .

ومنها البصير ومعناه أنه يدرك المبصرات إذا وُجِدَت .

ومنها الواسع وذلك مجاز في الأصل لأنه يستعمل في نقيض الضيق فهو حقيقة في الأجسام فيراد به كثرة رحمته وجُودة إنعامه وأفضاله .

---

(١) [الفاتحة:٤].

(٢) [البقرة:١٩].

ومنها البديع والمراد بذلك المبالغة في اختراع الأمور من الأجسام وغيرها .

ومنها السميع والمراد بذلك أنه يدرك المسموعات إِذا وجدت .

ومنها الكافي والمراد بذلك أنه متفضل على العباد بمقادير كفايتهم إِما بسبب أو بغير سبب .

ومنها الرؤوف وفائدته الاكثار من فعل الرأفة .

ومنها الشاكر وذلك في الله مجاز وإِن كثر فيه التعارف لأن الشاكر في الأصل هو المنعم عليه إذا اعترف بالنعمة وذلك محال في الله تعالى فالمراد به أنه مقابل على الشكر بالثواب كما يفعله الشاكر في مقابلة النعم أو يكون المراد أنه المجازى على الشكر .

وقد يجري اسم الشيء على ما هو جزاء عليه .

ومنها الواحد والمراد بذلك انه لا ثاني له في قِدَمِهِ وأوصافه .

ومنها الغفور والمراد بذلك أنه لا يفعل بالعصاة إذا تابوا وكانت معاصيهم صغيرة ما يظهر به حالهم فهو مأخوذ من الستر كما يقال ذلك في المغفرة وغيرها وذلك وإن كان مُجازاً في الأصل فقد صار في التعارف كالحقيقة .

ومنها الحليم وفائدته أنه لا يتعجَّل العقوبة خشية الفوت كما يفعله أحدنا .

ومنها القائم والمراد بذلك الدائم الذي لا يجوز عليه الفناء وهو مخالف لقولنا قائم بمعنى مضاد قاعد .

ومنها الباسط والمراد بذلك بسطه النعم والأرزاق لخلقه وذلك أيضاً من حيث التعارف كالحقيقة .

ومنها الحي والمراد بذلك أنه مباين لما لا يصح أن يكون قادراً عالماً .

ومنها القيّوم وهو مبالغة في دوام الوجود .

ومنها العلّي والمراد بذلك الرفيع في قدرته وسلطانه .

ومنها العظيم والمراد بذلك عظم شأنه في قدرته وعلمه .

ومنها الوالي والمراد بذلك توليه لمن يطيعه .

ومنها الغنيّ والمراد بذلك نفي وجوه الحاجات عنه مع كونه حيّاً .

ومنها الحميد وهو مبالغة فيما يلزم من الشكر والحمد له ومبالغة في إِكرامه لمن أطاعه من عباده .

وفي آل عمران : أسماء منها القائم وقد مضى معناه .

ومنها الوهاب وفائدته المبالغة في الإنعام الذي هو تفضل من الله .

ومنها السَّريع . وذلك كالمجاز في الأصل والمراد به نفي التأخير عن تفضّله بالأرزاق وغيرها .

ومنها المجير .

وفي النساء أسماء : منها المقيت ومعناه القيّم بالأمور .

ومنها الوكيل ولا يقال ذلك في الله مطلقاً بل يقال هو وكيل علينا .

ومنها الحسيب وهو المبالغة في معرفة أحوال الخلق .

ومنها الشهيد وهو مبالغة في العلم بأحوال المكلفين .

ومنها العفو ومعناه معنى الغفور .

ومنها الرقيب ومعناه المعرفة بأحوال الخلق .

وفي الأنعام أسماء : منها الفاطر ومعناه المخترع للأشياء .

ومنها الظاهر والمراد به القاهر الذي لا يجوز المنع عليه .

ومنها القادر والمراد به صحّة الأفعال .

ومنها اللطيف والمراد بذلك المبالغة في اللطف والإحسان الواقِعَيْن منه .

ومنها الخبير ومعناه أنه عالم بالأمور لا يخفى عليه منها خافية .

وفي سورة الأعراف : المُحْيي ومعناه فاعل الحياة فينا .

ومنها المُميت ومعناه فاعل الإماتة وكِلاهمُا نعمة لأن الموت وإِن قطع عن نعمة الدنيا فله حظٌ عظيم في التوصّل به ومعه إِلى نعمة الآخرة .

وفي الأنفال : المولى والنصير ومعنى الأول الناصر لنا في أمر الدين والدنيا إِذا لم يكن ذلك من باب الفساد والنصير يفيد المبالغة في النصرة .

وفي سورة هود : الحفيظ وهو مبالغة في الآفات عنا وعلى هذا الوجه نسأل الله أن يحفظنا في السفر والحضر .

والقريب والمراد به العالم بأحوال العباد وهو في الأصل تشبيه لمن يقرب فيعرف بقربه حال غيره ثم صار كالمتعارف .

والمجيب وفائدته انه يجيب أدعية عباده وينيلهم ما يطلبون من قبله بشرط الصّلاح .

والقويّ والمراد به أنه قادر .

والمجيد والمراد به أنه كريم عزيز وعلى هذا الوجه وصف تعالى القرآن بأنه مجيد .

والودود والمراد به المبالغة في محبة من أطاعه وإِرادة الإحسان اليهم .

والفعَّال وهو مبالغة في الإكثار من الفعل لكنه يقل دخوله في الاسماء التي تجري مجرى الثناء إِلا أنه يقبل.

وفي سورة الرعد : الكبير المتعال والمراد بالأول أنه عظيم الشأن في قدرته وعلمه والمراد بالثاني أنه منزَّه عما لا يليق به .

وفي الحجر : الخلاق والمراد به المبالغة في الإكثار من الخلق .

وفي مريم : الصادق والمراد به إِثبات إِخباره صِدقاً .

والوارث والمراد بذلك عود النعم التي ملكها العباد إلى أن تكون ملكاً لله .

وفي الحج : الباعث والمراد به بعثه للرسل وإلى الرسل وبعثته بعد الإماتة ليوم الحشر .

وفي سورة المؤمنون : الكريم والمراد به أنه عزيز أو المراد به الإكثار من فعل الكرم .

وفي سورة النور : الحق وهو في الأصل مجاز لأنه حقيقة فيما يضاد الباطل من الاعتقادات والمذاهب وغيرها فإنما يوصف تعالى بذلك على وجه المجاز ويراد به أن الحق من قبله وأنه لا باطل في أفعاله أو يراد به أنه مما لا يجوز أن يفنى فيجب أن يبقى .

وفي هذه السورة المبين والمراد به الفاعل لما به يتبين الخلق أحوال الأشياء وأحكامها .

ومنها النور وذلك مجاز ولا يجوز أن يستعمل في الله تعالى على حقيقته لقوله ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ﴾[1] فإن معناه منوّرها بما خلقه من شمس وقمر أو يكون المراد به أنه بالادلة قد صيّر ما دل عليه منكشفاً كما ينكشف الشيء بالنور .

وفي الفرقان : الهادي والمراد بذلك أنه فعل هداية الخلق ليفصلوا بين الحق والباطل .

وفي سبأ : الفتّاح والمراد به أنه يفتح لخلقه طريق الخير والمعرفة ويفتح عليهم بالنّصرة ما طلبوا منه .

وفي المؤمن[2] : الغفار ومعناه ما تقدم في غفور .

وفيه القابل ومعناه قبوله للطاعات والتوبة ومجازاته عليهما .

---

(١) [النور:٣٥].

(٢) سورة غافر وتسمى المؤمن أيضا .

وفيه الشديد وذلك مجاز لأن أصله الصلابة في الأجسام فقيل في الله تعالى لشدّة عقابه على وجه الردع .

وفي الذاريات : الرزّاق وفائدته المبالغة في فعل الرزق .

وفيه ذو القوة ومعنى ذلك أنه قادر قوي .

وفيه المتين ذلك مجاز لأن المتانة إنما تصحّ في الأجسام الشّديدة فلا يجوز إطلاق ذلك على حقيقته .

وفي الطور : البرّ والمراد بذلك إكثار من فعل البر والإنعام على خلقه .

وفي اقتربت[1] : المليك ومعناه مَلِك ومالك على ما قدمناه .

وفيه المقتدر ومعناه المبالغة في قدرته على الأشياء .

وفي سورة الرحمن : الباقي والمراد أنه لا يجوز عليه تجدد الوجود والحدوث أبداً لم يزل ولا يزال .

وفيها : ذو الجلال ومعناه معنى قولنا عظيم وكبير وجليل .

وفيها : ذُو الإكرام ومعناه أنه فاعل لذلك وأنه يليق به ما تأتيه من المدح والثناء عليه .

وفي الحديد : الأول والمراد به الموجود قبل كل موجود .

والآخر والمراد به الموجود بعد الموجودات كلها .

والباطن والمراد له أنه عالم بالسرّ والظاهر وقد مضى معناه في سورة الأنعام .

وفي الحشر : القدوس وفائدته المبالغة في تنزيهه عما لا يليق به .

والسّلام والمراد به أن السَّلامة من قبله وهو مجاز في الأصل .

والمؤمن والمراد به أنه أمَّن غيره من الخوف وغيره .

---

(١) سورة القمر (سماها بمفتتح السورة) .

وفيه : المهيمن ويقرب معناه مما ذكرنا وفيه .

والعزيز والمراد به أنه لا يُضام ولا يُمنع من مراده .

وفيه : الجبار والمراد به أنه يقهر غيره ولا يصح أن يقهره .

وفيه : والمتكبر والمراد به المبالغة في صفات المدح وذلك كالذم فينا لأنا إذا تكبرًنا صوًرنا أنفسنا بحالة أرفع مما نحن عليه ولا حال يليق بالله تعالى ولا حال أرفع منه .

وفيه : الخالق والمراد به إيجاده للمخلوقات

وفيه : البارىء ومعناه ابتداعه لما خلق .

وفيه : المصور والمراد به فعله لهذه الصور العجيبة

وفي البروج : المبديء المعيد . والمراد بالأول أنه تعالى المبتدىء بالخلق . والمراد بالثاني أنه بعد الفناء يعيدهم .

وفي الاخلاص : الأحد . معناه ما قد ذكرنا .

والصَّمد وقد ذكرنا معناه قال وهذه الاسماء وغيرها مما لم يذكر في الدّعاء وفي مقدمات ما يطلب من قبل الله تعالى ليكون الدعاء أقرب إلى الإجابة .

ولو قال قائل يا ألله يا رحمن اغفر ذنوبنا لحسن ذلك، ولو قال يا موجود يا شيء لقبح ذلك . وإنما يحسن أيضاً من المرء أن يطلب من الله ما يحسن أن يفعله دون ما يكون فساداً، فالداعي يجب أن ينوي ذلك ويقصده أو يظهر ذلك بكلام، فلو قال الدّاعي اللهَّمَّ ارزقني أولاداً وفي المعلوم أنه إن رُزق يرهقونه طيغاناً وكفراً لم يحسن ذلك، فيجب أن ينوي إن لم يكن فساداً في دينه، وكذلك نقول في سائر ما نطلبه من الله .

تعالى وعلى هذا الوجه لا يحسن منا أن نقول اللهم اغفر للكفّار والفُسَّاق، ويحسن ذلك في المؤمنين، وعلى هذا الوجه قال تعـالى حكـاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[1] في قوله ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ

(١) [التوبة:١١٤].

﴿إلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[1] وعلى هذا الوجه أيضاً قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[2] وكذل القول فيما يتصرف فيه لأن التاجر يجب أن يطلب الربح في تجارته بشرط أن لا يكون فساداً، وكذلك الحرّاث والمحترف، فالفعل في ذلك إذا كان يطلب بدعاء شرط أن لا يكون المطلوب فيه فسادًا في الدين، وينبغي للمؤمن أن يتفكر في ذات الخالق تعالى لئلا يؤدي به إلى الكفر .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾[3] مدحهم تعالى على تفكّرهم فبيَّن أنه ينبغي أن ينظروا ليعلموا أنه تعالى ما خلق ذلك باطلاً ليصحّ منهم هذا القول وليصح منهم أن يقولوا ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4] لأن ذلك تنزيه به عمَّا لا يليق به، فيجب أن تتقدم المعرفة في ذلك . وإنما عُظمٌ شأن القرآن لا لأنه يُتلى ويُحفظ فربّ صبيّ حَدّ كمال العقل يُسابق الكبار مِن العُقلاءِ في حفظه وإنما عظّم ذلك من حيث إذا تدّبره المرء وتمسك بآدابه وأحكامه عظم نفعه ديناً ودنيا .

وقد ذكرنا هذا في الكتاب ـ والحمد لله على نعمه ـ ما يُنَبِّه مَنْ نظر فيه على عظم شأن القرآن من أدلة على معرفته وعلى معرفة عدله، ومن ضروب من التنبيه على ما أودعه من وعظ وتذكير وإنذار وتبشير ووعد ووعيد . وذكرنا أيضاً على وجه الاختصار ما يعرف به عظيم الغلط ممن طعن في القرآن بذكر الشبه دون قصد الاستعلام على ما ظن أنه بخلاف الحكم الشرعي .

أما ذكر الشبه للاستعلام أو لبيان أجوبتها فلا يُعَدُّ من الطعن في القرآن؛ قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[5].

والحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا الكتاب وخدمة القرآن الكريم .

---

(١) [التوبة: ١١٤].

(٢) [التوبة: ٨٠].

(٣) [آل عمران: ١٩١].

(٤) [آل عمران: ١٩١].

(٥) [النحل: ٤٣].

الفهرس

دراسات حول القرآن 2

تنزيه القرآن عن المطاعن



1- أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة - رسول جعفريان

2- تنزيه القرآن عن المطاعن - للقاضى : عبد الجبار

3- القرآن معجزة الإسلام - مصطفى ثابت

4- عربية القرآن - د. عبد الصبور شاهين

5- الظاهرة القرآنية - مالك بن نبى

6- القراءات القرآنية - د. عبد الصبور شاهين

I.S.B.N. 977-6189-41-5



مكتبة النافذة